مجموع

رسائل العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ

يحوي أكثر من ٥٠ رسالة في مختلف الفنون

تطبع مجموعة أول مرة مقابلة على عدة نسخ خطية

حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها

محمد بركات ماهر أديب حبوش د. علي محمد زينو

محمد وائل الحنبلي جمال عبد الرحيم الفارس محمد طارق مغربية

جمعها وأشرف على تحقيقها وقدم لها

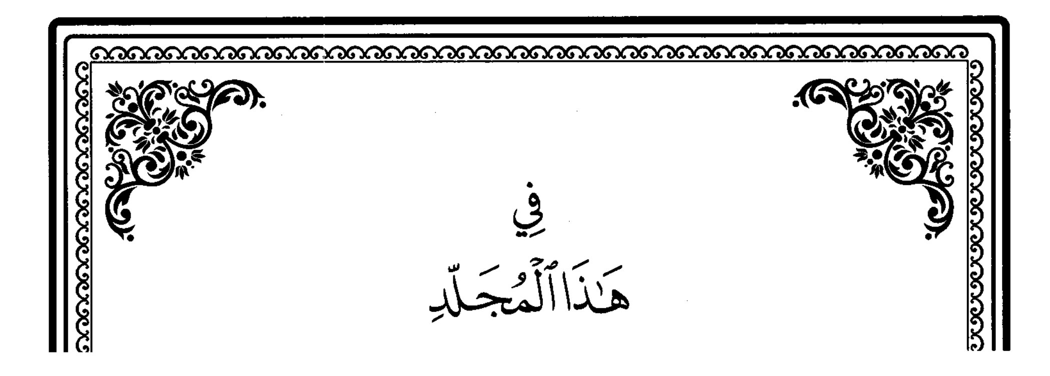
محمد خلوف العبد الله

المجلد السابع



دار اللباب

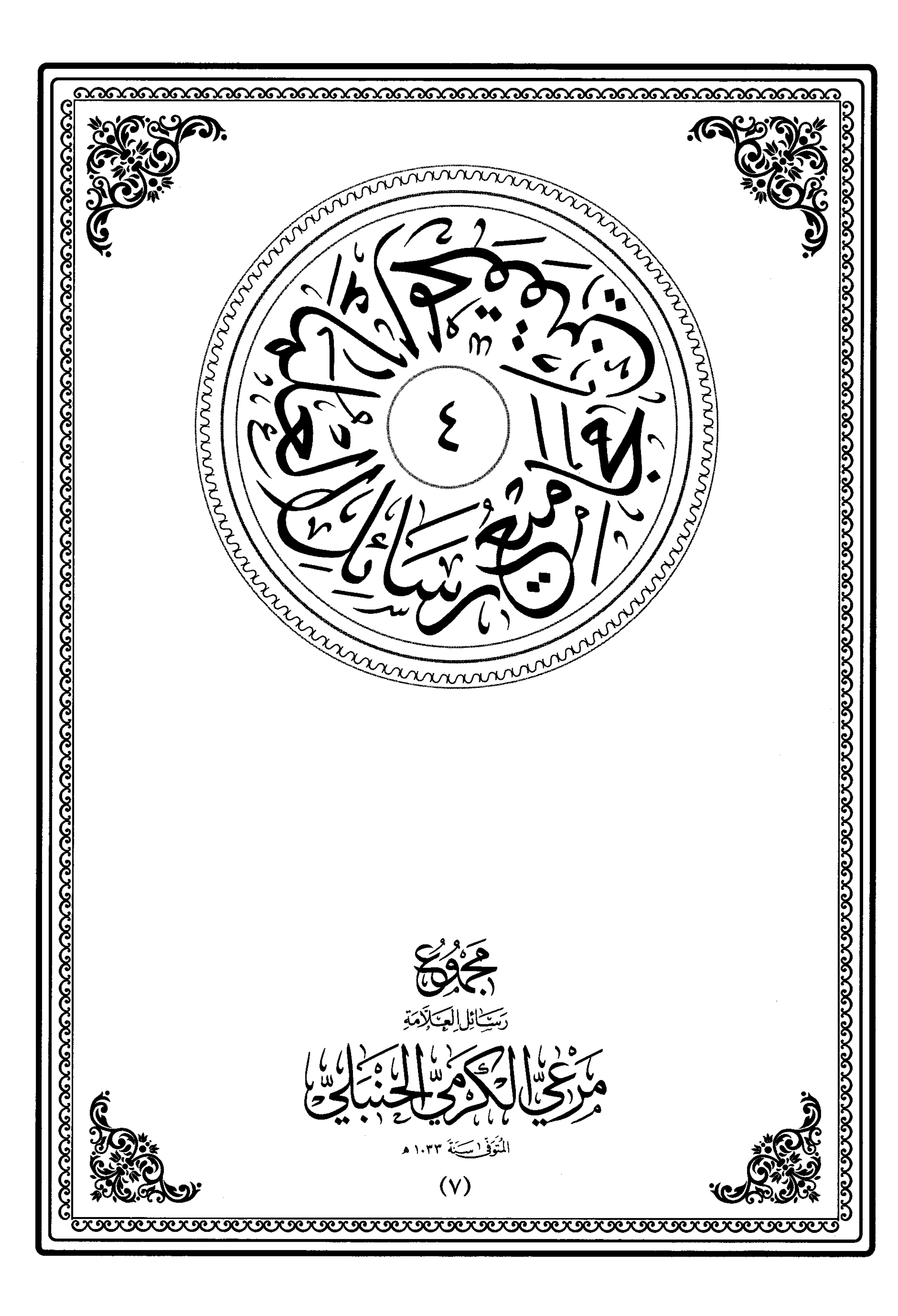


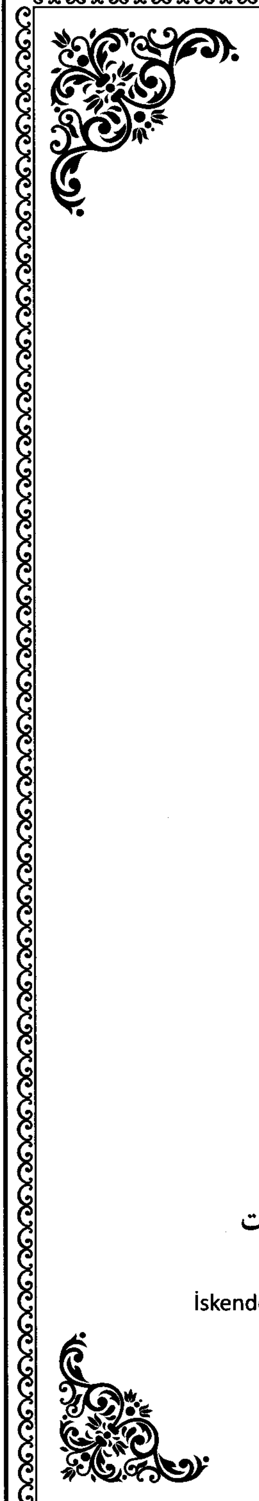
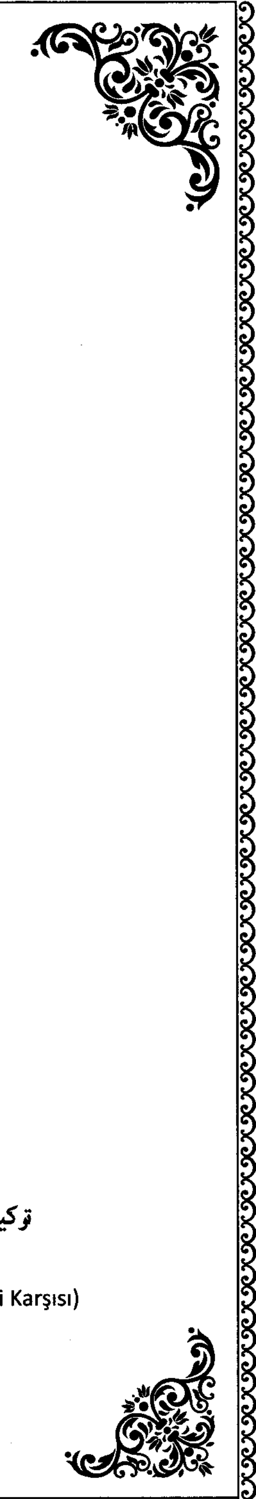


في هذا المجلد

الموضوع	الصفحة

* * *


٤
مجموع
رسائل العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ
(٧)

الطبعَة الأولى
١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

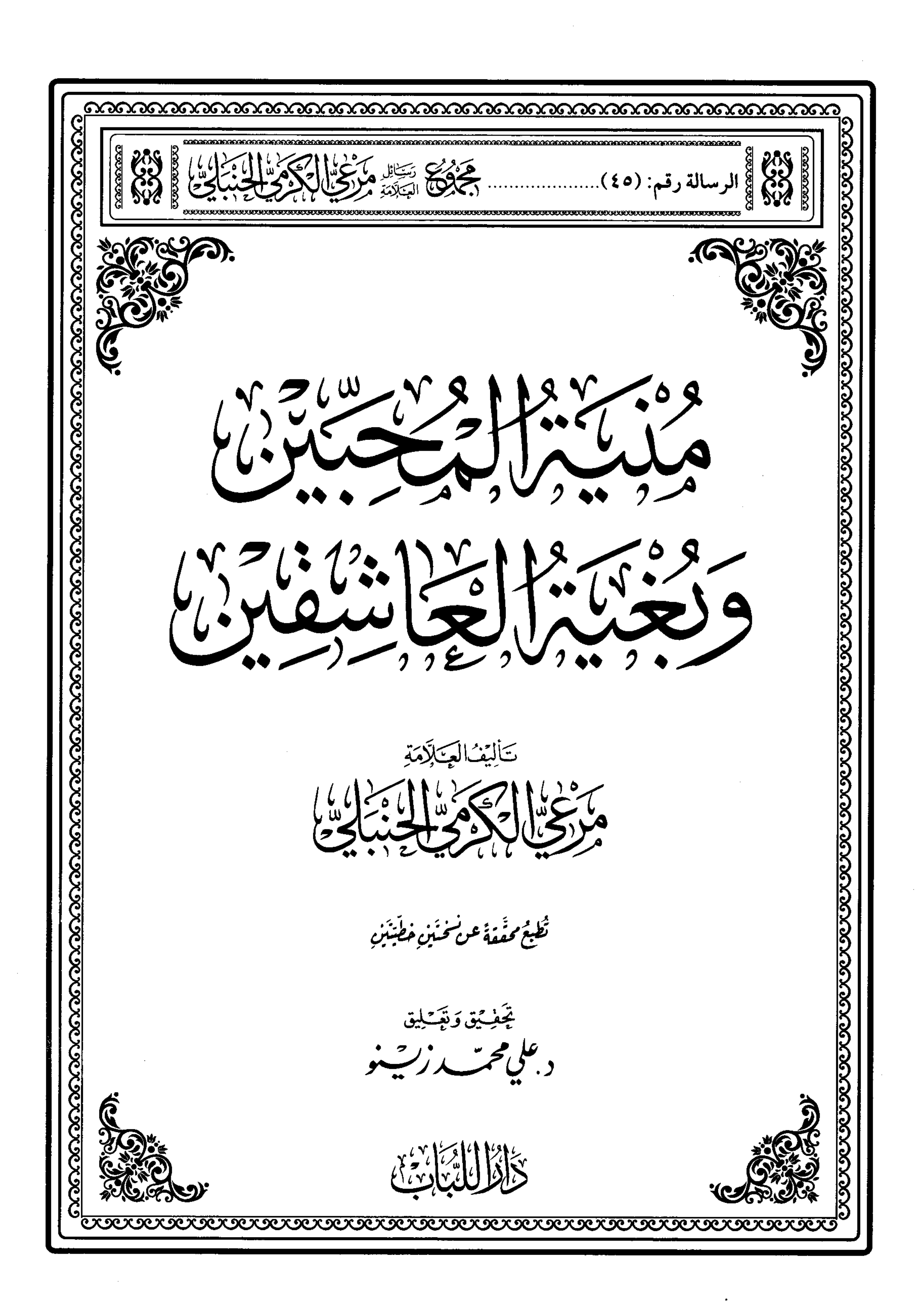


الخطوط بقلم: عدنان الشيخ عثمان
الإخراج الفني: خالد محمد ياسين علوان



تركيا ـ اسطنبول ـ الفاتح ـ اسكندر باشا ـ كزتاش ـ مفرق بنك الكويت
مقابل مستشفى الفاتح ـ بناء رقم ٧ ـ ط ٥
İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları
Tel: 00902125255551 - Mob: 00905454729850
Www.allobab.com - Email: info@allobab.com

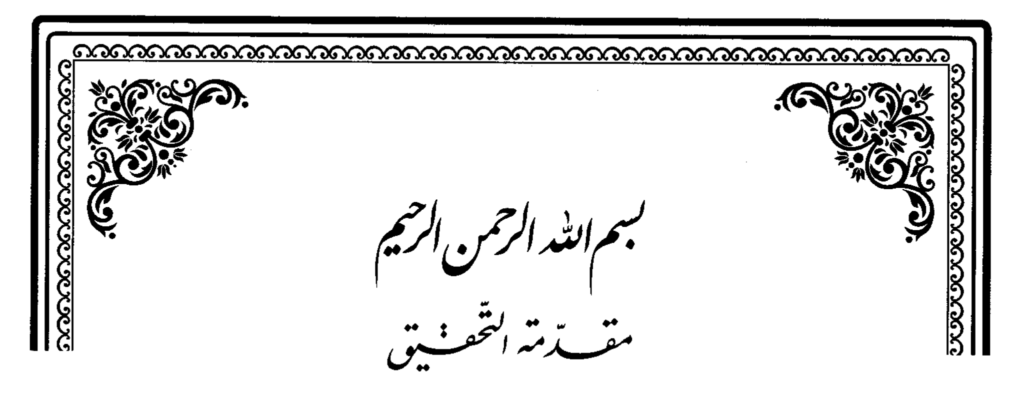


مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
الرسالة رقم: (٤٥)
منية المحبين
وبغية العاشقين
تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
تطبع محققة عن نسختين خطيتين
تحقيق وتعليق
د. علي محمد زينو
دار اللباب

مكتبة الأوقاف المركزية بمصر (ق)

مكتبة دار الكتب المصرية (م)



الحمدُ لله علّام الغيوب، غفّار الذنوب، وستّار العيوب، الذي عمَرَ بالمَشاعر أفئدةَ البشريّة، وخصّها بالأحاسيس فميَّزَها عن سائر البريّة.

والصلاةُ والسلام على أرقِّ الناس وألطَفِهم، وأحناهُم عليهم وأعطَفِهم، الذي مُلئ بالرحمة فؤادُه الزَّكيّ، وفاضَ بالحِرص على الخلق صدرُه النَّقيّ، وعلى آله وصَحبِه، وتابِعيه وحِزبِه، **وبعد:**

فهذا كتابٌ خفيفٌ حَجمُه، لطيفٌ جِرمُه، محبَّبٌ موضوعُه، مقروؤُه ومكتوبُه ومسموعُه، تهفو إلى قراءتِه النفوس، وتنبسط به الأساريرُ بعد العُبوس، كيف لا؟ وهو يتكلّم عن فِطرةٍ هي في كلِّ امرئٍ سويّ، وخَصلةٍ تحقَّق بها كلُّ ذي طبعٍ عليّ، وعن سلوكِ سبيل الخِلقة السليمة، والجِبلّة المستقيمة، مما عُرف به سيدُ الأنبياء والمرسلين(١)، ولم يأنَف منه العلماءُ والفقهاء ولا غيرُهم من الصالحين، فأقرّوا

---

(١) كما روى مسلم في «صحيحه» (٢٤٣٥) عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ، إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة، فيقول: «أرسِلوا بها إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغضبتُه يوماً، فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رُزقتُ حُبّها».

وعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيتُه، فقلتُ: يا رسول الله، أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». رواه الترمذي في «سننه» (٣٨٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

امتلاءَ القلب بالحبّ، وفيضَ النفس بالعشق، وانجذابَ الرُّوح إلى روحٍ تعرفُها، وميلَ النفس إلى نفسٍ تألفُها، بحيث يُرجى بالاجتماع بالمحبوب حُصولُ السكينة، ويُؤمل بقُربه غِشيانُ الطُّمأنينة؛ بما تُجتَنَبُ فيه المنكَراتُ والمآثِم، وتُتوقّى فيه الفواحشُ والمحارِم.

و«الحُبُّ» ـ وما في معناهُ العامّ ـ شعورٌ إنسانيٌّ تتسع فيه دائرة المحبوبات، وتطولُ فيه قائمةُ المحبوبين، ولكلٍّ منهم حُبٌّ خاصٌّ به، يمتازُ بطبيعة معيَّنة، وله أركان وشروط وآداب محدَّدة.

ألا وإنّ أسمى المحبوبين ـ على الإطلاق ـ هو اللهُ تبارك وتعالى؛ الذي قال عن علاقته بالمؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٣]، ثم يأتي المحبوبُ الأعظَم بين الخلائق سيدُنا محمدٌ ﷺ، الذي صحَّ عنه: «لا يُؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والدِه وولَدِه والناس أجمعين»[1].

ثم يتنوّعُ الحُبُّ، ويتعدّد المحبوبون؛ باعتباراتٍ مختلفة وكثيرة، إلا أنّ أشهَر الحُبِّ بين الناس ـ وهو الظاهر المتبادرُ إلى أكثر أذهانهم عند ذِكرِه ـ هو حبُّ الرّجُلِ المرأةَ، وحُبُّ المرأة الرجُل!

ولما كان هذا النوعُ من الحبِّ شُعوراً لا يُستطاع من النفوس انتزاعُه، ويُمكنُ لا من القلوب اقتلاعُه، بل هو علامةٌ من علامات الكَمال، وأمارةٌ على ما في الروح من الجَمال، وهو من خِصال الرجال الأفاضل، وطِباع الأكابر والأماثل، مع ما يُحقِّقه

---

(١) «صحيح البخاري» (١٥)، و«صحيح مسلم» (٤٤) عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه.
وهو في «صحيح البخاري» (١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه (٦٦٣٢) عن عبد الله بن هشام ـ رضي الله عنه ـ بمعناه.

من مشروع المصالح، ويأتي به من مُعتبَر المرابح؛ لم يقُلِ الإسلام: إنه محظورٌ لِذاتِه، ولا ممنوعٌ إلا بصِفاتِه، ولم يأتِ بتحريمِه، ولم يحكُم بتجريمِه، إلا إذا اقترَنَ بسلوكٍ منهيٍّ عنه، أو أدّى بصاحبِه إلى ما لا يجوزُ منه، بل لقد شرع سبيلَ تحصيلِه بالحلال، وبيّن وسيلةَ النَّهْل من مَعينِه الزُّلال، وذلك بالابتعاد عن الوقوع في الخنا، واجتناب ارتكاب فاحِشة الزنى، واستبدال الزواج الشرعيِّ بالسِّفاح، فقال النبيُّ ﷺ: «لم يُرَ للمتحابَّين مثل النِّكاح»[1].

وقد تطرّق العديدُ من أئمة الإسلام، وعلمائه الأعلام، والجمُّ الغفير من رجالات الأدب والأخلاق والفلسفة إلى موضوع العشق، وتكلموا في شؤون العاشقين وأحوالهم وأحكامهم، وقصُّوا الكثير من قصصهم وأخبارهم، وصنّفوا في ذلك مصنفات مستقلّة، أو وضعوا له أبواباً في كتبهم.

وإنّ مّن أفضل وأجمَع ما وُضع في هذه القضية كتابُ الشيخ الفقيه شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابنِ قيم الجوزية، الحنبلي، (ت٧٥١هـ) «الداء والدواء»، أو «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»؛ حيث أفاض وأفاد وأجاد فيه، مع أنّ أصلَه إجابةٌ على فتوى رُفعت إليه في حالِ عاشِق، وكتابُه مطبوع متداول.

وله كذلك كتابٌ ثانٍ تفنّن فيه اسمه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، وهو مطبوع متداول كذلك.

وتطول في هذا الباب قائمةُ المؤلَّفات، وتكثُر مما صنّفهُ أهل العلم والفقه والأدب المصنَّفات؛ فمن ذلك على سبيل الاختِصار، والتمثيل والاقتِصار:

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (١٨٤٧) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، وقال الحافظ البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٦٦١): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

«كتاب العشق» لأبي العباس أحمد بن محمد السرخسيّ الطبيب، (ت٢٨٦ه)[١].

وكتاب «الزهرة»، لأبي بكر محمد بن داود بن علي الظاهري، (ت٢٩٧ه)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «الشوق والفراق»، لمحمد بن سهل ابن المرزُبان الكَرخي البغدادي، (ت٣٢٢ه)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «اعتلال القلوب»، للحافظ أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي، (ت٣٢٧هـ)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «ربيع المتيم»، للحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد الرَّامهرمزيّ الفارسيّ صاحب «المحدث الفاصل بين الراويّ والواعي»، (ت نحو ٣٦٠ه)[٢].

وكتاب «المحب والمحبوب والمشموم والمشروب»، للسَّريِّ بن أحمدَ بن السريّ الكِنديّ الرفاء، (ت٣٦٢ه)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «أخبار العشاق»، لأبي عمر محمد بن أحمد بن سليمان النوقاتي، (ت٣٨٢ه)[٣].

وكتاب «الرياض في أخبار العشاق»، لأبي عبيد الله محمد بن عمران الـمَرزُبانيّ (ت٣٨٤ه)[٤].

وكتاب «المصون في سر الهوى المكنون»، لأبي إسحاق الحُصري القيرواني، (ت٤١٣ه)، وهو مطبوع متداول.

---

(١) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» (٢/ ١٤٣٩).

(٢) «الأعلام» للزركلي (٥/ ١٩٤).

(٣) «الأعلام» للزركلي (١/ ٣١٢).

(٤) «الأعلام» للزركلي (١/ ٣١٢).

و«رسالة» في العشق، للشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله ابن سينا، (ت٤٢٨هـ)، وهي مطبوعة متداولة.

وكتاب «طوق الحمامة في الأُلفة والأُلّاف»، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، (ت٤٥٦هـ)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «مصارع العشاق في شارع الأشواق»، للقاضي أبي المعالي عبد العزيز ابن عبد الملك، (ت٤٩٤هـ)[1].

وكتاب «مصارع العشاق»، لجعفر بن أحمد بن الحسين السَّرّاج البغدادي، (ت٥٠٠هـ)؛ أورد فيه الكثير من أخبار المحبين مسنَدةً منه إلى أصحابها، وكتابه مطبوعٌ متداول.

وكتاب «روضة العشاق ونزهة المشتاق»، لأبي سعيد محمد بن علي بن عبد الله العراقي، (ت٥١٠هـ)[2].

وكتاب «نفائس الأعلاق في مآثر العشاق»، لأبي الحسن علي بن سعيد ابن حمامة الأندلسي، (ت٦٠٤هـ)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «أخبار المشتاق إلى أخبار العشاق»، لمحب الدين محمد بن محمود بن النجار البغدادي، (ت٦٤٣هـ)[3].

وكتاب «منازل الأحباب ومنازه الألباب»، للشهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي، (ت٧٢٥هـ)، وهو مطبوع متداول.

---

(١) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» (٢/ ١٧٠٣).

(٢) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» (١/ ٩٢٧).

(٣) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» (١/ ١).

و«فتوى في العشق»، منسوبةٌ لأبي العباس أحمد ابن تيمية، (ت٧٢٨هـ)، وهي منشورة في المجموعة الأولى «جامع المسائل» ومتداولة [١].

وكتاب «الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين»، للحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله الحنفي، (ت٧٦٢هـ)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «روضة القلوب» لأبي القاسم محمد بن عبدالرحمن الشيزري، قاضي طبرية، (ت٧٧٤هـ) [٢].

وكتاب «مشارع الأسواق إلى مصارع العشاق»، لإبراهيم بن محمد ابن النحاس الدمشقي، ثم الدمياطي، (ت٨١٤هـ)[٣].

وكتاب «أسواق الأشواق»، للإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، اختصر به «مصارع العشاق» للسراج[٤].

وكتاب «تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق»، لداود بن عمر الأنطاكي، (ت١٠٠٨هـ)، وهو مطبوع متداول.

وكتاب «نزهة الأحداق في مصارع العشاق»، لأديب إسحاق الدمشقيّ، (ت١٣٠٢هـ)[٥].

وكتاب «نشوة السكران من صبهاء تذكار الغزلان»، للسيد محمد صديق خان القنُّوجي، (ت١٣٠٧هـ)، وهو مطبوع متداول.

---

(١) وقد كان ابن القيم أول من شكك في صحة هذه الفتوى ـ بل كذّبها ـ في «الداء والدواء» (ص٩٥)، رغم نقلِه نُبذاً من مضمونها.

(٢) «هدية العارفين» (١/ ٥٢٨).

(٣) «معجم المؤلفين» (١/ ١٤٣).

(٤) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣١٢).

(٥) «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٨٥).

وغيرُ ذلك كثير.

وممّن صنّف في هذا الموضوع الإنسانيّ العلامةُ مرعي بن يوسف الكَرْميّ الحنبليّ ـ رحمه الله ـ مصنِّفُ هذا الكتاب الذي نحن بين يدَيه، والذي سمّاه هذا الاسم اللطيف: «منية المحبّين وبُغية العاشقين»، والذي وضَعُه في الكلامِ عن إثبات حقيقة المحبة وبيان شرفها، وفي كلام الخائضين في حقيقتها، وفي حقيقة العشق وأسبابه ومراتبه، وكلام مادحيه وذامّيه، وذمّ الهوى، وفي ذكر القلب ومدح العقل، وعلامات المحبِّ والعاشق، وحقيقة الشوق، وفي إرشاد العاشق السقيم إلى الطريق المستقيم، والحذر من إطلاق النظَر، وفي فضل الشِّعر وذكرِ شيء من أشعار المحبّين.

وقد تمّمه وتوّجه بكتابه الآخَر الذي سماه: «تسكين الأشواق بأخبار العشاق»، والذي أراد فيه ـ رحمه الله ـ بيانَ أحوالِ عشّاقِ العربِ المشهورين؛ فسرَد فيه طائفةً من أخبارِ أشهَرِهم؛ ممن قتلَه الحُبّ، وأودى به العشق، وهو بتحقيق العبد الفقير في هذه المجموعة، ولله الحمد.

وللكرميّ ـ رحمه الله تعالى ـ كذلك ديوانُ شعرٍ لطيفٌ اسمهُ «الغزل المطلوب في المحب والمحبوب»؛ جمع فيه أكثر من مئةٍ من القصائد والقِطَع الشعرية، مع العشراتِ من النُّتَف، كلُّها من نظمِه[1]، إلا قليلاً منها من اختياراته، وقد أكرَمني الله بتحقيقِه ونُشِرَ قبل أزيدَ من ثلاث سنوات، ولله الفضل والمنّة[2].

---

(١) وقد أورد عدداً منها في خاتمة هذا الكتاب التي أحبَّ أن يختمَه ـ كما قال ـ ببعضِ أشعارٍ قالها، وكَلِماتٍ رَسَمها ورَقَمها.

(٢) كما حققه أخونا الأستاذ مناف بعاج ونشر تحقيقه ضمن هذا المجموع بحمد الله.

وقد سبق لهذا الكتابِ وأن حُقِّق مرّتين قبل عامين، إلا أنّ نُدرة توفُّر نُسخه المطبوعة، مع الرغبة في كونه بين هذه الزُّمرة الوَفيرة من آثار العلّامة الكرميّ؛ شجّعا على إعادة تحقيقه وخروجه في هذه النَّشرة.

وقد اعتمدتُ في تحقيقه على نُسختين خطيتين هما: نسخة مكتبة الأوقاف المركزية في مصر ورمزتُ لها بـ(ق)، ونسخة دار الكتب المصرية ورمزتُ لها بـ(م).

وقد حرَصتُ على تصحيح متنِ الكتاب، وتفقيره وترقيمه، وإثباتِ ذي البال من الفروق الهائلة بين نسختَيه الخطيتين، واعتنَيتُ بتخريج أحاديثِه وآثاره، وعزوِ حكاياته ومنقولاته إلى أقدَم مصادرها المعتبَرة؛ دونَ إكثارٍ في ذلك ولا مبالغة، مُقدِّماً في ذلك كُتبَ أهل العِلم على كُتب الأدَب عند الاشتراك، مع تعريف وجيزٍ بمَن لمستْ حاجةً إلى التعريف بهم من الأعلام المذكورين، وإضافةِ بعض عناوينَ يسيرةٍ كالفصول تُقرِّب مضمونَ ما يتلوها من مادة الكتاب.

***

بعد ذلك كلِّه....

هذا الذي بين يديكَ ـ أيها القارئ الكريمُ ـ هو كتابُ «منية المحبين وبغية العاشقين» للعلّامة مَرْعي بن يوسف الكَرْميّ المَقدِسيّ الحَنْبَليّ (ت١٠٣٣هـ) عليه رَحَماتُ الله.

أضعُها تحتَ نظرِ الراغِب، وبين يدَي الطالِب، ومن أجلِ تقديمِها مخدومةً الخدمةَ اللائقة، شمّرتُ عن ساعد الجِدّ، وبذلتُ وافرَ الجهد، فأسهرتُ لذلك

الليالي، وأضنَيتُ فِكري وبالي؛ فإن أصَبتُ وأحسَنتُ؛ فالفضلُ لله ـ سُبْحانَه وتعالى ـ مُبتَدأً ومُختَتَماً، ومنه التوفيق، وبيدِه التمام والتحقيق.

وإن كان غير ذلك؛ فمِن قُصوري ونَقصي، ومما جنَتْهُ يداي، وأسأل اللهَ على ذلك أن يجودَ بالغَفْر، ويحبوَني بالصَّفح، وأرجو ممن يطّلِعُ على زلّةٍ أو خَطأة أن يتفضَّل بالعُذْر، ويتكرَّم بالنُّصح.

وأمّا عمَلي في كتابي هذا، فيصحُّ فيه وفي غيره ما كتبه القاضي عبد الرحيم البيسانيّ، إلى العماد الأصبهانيّ، مُعتذراً عن كلامٍ استدرَكَهُ عليه: «إني رأيتُ أنّه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لَكان أحسَن، ولو زِيْدَ هذا لَكان يُستحسَن، ولو قُدِّمَ هذا لَكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لَكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر»(١).

والله أعلَم، وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ وسلَّم.

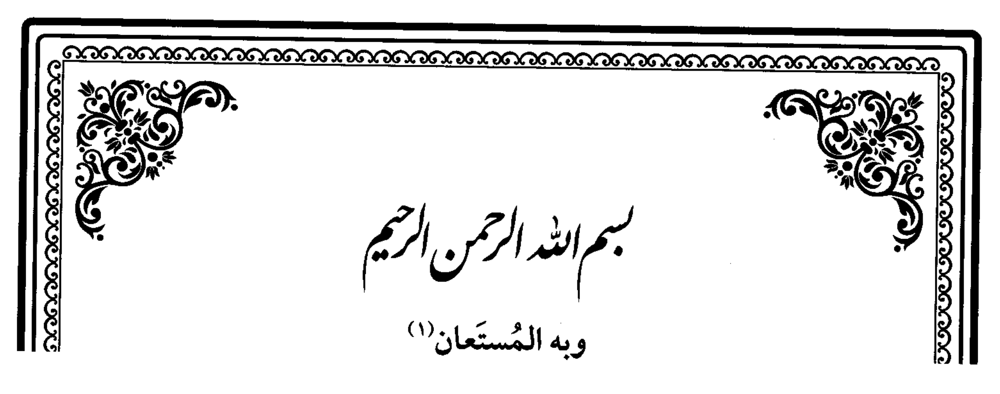
المحقق

***

---

(١) يُنظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٨)، و«أبجد العلوم» لصدّيق حسن خان القنوجي (١/ ٧١).





بسم الله الرحمن الرحيم

وبه المُستَعان[1]

صلى الله على سيِّدنا مُحمّدٍ وعلى آله[2]

الحمدُ لمن سَلسَلَ سَلسَبيلَ دموع المُحِبّينَ بأعراض المحبوبين[3]، وسَلسَلَ بسَلاسِلِ الغَرام قلوب العاشِقينَ بإعراض المعشوقين، فسَلسَلَ من سَلسَلَ، ثم ثلّم الأعراضَ منهم، بالإعراض[4] عنهم؛ حتى أصبَحوا بذلك مُفضحين، وعمّن تكلّم فيهم مُصفحين[5].

سَقاهُم بالخمر[6] فباحوا، وشَقاهُم بالهَجْر[7] فناحوا، وشَفاهُم بالوَصل

---

(١) ليس في (م) قوله: «وبه المستعان».

(٢) الصلاة على النبي ﷺ ليست في (ق).

(٣) في (ق): «المحبين».

(٤) سقط في (م) قوله: «ثلم الأعراض منهم بـ».

(٥) وقد جانس بين «سلسل» بمعاني: صبَّ الماء، وقيّدَ بالسلاسل، وأضعفَ وأوهى، وبين «الأعراض» جمع «عُرض»، وهو الناحية، وجمع «عِرْض»، وهو موضع المدح والذمّ من الإنسان.

وكأنه يريد بقوله: «مُفضحين»: «مُفتَضَحين»، وبقوله: «مُصفِحين»: «صافِحين»، ولم أجد المعنيَين بهذين البناءَين، والله أعلم.

(٦) في (ق): «بالحز».

(٧) في (م): «بالبحر».

فراحـوا، بغَـرام شـوق الوصـل مُنعَّمين مُعذَّبيـن، فأهـلُ المَحبّة والغَـرام ـ على كلِّ حالٍ ـ ليسـوا بمُستَريحين[١].

فكيف لو نظرتَهم إذ[٢] مُناديهم يُناديهم: مُوتوا بالهجر مَعشرَ المُحِبّين، وذوقوا مسَّ سقَرَ بالوَصلِ مَعاشرَ العاشِقين.

وكيف لو تَراهُم، إذ الشَّوقُ بَراهُم، لرأيت أقواماً سُكارى صاحين، حَيارى عارفين، سُهارى غارقين، أُسارى مُطلَقين[٣]، فشُجونهم[٤] شُجُونهم، وعُيونهم عيونُهم، وغَرامهم غَرامهم[٥]، فيا أسفَاهُ[٦] على المسجونين المشجونين المُغرَمين، ويا رحمَتاهُ[٧] للعاشِقين المُعذَّبين[٨].

أحمَـدُ مَن جعـل عذاب الغَـرام عَذباً سـديداً[٩]، وسِـقام الهُيام صَعباً شـديداً،

---

(١) في (م): «بمسترحين».

وأراد بـ«الخمـر»: خمـر المحبـة، و«رَاحَ» المـرءُ إلـى الشَّـيءِ يَـراحُ: نَشِـطَ وسُـرَّ بِه، و«شَـقاهُ اللهُ» و«أَشْـقاهُ» بمعنـىً.

(٢) في (ق): «إذا نظرتهم إذا».

(٣) في (م): «مطلوقين»، وزيد في (ق): «مساكين المحبين الحيارى تراهم مطلقين»، ثم زيد في النسختين: «وهم أُسارى مقيَّدين»، وأراه تكراراً لا طائل منه.

(٤) في (ق): «فسجونهم».

(٥) في (ق): «غريمهم».

(٦) في (م): «أسفاً».

(٧) في (ق): «رجتاه».

(٨) و«براه المرض»: أنحَلَه، و«الشُّجون»: الحاجات والأحزان، و«العُيون»: عيونُ الوجوه وعيونُ الماء، و«الغَرام»: العِشق والخسارة.

(٩) في (م): «شديداً». والسهمُ «السَّديد»: المُصيب.

وقتيل المَحبّة هدَراً شهيداً، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣][1]، وأشكُرُ من جعل المَحبّةَ سَجيّةَ العقول السَّليمة، والعِشْق المباحَ شِيمةَ الطِّباع المُستَقِيمة، وخصَّ بذلك عِبادَه الخيِّرين المَرضيِّين.

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، المبتلي أهلَ الغَرام، بنار الطرد[2] والصَّدِّ والبُعد والهُيام، المتضمِّنِ بجَميع الأسقام والآلام، القائلُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [مُحمّد: ٣١].

وأشهد أن مُحمّداً عبدُه ورَسُولُه سنَدُ[3] العاشِقين، وسيِّد المُحِبّين، صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه أولي الغَرام المُباح[4]، والرِّضا والسَّماح، رضوانُ الله عليهم أجمَعين، وبعد.

فلما كانت المَحبّة غذاءَ الأرواح، وصلاحَ الأشباح، وكان العِشْق المباح، دليلَ الفلاح، وقد شغفَ به كلُّ ذي طبع سليم، وعقل مُستَقِيم، وأصبح غالبُ الناس في بحار العِشْق خائضين، وعن سفينة النجاة ضالّين، ولسفينة الغرق مهتدين[5]، وفي حَقيقة شروط المَحبّة عائمين، وبآداب أهلِها ليسوا بمتأدِّبين، ولطريقتهم[6] الحَميدة غيرَ سالكين.

---

(١) ليست الآية في (م).

(٢) في (م): «الصدود».

(٣) في (ق): «سيد».

(٤) في (ق): «المحبين».

(٥) في (م): «معتدين».

(٦) في (م): «ولطريقهم».

أحببتُ أن أضعَ في هذا المقام مؤلَّفاً لطيفاً، ومختصَراً شريفاً وظريفاً[١]، متكلّماً فيه على الحُبّ وحقيقَتِه، والعِشْق ومرارتِه، وشروط المَحبّة والغَرام، والمَودّة والهُيام، وماذا يجب على العاشِق والمعشوق من العَفاف والكِتمان، ومِن الحَذَر مِن[٢] إرسال النَّظَر المُوجِب لتلك الأحزان والأشجان، مُبالِغاً في اختِصارِه، وفي جمعِ[٣] مُفرَّقاتِه وطَيِّ انتِشارِه.

وقد جعلتُه عشَرة أبواب؛ طلَباً للتسهيل على الأصحاب، واختِصاراً لكلام ذوي الألباب.

فأقول مُستَعيناً بالله، مُستَعيذاً به[٤] من أليم الفراق، سائلاً منه مزيدَ نَعيم الوصل[٥] والتَّلاق؛ إنه على ما يشاءُ قَدير، وبالإجابة جَدير، آمين[٦].

الباب الأول: في إثبات حَقيقة المَحبّة وبيانِ شرَفها.

الباب الثاني: في كلام الخائضين في حَقيقة المَحبّة.

الباب الثالث: في حَقيقة العِشْق، وأسبابه، ومراتبه، وفي الفرق بينه وبين المَحبّة والخُلّة[٧]، وفي أسمائه.

---

(١) في (ق): «لطيفاً ظريفاً».

(٢) في (ق): «في».

(٣) فيهما: «جميع».

(٤) قوله: «به» سقط في (م)، وفيها قبلها: «أقول».

(٥) في (م): «نعم الوصال».

(٦) قوله: «آمين» ليس في (ق).

(٧) في (ق) «وبين الخلة».

الباب الرابع: في كلام الخائضين بمدح[١] العِشْق وذمه.

الباب الخامس: في ذم الهوى، وفي ذكر القلب، وفي[٢] مدح العقل.

الباب السادس: في علامات المُحِبّ والعاشِق، وماذا يصير لُهما[٣] عند غلبة الوَجْد من السُّكر وغيره؟ وماذا[٤] يترتب عليهما؟

الباب السابع: في حَقيقة الشَّوق، وهل يزول بالوِصال[٥] أو يَزيد؟ وهل يصح كِتمان المَحبّة؟ وهل يتصور عند تمام المَحبّة هَجْر[٦]؟ وهل إعراض الحَبيب عن عداوة؟

الباب الثامن: في إرشاد العاشِق السقيم إلى الطريق المُستَقِيم، وبيان عُقوبة مَن جنَح إلى الفِعل[٧] الذَّميم.

الباب التاسع: في الحَذَر من إطلاق النَّظَر، وما قيل من العِتاب بين القلب والبَصَر، وفي الحَذَر من المُرْد وأصحاب العِذار، وما قيل فيهم من الأشعار.

الباب العاشر: في فضل الشِّعر، وفي ذكر شيء من أشعار المُحِبّين، وهو

---

(١) في (م): «في مدح».

(٢) في (ق): «في».

(٣) في (م): «والعِشْق وما يصير بهما».

(٤) في (م): «وما».

(٥) في (م): «بالوصل».

(٦) سقط قوله: «هجر» في (ق).

(٧) في (ق): «جنح العقل»، وسقط قبله في (م) قوله: «عقوبة».

خاتمـة أبـواب هـذا الكتـاب، وسـتَمُرُّ[١] بـك مفصَّلـةً بابـاً بعـد بـاب، ومقصودي بذلـك دُعاءُ الإخـوان والأحبـاب[٢]، واغتنـام الأجر والثَّـواب، وتَسـليةُ من تحكَّم فيـه سُـلطان الغَـرام، ودواءُ داءِ مـن غلَبَ عليـه الوَجْـد والهُيام.

فأقولُ ـ والله المُستَعان، ومنه أرجو العفوَ والغُفران ـ:

---

(١) في (م): «واستمر».

(٢) في (م): «دعائي الإخوان والأصحاب».

الباب الأول

في إثبات حَقيقة المَحبّة وبيانِ شرَفِها

اعلَمْ ـ وفَّقك الله تعالى ـ أن حَقيقة[1] المَحبّة ثابتةٌ بالكتاب والسُّنّة وإجماع الأمة، ولم يُخالِف في ذلك إلا مَن هو كالبَهائم، أو كلبٌ هائم، وأنَّ مُنكِرها خالٍ من الذَّوق، مُحتاجٌ[2] للقَودِ والسَّوْق.

[ثُبوت المَحبّة في الكتاب]

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى لموسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩]، وقوله[3]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إلى غيرِ ذلك من الآيات.

فقد أثبتَ اللهُ تعالى حَقيقة المَحبّة، وشهِدَ ـ سُبْحانَه وتعالى ـ بها[4] للعبد، وأخبَر عن مَحبّتِه للعبد، فالحَقُّ ـ سُبْحانَه وتعالى ـ يُوصَفُ بأنه يُحِبُّ العبد، والعبد يُوصَفُ بأنه يُحِبُّ الحَقَّ سُبْحانَه وتعالى.

وذهب جمهورُ المتكلّمين وطوائفُ من الفقهاء إلى أن الله تعالى نفسُهُ لا يُحِبّ، وإنما مَحبّتُه للعِباد إرادتُه الإحسانَ إليهم، والذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنّة واتَّفَق عليه سلَفُ الأئمّة وجميعُ مَشايخ الطريق إلى أن الله تعالى يُحِبُّ ويُحَبُّ لذاته، وأما حُبُّ ثوابِه فدَرَجةٌ نازلة[5].

---

(١) من قوله: «وبيان» إلى هنا سقط في (م).

(٢) في (ق): «عن الذوق يحتاج».

(٣) من قوله: «تعالى يحبهم» إلى هنا سقط في (م).

(٤) سقط قوله: «بها» في (ق).

(٥) هذه الفقرة كلها ليست في (ق).

قال ابن العربي في «الفتوحات»: لما وقعَت المناسبة بين الحَقِّ وبين العالم صحَّ أن يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فالحَقّ - سُبْحانَه وتعالى - مُحِبٌّ ومحبوب، فمن حيث هو مُحِبٌّ يفعلُ لتأثير الكون، ومن حيث هو محبوب يُبْتَلى، والعالَم أيضاً مُحِبٌّ لله، ومحبوبٌ [لله]، فمن حيث هو مُحِبٌّ لله يُبتَلى[١] لأجل الدعوى، فيُفتَضح صاحبُ الدعوى الكاذبة، ويظهَر صاحبُ الدَّعوةِ الصادقة، ومن حيث إنه محبوبٌ يتحكَّم على مُحبِّه، فيدعوه فيستَجيب له، ويُرضيه فيرضى، ويُسخِطُه فيَعفو ويصفَح[٢].

وقال أيضاً: لولا المَحبّة ما صحّ طلبُ شيء أبداً، ولا وجودُ شيء أصلاً[٣]، فالمَحبّة أصلٌ في باب وجود الأعيان[٤].

وقد وردَ فيها آياتٌ عديدةٌ في القرآن، فهذا دليلُها من القرآن[٥].

[ثُبوت المَحبّة في السنة]

وأما السُّنّة، فأحاديثُ جَمّة في كتب حُفّاظ[٦] المُحدِّثين، والعلماء الراسِخين:

روى[٧] الإمام أحمد بسندٍ صحيح عن أبي سعيد الخُدريِّ - رَضِيَ اللهُ عنه - قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «إن المُتَحابّين في الله لهم غُرَفٌ في الجنة كالكوكَب الطالع

---

(١) من قوله: «والعالم» إلى هنا سقط في (م).

(٢) يُنظر: «الفتوحات المكية» (٤/ ٣٧).

(٣) في (م): «ولا وجد شيء أبداً».

(٤) ينظر: «كتاب الحجب» لابن عربي (ص٩٩).

(٥) في (م): «كذا قال وفيه تأمل» بدلًا من قوله: «وقد ورد فيها...» إلخ.

(٦) قوله: «حفاظ» ليس في (ق).

(٧) في (ق): «أخرج».

الشرقي أو الغربي فيُقال: مَن هؤلاء؟ فيُقال: هؤلاء المُتَحابّون في الله عزَّ وجَلَّ»[١].

وروى الطَّبَرانيُّ في «الأوسط» عن بريدة، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً ترى ظواهرها من بواطنها، أعدها الله للمُتَحابّين في الله، والمُتَوادّين فيه، والمتباذِلين فيه»[٢].

وروى البَزّار عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لَعُمُداً[٣] من ياقوتٍ، عليها غُرفٌ من زبَرجَد، لها أبوابٌ[٤] مفتّحة، تُضيء كما يُضيء الكوكبُ الدُّرّيّ»، قلنا: يا رَسُول الله، مَن يسكُنها؟ قال: «المُتَحابّون في الله، والمُتَباذِلون في الله، والمُتَلاقُون في الله»[٥].

وروى الإمامُ عن أبي هُرَيرةَ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ[٦]: «يقول اللهُ تعالى يوم القيامة: أين المُتَحابّون لجلالي[٧]؟ اليومَ أظِلُّهم في ظِلّي، يوم لا ظِلَّ إلا ظِلّي»[٨].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١١٨٢٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٢): رجاله رجال الصحيح.

(٢) «المعجم الأوسط» (٢٩٠٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٨): وفيه إسماعيل بن سيف، وهو ضعيف.

(٣) في (م): «عموداً».

(٤) في (م): «أبواباً».

(٥) «مسند البزار» (البحر الزخار) (٨٧٧٦)، وقال الهيثمي (١٠/ ٢٧٨): وفيه محمد بن أبي حميد، وهو ضعيف.

(٦) من قوله: «إن المتحابين» إلى هنا سقط في (ق).

(٧) في (م): «لأجلي».

(٨) «مسند الإمام أحمد» (٧٣٢١).

وروى[1] الإمام أحمدُ وابنُ حبانَ والتِّرمِذيّ عن مُعاذ بن جبَلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «المُتَحابّون في الله على منابرَ من نورٍ في ظِلِّ العرش، يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، يغبِطُهم بمَكانهم النبيُّون والشهداء»[2].

وروى الطَّبَرانـيّ بسـند جيـدٍ عـن ابـن عبـاس ـ رَضِـيَ اللهُ عنهمـا ـ قـال: قال رَسُـول اللهِ ﷺ: «إن لله[3] جُلسـاءَ يـوم القيامـة عـن يميـن العـرش علـى منابـرَ مـن نـور، وجوهُهـم مـن نـور، ليسـوا بأنبيـاءَ ولا شـهداءَ ولا صِدِّيقيـن»، قيـل[4]: مـن هـم؟ قـال: «المُتَحابُّـون[5] لجـلال الله».

وروى أيضاً بسندٍ لا بأسَ به عن أبي أيّوبَ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُتَحابُّون في الله على كراسيَّ من ياقوتٍ حول العرش»[6].

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في المَحبّة، فهذا دليلُها من السُّنّة[7].

---

(١) في (ق) هنا وفي الحديثين التاليين: «وأخرج».

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٢٠٦٤)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧٧)، واللفظ له، و«سنن الترمذي» (٢٣٩٠) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) في (م): «له».

(٤) تحرّفت في (م): «صدقين فيقل».

(٥) في (ق): «المحبون». والحديث في «المعجم الكبير» للطبراني (١٢٦٨٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٧): ورجاله وثقوا.

(٦) «المعجم الكبير» (٣٩٧٣)، وقال الهيثمي (١٠/ ٢٧٧): فيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي، وقد وُثق على ضعف كثير.

(٧) العبـارة فـي (م): «إلـى غير ذلـك من الأحاديـث التي وردت فـي المَحبّـة، فهذا دليله مـن الكتاب والسُّنّة».

[ثُبوت المَحبّة في الإجماع]

وأما الإجماع، فقد أجمع ذو العقول السَّليمة، والطِّباع المُستَقِيمة، على حَقيقَتِها ووجودها، ولا يُنكِرُها[١] إلا من أنكَرَ الشمس وقتَ الظَّهيرةِ والبدرَ عند التَّمام، ولا يجحَدُها إلا مَن لا ذوقَ له يذوقُ به إذا خَلا مِن الملحِ الطَّعام.

وبالجُملة؛ فمَن لم يُصادفّ من نفسِه الحُبَّ في الله، فهو ضعيف الإيمان.

فـرُوي أن الله تعالـى أوحى إلى عيسـى ـ عليه السـلام ـ: لو أنـكَ عبدتَني بعِبادة أهـل السـموات والأرض، وحُـبٌّ فـي الله ليس، وبغـضٌ في الله ليس؛ مـا أغنى عنكَ ذلك شـيئاً[٢].

وقد قال يحيى بنُ مُعاذ: مِثقالُ خَردَلةٍ من الحُبِّ أحَبُّ إلي من عِبادةِ سبعين[٣] سنةً بلا حُبّ.

قلت: فظهَر ـ بما قرّرناه ـ ثبوتُ حَقيقة المَحبّة، وبيان شرَفِها بالكتاب والسُّنّة والإجماع[٤].

---

(١) في (م): «ولم ينكره».

(٢) ذكره الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٥٩).

(٣) فـي (م): «تسـعين». وقـد ذكـر قـولَ يحيـى بـن معـاذٍ الإمـامُ الغزالي فـي «إحيـاء علـوم الدين» (٤/ ٢٦٩).

وهو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، تكلم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه، (ت٢٥٨هـ). يُنظر: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (ص٩٨).

(٤) قوله: «والإجماع» ليس في (م).

[منزلة المَحبّة]

ولَعَمْري! إن المَحبّة حالةٌ شَريفة، ومنزلتها منزلة مُنيفة، ألا وإن المَحبّة هي المنزلة[١] التي فيها يتَنافس المتنافِسون، وإليها يَشخَص العاملون، وإلى عمَلها شمَّر السابقون[٢]، وعليها يغارُ المُحِبُّون، وبرَوح نسيمها تروَّح[٣] العابدون، فهي قوتُ القلوب وغِذاءُ الأرواح وقُرّةُ العيون.

وهي الحياةُ التي مَن حُرمها فهو مِن جُملة الأموات، والنُّورُ الذي مَن فقَدَه فهو في بحار[٤] الظُّلُمات، والشِّفاءُ الذي مَن عَدِمَه حلّت بقلبِه جميعُ الأسقام، واللّذّة التي من لم يظفَرْ بها فمَعيشَتُه[٥] كلُّها همومٌ وآلام.

ألا[٦] وإن مقام المَحبّة أشرَفُ مَقام، وأعظَمُ مَرام، فهي مَطايا القوم التي سراهُم في ظُهورُها دائماً[٧] إلى الحَبيب، وطَريقُهم الأقوَمُ التي يصِلُون[٨] بها لِمحبوبهم عن قَريب.

ولَعَمْري! قد سبَق للمُحبّين[٩] ....

---

(١) زيد في (م) هنا: «هي».

(٢) في (م): «الساعون».

(٣) في (م): «وروح نسيمها يتروح».

(٤) قوله: «في بحار» سقط في (م).

(٥) في (م): «فمعيشتها»، وسقط فيها قبلها الحرف «لم».

(٦) قوله: «ألا» ليس في (م).

(٧) في (م): «يراهم في ظهورهم إيماء».

(٨) في (م): «يوصلون».

(٩) في (ق): «المحبون».

السعادة وهُم على ظُهور الفُرُش[١] نائمون، ولقد تقدَّموا الرَّكْبَ[٢] بمَراحلَ وهم في سَيرِهم واقِفون، أجابوا مؤذِّن الشَّوق[٣] إذ نادى لهم: «حَيَّ على الفَلاح»، وبذَلُوا أنفُسَهم في طلَب محبوبهم وكان بذلُهم بالرِّضا والسَّماح.

ولَعَمْري! ما هزُلت المَحبّةُ فيَستامَها المفلِسون، ولا كسَدت فيَشتريَها بالنِّسيئة المُعسِرون، بدَمِ المُحِبّ[٤] - كما سيأتي - يُباع الوِصال، وبرُوحِه[٥] يَشتري فَضلاً عن المال.

* * *

(١) في (م): «الفراش».

(٢) في (م): «تقدم قوم والركب».

(٣) في (م): «منادي المشوق».

(٤) في (م): «المفروق بدم المَحبّة».

(٥) في (م): «وبالروح».

الباب الثاني

في كلام الخائضين في حَقيقة المَحبّة

اعلم أن «المَحبّة» و«الحُبّ» بمعنى واحد: اسمٌ لصفاء الحال بين المُحِبّين، مُشتَقٌّ من قولهم: «حَبَبُ الأسنان» لبَياضها وصَفائها[٦].

وقيل: «المَحبّة»: اسم لغَلَيان ما في القلب من الأحزان والهيمان والاهتياج[٧] إلى لقاء المحبوب، مُشتَقٌّ من قولهم: «حُبَاب القِدر» لرَغوَتها حينَ غَلَيانها.

وقيل: «المَحبّة»: اسم للُزوم ذكرِ الحَبيب في القلب، من قولهم: «أحَبَّ البَعير»: إذا بَرَكَ ولَزِمَ[٨] المَبرَكَ والمُناخ، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [ص: ٣٢][٩]، قال أبو عبيدة: معناه: إني لَزِمتُ[١٠].

وقيل: «المَحبّة»: اسمٌ لِحَبّة[١١] القلب، وهو مَوضِعُ سُوَيدائه، وبه قِوامُ البَدَن، فسُمِّيَت المَحبّة به؛ لأنها تسكُنُ في حَبّة القلب، كـ«الرّاوية» جُعلَت اسماً لِلمَزادة[١٢] التي فيها الماءُ؛ للمُجاورة؛ لأن العرَبَ تُسمّي الشيء باسمِ مُجاوِره[١٣].

---

(٦) في (م): «حباب الأسنان لبياضهم وصفائهم» وفي (ق): «حباب الإنسان لبياضه وصفائه». وأثبتُّ الصواب؛ و«حَبب الأسنان»: تَنَضُّدُها، وطرائق بياض الريق عليها. يُنظر: «لسان العرب» (١/ ٢٩٤).

(٧) في (م): «والاحتياج».

(٨) في (قم): «ولزوم».

(٩) من قوله: «قال تعالى» إلى هنا سقط في (م).

(١٠) نقل عنه ابنُ دريد في «جمهرة اللغة» (١/ ٦٤) قال: أي: لصقتُ بالأرضِ لحبِّ الخيل حتّى فاتتني الصَّلاة.

(١١) في (م): «لمَحبّة».

(١٢) في (م): «للمزادات».

(١٣) يُنظر: «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٦).

إذا تقرر الكلامُ على[١] هذا؛ وأردتَ معرفةَ حَقيقتها، فقد اختَلفوا فيها، وأكثَروا من الكلام عليها، وعباراتهم ـ وإن كثُرت[٢] ـ فليسَت ـ في الحَقيقة ـ ترجع إلى اختلافِ مَقال، وإنما هي اختلافُ أحوال[٣]، وأكثرُها يرجع إلى ثمرتها دون حقيقتها.

فلذا[٤] قال بعضُ المُحققِّين: حَقيقة المَحبّة ـ عند أهل المعرفة ـ من المعلومات التي لا تُحَدُّ، وإنما يعرفُها مَن قامت به، وكيف يُحَدُّ وُجدانٌ[٥] لا يُمكن التعبيرُ عنه؟![٦].

فهي ألطَفُ من أن يُعبَّر عنها بلِسان، وأشرَفُ من أن يُشار إليها ببَنان أو بَيان، وكيف يُعبَّر عن حالةٍ قَتيلُها لا يُودى، وجَريحُها لا يُفدى، وأسيرُها لا يُطلَق، ورَقيقُها لا يُعتَق.

قال سَمْنون[٧]: لا يُعبَّر بشيءٍ إلا بما هو أرقُّ منه، ولا شيء أرقَّ من المَحبّة، فبِما[٨] يُعبَّر عنها!

---

(١) قوله: «الكلام على» ليس في (م).

(٢) في (م): «دثرت»، وفي (ق) قبلها: «وعباراتهم».

(٣) في (م): «في حال»، وفيها قبلها: «اختلاف فقال».

(٤) في (ق): «فقد».

(٥) في (م): «وجد إذ».

(٦) نقل ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٧) في (م): «سحنون».

والقائل هو سَمْنون بن حمزة، ويقال: سمنون بن عبد الله، أبو الحسن الخواص، ويقال: كنيته أبو القاسم، كان يتكلم في المحبة بأحسن كلام، وهو من كبار مشايخ العراق، مات بعد الجنيد، روى قوله أبو عبد الرحمن السُّلَميّ في ترجمته في «طبقات الصوفية» (ص١٦٠)، وفي «المنتظم» لابن الجوزي (١٣/ ١٢١) أنه توفي (٢٩٨هـ).

(٨) في (م): «فلا».

ولهذا قال بعضُهم: المَحبّةُ لا تُحدُّ بحَدٍ أوضح منها، فالحدودُ لا تزيدُها[١] إلا خَفاءً، فحَدُّها وجودها، ولا تُوصف المَحبّة بوصفٍ أظهَر من المَحبّة،! وإنما يتكلّم الناسُ في أسبابها ومُوجباتِها، ومدلولها وشَواهدها، وثمَراتِها وأحكامِها، فحُدودُهم ورُسومُهم دارَت على هذه الألسِنة، ونوَّعت بهم العبارات، وكثُرت[٢] منهم الإشارات، بحَسب الإدراك والمقام والحال.

قلتُ: وقد خاض[٣] في الكلامِ على حَقيقة المَحبّة جماعاتٌ من السادة[٤] الصُّوفيّة ـ رَضِيَ اللهُ عنهم أجمَعين ـ:

قال أبو عبد الله القُرَشيّ: حَقيقة المَحبّة أن تهَب كلَّك لمن أحبَبت، فلا يبقى لك منك شيء[٥].

وقال الجُنَيد: حَقيقة المَحبّة[٦]: مَيلُك للشيء بكُلّيّتك، ثم[٧] إيثارُك له على نفسِك ورُوحِك ومالِك، ثم موافقتُك له سرّاً وجهراً، ثم علمُك بتقصيرك في حُبِّه[٨].

---

(١) في (م): «فحدودها لا تزيد».

(٢) في (م): «وتنوعت بها العبارات، وأكثر».

(٣) في (م): «خرج».

(٤) في (م): «السادات».

(٥) ذكره في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٧).

والقائل هو أبو محمد بن سعيد القرشي، ترجمه الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٣٧) فوصفه بأنه ذو البيان الشافي واللسان الوافي.

(٦) من قوله: «أن تهب» سقط في (م).

(٧) في (م): «مع».

(٨) رواه القشيري في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٩٠) عن الجنيد سمعه من الحارث المحاسبي.

وهو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي، القواريري، شيخ العارفين، =

وقال ذو النون: المَحبّة سقوطُ كل مَحبّةٍ في القلب إلا مَحبّة الحَبيب[١].

وقال أبو يزيد: المَحبّة استقلالُ الكثير من نفسِك، واستكثارُ القليل من محبوبِك[٢].

والمعنى: أن المُحِبَّ الصادقَ لو بذل لمحبوبِه[٣] جميعَ ما يقدرُ عليه لاستقلَّه واستَحيا منه[٤]، ولو ناله من محبوبِه أيسَرُ شيءٍ لاستكثَرَه واستعظَمَه.

وقال أبو حمزةَ البغداديّ: حَقيقة المَحبّة[٥]: وجودُ طعمِ ذِكر المحبوب، واستيعابُ جميع زمانِه في رِضا المطلوب، حتى لا يشتغِلَ بالغَير، فهو في حال المُباعَدة مشتغِلٌ بالمُذاكَرة، وفي حال المُشاهَدة مشتغِلٌ بالمُحاضَرة[٦].

= وقُدْوة السّائرين، وعَلَم الأولياء في زمانه، اختصّ بصُحبة السري السقطي، والحارث المحاسبي، وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثمّ أقبل على شأنه، واشتغل بما خُلِق له، وكان ممّن برز في العِلم والعمل، (ت٢٩٨هـ)؛ كما في «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٩٢٤).

(١) هذا القول في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٩) لمحمد بن الفضل، وليس اسم ذي النون المصري، ثوبان ـ ويقال: الفيض ـ ابن إبراهيم، ويُقال: ابن أحمد، أبي الفيض، النوبي، الإخميمي، الزاهد، (ت٢٤٥هـ)؛ يُنظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص٢٧)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ١١٣٦).

(٢) في (م): «حبيبك». والقول في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٧).

وأبو يزيد، هو طيفورُ بن عيسى بن شَرْوَسَان، البِسطامِي، الصوفي، (ت٢٦١هـ)، ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧) ووصفه بالزاهد، العارف، مِن كبار مشايخ القوم.

(٣) في (م): «المحبوب».

(٤) في (م): «لاستقلا منه واستقله».

(٥) في (ق): «المحب».

(٦) في (م): «في حال المباعدة بالفكر والذكر وفي حال القرب مشتغل بالمشاهدة».

وفي «الرسالة القشيرية» (١/ ١٠٧) أن أبا حمزة البغدادي صحب السريَّ، وكان من أقران الجنيد ومات قبله سنة (٢٩٨هـ)، وكان الإمام أحمدُ يقول له في المسائل: ما تقول فيها يا صوفي؟ وفي =

وقال يحيى بن مُعاذ: المَحبّة ضَنىً في الأجساد، وخفَقانٌ في الفؤاد[١]، مع ملازمة السُّهاد، والشُّهرة في العِباد، والتشتُّت في البلاد.

وقال الشِّبْليُّ: سُمِّيَت المَحبّة «مَحبّة»؛ لأنها تمحو عن القلب ما سوى المحبوب[٢].

وكمالُ المَحبّة يقتَضي ذلك؛ فإنها ما دامَت في القلب بقيةٌ لغير المحبوب، أو مسكَنٌ لسِواه؛ فالمَحبّة مدخولة[٣]، ولذلك قال الحكماء: كما أن الغِمدَ لا يسَعُ سَيفَين[٤]، فكذلك القلبُ لا يسَعُ حُبَّ اثنَين.

وقال الحُسينُ الحَلّاج: حَقيقة المَحبّة قيامُك مع محبوبك بخَلعِ أوصافِك[٥].

= «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٤٦٢): اسمه محمد بن إبراهيم، تُوُفي سنة تسع وستين، قاله أبو سعيد ابن الأعرابي.

(١) في (م): «في الأجسام، وخفقان في الأدوا».

(٢) ذكره في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٧).

والقائل هو دُلَف بن جعفرِ بن يونس، أبو بكر، الشِّبْليُّ (ت٣٣٤هـ)، ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٧/ ٦٨٧) ووصفه بالصوفي المشهور، صاحب الأحوال، وذكر أنه صحب الجنيدَ ومَن في عصره، وصار أوحدَ الوقت حالاً وقالاً في حال صحوِه لا في حال غيبته، قال: وكان فقيهاً، مالكيَّ المذهب، وسمع الحديث، وقال: له كلامٌ مشهور، وفي الكتب مسطور. ا. هـ.

(٣) يُنظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ١٣).

(٤) في (ق): «غضبين»، وقبلها فيها: «وكذلك الحكماء».

(٥) ذكره في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٩).

والقائل هو الحسين بن منصور الحلّاج، أبو مغيث. وقيل: أبو عبد الله، قُتِلَ على الكفرِ والحلول والانسلاخ من الدّين سنة (٣٠٩هـ)؛ كما في ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٧/ ١٤٣).

لأن كُلّيّة المُحِبِّ تطابُق كُلّيّة المحبوب، فغيبتُه غيبةُ المحبوب، ووجودُه وجودُ المحبوب[١]، فإذا انفرَدَ به استحقَّ المشاهدة.

وقال بعضُهم: المَحبّة محو المُحِبّ لصِفاتِه، وإيثار المحبوب لذاتِه.

وهذا من أحكام الفَناء في المَحبّة، وهي أن تـمَّحيَ صفاتُ المُحِبّ، وتَفنى عن صفات محبوبه وذاته[٢].

وقيل: المَحبّة موافَقة الحَبيب، في المَشهَد والمَغيب[٣].

وقيل: المَحبّة الميلُ الدائم، بالقلب الهائم.

وقيل: المَحبّة أن تغار على محبوبِك أن يُحِبّه[٤] غيرُك.

وقيل: المَحبّة نار في القلب، تحرق ما سوى مراد المحبوب[٥].

وقيل: المَحبّة الإيثار للمحبوب.

قلتُ: وهو بمعنى كلام الجُنَيد[٦] السابق.

وقيل: المَحبّة بذلُ المجهود، والحَبيب يفعَل ما يشاء.

وقيل: المَحبّة مجانَبةُ السُّلُوِّ على كلِّ حال[٧].

---

(١) من قوله «فغيبته» إلى هنا سقط في (م).

(٢) يُنظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ١٢).

(٣) من قوله: «وقال بعضهم» إلى هنا سقط في (م)، وفي (ق): «مواقعة المغيب»، والتصويب من «مدارج السالكين» (٣/ ١٢)، وفيه أكثر التعريفات التالية.

(٤) في (م): «يحيف»، وقبله في النسختين: «تغير»، والصواب ما أثبتُّ.

(٥) بين القولين تقديم وتأخير في (م).

(٦) في (م): «الجنيدي»، وقبله فيها: «هو».

(٧) هذا القول ليس في (ق).

وقيل: المَحبّة نارٌ حطَبُها[١] أكبادُ المُحبّين.

وقيـل: المَحبّـة [أن] تنطبـقُ جميـعُ إرادات المُحِـبِّ علـى جميـع إرادات[٢] المحبـوب، فـلا يَبقى لـه معَـه إرادة.

وقيل: المَحبّةُ سُكرٌ لا يَصحو صاحِبُه إلا بمُشاهَدة محبوبه.

وقيل: المَحبّة أوَّلها «يُحِبّهم» وآخرها «يُحِبّونه»[٣]، وبينهما مُهَجٌ تذوب، وأرواحٌ تطير إلى المحبوب.

وقيل: المَحبّة سفَرُ القلب في طلَب المحبوب، ولَهَجُ اللسان بذِكرِه، فلا ريبَ أن من أحَبّ شيئاً أكثَرَ من ذِكرِه.

وسُئل ابنُ عَطاءِ الله[٤] عن المَحبّة، فقال: أغصانٌ تُغرَس في القلب، فتُثمِرُ على قَدْر العُقول، وقال أيضاً: المَحبّة: إقامةُ العتابِ[٥] على الدَّوام.

وسئل رُوَيم بنُ أحمَدَ عن المَحبّة، فقال: هي الموافقةُ في جميع الأحوال[٦].

---

(١) في (م): «حضها».

(٢) من مطلع هذا القول إلى هنا سقط في (م)، وفي (ق): «تنطيق»، وصوّبتُ؛ يُنظر: «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» لابن غانم المقدسي (ص٢٤).

(٣) في (م): «فيحبونه».

(٤) لفظ الجلالة ليس في (ق).

(٥) في (ق): «العنان»، وفي (م): كلمة غير واضحة، والتصويب من «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٨)، وقوله السابق فيها (٢/ ٤٨٧).

(٦) رواه الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٠١) في ترجمة رويم بن أحمد، أبي الحسن البغدادي، ووصفَه بالفطن المكين الأمين، له البيان والتبيينُ، والرأي المتين، كان بالقرآن عالماً، وبالمعاني عارفاً، وعلى الحقائق عاكفاً، قُلّد بفصل الخطاب، ولم تؤثر فيه العلل والأسباب، وفي «تاريخ الإسلام» للذهبي (٧/ ٦٧) أنه كان ظاهريّ المذهب، وتوفي (٣٠٣هـ).

قلت: وإذا تأمّل الواقفُ على كلامهم ما قالوه وجَد غالبَهُ بمَعزِلٍ عن حَدِّ حَقيقةِ[١] المَحبّة.

وليست هذه الحدودُ تعريفاً لذات المُحِبّ، بل هذه من أوصاف المُحِبّ اللازمة للمَحبّة[٢]؛ كما سيأتي.

وأنا[٣] أقول: إن حَقيقة المَحبّة هو التَّعلُّق[٤] النفساني، والميل الجسماني، إلى ما يلائم طبع المُحِبّ؛ بسبب تصوره له بعين البَصَر أو البصيرة.

فالمَحبّة ـ حينَئذٍ ـ نفسُ التَّعلُّق بالمحبوب، والمَيلُ إليه، وما قالوه فهو عوارِضُ وأوصافٌ تعرض للمُحبّ[٥]، ويتَّصف بها ـ بسبَب ذلك ـ التَّعلُّقُ والمَيل[٦]، فتأمَّلْ!

***

(١) سقط في (م) من قوله: «على الدوام»، وكرر بدلًا مما سقط: «ولو ناله من محبوبه».

(٢) في (م): «وليست هذه الحدودُ تقريباً لذوات المَحبّة».

(٣) سقط قوله: «أنا» في (م).

(٤) في (م) هنا وبعد قليل: «التعليق»، وفي (ق) قبلها: «إن حقيقة الحب».

(٥) في (م): «فهو عاري أوصاف تعرض للمحبوب».

(٦) في (م): «التعقل والميل»، وتكررت كلمة «والميل» في (ق).

لطيفة [١]:

قد وضَعوا لمعنى المَحبّة حَرفَين لطيفَين[٢] مُناسِبَين للمُسمّى غاية المُناسَبة: الحاء التي هي مِن أقصى الحَلْق، والباء الشَّفَهيّةُ التي هي نهاية[٣].

فالحاء الابتداء، والباء الانتهاء، وهذا شأن المَحبّة وتعلُّقُها بالمحبوب؛ فإن ابتداءها منه، وانتهاؤها إليه.

وأعطَوُا «الحُبَّ» ـ وهو التعلُّق القلبيُّ ـ حرَكة الضَمّ التي هي أشدُّ الحرَكات وأقواها؛ مطابقة لشدّة حرَكة مُسمّاه وقُوّتها، وأعطَوُا «الحِبّ» ـ وهو المحبوب ـ حرَكة الكسر؛ لخفّتها بالنسبة للضّمّة، وكذلك[٤] لخِفّة المحبوب وذِكرِه على قلوب المُحِبّين وألسِنَتِهم.

فإن قلت: هلّا أعطَوه الفتحة؛ فإنّها أخَفّ! قلت: نَعم، لكن يُلبِس [٥]!

وأيضاً؛ ففي الكسرِ مُناسَبةٌ لكسرِ قلوب المُحِبّين.

وسيأتي الكلامُ على أوصاف المُحِبِّ وعلامات المَحبّة.

* * *

(١) بيض لقوله: «لطيفة» في (م).

(٢) قوله: «لطيفين»، ليس في (ق)، وفي (م) قبلها: «لمعنى الحب».

(٣) في (م): «الشفوية التي هي له»، وخلفها بياض بقدر كلمة.

(٤) قوله: «كذلك» ليس في (م).

(٥) في (ق): «وأيضاً يلتبس».

الباب الثالث

في حَقيقة العِشْق، وأسبابه، ومراتبه

وفي الفَرق بينَه وبين المَحبّة والخُلّة، وفي أسمائه[١]

[حَقيقة العِشْق وأسبابه]:

اعلم أن الناسَ قد اختَلفوا قديماً وحديثاً في العِشْق!

فقال أفلاطون: العِشْق حرَكة النفس الفارِغة لغير فكرة[٢]، وقال أيضاً: داء لا يعرض إلا بفَراغ[٣]، وقال أيضاً: العِشْق فكرةٌ تتولّدُ من إشباع[٤] الطمع، ووَسواس التخيُّل، يكسو كلَّ إنسان عكسَ طبعِه، فيُحدِثُ للشُّجاع جُبناً[٥]، وللجَبان شَجاعة[٦].

وقال ابن سينا: العِشْق شُغل[٧] الفكرة المتخيَّلة باستِحسان الصُّوَر[٨].

وقال حكيمٌ: العِشْق [جهلٌ] عارضٌ صادَفَ قلباً فارِغاً[٩].

---

(١) في (م): «أسمائها»، وفي (ق): «أسماء له»، وأثبتُّ ما تقدّم في المقدمة.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨١).

(٣) سيتأخر هذا القول بنحوه في (ق) إلى ما بعد قول ابن سينا، وهو في «الشكوى والعتاب» للثعالبي (ص١٧٣).

(٤) في (ق): «أشباح».

(٥) في (م): «ليكسو كل إنسان بعكس طبعه، يحدث الشجاع جبان».

(٦) ذكره ابن أبي حجلة في «ديوان الصبابة» (ص١٢).

(٧) في (م): «شق».

(٨) يُنظر: «ديوان الصبابة» (ص١٢) مطوّلًا كما سيأتي بعد قليل.

(٩) «الشكوى والعتاب» للثعالبي (ص١٧٣)، والاستدراك منه.

وسُئل بعضُهم عن العِشْق، فقال[١]: سوءُ اختِيارٍ صادفَ نفساً فارِغة[٢].

وقال أرسطاطاليس: العِشْق هو عَمى الحسِّ عن[٣] إدراك عُيوب المحبوب[٤].

وقال سُقراط[٥] الحكيم: العِشْق جُنون، وهو ألوان، كما أن الجنونَ ألوان.

وقال بعض الفلاسفة: لم أرَ حقّاً أشبَهَ بباطل، ولا باطلاً أشبَهَ بحقٍّ من العِشْق، هزله جِدّ، وجِدُّه هَزل، وأوّلُه لَعِب[٦]، وآخِرُه عَطَب[٧].

وأنشَدوا [من الوافر]:

سَماعاً ـ يا عِبادَ الله ـ منّي وَمِيلوا عن مُلاحَظةِ المِلاح

فإنّ العِشْقَ آخِرُهُ المَنايا وأوّلُهُ شَبيهٌ بالمُزاحِ[٨]

وقيل: أول العِشْق[٩] سهل المَرام، وآخِرُه هَوْل[١٠] الحِمام، ابتِداؤه ممزوجٌ بالرّاح، وانتِهاؤه خُروجُ الأرواح، فاتِحتُه نُطقٌ بالحُجج، وخاتِمتُه[١١] غرَقٌ في اللُّجج.

---

(١) قوله: «فقال» سقط في (م).

(٢) نسبه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨١) ليُوذَجانس.

(٣) في (م): «هو عماه عن».

(٤) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨١).

(٥) في النسختين: «بقراط»، والتصويب من «ذم الهوى» (ص٢٨١).

(٦) في (م): «نصب».

(٧) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨١).

(٨) رواهما ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٢٠) دون نسبة.

(٩) في (ق): «العحب».

(١٠) في (م): «هو».

(١١) في (م): «وآخره»، وقبلها: «فاتحه».

وقال بعضهم: العِشْق طمعٌ يتولّد في القلب، ويتحرك وينمى[١]، ثم يتربّى ويجتمع إليه موادٌّ من الحرص، فكلما قَوِيَ ازداد[٢] صاحبُه في الاهتِياج واللّجاج، والتَّمادي في الطمع، والفكر في الأماني، والحرص على الطَّلَب[٣]، حتى يؤدّيَه ذلك إلى الغَمِّ المُقلِق[٤]، والشَّوق المُحرِق[٥]، ولهذا أشار المُتَنبّي بقوله[٦] [من الطويل]:

ومـا العِشْـقُ إلا غـرّةٌ وطَـمـاعـةٌ يُـعرِّضُ قلـبٌ نفْسَـهُ فيُصـابُ[٧]

وذهب ابنُ سينا إلى[٨] إن العِشْق مرضٌ وَسواسيٌّ يجلبُه المرءُ إلى نفسِه بتسليط فكرته على[٩] استحسان بعض الصور والشمائل، وقد يكونُ معه شهوةُ جِماع[١٠]، وقد لا يكون.

وقال الأصمَعيّ: لقد أكثر الناس من الكلام في العِشْق، فما سمعتُ أوجَز ولا أجمَل من قول بعضِ نساء العرَب[١١] وقد سُئلت عن العِشْق، فقالت: ذلٌّ وجُنون![١٢].

---

(١) في (م): «وينمو».

(٢) في (ق): «زاد».

(٣) في (م): «الوصل».

(٤) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨١) لفيثاغورس.

(٥) قوله: «والشوق المحرق» ليس في (ق).

(٦) زاد في (م): «وأنشد».

(٧) «ديوان المتنبي» (بشرح البرقوقي) (١/ ٣١٨).

(٨) في (ق): «وقال ابن سينا ألا».

(٩) في (ق): «إلى».

(١٠) قوله: «جماع» ليس في (م).

(١١) في (م): «النساء الأعراب».

(١٢) في (ق): «جل والله». وذكر حكاية الأصمعيّ ابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٤).

وسئل أعرابيٌّ عن الحُبّ فقال: جلَّ - والله -[1] عن أن يُرى، وخفِيَ عن أبصار الوَرى، فهو في القلب كامنٌ كُمونٌ النار في الحجَر، إن قدَحتَه أورى، وإن ترَكتَه توارى.

وسئل أعرابي عن الحُبّ[2] فقال: هو أغمَضُ مَسلَكاً في القلب من الرُّوح في الجسم، وأملَكُ بالنَّفْس من النَّفْس، بطَن وظهَر، ولطُف وكُثف، فامتَنَع عن وصف اللِّسان، وعَمِيَ عنه البَيان، فهو بين السِّحر والجُنون، لطيفُ المَسلَك والكُمون[3].

وقال بعض الأعراب[4] [من الطويل]:

فأوَّلُه سُقم، وآخِرُه جَوىً ... وأوسَطُه شَوق، يُشِفُّ ويُتلِفُ[5]

ورَوْعٌ، وتَسهيل، وهَمٌّ، وحَسرةٌ ... ووَجْدٌ على[6] وَجْدٍ يزيدُ ويضعفُ

وأنشَدوا [من الطويل]:

يقولُ أُناسٌ: لو نَعَتَّ لنا الهَوى ... فوالله ما أدري لهم كيفَ يُنعَتُ[7]

---

(١) هذا القول كلُّه ليس في (م)، وصدر جوابه في (ق): «هو أغمَض مَسلَكاً في القلب من الروح في الجسم، وأملَك»، وفيه خلط مع القول التالي، وصوّبت وفاقاً لِما أورده ابن القيم في «روضة المحبين» (ص١٠٠).

(٢) في (م): «العِشْق».

(٣) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٧٨٢)، ويُنظر: «روضة المحبين» لابن القيم (ص١٠١).

(٤) في (م): «فوصفه بعض الأعراب فقال».

(٥) في (م): «ويقتل». ويُشِفُّ: يُصيب بالنُّحول.

(٦) في (م): «عن». وذكر البيتين ابن القيم في «روضة المحبين» (ص١٣٤) آخر أربعة.

(٧) في (م): «ووالله لا أدري لهم كيف نعت».

بلـى، غَيـرَ أنّـي لا أزالُ[١] كـأنّـمـا عـلـيَّ مـن الأهـوال بَيـتٌ مُثَبَّـتُ
إذا اشتَدَّ ما بي كانَ أفـضـل حـيـلَـتـي لهم وضعُ كفّي تحتَ خدّي وأصمت[٢]

وقال أبو العالية: سأل المأمون يحيى بن أكثم ـ بالثاء المثلَّثة؛ كما ضبَطَهُ النَّوويُّ في «تهذيب الأسماء واللغات»[٣] ـ عن العِشْق ما هو[٤]؟ فقال: سوانحُ تسنَحُ للمَرء، فيَهيم بها قلبه، وتُؤثرها نفسه، فقال له ثمامة: اسكُت يا يحيى! إنما عليك أن تُجيب في مسألة طَلاق، أو في مُحرِمٍ صاد ظَبياً أو قتَلَ نَملة، فأما هذه فمسائلُنا! فقال له المأمون: قُل يا ثمامة! فقال:

يـا أميـر المؤمنين[٥]، العِشْـق جَليـسٌ مُمتِع، وأليـفٌ مُؤنِـس، وصاحب ملك، مَسـالِكُه لَطيفـة، ومَذاهِبُـه غامِضـة، وأحكامُـه جائـرة، ملَـكَ الأبـدان وأرواحَهـا، والقلـوبَ وخَواطِرَهـا، والعيـونَ ونواظِرهـا[٦]، والعقـولَ وآراءَهـا، وأُعطـيَ عِنانَ طاعتِهـا، وقَـوْدَ تصرُّفهـا[٧]، تَـوارى عـن الأبصـار مدخَلُـه، وعَمِـي فـي[٨] القلوب

(١) مطلع البيت في (ق): «بل»، في (م): «إذا زال».

(٢) في (م): «كيف»، وقبلها فيها: «أجمل حيلتي»، وأول عجز البيت في النسختين: «لهم»، وصوّبتُ. وقد نسب الأبيات المستعصميُّ في «الدر الفريد» (١١/ ٣٩٧) لأبي العتاهية باختلافٍ تامٍّ في البيت الثاني، وهي في ملحق «ديوانه» (أخباره وشعره) (ص٥٠١).

(٣) الجملة المعترضة ليس في (ق)، ويُنظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ١٥٠).

(٤) قوله: «ما هو» ليس في (م).

(٥) قوله: «يا أمير المؤمنين» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «ونظائرها».

(٧) من قوله: «وأعطي» إلى هنا ليس في (م).

(٨) سقط الحرف «في» في (م).

مَسلَكُه، فقال له المأمون: أحسَنتَ ـ والله[١] ـ يا ثُمامة! وأمَرَ له بألفِ دينار[٢].

وقال[٣] بعضُهم: العِشْق عَمى العاشِق عن عيوب معشوقه[٤]، ومن علامَتِه غَورُ العين، ونُحولُ الجسد، وتغيُّر اللَّون[٥]، وخُفوقُ القلب عند حُضور المعشوق، وكثرةُ التَّثاؤب والتَّمطّي في غَيبة معشوقه، ونكتُه في الأرض بإبهام رِجلِه، وكثيراً ما يقَع[٦] للنساء، وعضُّها على شفَتها السُّفلى، أو على يديها.

وهذه كلُّها إنما هي من[٧] علاماتِ العِشْق، وسيأتي الكلامُ على ذلك في الباب الخامس.

قلتُ[٨]: والتحقيقُ ـ عند أهل التحقيق ـ: أن العِشْق شدّةُ مَيل النفس إلى صورةٍ تُلائم طبعَها، فإذا قَويَ فكرُها فيها تصوَّرت[٩] حُصولَها، وتمنَّت ذلك، فيتجدَّد من شدّة الفكرِ مرضُ[١٠] الجسَد، وجُروح القلب.

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (م).

(٢) رواه المعافى النهرواني في «الجليس الصالح الكافي» (ص٢٣٧ ـ ٢٣٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٢)، ورواه من طريق أخرى الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٨/ ٢١) في ترجمة ثمامة بن أشرس النُّمَيريّ البَصْريُّ المتكلم، أحد رؤوس المعتزِلة المشهورين، اتصل بالرشيد وغيره من الخلفاء، وفي «المنتظم» (١٠/ ٢٥٤) لابن الجوزي أنه توفي (٢١٣هـ).

(٣) في (م): «وقول».

(٤) تقدم هذا المعنى عن أرسطاطاليس.

(٥) في (ق): «البدن».

(٦) ليس في (ق) قوله: «ما يقع».

(٧) سقط قوله: «من» في (م).

(٨) قوله: «قلت» ليس في (م).

(٩) قوله: «فيها تصورت» ليس في (م).

(١٠) قاله ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٤).

[مراتب العِشْق]

وأما مَراتبُ العِشْق، فقال بعضُ العارفين بمَراتب العِشْق[١]:

أولُ ما يتجدَّد للعاشِق الاستِحسان، ثم تحدُث إرادةُ القُرب منه، ثم تحدُث المَودّة، وهو أن يودَّ أن لو ملكَه، ثم تَقوى المَودّة فتَصير مَحبّة، ثم تَقوى فتَصير خُلّة، ثم تَقوى فتَصير هوىً، فيَهوى بصاحبِه في مَحاسنِ المحبوب من غير تمالُك، ثم يَصير عشقاً، ثم[٢] تتيُّماً، والتَّتيُّم حالةٌ يصير بها المعشوقُ مالكاً للعاشِقِ لا يُوجَدُ في قلبِه[٣] سواه، ثم يزيدُ التَّتيُّم فيَصير وَلَهاً، والوَلَهُ هو الخروج عن حدِّ الترتيب، والتعطُّل[٤] عن أحوال التمييز[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة: النَّظَرُ يُولِّد المَحبّة، فيكون علاقةً، لتعلُّق القلب بالمحبوب، ثم صَبابةً؛ لانصِباب القلب إليه، ثم غراماً؛ للُزومِه القلب، كالغَريم المُلازِم لغَريمه، ثم عِشقاً، إلى أن يصير تتيُّماً، و«المُتيَّم»: العبد، و«تيم الله»: عبدُ الله، فيبقى القلبُ لمن لا يصلُح أن يكون ملكاً له ولا خادِماً، وهذا إنما يُبتَلى به أهلُ الإعراض عن الإخلاص لله تعالى[٦].

وقال أبو عبد الله بنُ عرَفة[٧]:..

---

(١) في (م): «بمراتبه: إن».

(٢) سقط الحرف «ثم» في (ق).

(٣) في (م): «القلب».

(٤) في (م): «والعطل».

(٥) قاله ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٤).

(٦) قول ابن تيمية ليس في (ق)، وهو في «مجموع الفتاوى» له (١٥/ ٤٢١).

(٧) لفظ الجلالة قد سقط في (م)، وهو نفطويه، أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المهلبي الواسطي =

الإرادة قبل المَحبّة، ثم المَحبّة، ثم الهوى، ثم العِشْق، ثم التَّتيُّم، وأنشد لنفسه[١] [من الخفيف]:

يا لَقَومي كم يُعذَلُ المشتاقُ[٢] والمعنَّى إلى الهوى يَشتاقُ
رحمَتي رأفةٌ[٣]، وحُبّيَ عشقٌ واشتِياقي صَبابةٌ لا تُطاقُ

وقال بعضُ العلماء: أول مَراتب العِشْق الميلُ إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحُبّ، ثم يستَحكم الهوى فيَصير مَودّة تزيدُ بالمُؤانَسة، وتدرُس[٤] بالجَفاء والأذى، ثم الخُلّة، ثم الصَّبابة، وهي رقّة الشَّوق، تُولِّدها الأُلفة، ويبعَثُها الإشفاق، ويُهيِّجُها الذِّكر، ثم يَصير عشقاً، فإذا زاد مرِضَ الجسد، فإذا زاد جرَحَ القلب[٥]، وأزالَ الرأي، واستَهلَكَ العقل، ثم يزيدُ فيَصير ولهاً، ويُسمَّى ذو[٦] الوَلَه «مولهاً» و«مُستَهاماً» و«حَيران»، ثم بعده التَّتيُّم، والتَّتيُّم[٧] نهاية الهوى وآخِرُ العِشْق وأرفَعُ مَنازل الحُبّ[٨].

وقال العلامة وليُّ الدين العِراقيّ في بعض «فَتاويه»: إن أوّل مَراتبِ[٩] العِشْق

= النحوي، (٣٢٣هـ)، وقد ذكر قولَه والبيتَين ابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٥).

(١) قوله: «لنفسه» ليس في (م).

(٢) في (م): «كم يقول العُشّاق».

(٣) في (م): «رأفتي».

(٤) في (م): «وتندرس».

(٥) في (م): «وإذ مرض القلب».

(٦) في (م): «ذا».

(٧) قوله: «والتتيم» ليس في (م).

(٨) حكاه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٤) بنحوه.

(٩) في (ق): «مرتبة».

تُسمى الاستِحسان، وهي المتولِّدة عن[١] النَّظَر والسماع، ثم تَقوى المرتَبةُ بطُول الفِكرة في محاسِن المحبوب وصِفاتِه الجميلة، فتَصير مَودّةً، وهي الميلُ إليه والإلفُ لشَخصِه، ثم يتأكَّد الإلفُ فيَصير مَحبّة، والمَحبّة منَ الائتلاف الرُّوحانيّ، فإذا قوِيَت صارت خُلّة، وهذا أصحُّ الأقوال، والخُلّة بين الآدميِّين هي تَمكينُ[٢] مَحبّة أحَدِهما من قلبِ الآخَرِ حتى تسقُطَ بينَهما السَّرائر، ثم تَقوى الخُلّة فتَصير هوىً، والهوى هو[٣] أن المُحِبَّ لا يُخالِطُه في محبوبه تغيُّرٌ ولا مَداخلَ[٤] تكون، ثم يزيدُ الهوى فيَصير عِشقاً، والعِشْقُ الإفراطُ في المَحبّة حتى لا يخلوَ العاشِقُ من تخيُّل المعشوق وفكرِه وذكرِه، ولا يغيبَ عن خاطِره وذِهنِه، فعند ذلك تُشغلُ النفسُ حتى يستخدم القوةَ الشَّهوانيّة والنَّفْسانيّة، فيمتنع العاشِقُ[٥] من النوم باستِضرار الدماغ، وإذا قويَ العِشْق صار تتيُّماً، وفي هذه الحالة لا يُوجَدُ في قلبِه فَضلةٌ لغير تصوُّر معشوقِه، ولا تَرضى نفسُه بسِواه[٦]، فإذا تزايدَ الحالُ صارَ وَلَهاً، والوَلَهُ هو الخروجُ عن الحُدود والضّوابط؛ حتى تختلَّ أفعالُه ويصيرَ مُوسوساً لا يدري ما يقول؟ ولا أين يذهب؟ فحينئذٍ يعجزُ الأطِبّاء عن مُداواتِه، وتقصُرُ أدواؤهم عن مُعالَجَتِه؛ لخُروجه[٧] عن الحُدود والضَّوابط. انتَهى كلامُ العِراقيّ[٨].

---

(١) في (م): «من».

(٢) في (م): «الأقوال من الآدميين فهي تمكن».

(٣) قوله: «هو» ليس (ق).

(٤) في (ق): «مداخلة».

(٥) قوله: «العاشق» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «بسواها».

(٧) في (م): «فخروجه».

(٨) قوله: «كلام العراقي» ليس في (ق)، وكلامه ليس في مطبوع «فتاواه»، فلعلّه في مخطوط «فتاواه» =

تنبيه: [الفرق بين المَحبّة والخلّة]:

قد ظهَر بما قرَّره أهلُ التَّحقيق أن الخُلّة أرفَعُ درجةً من المَحبّة، وهو الحَقُّ في المسألة[١].

قال في «المواهب القسطلانيّة»[٢]: اختلف العلماء أيهما أرفَع: درجةُ المَحبّة، أو درجة الخُلّة؟ فحكى القاضي عياض: أن بعضَهم جعَلهما سَواء، فلا يكون الحَبيبُ إلا خليلاً، ولا الخليل إلا حَبيباً، وبعضُهم قال: درجةُ المَحبّة أرفَع، وبعضهم قال: درجةُ الخُلّة أرفَع[٣]، وبه جزَم أهلُ التحقيق فقالوا: إن الخُلّة أرفَع وأعلى[٤] وأكمَل وأفضَل من المَحبّة؛ لِما عرَفتَ من تفاوُت المَراتبِ فيما مرّ.

قال العلّامة ابن القَيّم: وأما ما يظنُّه بعضُ المُغالِطين من أن المَحبّة أكمَلُ من الخُلّة، وأن إبراهيمَ خليلُ الله ومُحمّداً حَبيبُ الله، فمن جَهلِه! فإن[٥] المَحبّة عامّة، والخُلّة خاصّة، والخُلّة نهاية المَحبّة، وقد أخبرَ ﷺ أن الله اتخَذَهُ خليلاً، ونفى أن يكون له خليلٌ غيرُ ربِّه، مع إخبارِه بحُبِّه لعائشةَ رَضِي الله عنها، ولأبيها، ولعُمرَ بن الخَطّاب، وغيرِهم، رَضِيَ اللهُ عنهم[٦].

= الأخرى غير المحققة، والله أعلم.

(١) قوله: «في المسألة» ليس في (م).

(٢) قوله: «القسطلانية» ليس في (ق).

(٣) يُنظر: «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقسطلاني (٣/ ٣١٤)، و«الشفا» للقاضي عياض (ص٢٦٦).

(٤) قوله: «وأعلى»، وقوله قبله: «وبه جزم أهل التحقيق» ليسا في (م).

(٥) في (م): «قال إن».

(٦) يُنظر: «الداء والدواء» لابن القيم (ص٤٤٦).

=

وقال[1] بعض المُحققِّين: وإنما سُمِّيَت الخُلّة «خُلّة»؛ لأنها دخلت في خلال القلب.

وقال ذو النون: الخُلّة: الاشتِغال بالخليل دونَ ما سِواه.

وقالت رابعة: الخُلّة: انزِعاجٌ يتخلَّل الأنفاسَ والأرواح، والشِّغافَ[2] والأشباح.

شعر[3]:

قد تخلَّلت مَسلَكَ الرُّوحِ منّي ... ولِذا[4] سُمِّيَ الخَليلُ خَليلاً

فإذا ما نطَقتُ كنتَ حَديثي ... وإذا ما سكتُّ كنتُ العَليلا[5]

= والذي أخبر به النبيُّ ﷺ هو فيما روى مسلم في «صحيحه» (٥٣٢) من حديث جندب ـ رضي الله عنه ـ: «إن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنتُ متّخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً...» الحديث، ورواه البخاري في «صحيحه» (٤٦٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٨٢) بنحوه من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه.

وإخبارُ النبي ﷺ أنّ أحبّ الناس إليه عائشة، ومن الرجال أبوها رضي الله عنهما؛ أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٨٦) عن أنس بن مالك، و(٣٨٩٠) عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وروى البخاري في «صحيحه» (٣٧٣٠) ومسلم في «صحيحه» (٢٤٢٦) عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قولَ النبي ﷺ في زيدٍ بن حارثة وابنه أسامةَ ـ رضي الله عنهما ـ: «إن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليّ بعدَه».

(١) في (م): «قال».

(٢) في (م): «والأشغاف».

(٣) في (م): «وأنشدت».

(٤) في (ق): «ولذلك».

(٥) البيت الثاني ليس في (م). ونسب الماورديُّ البيتَ الأول لبشار بن برد في «أدب الدنيا والدين» (ص٢٦٢) بلفظ «وبه سُمّيَ»، وكذا في «تفسير القرطبي» (٧/ ١٥٦)، وعنه في ملحقات «ديوان =

*** لطيفة:**

قال الزّجّاج: ومعنى «الخليل»: الذي ليس[1] في مَحبّته خلل، و«الخُلّة»: الصداقة[2].

وقال صاحب «الكشاف»: و«الخليل»: المُخالِل، وهو الذي يُخالِلُك، أي: يُوافِقُكَ في خلالك[3]، أو يُسايِرُك في طَريقَتك، من «الخَلّ»، وهو الطريقُ في الرمل، أو يسُدُّ خَلَلَك[4] كما تسُدُّ خَلَلَه، أو يُداخِلُك خلالَ منازِلك[5].

فائدة:

وقال[6] بعضُ المُحققين: إن المَحبّة جِنس، والعِشْق نوع[7]، فكل عشق مَحبّة[8]، ولا عكس؛ لأن «العِشْق» اسمٌ لما فضَل عن الاقتصاد في الحُبّ، كما

= بشار بن برد» (٤/ ١٣٩)، وثمّة البيت الثاني.

ويُنسب البيتان إلى أبي بكر الشبلي - كما في «ديوانه» (ص١٢٠) عن «عطف الألف المألوف على اللام المعطوف» لأبي الحسن علي بن محمد الديلمي (ص٤١ - ٤٢).

ويُنسبان للبحتري في «ديوانه» (٣/ ١٩١٢) عن إحدى نسخ «الديوان» فحسبُ؛ كما أفاد محقّقه حسن الصيرفي.

(١) قوله: «ليس» ليس في (ق).

(٢) يُنظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢/ ١١٢).

(٣) في (ق): «حالك».

(٤) في (م): «خلتك».

(٥) في (م): «منازله». وقول الزمخشري في «الكشاف» (مع حاشية الطيبي) (٥/ ١٦٨ - ١٦٩).

(٦) في (م): «قال»، وليس فيها: «فائدة».

(٧) يُنظر: «ذم الهوى» (ص٢٨٥).

(٨) في (ق): «حب».

أن «السَّرَف» اسمٌ لما جاوزَ الحدّ، و«البُخل» اسمٌ لما قصُر عن الاقتصاد[١].

وقد كان هذا يخطُر[٢] ببالي قبل أن أقِفَ عليه! ومما يؤيِّده أن الرجلَ يُحِبُّ ابنَه وأباه[٣]، ولا يبعَثُه ذلك على تلَفِ نفسِه، بخلاف العاشِق[٤].

وحُكي عن بعض العُشّاق[٥] أنه نظَر لمحبوبه، فارتَعَدَت فَرائصُه، وغُشي عليه، فقيل لبَعضِ الحكماء في أمرِه، فقال[٦]: نظر لمن يُحِبّ، فانفَرَج قلبه، فتَحَرّكَ الجسمُ لانفِراج القلب، فقيل له: نحن نُحِبُّ أهالِيَنا[٧] ولا يُصيبُنا ذلك! فقال: تلك المَحبّةُ[٨] مَحبّة العقل، وهذه مَحبّة الرُّوح[٩].

وأيضاً؛ فالعِشْق هو الإفراطُ في الحُبِّ ونهايته.

وأيضاً؛ فالحُبُّ ممدوح، والعِشْق مذمومٌ؛ على خُلفٍ[١٠] فيه.

قلت: ومما ينبَغي التنبيه عليه[١١] ـ ويقوّي الفَرقَ بين المَحبّة والعِشْق ـ: أن

---

(١) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٦) عن الجاحظ مطوّلًا.

(٢) في (م): «النظر».

(٣) في (م): «أبناؤه وآباؤه».

(٤) يُنظر: «ذم الهوى» (ص٢٨٦).

(٥) في (م): «العاشقين».

(٦) في (م): «قيل».

(٧) في (م): «أهلنا».

(٨) قوله: «المَحبّة»ليس في (ق).

(٩) حكاه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٨٦).

(١٠) في (م): «خلاف».

(١١) في (ق): «له».

المَحبّة أمر مشترَكٌ بين الرّبّ والعباد[١]، وبين العبيدِ بعضِهم مع بعض[٢]، والعِشْق خاصٌّ فيما بين العبيد، فلا يُقال: «فلانٌ يعشَق الله»، ويُقال: «يُحِبّه».

والحكمةُ فيه ما قاله العزُّ بنُ عبد السلام في «فَتاويه»: إن[٣] العِشْقَ فَسادٌ يُخيَّلُ أن أوصاف المعشوق فوق ما هي عليه، ولا يُتَصوَّر مثل هذا[٤] في حقِّ الله ـ سُبْحانَه وتعالى ـ الذي لا يقف أحَدٌ على كماله، فضلاً أن يتخيَّل على أنه دونَ كماله[٥].

لطيفة: من أسماء العِشْق:

التَّتيُّم، والهَيَمان، والتَّبتُّل، والتَّدليه، والهُيُوم، والشَّغَف، والوَجْد، والكَلَف، والأَسَف[٦]، والدَّنَف، والجَوى، والصَّبوة، والصَّبابة، والكَرْب، والكآبة، والشَّجو، والبَلْبال، والحَسَرات، والتَباريح، والغَمَرات، والغَرام، والهُيام، والشَّجا، والشَّجَن، والشُّجُون، والجُنون، والخَبَل، واللاعج[٧]، والحُزن، والكَمَد، والوَصَب، والاكتِئاب، والنَّصَب، والحُرَق، والسُّهْد، والأَرَق، والرِّقّة، والجَزَع، والخوف، والهَلَع، والحَنين، والتَّحرُّق، والتَّمزُّق، والأنين[٨]،

---

(١) في (ق): «والعبد».

(٢) في (م): «لبعضهم مع البعض».

(٣) في (م): «ويُقال: يُحِبّه. قال ابن عبد السلام: لأن».

(٤) في (ق): «ولا يتصور هذا».

(٥) ليس في (م) قوله: «الله سُبْحانَه وتعالى»، وليس في (ق) ما وراءه. يُنظر: «الفتاوى الموصلية» للعز ابن عبد السلام (الفتوى ١٩٢).

(٦) في (م) كلمة برسم «والتصَف»، في (ق) برسم «والتهاف».

(٧) قوله: «واللاعج» ليس في (م).

(٨) ليس في (ق): «والتمزق والأنين»، وليس في (م): «والتحرق».

والاشتِكاء، والتَّجلُّد، واللَّوعة، والتَّفجُّع[١]، والداءُ المُخامِر، والضَّنى المُسامِر، والعقل المُختَلَس، والنَّفَس المحتبَس، والدَّمع المسكوب[٢]، إلى غيرِ ذلك من الأسماء.

فـ«التَّتيُّم»: الجنونُ الشاغل، و«الهَيَمان»: الذَّهاب في طلَبِ غرَضٍ لا نهايةَ له.

و«التَّبتُّل»[٣]: أن يُسقِمَه الهوى، يُقال: «مَبتول»، و«التدليه»: ذهاب[٤] العقل من الهوى يُقال: «مُدَلَّه»، و«الهُيوم»: أن يذهَبَ على وجهِه.

و«الشَّغَف» قال[٥] أهل اللغة: هو الفزَع حتى يذهَبَ بالقلب[٦]، وقيل: «الشَّغَف»: إحراقُ القلب، مع لذّةٍ يجِدها، وهو شَبيهٌ باللَّوعة.

و«الوَجْد»: ألم الحُبّ، و«الشَّجْو»: حُبٌّ يتبَعُه هَمٌّ وحُزن، و«الشَّجَن»: الحاجة حيثُ كانت، وحاجة المُحِبِّ أشدُّ إلى محبوبه، قال الشاعر[٧] [من الطويل]:

تَواجَدَ أصحابي ولم يَجِدوا وَجْدي ... وللناسِ أشجانٌ ولي شَجَنٌ وَحْدي[٨]

و«البلبال»: الهمُّ ووَسواس الصدر، و«التباريح»: الشَّدائد والدواهي

(١) في (م): «والتجلد والولع».

(٢) سردَ جلّها ابن القيم في «روضة المحبين» (ص١٣)، والشهاب الخفاجي في «منازل الأحباب» (ص٦٢ ـ ٦٣) باختلاف.

(٣) سقط في (م) من قوله: «الجنون الشاغل» إلى هنا.

(٤) في (م): «ذاهب».

(٥) في (م): «عند».

(٦) في (م): «بالعقل».

(٧) قوله: «قال الشاعر» ليس في (ق).

(٨) البيتان في «ديوان الحماسة» (بشرح المرزوقي) (ص٩٥٦) دون نسبة.

والشَّوق، و«الغَمرة»: ما يغمُرُ[1] القلب من سُكر، أو حُبّ، أو غفلة، و«الوَصَب»: ألم المَحبّة ومرَضُها، و«الكمد»: تغيُّر اللون، و«الأرَق»: السَّهَر[2]، وهو من لوازم المَحبّة.

و«الحَنين»: الشَّوق، و«الغَرام»: الحُبّ المُلازِم، يُقال: «رجلٌ مُغرَمٌ بالحُبّ»، [أي:] قد لزمه الحُبّ[3]، و«الوَلَه»: ذهابُ العقل والتَّحيُّر من شدة الوَجْد.

و«الوُدّ»[4]: خالصُ المَحبّة، وألطَفُه وأرَقُّه.

و«المَحبّة» أمُّ باب الأسماء كلِّها، وللناس في هذا المعنى كلامٌ كثير، والله ـ سُبْحانَه وتعالى ـ أعلَم[5].

* * *

---

(١) في (ق): «يغم».

(٢) في (ق): «والسهر»، و(م): «السمر»، وصوّبت.

(٣) قوله: «الحب» ليس في (م)، وفي النسختين: «وقد»، وصوّبت.

(٤) في (م): «والوله».

(٥) من قوله: «كلها» إلى هنا سقط في (م).

الباب الرابع

في كلام الخائضين بمَدح العِشْق وذمِّه

اعلَمْ أن الناسَ في الكلام على أمر العِشْق قِسمان:

فمنهم من مدَحَه وأطلَق، ومنهم من ذمَّه وأطلَق، ولم أرَ مَن جمَع بينَ كلام الفريقَين!

وإذا تأمّلت بعين البَصيرة وجدتَ [أنّه] لا خلافَ بين الفريقَين بحسب الحَقيقة، وإنما جاء الخلاف[1] من جِهة الإطلاق.

فالمادحُ للعشق لم يمدَحْه مُطلَقاً، بل إنما مدح العِشْق المُباح، والذامُّ له[2] إنما ذمَّ العِشْق الحَرام، ولا يسَعُ[3] عاقلاً معتدّاً بكلامه أن يمدَح الحَرام، ولا يسَعُ من له ذوقٌ أن يذُمَّ ما هو من[4] شيم الكِرام، أو يُقال: إنما مرادُهم بالعِشْق الممدوح العِشْقُ الخالي عن شَهوة الجِماع؛ كما مرَّ عن ابنِ سينا: أنه قد يكونُ معه شَهوة جماع، وقد لا يكون.

أو يُقال: إنّ مرادَهم بالعِشْق الممدوحِ المَحبّةُ الخالية عن العِشْق، وتَسمِيَتُهم لها «عشقاً» مَجاز، وإلا فالعِشْقُ المعروفُ بين الناس الآن قَطعاً مذموم، ومرتكِبُه مَلُوم؛ لِما فيه من خَشيةِ الوُقوع[5] في الحرام، واشتِغال الفِكرة بتخيُّلاتٍ فاسدةٍ كلُّها ذنوبٌ وآثام.

---

(١) في (ق): «الخلف».

(٢) قوله: «له» ليس في (م).

(٣) في (ق) هنا وبعد قليل: «يسع».

(٤) قوله: «من» ليس في (م).

(٥) في (ق): «الآن خشية الوقوع أو الوقوع».

وهذا جمعٌ بين كلام الفريقَين يُريحك من الخلاف[١] الواقع بينَهم في مدحِه وذمِّه، على أن الأولى الآن القول بذَمِّه مُطلَقاً سدّاً للباب، وحَسماً للمادّة؛ كما ذهبتُ إليه في كتاب «تسكين الأشواق بأخبار العُشّاق»[٢].

وإذا تقـرَّر هـذا؛ فالمادِحـون للعِشْـق قـد مدَحـوه نَثـراً وشـعراً[٣]، لا سـيما المتقدِّمـون مـن عُقَـلاء[٤] العـرَب وظُرَفائهـم، وطوائـفُ مـن الحُكمـاء، قائليـنَ بـأن فيـه فَوائـد، مـن جُملتها: رقّـةُ الطَّبْـع، وإزالـةُ خُبثه، وترويـحُ النفـس وخفَّتُها، ورياضـةُ الجسَـد.

وحُكي أن جالينوس قال: من لم تبتهج نفسُه للصوت الشَّجِيْ، والوجه البَهيّ، فهو فاسدُ المزاج، يحتاجُ إلى العِلاج[٥].

وقال بعضُ الأعراب: من لم يعشَق فهو رَديءُ التركيب، جافي المزاج، يحتاجُ إلى العِلاج.

وقال بعضُ الحكماء: العِشْق يروضُ النَّفس، ويُهذِّبُ الأخلاق، إظهارُه طَبَعيّ[٦]، وإضمارُه تكلُّفي، حاجِبُه الصَّبر، وخادِمُه الجَوارح[٧].

---

(١) في (ق): «الخلف».

(٢) من قوله: «على أن» إلى هنا ليس في (ق)، وكلام المصنف المذكور في مقدمته لكتابه الآخر «تسكين الأشواق» فانظره بتحقيقي في هذه المجموعة.

(٣) في (ق): «إذا تقرَّر هذا؛ فالمادِحون له قد مدحوه نظماً وشعراً».

(٤) في (ق): «علماء».

(٥) «فتوى في العشق» المنسوب لابن تيمية (ص١٧٩).

(٦) في (م): «ويذهب الأخلاق الظاهرة طبي».

(٧) «فتوى في العشق» (ص١٧٩).

ورُوي[١] عن يحيى بن مُعاذٍ ـ قدّسَ اللهُ روحَه ـ أنه قيل له: إن ابنَك قد عَشِقَ فُلانةَ! فقال: الحمدُ لله الذي صيَّرَه إلى طَبْعِ الآدميِّين[٢].

وقيل لبعض العلماء: إن ابنَك قد عشق[٣]، فقال: الحمدُ لله، [الآن][٤] رقَّت حَواشيه، ولطُفت معانيه، وملُحت إشارتُه، وظرُفت حركاتُه، وحسُنت عباراتُه، وجادَت رسائلُه، وكرُمت شمائلُه، فواظَبَ المليح، واجتنَبَ القَبيح[٥].

وقيل لبعض الحُكماء: متى يكون الفَتى بليغاً؟ فقال: إذا صنَّف كتاباً، أو وصَفَ[٦] هوىً أو حَبيباً[٧].

وقال بعضهم: من خصائص[٨] العِشْق المحمَودة، وفضائله الموجودة، ما قالوه:

العِشْق فضيلة، يُنتج الحيلة، ويُشجِّع الجبان، ويُسخِّي البخيل، ويُصفِّي ذِهن الغبيّ[٩]، ويُطلِق لسانَ المُفحَم[١٠] بالشِّعر، ويُثبّت حزمَ العاجِز، وهو عزيز يذِلُّ لعِزّهِ

---

(١) قوله: «روي» ليس في (م).

(٢) «فتوى في العشق» (ص١٧٨).

(٣) من قوله: «فلانة» إلى هنا سقط في (م).

(٤) في النسختين: «الذي»، وما أثبتُّ أصوب.

(٥) ذكره ابن أبي حجلة في «ديوان الصبابة» (ص٢٥).

(٦) في (ق): «أو أوصف».

(٧) نسبه في «ديوان الصبابة» (ص٢٥) لبزرجمهر.

(٨) في (م): «خصائل».

(٩) في (ق): «الفتي».

(١٠) في (م): «الأعجم».

عزيزُ المُلوك، ويخضَعُ لصولَتِه الشجاع، وهو داعيةٌ للأدب، وأوّلُ باب تُفتَّقُ[١] به الأذهانُ والفِطَن، وتُستَخرَجُ به دقائقُ المَكائد والحِيَل، وإليه تستَريح الهِمَم، وتسكُنُ نَوافرُ الأخلاق والشِّيَم، يُمتع جليسَه، ويُؤنس أليفَه، وهو سرورٌ يَجولُ في النفوس، وفرَحٌ يستكِنُّ[٢] في القلوب[٣].

وقال بعضُهم: العِشْق يُشجع جَنان الجَبان، ويُصفي ذِهن[٤] الغبيّ، ويُسخي كفَّ البَخيل، ويُخضع عزّةَ الملوك، ويُسكن نوافرَ الأخلاق، وهو أنيسٌ مُؤنِس، وجَليسٌ مُحرس[٥]، وملِكٌ قاهر[٦].

وقال بعضُهم: لو لم يكُن في العِشْق إلا أنه يُشجِّع قلبَ الجَبان، ويُسخِّي كفَّ البخيل، ويُصفِّي ذِهنَ الغبي، ويبعثُ حزمَ الغافل، ويَخضَعُ له عِزّةُ الملوك، ويضرَعُ له صَولة الشُّجاع، وينقاد له كلُّ ممتنع، لكَفى[٧] به شرَفاً.

وقال بعضهم: أرواحُ المُحِبّين عطِرةٌ لَطيفة، وأبدانُهم رقيقةٌ خَفيفة، وأرواحُهم سريعةُ الانقِياد لمن قادَها، وكلام العُشّاق ومُنادَمتُهم تزيدُ في العقل، وتُحرِّك النفوس، وتُطربُ الأرواح، وتجلبُ الأفراح، وتتشوّق[٨] إلى أخبارِهم الملوكُ

(١) في (م): «تتفتق».

(٢) في (م): «يسكن».

(٣) هذه الأوصافُ وزيادةٌ في «زهر الآداب وثمر الألباب» للحصري القيرواني (٤/ ١٠٢٠ ـ ١٠٢١) للفضل بن أحمد بن أبي طاهرٍ طيفور.

(٤) في (م): «ذلك».

(٥) في (م): «وأنيس موسى وعيسى محرس».

(٦) «فتوى في العشق» (ص١٧٨).

(٧) في (م): «يكفي».

(٨) في (م): «وتحلية الأرواح وتشوق».

ومَن دونهم، ويكفي العاشِقَ المسكين الذي لم[١] يُذكَر مع الملوك ولا مع الأبطالِ أنه يعشَقُ ويشتَهرُ بالعِشْق، فيُذكر في مجالس[٢] الملوك والخُلفاء، وتدورُ أخبارُه، وتُروى[٣] أشعارُه، ويُبقي له العِشْق ذِكراً مُخلَّداً، ولولا العِشْقُ لم يُذكَر له اسم، ولا جَرى له رَسم، ولا رُفِعَت له أخبار، ولا رُوِيَت له أشعار[٤].

وقال المَرزبانيُّ: سُئل أبو نوفل: هل سلِمَ أحدٌ من العِشْق؟ فقال: نعم! الجافي الخِلقة، الغليظُ الطَّبْع، الذي ليس له فَضل، ولا[٥] عندَه فَهم[٦]، ثم قال: هيهاتَ! ما رأيتُ فاضلاً يسلَمُ من الحُبّ، ولكن في الناس مَن يملكُ نفْسَه، ويغلبُ هواه، ولا يُظهِر ما كَمَنَ في قلبِه.

وحُكي أن الملِك بَهْرام جُوْرَ كان له ولَدٌ واحد، وأراد أن يُقلِّدَهُ المُلك بعدَه، فوجَدَهُ ساقِطَ الهمّة، دنيء النَّفْس، فسلَّط عليه الجَواريَ الحِسان، فعَشِقَ واحدةً منهُنّ، فأُخبِرَ الملكُ بذلك، فأرسَلَ إلى التي أُخبِرَ أن ابنَهُ قد[٧] عشِقَها وقال لها: تَجنّي عليه، وقُولي له: أنا لا أصلُح إلا لشريفِ النَّفس[٨]، عالي الهِمّة، أو[٩] ملِك، أو عالِم.

---

(١) في (م): «لا».

(٢) في (ق): «مجلس».

(٣) في (م): «وترى».

(٤) يُنظر: «ديوان الصبابة» (ص٢٧) ببعض اختلاف.

(٥) في (م): «وعلى».

(٦) إلى هنا «ديوان الصبابة» (ص٢٧)، ثم يختلف لقوله تتمة مختلفة.

(٧) الحرف «قد» ليس في (م).

(٨) قوله: «النفس» ليس في (م).

(٩) قوله: «أو» ليس في (ق).

فلما قالت له ذلك راجَعَ العِلمَ وما كان عليه[١] الملوك من شرَف الهِمّة؛ حتى برَع في ذلك، ووَلي المُلك، فكان مِن خَير[٢] الملوك، فأُثبت ذلك في الحِكمة: أن الملِكَ لا يكمُل إلا بعد عشقِه، وكذا العالِم[٣].

قلتُ: وأنت قد علمتَ ـ بما[٤] مرَّ ـ أن هذا مدحٌ للعِشْق في الجُملة لا مُطلَقاً؛ إذ لا ينبَغي مدح العِشْق الحَرام، ولا يصلُح العِشْق لكلِّ أحد.

وقال بعضُهم: العِشْق لا يصلُح إلا لذي مروءة ظاهرة، وخَليقة طاهرة[٥]، أو لذي لِسانٍ فاضل، وإحسانٍ كامل، أو لذي أدَبٍ بارع، وحسَبٍ خاشع، ويقبُح لسواهم[٦].

وقال بعضُهم: العِشْق داءُ أفئدةِ القوم الكِرام[٧]، ومسكَنُ كلِّ قلبٍ سليم، وطَبعٍ مُستَقِيم.

وأنشَدوا في المعنى[٨] [من مجزوء الكامل]:

القلبُ مِنكَ هو النَّعيمُ ... وهوُ الصِّراطُ المُستَقِيمُ
إن اللَّديغَ مِنَ الهوى ... شوقاً هو القلبُ السَّليمُ

---

(١) في (م): «له».

(٢) في (م): «خيار».

(٣) يُنظر: «ديوان الصبابة» (ص٢٦ ـ ٢٧).

(٤) في (م): «مما».

(٥) قوله: «طاهرة» ليس في (ق).

(٦) «فتوى في العشق» (ص١٧٨) بنحوه.

(٧) «فتوى في العشق» (ص١٧٨).

(٨) قوله: «في المعنى» ليس في (م).

قال الإمام ابنُ حزم: وقد أَحَبَّ من الخُلفاء الراشدين والأئمّة المَهديِّين كَثير[١].

وعُبيدُ الله أحدُ الفُقهاء السَّبعةِ عشِقَ حتى اشتهرَ أمرُه، وعُدّ لائمُه ظالماً[٢]، وعِشقُ عُمرَ بن عبد العزيز جاريةَ زَوجَتِه فاطمةَ مشهورٌ[٣].

فهذا بعض ما قالوه في مدح العِشْق نثراً.

وأمّا ما قالوه في مدحِ العِشْقِ شعراً، فهو كثير[٤]:

قال العبّاس بن[٥] الأحنَف [من الطويل]:

وما الناسُ إلا العاشِقونَ ذَوي الهوى ... ولا خيرَ فيمَن لا يُحِبُّ ويعشَقُ

---

(١) في (م): «المهتدين خلق كثير». ويُنظر: «طوق الحمامة» لابن حزم (ص٥).

(٢) موافقة لقول عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود الثقفي الإمام الفقيه مفتي المدينة وعالمها (٩٨هـ) يخاطب نفسه:

كتمتَ الهوى حتى أضرّ بك الكَتْم ... ولامَك أقوامٌ ولومُهمُ ظُلم

في أبيات «أمالي القالي» (ص٤٧٠)، وعنه وعن غيره في «شعره» (ص٧٢).

(٣) في (م): «مشهورة»، وفيها قبلها: «بجارية».

وتُنظر أخبار عمر بن عبد العزيز وجارية فاطمة في «تسكين الأشواق» للمؤلف.

وقد روى خبرَه الفَسَويُّ في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٦٠١)، ومن طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ١٩٥)، ورواه أيضاً الخرائطيُّ في «اعتلال القلوب» (٧٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٧٨ ـ ٧٩)، وذكره ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص٥١٣ ـ ٥١٥) وصدّره بقوله: وهذا عمر بن عبد العزيز وعشقه مشهور لجارية فاطمة بنت عبد الملك، ويُنظر: «تزيين الأسواق» للأنطاكي (ص١٧٧).

(٤) في (ق): «أما ما قالوه في مدحه فكثير».

(٥) قوله: «ابن» ليس في (ق)، والبيت في «ديوان العباس بن الأحنف» (ص١٩٧)، و«ديوان الصبابة» (ص٢٥).

وينقل المؤلف عن «روضة المحبين» (ص١٢٥ ـ ١٢٦)، وفيه الأبيات المنسوبة التالية وغيرُها.

وقال الآخَرُ [من الطويل]:

وما سرَّني أنّي خَليٌّ من الهوى ... ولو أنّ ليْ ما بينَ شَرقٍ ومَغرِبِ

وقال آخَرُ [من الطويل]:

ولا خيرَ في الدنيا بغيرِ صَبابةٍ ... ولا في نَعيمٍ ليس فيهِ حَبيبُ

وقال آخَرُ [من الطويل]:

إذا لم تذُقْ في هذه الدّار صَبوةً ... فمَوتُكَ فيها والحياةُ سَواءُ

وقال آخَرُ [من الطويل]:

إذا أنتَ لم تعشَقْ ولم تدْرِ ما الهوى ... فقُمْ، فاعتَلِفْ تِبْناً؛ فأنتَ حِمارُ[1]

وقال آخَرُ [من الطويل]:

إذا أنتَ لم تعشَقْ ولم تدْرِ ما الهوى ... فكُنْ[2] حَجَراً من يابِسِ الصَّخرِ جَلمَدا

وقال آخَرُ [من الكامل]:

ما ذاقَ بؤسَ مَعيشةٍ ونَعيمَها ... فيما مَضى أحَدٌ إذا لم يَعشَقِ

الحُبُّ فيه حَلاوةٌ ومَرارةٌ ... سائِلْ بِذلِكَ مَن تَطَعَّمَ أو ذُقِ[3]

---

(١) هذا البيت ساقط في (ق)، والذي في (م): «فإنه حمار»، وصوّبت.

(٢) في (م): كلمة غير واضحة برسم «وي».

والبيت للأحوص الأنصاري بهذا الصدر في «الأغاني» (١٥/ ٨٩)، وصدره فيه (١٥/ ٩٢)، وفي «شعره» (ص١٢١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٥٢٠):

إذا كنتَ عِزْهاةً عن اللهوِ والصّبا

(٣) في (م): «ذوق». والبيتان للكميت بن زيد الأسدي، أخرجهما ابن عساكر في قصيدة له في «تاريخ =

قلت: فهذا بعضُ ما قالَه المادِحون للعِشْق شعراً[١].

وأما الذامُّون للعِشقِ فقد أكثَروا من ذلك[٢]:

فسُئل جَعفرٌ الصادقُ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ عن العِشْق[٣]، فقال: قلوبٌ خَلَت من[٤] حُبِّ الله، فإذا بها حُبُّ غَيرِه.

وسُئل بعضُهم أيضاً عن العِشْق، فقال: هي[٥] قلوبٌ غفَلَت عن ذِكر الله الحَقّ، فاشتَغَلَت بذِكر الخَلق.

فهذا مما يدلُّ على بُعد عُشّاق الصُّوَر عن الرَّبِّ العظيم، باشتِغالِهم بالخَسيسِ الذَّميم، ولو تعلَّق هؤلاء بمَحبّةِ الإله المعبود، لألهاهُم ذلك عن مَحبّةِ الأشخاص الفانيةِ التي لا يحصُل بمَحبّتها مقصودٌ محمود؟

وأما قول مادِحي[٦] العِشْق: إن فيه رياضةَ الجسد، وتهذيب النفْس، وذَكاء القَريحة، فمُسلَّمٌ، لا مُطلَقاً.

ومع ذلك، فلو اشتَغلوا بحُبِّ[٧] الله لَحصَلَ لهم مقصودُهم من رياضةِ الجسَد،

= دمشق» (٥٠/ ٢٤١)، وهما فيها في «ديوانه» (ص٢٤٦).

(١) سقط في (ق) قوله: «شعراً»، وزيد في (م): «أم»، وفيها قبلها: «قالوه المادحون».

(٢) تأخرت هذه العبارة في (ق) إلى ما بعد القول التالي مع اختلاف يسير.

(٣) من قوله: «فسئل» إلى هنا ساقط في (ق).

(٤) في (م): «عن».

(٥) قوله: «هي» ليس في (م).

(٦) في (ق): «مادحوا».

(٧) في (م): «بذكر».

وتهذيب النفْس[١]، وذَكاء القَريحة؛ بأضعافٍ مضاعَفة، ولخاطَبَتهُم الموجوداتُ والمخلوقاتُ بألسِنة الأحوال، وتبيّنَ لهم أنه لا يستَحقُّ المَحبّةَ على الكمال، غيرُ ذي الإكرام والإجلال[٢].

فكم من عاشِقٍ أتلَفَ نفْسَه[٣] ومالَه وعِرضَه في معشوقه، وضيَّع أهلَه ومَصالحَ دينِه ودُنياه! فمن المعلوم أنه ليس في عِشْق الصُّوَر مصلحةٌ دينيّة[٤] لِما يؤدي إلى الاشتغال بذِكر المخلوق عن[٥] ذِكرِ الخالق، والعبَثِ بالصُّور لا بالمعاني، والالتِحاق بالعالَم الحيواني.

فعَلى هذا؛ لا ينبَغي لأحدٍ أن يُحكِم على نفْسِه عِشْقَ الصُّور، فيُؤدِّيَ به الحال إلى الهلاكِ والخُسران وكلِّ أمرٍ قَبيحٍ معيب.

وأنشَدوا [من البسيط]:

العِشْق مَشغَلةٌ[٦] عن كلِّ صالحةٍ ... وسَكرةُ العِشْق تَنفي سَكرةَ الوَسَنِ

وأنشَدوا[٧] [من الكامل]:

العِشْقُ يجتَذِبُ النُّفوسَ إلى الرَّدى ... بالطَّبْع، واحَسَدي[٨] لمن لا يَعشَقُ

---

(١) زيد في (م): «وتهذيب الأخلاق».

(٢) في (م): «الجلال والإكرام».

(٣) كرر في (م) كلمة «نفسه».

(٤) سقط في (م) من قوله: «ودنياه» إلى هنا.

(٥) في (م): «المحبوب عند».

(٦) في (م): «مشقة». وحكى ابن الجوزي البيتَ في «ذم الهوى» (ص٣٠٣) من جواب أعرابيٍّ للأصمعيّ.

(٧) سقط قوله: «وأنشدوا» هنا والتالي في (م).

(٨) في (م): «وأحرا». ونسب ابن الجوزي البيتَ وثانياً في «ذم الهوى» (ص٣٠٥) لابن أبي حُصينة.

وأنشَدوا [من المتقارب]:

إذا حـارَ وَهمُـكَ فـي مَعنَيَيـنِ وأعياكَ حيـثُ الهـوى والصَّـوابُ

فـدَعْ مـا هَوِيـتَ فـإنَّ الـهـوى يَقودُ النفـوسَ إلـى مـا يُعـابُ[1]

وأنشـد هشـامُ بنُ عبد الملك ـ ولم يُنشِـد بيتاً من الشِّـعر قطُّ سِـواهُ شِـعراً ـ[2] [من الطويل]:

إذا أنـتَ لم تَعصِ الهوى قادَكَ الهوى إلى كـلِّ مـا فيـهِ عـليـكَ[3] مَقالُ

وأنـت قـد علمتَ الجمـعَ بين القولَيـن فيما مـرَّ، وأنَّ[4] العِشْـق لا يصلُح لكلِّ أحـد كمـا سـلَف، ومع ذلـك؛ فالميلُ إلـى ذمِّه أَولى وأسَـدُّ؛ سَـدّاً للباب، وحَسـماً للمـادّة، والله أعلم.

* * *

(١) رجّح ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٨١٤) أنهما لسهل الوراق على كونهما للشافعي.

(٢) قوله: «شعراً» ليس في (ق).

(٣) في (م): «فعليك»، وفيها في صدر البيت: «تقض الهوى». وذكر البيتَ الخرائطيُّ في «اعتلال القلوب» (٩٠)، وله حكاية حكاها صاحب «الأغاني» (٧/ ١٣ ـ ١٤).

(٤) في (م): «أن».

الباب الخامس

في ذم الهوى، وفي ذكر[١] القلب، وفي مدح العقل

[ذم الهوى]

اعلَم أن الهوى هو ميلُ الطَّبْع إلى ما يُلائمُه، وهذا الميلُ قد خُلق في الإنسان؛ لضرورةِ بقائه، فلولا ميلُه إلى المأكَلِ ما أكَل، وإلى المشرَبِ ما شرِب، وإلى[٢] المنكَحِ ما نكَح، وكذا كلُّ ما يشتَهيه، فالهوى مُستجلِبٌ له ما يُفيد.

فلا يصلُحُ ذمُّ الهوى على الإطلاق، وإنما يُذَمُّ[٣] المُفرِط من ذلك، وهو ما يزيدُ على جلبِ المصالح ودفعِ المَضارّ، فقد يكون الهوى[٤] في العِلم، فيخرُجُ بصاحِبِه إلى ضدِّ ما يأمُرُ به العلم، وقد يكون في الزُّهد، فيخرُجُ إلى الرِّياء!

فلما كان الغالبُ من مُوافِق الهوى أنه لا يقِفُ على الحدِّ[٥] المنتفَعِ به أُطلق ذمُّ الهوى والشَّهَوات؛ لعُموم غلَبة الضَّرر[٦].

قال[٧] ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عنهما ـ: ما ذكر اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ الهوى في مَوضِع من كتابِه إلا ذمَّه. كما سيأتي.

---

(١) في (ق): «الهوى وذكر».

(٢) في (م): «ما أكل إلى المشرب وإلى».

(٣) زيد في (ق): «على»، وفيها قبل قليل: «على الطلاق».

(٤) في (م): «المرء».

(٥) في (م): «المحل».

(٦) يُنظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٣٥).

(٧) في (ق): «وقال».

وقال[١] الشَّعبيُّ: وإنما سُمِّيَ الهوى «هوى»؛ لأنه يَهوي بصاحبه[٢]، فيَسري به إلى فنون، ويُخرِجُه من دار العَقل إلى دار الجُنون[٣].

وقال بعضُ الحكماء: الهوى ملِك[٤] عَسوف، وسُلطانٌ ظالم، دانَت له القلوب، وانقادَت له النفوس.

وقال: لما خلقَ الله الخلقَ لم يكُن لهم حرَكةٌ حتى ركَّب فيهم[٥] الشهوة، وهي تمامُ الهوى، والهوى والشهوةُ يغلِبانِ العلمَ والعقل[٦].

وقال عليُّ بنُ سهل[٧]: العقلُ والهوى مُتنازِعان، فمُعينُ العقلِ التوفيقُ، وقرينُ[٨] الهوى الخِذلان، والنفسُ واقفةٌ بينَهما، فأيهما ظفَرَ كانَت معه.

وقد مدح اللهُ تعالى مخالِفَ الهوى، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

---

(١) في (ق): «قال».

(٢) ذكر القولين ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣٦).

(٣) يُنظر: «ذم الهوى» (ص٣٨)، وفيه: «دائرة الجنون».

(٤) قوله: «ملك» سقط في (م)، وذكر القولَ ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٥٦).

(٥) في (م): «فيهم»، وفيها قبلها: «لم يكن فيهم».

(٦) روى أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٨٨) عبارة «الهوى والشهوةُ يغلِبانِ العلمَ والعقل» في كلام للحارث المحاسبي.

(٧) في (م): «عيسى»، وهو علي بن سهل بن الأزهر الأصبهاني، أبو الحسن، ترجمه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص١٨٧)، وذكر أنه من قدماء مشايخ أصبهان، كان يكاتب الجنيد ويراسله، وهو من أقرانه، وروى قولَه (ص١٨٩)، وفي «المنتظم» لابن الجوزي (١٣/ ١٩٢) أنه توفي سنة (٣٠٧هـ).

(٨) في (م): «ومعين».

قال المفسِّرون: هو نهيُ النفس عما[1] حرم الله عليها.

وقال مُقاتِل: هو الرجل يهمُّ بالمعصية[2]، فيذكُرُ مَقامَهُ للحِساب، فيترُكُها.

وقال سَهْل[3]: لا يسلَمُ من الهوى إلا الأنبِياءُ وبعضُ المعصومين ليسَ كلُّهم، وإنما يسلَمُ من الهوى مَن ألزَمَ نفْسَهُ الأدب.

فيُلزِمُ نفْسَه مثلاً الحزنَ الدائم، والخشيةَ القَلِقة، وكثرةَ الوَلَه، ووَجَلَ القلب، وتنغيصَ العيش، ومُوافَقةَ الكَمَد.

وقال بعضُهم: من يحقِّق الخوفَ ألهاهُ خوفُه عن كلِّ مفروح به، وألزَمَهُ الكَمَدَ إلى أن يظهَرَ له الأمنُ من الخوف[4].

وقال الفُضيلُ: أفضَلُ الأعمال خِلافُ هوى النَّفْس[5].

وقال بعضُهم: مَن أجاب اللهَ تعالى في خِطابِه أقبَلَ على المُجاهَدةِ والمُكابَدة، وأفنى عُمرَه في مُخالَفة نفْسِه.

وسأل بعضُهُم الجُنَيدَ، فقال: يا أبا القاسم، متى يَصيرُ داءُ النفْس دواءَها؟ فقال له: إذا خالَفَت[6] هواها، صار داؤُها دَواءَها.

---

(١) في (م): «مما». وحكى هذا ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣٩) مع قول مقاتل بن سليمان بعدَه.

(٢) في (م): «بمعصية»، وقول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٠٢)، وحكاه عنه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٠). وروى نحوه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٦) عن مجاهد.

(٣) قوله: «سهل» سقط في (م)، وهو سهل بن عبد الله التستري، وقوله في «تفسيره» (ص٣٠٢).

(٤) ذكره الطيبي في «حاشية الكشاف» (١٦/ ٢٧٦) دون نسبة.

(٥) قول الفضيل ليس في (م)، وقد ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٤٣٥)، وأخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٥٣) من قول أبي سليمان الداراني.

(٦) في (م): «خالف»، وقولُه قبله: «له» قبله ليس في (ق). وروى قول الجنيد في خبرٍ البيهقيُّ في =

وقال أبو علي الدَّقّاق: من ملَكَ شهوتَهُ في حَال شَبيبَتِه، صيَّرَهُ الله مِلكاً في حال كهولته، كيوسُفَ عليه السلام[١].

وقد ذَمَّ اللهُ مُتَّبِعَ الهوى، فقال[٢]: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في ذلك في التنزيل[٣].

وفي الحديث: «وأما المُهلِكات: فشُحٌّ مُطاع، وهوىً متَّبَع، وإعجابُ المرء بنفْسِه، والعاجزُ من أتبعَ نفْسَه هَواها، وتمنّى على الله الأمانيّ»[٤].

وقال الحُكماء: الهوى صدأٌ يعلو العقلَ فلا تنطبعُ[٥] فيه صورةُ الحقائق، وما لم يبلُغ الهوى حدَّ اللَّجاج فهو شَهوة[٦] السُّكر، فإذا بلغ اللَّجاجَ فهو رَينُ السُّكر وقوةُ سُلطانِه، ولا يرشُد تابعُ[٧] الهوى حالَ استيلاء الشَّهوة والغضب عليه؛ لأنها حالة[٨]

= «الزهد الكبير» (٣٢٤)، والقشيري في «الرسالة» (١/ ٢٨٤).

(١) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٥٦).

(٢) في (م): «بقوله».

(٣) قوله: «الواردة في ذلك في التنزيل» ليس في (م).

(٤) قوله: «الأماني» ليس في (ق). وأخرج هذا الحديثَ الترمذي في «السنن» (٢٤٥٩) وحسّنه، وابن ماجه في «السنن» (٤٢٦٠) عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً.

(٥) في (م): «تنطبق»، وفيها قبله: «الهوى صديد».

(٦) في (م): «نشوة».

(٧) في (م): «زين السكر وضدّه، ولا يرشد تتابع».

(٨) في (م): «لأنه حال».

احتِجابِ عقلِه[١]، وذلك أن الهوى أملَك بالنفْس؛ لقِدَم سُلطانِه عليها، فأما سُلطان العقل فطارئٌ مُستَفاد، وللعقل حِجابان، وهما[٢] الشَّهوة والغضب، فلا يزال العقلُ ناظِراً إلى الهوى، قاهراً له، ما لم يحجبْهُ غضَبٌ أو شَهوة، فحينئذ ينبسطُ[٣] سُلطان الهوى، وينفَذُ حُكمُه.

وقال أبو بكرٍ الوَرّاق: لم يجعَلِ اللهُ في الدُّنيا والآخِرة شيئاً أخبَثَ من الهوى المُخالِف [للحقّ][٤].

وقد أكثَرَ العُقَلاء من ذَمِّ الهوى.

وأنشَدوا [من الطويل]:

وبالناسِ عاشَ الناس قِدْماً ولم يَزَلْ ... من الناس[٥] مَرغوبٌ إليه وراغِبُ

وما يَستَوي الصّابي ومَنْ يترُكُ الصِّبا ... وإنَّ الصِّبا لَلعَيْشُ[٦] لولا العَواقبُ

وأنشَدوا [من الكامل]:

ومِنَ البَلاء ولِلبَلاءِ[٧] عَلامةٌ ... أن لا يُرى لكَ عَن هَواكَ نُزُوعُ

---

(١) في (م): «غفلة».

(٢) في (م): «وهو».

(٣) في (ق): «حينئذ وينبسط».

(٤) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «حقائق التفسير» (٢/ ٣٧١)، والاستدراك منه.

(٥) في (م): «الله»، وفيها قبله في صدر البيت: «عاشر الناس».

(٦) في (م): «للعشق»، وفيها قبله في صدر البيت: «من ترك».

والبيتان لابن المَولى محمد بن عبد الله بن مسلم، مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار؛ كما في «معجم الشعراء» للمرزباني (ص٤١١ ـ ٤١٢)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (١٠/ ١٩٦).

(٧) في (ق): «للبلاء».

العبدُ عبدُ النَّفْس في شَهَواتِهِ والحُرُّ يشبَعُ تارةً ويَجُوعُ[١]

وأنشَدوا [من الطويل]:

وكلُّ امرئٍ يَدري مَواقِعَ رُشْدِهِ ولكنَّهُ أعمى أسيرُ[٢] هَواهُ
يُشيرُ عليه النّاصِحُونَ بجُهْدِهِمْ فيَأبى قَبولَ النُّصحِ وهْوَ[٣] يَراهُ
هَوى نفْسِهِ يُعمِيْهِ عَن قَصْدِ رُشْدِهِ ويُبصِرُ عن فَهمٍ عُيوبَ[٤] سِواهُ

واعلَم أن المغلوب بموافقة هَوى النفس مقهور[٥] دائماً، وكذلك يجد في نفسه ذلاً وهواناً؛ المكان القهر؛ لأن الهوى ذو صَولة، و«الهوى» مأخوذٌ من «الهَوان»؛ كما قيل[٦] [من الكامل]:

نونُ الهَوانِ مِنَ الهوى مَسروقةٌ فإذا هَوِيتَ فَقَد لَقِيتَ هَوانا[٧]

والهوى كالنار، سهلٌ إيقادُها، عسيرٌ خُمودُها، وليس الأسير [إلّا] مَن أوثَقَهُ هوىً سراً[٨].

---

(١) هما للإمام عبد الله بن المبارك المروزي، أسندهما إليه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٦٨).

(٢) في (م): «بمر»، وفيها قبله في صدر البيت: «موافز رشده».

(٣) في (م): «الناصحين»، وفيها قبله في صدر البيت: «بجدهم»، ومطلع البيت في (ق): «يسر».

(٤) في (م): «عيوباً»، وفيها قبله في صدر البيت: «قصد نفسه»، ومطلع البيت في (ق): «هو».
الأبيات الثلاثة في «ذم الهوى» (ص٥٩) دون نسبة، ونسب الأولَ والأخيرَ الذهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٩٤) للوزير الأديب أبي القاسم الحسين بن عليّ بن حسين بن محمد ابن المغربيّ الشيعي (٤١٨هـ).

(٥) في (م): «مقهوراً».

(٦) سقط في (م) من قوله: «نفسه ذلّاً» إلى هنا، وفيها هنا: «يقلبه».

(٧) نسبه المستعصمي في «الدر الفريد» (٩/ ٤٨٣) لعُبيد الله بن عبد الله بن طاهر.

(٨) من قوله: «والهوى كالنار» إلى هنا ليس في (ق)، والاستدراك لتمتين السياق.

[ذكر القلب]

وأما «القَلْب» ـ الذي هو محلُّ الهوى والهُدى ـ فمُشتَقٌّ من «القَلْب»[(١)]؛ لفَرْطِ تقَلُّبه؛ كما في الحديث الآتي.

قال في «الصحاح»: «القلب» و«الفؤاد» مترادفان[(٢)].

وقال الواحِديّ: «القلب» مُضغةٌ في الفؤاد، معلَّقة بالنِّياط، فهو أخَصُّ من «الفؤاد»[(٣)].

قال البدر الزركشي: الأحسَن قولُ غير «الصحاح»: «الفؤاد» غشاء القلب، و«القلب» حبته وسويداه[(٤)]، ويؤيِّد الفرقَ قولُه عليه الصلاةُ والسلام: «ألينُ قُلوباً، وأرَقُّ أفئدة»[(٥)].

وفرّقَ الزمخشريُّ بأن «الفؤاد» وسط القلب، سُمِّيَ به؛ لتفؤُّده، أي: توقُّدِه[(٦)].

---

(١) الذي هو مصدرُ «قلبَ يقلبُ».

(٢) يُنظر: «الصحاح» (١/ ٢٠٤)، و(٢/ ٥١٧).

(٣) يُنظر: «التفسير البسيط» (٢/ ١١٤) و(١٢/ ٥٠١) ينقله عن الليث، وهو ابن المظفر الكناني اللغوي، (ت١٩٠هـ).

(٤) سقط حرف العطف في (م).

ولم أهتدِ إلى قول الزركشي في أيّ كتبه هو، ونقله الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ٢٤٨)، ولم أهتدِ إلى نسبة القول الذي استحسنه الزركشي، وذكره الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ١٩٦).

(٥) في (م): «فؤادة». وأخرج الحديثَ ـ وهو في وصف أهل اليمن ـ البخاري في «صحيحه» (٤٣٨٨)، ومسلم في «صحيح» (٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (م): «لتفرده توقدي»، وفي (ق) «لتقوده إلى توقده»، والتصويب من «الفائق في غريب الحديث» (١/ ٨٣).

ومثَلُ هذا القلب كمثَلِ رِيْشةٍ مُلقاةٍ بأرضٍ فَلاة، يقلِّبُها الرِّيحُ بَطْناً لِظَهْر؛ ففي[1] حديث ابن عَمرٍو[2] قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «إن قلوبَ بني آدم كلَّها بينَ إصبعَينِ من أصابع الرحمن ـ تبارَكَ وتعالى ـ كقَلبٍ واحد، يُصرِّفها حيثُ يَشاء»، ثم قال: «اللَّهمّ مصرِّفَ القلوب، اصرِفْ[3] قلوبَنا إلى طاعَتِك».

وعن النَّوّاسِ بن سَمْعان[4] قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «ما من قلبٍ إلا بين إصبعَين من أصابع الرحمن عزَّ وجَلّ، إن شاء أقامَه، وإن شاء أزاغَه»، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول: «يا مقلِّبَ القلوب، ثبِّت قُلوبَنا على دينِك».

وفي حديث أنسٍ مرفوعاً: «مثَلُ القلبِ كمثَلِ ريشةٍ بأرض فَلاةٍ تُقلِّبُها الرِّياح»[5].

وعن المقدادِ بن الأسود مرفوعاً: «لقلبُ ابنِ آدمَ أسرَعُ انقِلاباً من القِدْر إذا اشتَدَّت[6] غلياناً».

[مدح العقل]

وأما العقلُ، فهو ممدوحٌ شَرعاً ونَقْلاً، وحِسّاً وعَقْلاً.

وقد اختلفُ الناس في حقيقَتِه؛ فقيل: هو نوعٌ من العلوم الضَّرورية، وقيل: هو

---

(١) في (م): «بطناً وظهر وفي».

(٢) في النسختين: «عمر»، وصوّبتُ؛ إذ أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ الإمامُ أحمد في «مسنده» (٦٥٦٩)، واللفظ له تقريباً، ومسلمٌ في «صحيحه» (٢٦٥٤).

(٣) في (م): «صرف».

(٤) في (م): «السمعان». وأخرج حديثَه ابن ماجه في «سننه» (١٩٩).

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٦).

(٦) في (م): «اشتد». وأخرج الحديثَ باختلافٍ الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٥٢) برقم (٥٩٨)، والحاكمُ في «المستدرك» (٣١٤٢)، وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

غَريزةٌ يَأتي مَعَها دَرْكُ[١] العلوم، وقيل: هو قوّةٌ يُفصَلُ بها بين حَقائق[٢] المعلومات، وقيل: هو جَوهَرٌ بسيط، وقيل: جَوهَرٌ شَفّاف[٣].

وقال الحارثُ المُحاسِبيُّ: العقلُ نور، وقال الإمام أحمدُ بنُ حنبل[٤]: العقل غَريزة.

والتحقيق أن يُقالَ: العقلُ غريزة؛ لأنها نورٌ، تُقذَفُ في القلب، فيَستعدُّ[٥] لإدراك الأشياء، فيعلَمُ الجائزَ والمستحيلَ وعواقبَ الأمور.

ولا شك أن العقل نُور، والهوى ظُلمة، وذلك النورُ يقلُّ ويكثُر، فإذا كثُر قمَعَ ـ بمُلاحَظة[٦] العَواقبِ ـ عاجلَ الهوى.

واختلفوا في مَحلِّ العقل؛ فقيل: مَحلُّه القلب، وهو مَرويٌّ عن الإمام الشافِعيّ، دلَيلُه قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦].

ونُقل عن الإمام أحمَد: أن مَحلَّه الدِّماغ، وهو اختيارُ أصحابِ أبي حَنيفة[٧].

قلتُ: ويُمكِنُ الجمعُ بين القولَين، وهو أن مَحلَّه القلب، وله شُعاعٌ متّصلٌ بالدِّماغ.

---

(١) السياق في (م): «وقيل: معها إدراك».

(٢) في (ق): «حقيقة»، وسقط في (م) قوله: «قوة».

(٣) في (ق): «المعلومات وقيل: جوهر شفاف».

(٤) ليس في (ق) قوله: «بن حنبل».

(٥) في (م): «فيسعد».

(٦) في (م): «الملاحظة».

(٧) كلامُه عن العقل كلُّه من «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٢٣ ـ ٢٤).

والعقلُ[(١)] ممدوحٌ باتِّفاق.

فعَن[(٢)] ابنُ عباس ـ رَضِيَ اللهُ عنهما ـ[(٣)]: «لـمّا خلق اللهُ العقلَ قالَ له[(٤)]: أقبِلْ، فأقبَلَ، ثم قال: أدبِرْ، فأدبَرَ، فقال ـ عزَّ وجَلَّ ـ: وعِزّتي وجَلالي، ما خلقتُ خَلقاً قَطُّ أحسَنُ منك، فبِكَ[(٥)] أُعطي، وبِكَ آخُذ، وبِكَ أُعاقِب».

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّةَ وغيرُه: هذا حديث كذبٌ موضوعٌ باتّفاق أهل العلم، وقال الحافظُ السُّيوطيُّ: أخرَجَهُ عبدُ الله ابنُ الإمام أحمد، عن الحسَن مُرسَلاً بطَريقٍ جيّدِ الإسناد[(٦)].

---

(١) قوله: «والعقل» سقط في (م).

(٢) في (م): «روى».

(٣) زيد في (م): «مرفوعاً». وقد أخرج الحديثَ ابنُ أبي الدنيا في «العقل وفضله» (١٥)، وابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٨) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) قوله: «له» ليس في (م).

(٥) في (م): «خلقاً أحبَّ إلي منك بك».

(٦) من قوله: «قال شيخ الإسلام» إلى هنا ليس في (ق)، وهو في كتاب المصنِّفِ الآخَرِ «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» المطبوع ضمن هذا المجموع.
وقد أكثر ابنُ تيمية من النصّ على وضعِ حديث العقل في غير كتابٍ من كتبه؛ من ذلك «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٥٣)، وقد قال السيوطي في «الدرر المنتشرة» (ص١٦٨): وقد وجدتُ له أصلاً صالحاً، فأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، فذكره، ثم قال: وهذا مرسل جيد الإسناد. ا. هـ. قلتُ هو في «الزهد» (١٨٦٨).
وقد أخرجه مرفوعاً من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ابنُ أبي الدنيا في «العقل وفضله» (١٤)، وابنُ الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٤) من طريقين في أحدهما الفضل بن عثمان رجُل سُوء، وفي الأخرى حفصُ بن عُمر يروي الموضوعات، وسيفُ بن محمد الثوري كذاب. =

وبعضُهم جعَلَهُ حَديثاً، والصُّواب لا؛ لأن الحُفّاظَ قالوا: كلُّ حديثٍ ورَدَ في العقل فهو موضوع، وإن كانَ مِن جهة المعنى صَحيحاً[1].

وقال وَهْبُ بن مُنبِّه: إن الشيطانَ لم يُكابِدْ شيئاً أشدَّ عليه من مؤمنٍ عاقل.

وقال مُعاذُ بن جبَل: لو أن العاقلَ أمسى وأصبحَ وله ذنوبٌ بعدد الرمل لكان وَشيكاً بالنَّجاة والسلامة، ولو أن الجاهلَ أمسى وأصبحَ وله من الحسَنات عدد الرمل لكان وَشيكاً أن لا يسلَمَ له منها مِثقالُ ذرّة، فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: لأن العاقلَ إذا زلَّ تدارَكَ زلّتَهُ بالتوبة بواسِطة العقل الذي قُسِم له، بخِلاف الجاهل.

= وأخرجه من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ العقيليُّ في «الضعفاء الكبير» (٣/ ١٧٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢٤١)، و«الكبير» (٨٠٨٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٨): فيه عمر بن أبي صالح، قال الذهبي: لا يُعرَف.

ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٥)، وفيه ثلاثةٌ مجهولون منكرو الحديث، ولا يُتابَعُ أحدٌ منهم على حديثه.

وأخرجه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ الحافظُ أبو نُعيم في «الحلية» (٧/ ٣١٨)، وضعف إسنادَه وإسنادَ الذي قبلَه العراقيُّ في «تخريج أحاديث الإحياء» (بهامشه) (١/ ٨٣).

وأخرجه من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ الخطيبُ البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٣١).

(١) من قوله: «وبعضهم جعله» إلى هنا ليس في (م).

وقد قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ١٧٥): ولا يثبت في هذا المتن شيء

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٧): وقد رُويت في العقول أحاديثُ كثيرةٌ ليس فيها شيء يثبت.

وقال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص٦٦): أحاديث العقل كلها كذب.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٢٨٩) في حديث العقل: ليس له طريق ثبت. ا. هـ.

والله تعالى أعلم.

وقال الحسَن: لا يتمُّ دينُ الرجل حتى يتمَّ عقلُه، وما أودَعَ اللهُ أمرَأً عقلاً إلا استنقَذَه[١] يوماً ما.

وسُئل ابنُ المبارك: ما خيرُ ما أُعطي الرجل؟ قال: غَريزةُ عقل، قيل[٢]: فإن لم يكُن؟ قال: أدَبٌ حسَن، قيل: فإن لم يكُن؟ قال: أخٌ صالحٌ يستَشيرُه، قيل: فإن لم يكُن؟ قال[٣]: صمتٌ طَويل، قيل: فإن لم يكُن؟ قال: موتٌ عاجِل[٤].

وبالجُملة؛ فالعقلُ غنيٌّ عن أن يمدَحَه[٥] مادِح، أو يصِفَه بالحُسن واصِف، والله ـ سُبْحانَه وتعالى ـ أعلَم.

* * *

(١) في (م): «عاقلًا إلا استعز به»، وفيها قبله: «عقل الرجل».

(٢) في (ق) هنا وفي آخر سؤال: «فقيل».

وفي (م): «وسئل ابن المبارك: إن خيراً ما أعطي الإنسان غريزة عقل قيل».

(٣) في (م): «قل»، وسقط فيها قوله: «قال أخ صالح يستشيره قيل فإن لم يكن».

(٤) الأقوال الأربعة في «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٣٢ ـ ٣٣).

وروى قول وهبٍ الحافظُ أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٦) مطوّلاً، وروى ابنُ أبي الدنيا قولَ الحسنِ مجزَّأً في «العقل وفضله» (١٨) و(٩٣)، وأخرج ابنُ حبان في «روضة العقلاء» (ص١٧) قولَ ابنِ المبارك من وجهين عنه.

(٥) في (م): «عن إزعاج فيه».

الباب السادس

في علامات المُحِبّ والعاشِق

وماذا يصير لهما[1] عند غلبة الوَجْد من السُّكر وغيره؟ وماذا يترَتّب عليهما؟

[في علامات المُحِبّ والعاشِق]

للمُحِبِّ والعاشِق علاماتٌ يُعرَف بها المُحِبُّون، وحالاتٌ[2] يتميَّز العاشِقون.

فمِن العلامات: إغضاء المُحِبِّ والعاشِق[3] عند نظَر محبوبِه ومعشوقه، ورميُه بطرفِه نحو الأرض[4]، وذلك مِن مَهابَتِه له، وحَيائه منه، وعظَمَتِه في صدره.

ومنها: اضطراب يبدو للمُحِبّ والعاشِق عند رؤية محبوبه ومعشوقه[5].

وأنشَدوا [من الطويل]:

علامـاتُ مَـن كان الهـوى فـي فُـؤادِهِ ... إذا مـا رأى المـحـبــوبَ أن يتَغيَّـرا[6]

ويَصفَـرَّ لـونُ الوَجـهِ بعـدَ احْمِـرارِهِ ... وإن[7] طـلَـبوا منـهُ الجـوابَ تحيَّـرا

---

(١) في (م): «لها».

(٢) في (م): «حالات يعرب بها المحبوب وحالة».

(٣) في (م): «الإنسان العاشق»، وفي النسختين: «اضطراب أعضاء»، والصواب ما أثبتُّ وعلامة الاضطراب هي العلامة التالية، ووافقتُ ما في «ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة (ص١٥)، وعامة كلام المصنف عن العلامات فيه.

(٤) زاد في (م) هنا: «وتغير واصفرار أو إخمار [كذا] يعتريه»، ولا أجده مناسباً.

(٥) من قوله: «ومنها اضطراب» ليس في (م).

(٦) عجز البيت في (م): «إذا ذكر المحبوب حتماً تغيراً».

(٧) في (م): «ولو»، وفيها قبله في صدر البيت: «ويصفر منه».

وروى البيتين ببعض اختلافٍ التنوخيُّ في «نشوار المحاضرة» (٥/ ٩٦)، وهما في «ذم الهوى» =

ولذلك قال بعضُهم: من علاماتِه[١] اصفرارُ وجه المُحِبِّ عند رؤية الحَبيب[٢]، والحَبيبُ احمرارُ الخُدودِ وتورُّدُها من نَصيبِه.

وأنشَدوا [من المنسرح]:

يصفَرُّ وَجهِيْ إذا تأمَّلَهُ طَرْفي، ويَحمَرُّ وَجهُهُ خَجَلا
حتّى كأنَّ الذي بِوَجنَتِهِ[٣] مِن نارِ قَلبِيْ إليه قد نُقِلا

ومنها: أن يضطربَ عند رُؤية مُن يُشبِه محبوبَه، أو عندَ سماع اسمِه[٤].

وأنشَدوا [من الطويل]:

وداعٍ دَعا[٥] إذ نحنُ بالخَيفِ مِن مِنى فهَيَّجَ أشواقَ الفُؤاد وما يَدْري
دَعا باسمِ ليلى غيرَها، فكأنّما أطارَ بلَيلى طائراً كانَ في صَدْري[٦]

= لابن الجوزي (ص٣٢٧) ولم يُنسبا.

(١) في (م): «علامة».

(٢) في (ق): «محبه».

(٣) في (م): «بوجهته».

ونسب البيتَين باختلافٍ للخليفةِ الراضي العباسيِّ المسعوديُّ في «مروج الذهب» (٤/ ٢٣١)، وابنُ الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٣٣٨)، وابنُ الأثير في «الكامل في التاريخ» (٧/ ٨٩)، لكن ابنَ الأثير عاد فنسبهما في (٧/ ١٠٥) لوزيره محمد بن رائق، وذكر أنها تقدّمت نسبتهما للراضي، ونسبهما ابنُ وكيع في «المنصف للسارق والمسروق منه» (١/ ٣٤٥) لابن دريد الأزدي.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» (٣٨٢١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٣٧) عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: استأذنت هالةُ بنت خويلدٍ أختُ خديجةَ على رسول الله ﷺ، فعرفَ استئذان خديجةَ، فارتاع لذلك، فقال: «اللهم هالة». قالت: فغِرتُ... الحديثَ.

(٥) في (م): «بدعاء».

(٦) البيتان لمجنون ليلى في خبر رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨٣٧)، وذكره ابن قتيبة في =

ومنها: أن يستَدعيَ سماعَ اسم محبوبه[١]، ويستَلذَّ الحديثَ في أخبارِه وأشعارِه، ويُحِبَّ أهلَ محبوبه وقَرابتَه، وغِلْمانَه، وجيرانَه، ومَن ساكَنَه.

وأنشَدوا [من الطويل]:

فيا ساكني أكناف دجلة كلكم ... إلى القلب[٢] من أجل الحَبيب حَبيب

وهذا من كمال المَحبّة؛ فإن الحُبَّ إذا كمُل وغلَب تعدّى إلى كل مَن هو مِن المحبوب بسبَب؛ حتى يُحِبّ مُحِبَّ[٣] محبوبه، ومحبوبَ محبوبِه، بل يُميِّزُ بين الكلبَ[٤] الذي يكون في سِكّة محبوبه، وبينَ سائر الكِلاب[٥]، ويُحسِن إليه، ويألَفُ به[٦].

وأنشَدوا [من الوافر]:

رأى المجنونُ[٧] في البَيداء كلباً ... فجَرَّ له منَ الإحسان ذَيْلا

فلاموهُ على ما كانَ منهُ ... وقالوا: لِمْ مَنحَتَ[٨] الكَلْبَ نَيْلا

= «الشعر والشعراء» (٢/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨)، وهما في «ديوانه» (ص١٢٤).

(١) «سماع اسم محبوبه» سقط في (م).

(٢) رواية البيت في (م): «هيجت من واد بكل تحية لأنك من أجل الحَبيب حَبيب». وهو والعلامة في «ديوان الصبابة» (ص١٥) غير منسوب.

(٣) في (م): «يجيب المحبُّ».

(٤) في (م): «الطالب».

(٥) في (م): «الطلاب». ويُنظر: «الأربعين في أصول الدين» للغزالي (ص٩٣).

(٦) في (م): «ويألفه».

(٧) في (ق): «والمحبوب».

(٨) في (م): «أقلت».

فقــال: دَعُــوا المَــلامَ؛ فــإنَّ عَيني رأتْــهُ مــرّةً فــي حــيٍّ ليلــى[(١)]

ومنها: حُبُّ كلِّ مَن أشبَهَ محبوبه، ولو في الهيئة واللباس.

وأنشَدوا [من الوافر]:

أُحِــبّ لِحُبِّهــا السُّــودانَ حــتّى أُحِبّ لِحُبِّهــا سُــودَ الــكلابِ[(٢)]

ومنها: تقبيلُ الجدارِ وآثارِ المحبوب.

وأنشَدوا [من الوافر]:

أمُــرُّ علــى الديــار ديــار لــيلى أُقَــبِّلُ[(٣)] ذا الجِــدارَ وذا الجِــدارا

ومــا حُــبُّ الدِّيــار شــغَفنَ قَــلبي ولكنْ حُــبُّ مَــن ســكَنَ الدِّيــارا[(٤)]

ومنها: الانقيادُ للمحبوب في جميع ما يختارُه، فلا[(٥)] يَعصي له أمراً، بل يكونُ سَميعاً مُطيعاً.

وأنشَدوا [من الكامل]:

تَعصــي الحَبيــبَ وأنــت تُظهِــرُ حُبَّهُ هــذا ـ لعَمْــريْ ـ فــي القِيــاسِ بَديــعُ

---

(١) نُسبت الأبيات لمجنون ليلى في «التشويق إلى البيت العتيق» للطبري (ص٣٠)، وليست في «ديوانه».

(٢) طرف البيت في (م): «حببت محبها»، ورواه غيرَ منسوب في خبرٍ السراجُ في «مصارع العشاق» (٢/ ٣٦)، ومن قبلِه لم ينسبه ابنُ قتيبة في «عيون الأخبار» (٤/ ٤٣).

(٣) في (ق): «أحيِّ».

(٤) نسبهما اليوسي في «المحاضرات في اللغة والأدب» (١/ ٤١) لمجنون ليلى وهما في «ديوانه» (ص١٣١).

(٥) في (ق): «فلا».

لــو كان حُبُّــكَ صادِقــاً لأطعتَــهُ   إن المُحِــبَّ لِمــن يُحِــبُّ مُطيــعُ[١]

ومنها: أن يُحِبَّ كلَّ ما كان المحبوبُ به مشغوفاً، فإن كان المحبوبُ مشغوفاً بالعلم اجتهد المُحِبُّ في طلب العلم أكثَرَ من اجتهادِه، وإن كان مَشغوفاً بالنَّوادر والحكايات الحِسان والأخبار المُستَحسَنة بالَغَ في حفظِها، وإن كان مشغوفاً بحِرفة أو صناعةٍ اجتَهد في تعلُّمها[٢]؛ إن أمكنه ذلك.

فعَلى هذا؛ فالمَحبّةُ النافعةُ والعِشْقُ[٣] الممدوحُ أن يقَع الإنسان في عشقٍ كاملٍ، وحُبٍّ فاضِل[٤]، والبليّةُ ـ كلُّ البليّة ـ أن يُبتلى الإنسانُ بمَحبّة فارغٍ بطّالٍ من كلِّ خير، فيحملُه حبُّه على التَّشبُّه به[٥]، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم[٦]، ومن أَحَبَّ قوماً حُشر معهم[٧].

---

(١) أخرجَ البيتين ـ ولهما ألفاظ مختلفة ـ ابنُ عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١٣/ ٣٧٩) للحسن بن محمد بن الحنفية، وأخرجهما ابنُ عساكر لعبد الله بن المبارك (٣٢/ ٤٦٩)، وذكرهما له الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٥٠٧)، وأخرجهما ابن عساكر أيضاً لرابعة العدوية (٦٩/ ١١٨).
ويُنسبان لمحمود بن الحسن الورّاق في «الكامل» للمبرد (٢/ ٥١٣)، و«الإعجاز والإيجاز» للثعالبي (ص١٧٩)، وهما في «ديوان الوراق» (ص٢٢٧) ضمن الشعر الذي نُسِبَ له ولغيره، ورجح جامعُ الديوان أنه له.
وهما للورّاق أو للإمام الشافعي ـ على الشكّ ـ في «بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٣٩٥)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح المقدسي (ص١٠٦)، وهما كذلك في «ديوان الشافعي» (ص٧٨).

(٢) في (ق): «تعليمها».

(٣) زاد في (ق): «النافع».

(٤) في (م): «ومَحبّة فاضل». وسياقه في «ديوان الصبابة» (ص١٧ ـ ١٨) بنحوه، وله هنا تتمة حسنة: «يحمله على طلب الكمال».

(٥) يُنظر: «ديوان الصبابة» (ص١٨).

(٦) كما في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً في «سنن أبي داود» (٤٠٣١).

(٧) كما في حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ في «المعجم الأوسط» (٦٤٥٠)، و«المعجم الصغير» =

ومنها: كثرةُ غَيرتِه عليه، ومَحبّةُ القتل والموتِ دونَه[1]؛ ليبلُغَ رِضاه.

ومنها: الإنصاتُ لحديثه إذا حدَّث، واستِعذابُ[2] ما يأتي به وإن كان[3] عينَ المُحال، وتصديقُه وإن كذَب، وموافَقتُه وإن ظلَم، والشهادةُ له وإن جار؛ لهذا ردَّ كثيرٌ من العلماء شهادةَ العاشِق لمعشوقه[4]، واتّباعُه كيف[5] سلَك، والإسراعُ بالسَّير نحو المكان الذي يكونُ فيه، والتعمُّد للقُعود بقُربه[6]، والدُّنوّ منه، والتُّباطُؤ في القِيام من عندِه[7].

وأنشَدوا [من البسيط]:

أرى الطريقَ قَريباً حينَ أسلُكُهُ ... إلى الحَبيب، بَعيداً حينَ أنصَرِفُ[8]

ومنها: بذلُ نفسِه، والتكرُّم بها دونَ من يُحِبُّه ويهواه، وانتِحالُ أعضائه في

= (٢/ ١١٤): قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث هنَّ حقٌّ: لا يجعل اللهُ من له سهمٌ في الإسلام كمن لا سهمَ له، ولا يتولى الله عبد فيوليه غيره، ولا يحبُّ رجل قوماً إلا حُشر معهم». قال في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٠): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن ميمون الخيّاط، وقد وثق.

(١) سقط في (م) قوله: «دونه».

(٢) في (ق): «واستغراب».

(٣) سقط في (م) قوله: «كان».

(٤) من قوله: «لهذا رد» إلى هنا ليس في (ق).

(٥) في (م): «فيه».

(٦) «والتعمد للقعود بقربه» سقط في (م).

(٧) يُنظر: «ديوان الصبابة» (ص١٨).

(٨) نسب هذا البيتَ ابنُ عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٨١٩) للعباس بن الأحنف، وهو في «ديوانه» (ص١٨٩) يتيماً، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٧٦) لأبي بكر الشبلي ثاني اثنين.

حبِّـه وهـواه، ولصُـوق القلب في داخِل حشـاه، وذُبُولـه حتى لا يسـتطيعَ أن يُجيب مَن نـاداه[١].

وأنشَدوا[٢] [من الطويل]:

ولــما ادّعيــتُ الحُــبّ قالــت: كذبتَني فمـا لـيَ أرى الأعضـاءَ منك كَواسِـيا

فما الحُبُّ حتى يلصقَ[٣] القلبُ بالحَشا وتـحـرَضَ حـتـى لا تُجيبَ المُنادِيا[٤]

وحُكي: أن إبراهيم بن المهديِّ دخَلَ على المأمون ـ وكان إبراهيم جَسيماً ـ فقال له المأمون: يا عمّ، ما أظنُّكَ عشقتَ قطّ! قال له: لِمَ؟[٥] قال: لِنَقاء جسمِك، ولصَفاءِ لونِك[٦]، وهذه غيرُ صفةِ العاشِق، فأجابَه إبراهيمُ في المجلِس مُرتجِلاً يقول [من المنسرح]:

وقائـلٍ: لَسـتَ بالمُحِـبِّ، ولَـو كُنتَ مُحبّـاً لذُبـتَ[٧] مِـن زَمَـنِ

(١) من قوله: «وأنشدوا: أرى» إلى هنا في (م).

(٢) تحرف البيت في (ق) إلى: «ولما ادعيت منك كؤوساً وما الحُبّ حتى يلصق بالحشا»، ثم سقط من هنا إلى نهاية قصة المامون وعمه.

(٣) في (م): «ينطق».

(٤) ذكر الأصبهانيُّ في «الزهرة» (ص٩٢) أنه قد أنشدتهُ البيتَين أم حمادة الهمدانية، وقد تمثّل بهما السري السقطيّ كما ذكر القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤٩٠)، وروى ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ١٩٥) من غير وجه، وذكرهما ابنُ حجّة الحموي في «خزانة الأدب» (١/ ٤٢٤) في يائية المجنون، وثانيهما في «ديوانه» (ص٢٤٢).

(٥) في (م): برسم «رمح».

(٦) زاد في (م): «ولحلو لونك».

(٧) في (م): «لهزلت»، وصدر البيت فيه: «وقالَ لي: لستَ مُحبّاً ولو»، والتصويب من الخبر في «الموشى» للوشّاء (ص٦٣)، وفيه بيتٌ مُقْوىً يتلو هذا البيت:

=

نعـم تحـبُّ رُوحـي ومـا دَرى بدَني ولـو دَرى مـا أقـامَ فـي السِّـمَنِ

ومنها: الانبساط الزائدُ الكثير، والتَّضايقُ في المكان الواسِع، والمجاذبة[١] على الشيء يأخُذُه أحدهما، والتَّعمُّد لِلَمسِ[٢] اليد عند المحادثة، ولَـمسُ ما أمكَن[٣] من الأعضاء الظاهرة، وشربُ ما أبقى[٤] المحبوبُ في الإناء[٥]، وعدمُ قُدرته على العِتاب هَيبةً وحَياءً.

وأنشَدوا [من الخفيف]:

سـيِّدي علِّـلِ الفـؤادَ العَـلـيـلا وَاحْيِنِي قبـلَ أن تَرانـي قَتيلا[٦]

كلَّمـا رُمـتُ جَلسـةً لـعِـتـابٍ أخَذَتْني العُيـونُ[٧] أخْـذاً وَبيلا

هـل سَبيـلٌ إلى رِضـاكَ وإلّا مـا أرى لي إلى الحياة[٨] سـبيلا

إن تكُن عازِماً على قَبضِ رُوحي فـتـرفَّـقْ[٩] بـهـا قَـلـيلاً قـلـيلا

= فقلـتُ: قلبـي مُكاتِـمٌ بـدَنـي حُـبّي، فالحـبُّ فيـه مُختَـزَنُ

(١) في (ق): «والمجانسة».

(٢) في (م): «من».

(٣) في (ق): «ما له مكن».

(٤) في (ق): «بقّى».

(٥) يُنظر: «ديوان الصبابة» (ص١٦).

(٦) في النسختين: «فيك قد تراني»، وفي (ق): «خليلا»، والتصويب من «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ١٨٦) حيث ذكر هذا البيتَ والبيت الأخيرَ لشرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الحنبلي (٥٣٠هـ).

(٧) في (ق): «يأخذني العتاب».

(٨) في (م): «أرى في الحياة»، وأول العجز في (ق): «ما أدري».

(٩) في (م): «فترافق»، وفي (ق) في صدر البيت: «قتل روحي».

ومنها: الاتفاقُ الواقعُ بين الحُبِّ ومحبوبه، لا سيّما إذا كانت المَحبّةُ مَحبّةَ مشاكَلةٍ ومناسَبة، فكثيراً ما يتكلّم المحبوبُ بكلام ـ أو يريدُ أن يتكلّم به ـ فيتكلّمُ المُحِبُّ به بعينِه، وكثيراً ما يمرضُ المُحِبُّ لمرَض محبوبه(١)، ويَشفى لشفائه.

وأنشَدوا [من مجزوء الكامل]:

مَــرِضَ الـحَـبـيــبُ فــزُرتُهُ   فمَرِضتُ مِــن وجَلـي علَيــهِ
شُــفِيَ الحَبيـــبُ فَـزارنـــي   فشُفيتُ مِــن نظَــري إلَيــهِ(٢)

ومن هذا قولُ عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ: وا رأساهْ(٣)، فقال ﷺ: «بل أنا وا رأساهْ»؛ لأنها(٤) كانت حَبيبتَه، بل أَحَبَّ النِّساء إليه على الإطلاق، فلما اشتكَت إليه ألـماً بها(٥)، أخبرَها أنَّ بمُحِبِّها(٦) من الألم مثل الذي بها.

وهذا غايةُ الموافقة بين المُحِبّ والمحبوب، يتألّم بألَـمِه(٧)، ويُسرُّ بسروره، حتى إذا آلَمَهُ عُضوٌ من أعضائه آلم المُحِبَّ ذلك العُضوُ بعَينِه، وهذا مِن صدق المَحبّة، وصَفاءِ المَودّة.

---

(١) يُنظر: «ديوان الصبابة» (ص١٧).

(٢) طرف البيت في (م) بزيادة واو، وروى البيهقي البيتين للإمام الشافعي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٩٣)، وذكر الغزاليُّ في «الإحياء» (٢/ ١٨٨) أنهما للإمام في محمد بن عبد الحكم، وهما في «ديوان الشافعي» (ص١٢٨).

(٣) في (ق): «فا رأساه». وكذا سياق رواية الحديث في «سنن ابن ماجه» (١٤٦٥) بإدخال «يا عائشة» فيه، والحديث في «صحيح البخاري» (٥٦٦٦) بسياق فيه اختلاف.

(٤) في (م): «لكنها».

(٥) في (ق): «ألم بها»، وفي (م): «إليه رأسها».

(٦) في (ق): «أن به».

(٧) في (م): «بتألمه»، وفيها في صدر الفقرة: «وهذه».

وحُكي عن بعض المُتَحابّين: أنهما ركبا في البحر، فسقَطَ أحدُهما في البحر، فألقى الآخَرُ نفسَه عليه، فنزل الغوّاصونَ فأخرَجوهما سالِمَين، فقال[1] الأولُ لصاحبِه: أما أنا فسقطتُ قَهراً عليَّ، وأما أنت فلِمَ[2] رمَيتَ نفسَك في البحر، فقال له[3]: أنا غبتُ بك عنّي، فتوهّمت أنّك إنّي.

وأنشَدوا [من المجتثّ]:

لمّا تَقَرَّبتَ منّي أبعَدتَ[4] عنّي التَّجنّي
أدنَيتَني مِنكَ حتّى ظَنَنتُ[5] أنَّك أنّي

وأنشَدوا[6] [من مجزوء البسيط]:

أشارَ سِرّيّ إليكَ حتى فنيتُ عنّي ودُمتَ أنْتا
مَحَوْتَ اسْمِيْ وَرَسْمَ جِسْمي سُئلْتُ[7] عنّي، فقلت: أنْتا

وقال بعضُ العارفين: للمُحِبِّ ثلاثُ علامات: أن يكون كلامُه ذكراً للمحبوب، وصمتُه فِكراً[8] فيه، وعمَلُه طاعةً له، حتى قال بعضُهم: من علامة

---

(١) قوله: «فقال» سقط في (م)، وفيها قبله: «فأخرجهما».

(٢) في (ق): «لم»، وليس فيها: «أما».

(٣) قوله: «له» ليس في (م). ويُنظر: «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» لابن غانم المقدسي (ص١٦).

(٤) في النسختين: «وأبعدت»، والواو تكسر الوزن، وفي (م) في صدر البيت: «قربت».

(٥) في النسختين: «توهمت»، وهي تكسر الوزن، والتصويب من «ديوان الحلاج» (الأعمال الكاملة) (ص٣٢٥) في أبيات ليس فيها البيت السابق.

(٦) «وأنشدوا» ليس في (ق).

(٧) في (م): «فسئلت». والبيتان في أبيات في «ديوان الحلاج» (الأعمال الكاملة) (ص٢٩٦).

(٨) في (م): «فكر»، وفيها قبله: «ذكر المحبوب».

المُحِبِّ دوامُ ذِكرِ المحبوب[1]، وقال بعضُهم: على عدَد الأنفاس.

وقال بعضهم: علامة المُحِبّين كثرةُ الذِّكر[2] على طَريق الدَّوام، لا ينقَطعون[3]، ولا يمَلُّون، ولا يفتُرون[4].

وأجمع الحُكماءُ على أن من أحَبَّ شيئاً أكثَر من ذِكرِه[5]، فذكرُ المحبوب هو الغالب على قلوب المُحِبّين، لا يُريدون به بدَلاً، ولا يَبغُون عنه حِوَلاً، ولو قُطعوا عن ذكر محبوبهم لفَسَد عيشُهم، وما تلذَّذَ المتلذِّذون بشيء ألذَّ من ذِكر المحبوب، فالمُحِبّون قد اشتَغلَت قلوبُهم بذِكرِ المحبوب عن اللَّذّات، وانقَطَعت أوهامُهم عن عارضِ دواعي الشَّهَوات[6].

وأنشد مجنون بني عامرٍ فقال[7] [من الطويل]:

ولو أنَّ ما بي بالحَصى[8] فلَقَ الحصى ... وبالرِّيحِ لم يُوجَدْ لَهُنَّ هُبُوبُ

ولو أنَّ أنفاسي أصابَتْ بِحَرِّها ... حَديداً إذاً ظَلَّ الحَديدُ[9] يَذُوبُ

---

(١) في (م): «الذكر للمحبوب».

(٢) من قوله: «وقال بعضهم على» إلى هنا سقط في (م).

(٣) في (م): «يكلون».

(٤) في (ق): «يفترقون». ونسب الزبيدي هذا القولَ في «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ١٢٣) للمحاسبي في «الرعاية»، ولم أهتد إلى قوله فيه، والله أعلم.

(٥) ذكر البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٩) لمالك بن دينار قال: علامة حبّ الله دوامُ ذِكره؛ لأن من أحب شيئاً أكثَرَ ذِكرَه.

(٦) من قوله: «المتلذذون» إلى هنا ساقط في (ق)، وفيها قبل السقط «يتلذذ».

(٧) في (م): «وأنشدوا». والأبيات في «ديوان مجنون ليلى» (ص٤٥ ـ ٤٦) في قصيدة مطوّلة.

(٨) في (م): «من أسى».

(٩) في (ق): «الحبيب»، وأول العجز في (م): «حدائداً».

ولــو أنّنــي أســتَغفِرُ الله كـلَّـمـــا ذَكَرتُكِ لــم تُكتَــبْ علَــيَّ ذُنُــوبُ

وقال بعضُهم: من علامة المَحبّة[١] الشَّوقُ إلى لقاء المحبوب؛ إذ كلُّ حَبيب يُحِبُّ لقاء حَبيبه، والتلذُّذُ بكلامه؛ إذ من المعلوم أن من أحَبَّ محبوباً كان كلامُه أحَبَّ شيء إليه، وكيف لا يلتَذُّ المُحِبّ بذِكر محبوبِه[٢] الشريف، ويضطربُ عند سماع اسمِه المُنيف؟

وقد يُوجب له ذلك سُكراً، ويستَغرق قلبَه ورُوحَه وسَمعَه، فعند ذلك يتسلّى[٣] المُحِبّ عن المصائب، وعما يحصل له من الذّلّة[٤] والهَوان، ويجد في لذّة المَحبّة ما يُنسيه المصائب وغيرِها، فلا يجِدُ منها ما يجِدُه غيرُه[٥]، حتى كأنه قد اكتَسَب طبيعةً ثانيةً ليست طبيعةَ الخلق! بل[٦] يَقوى عليه سُلطانُ المَحبّة حتى يلتَذَّ بكثيرٍ من المصائب أعظَمَ من التذاذِ الخَليِّ[٧] بحُظوظه وشهَواته، والذَّوقُ والوُجودُ شاهد[٨] بذلك.

فكَربُ المَحبّة ممزوجٌ بالحلاوة، فإذا فَقد تلك الحَلاوةَ اشتاقَ إلى ذلك الكرب، فتَمنّى رُجُوعَه بخُصوصِه[٩] معَ زيادة المَحبّة؛ لتزيدَ لذَّتُه وتتضاعَف.

---

(١) في (م): «المحب»، و«من» في أول القول زيادة منها.

(٢) زيد في (ق) خطأً: «وهو غاية مطلوبه؟! ولذلك. وقال بعضُهم: من علامة المَحبّة أن يتلذذ المُحِبّ بذكر محبوبه».

(٣) في (ق): «يبتلى».

(٤) في (م): «اللذة».

(٥) «غيره» سقط في (م).

(٦) في (م): «ما».

(٧) في (م): «أعظم من التذاذه».

(٨) في (م): «شاهدان». يُنظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٣٨).

(٩) في (م): «فينتهي له بخصوص».

وأنشَدوا [من الطويل]:

تَشكَّى المُحِبُّون الصَّبابةَ ليتَني ... خُصصتُ بما يَلقَون مِن بينِهم وَحْدي[1]

فكانت لقَلبي لذَّةُ الحُبِّ كُلُّها ... فلَم يَلقَها قَبلي[2] مُحِبٌّ ولا بعدي

[حال المحبّ عند غلبة الوجد]

وأما حال المُحِبِّ عند غلبة الوَجْد؛ فاعلم أن المُحِبَّ إذا زاد عليه الوَجْدُ والغَرام والشَّوقُ والحُبُّ ربّما[3] يعرِضُ له السُّكر حتى يصيرَ في سَكرةٍ أعظَمَ من شارب الخمر.

ولهذا قال بعضُهم: المُحِبُّ لم يزَل سَكرانَ في خُمارِه، حيرانَ[4] في شرابِه، لا يخرُج من سَكرة إلا إلى حَيرة، ولا من حَيرة إلا إلى سَكرة[5]، ويجدُ في ذلك من اللَّذّة ما[6] لا يوصف، لا سيما السُّكر الحاصلُ عند المشاهدة.

وأنشَدوا [من البسيط]:

فأسكَرَ القَومَ دَوْرُ الكأسِ بينَهُمُ ... لكنَّ سُكري نَشَا مِن رُؤيةِ السّاقي[7]

---

(١) في النسختين: «وجدي»، وقبلها في (م): «من دونهم».

(٢) في (م): «قلبي»، وفيها في صدر البيت: «لذة المحب». والبيتان في «ديوان الحماسة» (بشرح المرزوقي) (ص٨٨٩) دون نسبة.

(٣) السياق في (ق): «إذا زاد عليه المُحِبّ وغلبة الوَجْد والشوق ربما».

(٤) في (م): «سكراناً» و«حيراناً» وبينهما في (ق): «في جاره».

(٥) ذكره الوتري في «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» (ص٢١) من كلام الشيخ منصور البطائحي، (ت ٥٤٠)، وهو خال الإمام أحمد الرفاعي الكبير.

(٦) قوله: «ما» سقط في (م).

(٧) ذكره ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ١٧) دون نسبة.

وسببُ هذا السُّكر اللَّذَّةُ القاهرةُ للعقل، وسببُ اللَّذّة إدراكُ المحبوب وتصوُّرُه، فإن كانت المَحبّةُ قويةً وإدراكُ المحبوب قويّاً كانت اللَّذّةُ بإدراكه قويةً[١] تابعةً لقوّة هذَين الأمرَين، فإن كان العقلُ قويّاً مستَحكِماً لم يتغيَّر لذلك، وإن كان ضَعيفاً حدَثَ السُّكر المخرِجُ له[٢] عن حُكمِه.

وقد حدُّوا «السُّكرَ» بأنه سقوطُ التّمالُك في الطَّرَب، كأنه يُبقي في السَّكرانِ بقيّةً يلتَذّ بها ويطرَب[٣]، فلا يتمالكُ صاحبُها، ولا يقدرُ أن يَفنى معها[٤].

وقد يكون سببُ[٥] السُّكر قوّةَ الفرَح بإدراك المحبوب؛ بحيث يختلطُ كلامه، وتتغيّرُ أفعاله؛ بحيثُ يزولُ عقلُه ويُعربِدُ[٦] أعظَمَ من [عَربَدةِ] شارِب الخَمر.

وربما قتَلَهُ سُكر الفرَح بسبَبٍ طبيعيّ، وهو انبِساطُ دمِ القلب وَهْلةً واحدةً انبِساطاً غيرَ مُعتاد، والدَّمُ هو حاملُ الحارّ الغَريزي، فيبرُدُ القلبُ بسبَبِ انبِساط الدَّم، فيحدُث الموت[٧].

وهذا أمرٌ معلومٌ مُشاهَد، فقد وقَع ذلك لكثيرٍ من المُحِبّين، فربما يغيبُ المحبوبُ ـ أو المعشوق ـ فيموت المُحِبُّ ـ أو العاشِقُ ـ غمّاً[٨]، وربما نظَر إلى

---

(١) قوله: «قوية» ليس في (ق).

(٢) في (م): «به». ويُنظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٢٩٠).

(٣) في (م): «ويضطرب»، وفيها قبلها: «في الضرب».

(٤) في (م): «يلتذ معها». ويُنظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٥) في (ق): «فسبب».

(٦) في (م): «ويصير».

(٧) يُنظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٢٨٧) والاستدراك منه.

(٨) في (م): «فربما يغيب المعشوق بموت المحب أو العاشق غصاً».

محبوبِه فمات فرحاً، وربما شهَقَ شهقةً غابَت عنه حواسُّه، فيظُنُّون أنه مات، فيدفنونَهُ حيّاً، وربما تنفَّس الصُّعَداء[١].

وربما تزايد الوَجْد، وهاج الحَنين، وباح[٢] الأنين، وتغيَّر اللَّون، واقشعرَّ الجِلد، وربما صاح المُحِبّ، وربما بكى، وربما شهَق، وربما وَلِه، وربما سقَط، وربما زاد الوَجْدُ على المُحِبّ فقتَلَه، وأباحَ دمَه، فصاحَ وَناح، وماتَ فاستَراح[٣].

وأنشَدَ الأستاذُ الأعظَمُ مُحمّد وَفا ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ[٤] [من البسيط]:

إذا أبـاحَ دَمَ الـمـهـجُـورِ هـاجِـرُهُ ... باح[٥] المُحِـبُّ بمـا تُخفـي ضَمائـرُهُ

أيكتُـمُ الـحُـبَّ صَـبٌّ بـاحَ مَـدمَـعُـهُ ... لـمّا جَـرى بالـذي تُخفـي سَـرائرُهُ[٦]

وأنشَدوا[٧] [من الكامل]:

ورَدَ الكتـابُ مـنَ الحَـبـيـبِ بـأنّـهُ ... سَيَزُورُنـي، فاسـتَعبَرتْ[٨] أجفانـي

هَجَـمَ السُّـرورُ علـيَّ حتّـى إنّـني ... مِن فَـرْطِ مـا قـد سـرّني[٩] أبكانـي

(١) في (م): «صعدا». ويُنظر: «ديوان الصبابة» (ص١١).

(٢) في (م): «وزاد».

(٣) في (ق): «وباح ومات واستراح».

(٤) في (م): «وأنشدوا» بدلًا من المذكور.

(٥) في (م): «ناج». والبيتان أوّلا ثمانيةِ أبيات في «المواهب اللدنية» للقسطلاني (٢/ ٦٣٨) ينسبها للشيخ محمد وفا (٧٦٥هـ)، ترجمه الشعرانيُّ ترجمةً حافلةً في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٤٢ ـ ٤٤).

(٦) في (م): «ضمائره».

(٧) قوله: «وأنشدوا» سقط في (م).

(٨) في (ق): «فاستعبر».

(٩) في (ق): «شدة دهشتي».

يـا عيـنُ صـارَ الدمـعُ عنـدَكِ عادةً تبكيـن فـي فـرَحٍ وفـي[(١)] أحـزانِ

وقد تكلّم على هذا المقام جماعاتٌ[(٢)] من الصُّوفيّة، فقال بعضُهم: المَحبّةُ إذا ظهَرَت افتُضِح فيها المُحِبّ، وإذ كُتِمت قتلَتِ المُحِبَّ كمداً[(٣)].

وقال بعضُهم: المَحبّةُ إذا مازجَتِ الأرواحَ طارَت، وإذا لابسَتِ الأفكارَ حارَت، وإذا خالطَتِ[(٤)] العقولَ دُهِشت.

وقال ماجد الكردي[(٥)]: نار الهيبة تذيب القلوب، ونار المَحبّة تذيب الأرواح، ونار الشَّوقِ تُذيب النفوس.

وقال الشيخُ أبو مَديَن[(٦)]: القريبُ مسرورٌ بقُربِه، والمُحِبّ مُعذَّبٌ في حُبِّه، ومن لم يخلَعِ العِذار[(٧)]، لم تُرفَع له الأستار.

---

(١) في (م): «من فرح ومن». وقد نسب المستعصمي البيتين الأخيرين في «الدر الفريد» (٧/ ١٣٠) إلى الوزير أبي شجاع، وذكر أنه ضمنهما آخرُ شعرَه، وذكر الأول.

(٢) في (م): «جماعة».

(٣) ذكره السلمي في «طبقات الصوفية» (ص٣٨٠) لأبي محمد عبد الله بن محمد الراسبي البغدادي (ت٣٦٧هـ).

(٤) في (م): «خالطته»، وقبلها في (ق): «حاطت». وذكر هذا القولَ الشعراني في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣٩) للشيخ عزاز بن مستودع البطائحي.

(٥) الشيخ أبو محمد ماجد الكردي، ترجمه الشعراني في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، ووصفه بأنه من أعيان مشايخ العراقَين، وصدور المقرَّبين، وأئمة المحقِّقين، وانعقد عليه إجماعُ المشايخ بالاحترام والتعظيم، (ت٥٠١هـ)، وذكر هذا القول له.

(٦) الشيخ أبو مدين شُعيب المغربي، ترجمه الشعراني في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧)، ووصفه بأنه من أعيان مشايخ المغرب، وصدور المربّين، توفي بعد (٥٨٠هـ)، وذكر هذا القول له مفرَّقاً.

(٧) في (ق): «الأعذار».

وقال سيدي إبراهيم الدُّسُوقيُّ: كلُّ مَنِ[١] ادّعى الحُبَّ ولم يُفنِه الحُبُّ فهو لا شيء.

ورُئي مجنونُ بني عامر بعدَ موته في المنام، فقيل له: ما فعَلَ اللهُ بك؟ قال[٢]: غفَر لي، وجعَلَني حُجّةً على المُحِبّين.

وسئل أبو حمزةَ البغداديُّ: هل يتفرغ المُحِبُّ لشيءٍ سِوى محبوبِه؟ فقال: لا! لأنّ[٣] المُحِبَّ في بلاءٍ دائم، وسرورٍ منقطِع، وأوجاعٍ متّصلَة، لا يعرفُها إلا مَن ذاقَها، انتهى[٤].

قلتُ: وكيف يتفرَّغ من بُلي بعطَشٍ[٥] لو بُليت به البلاد والشَّجَر، لم ترْوَ بالمطَر، ولو ذاقَتهُ[٦] الأرضُ لاشتَغَلَت أشجارُها عن الثَّمَر، ولولا أن المُحِبَّ أقوى من الحَديد[٧] وصُمِّ الحَجَر، لـمَا كانَ له رسمٌ ولا أثَر!

---

(١) في (م): «ما»، وقبلها فيها: «الدسهوقي».

وهو الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز أبو المجد، الدسوقي، نسبة إلى مدينة دسوق في مصر، إليه تنسب الطريقة الدسوقية. (ت٦٩٦هـ). ترجمه الشعرانيُّ في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٩٤ ـ ٣٢١)، وذكر هذا القول له.

(٢) في (م): «فقال». وقد ذكرتُ هذه الرؤيا في كتابي «من رُئيَ بعدَ موتِهِ فَسُئِلَ: ما فعَلَ اللهُ بكَ؟» (ص٢٥) عن «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي (٤/ ٥٠٩).

(٣) في (ق): «إن».

(٤) ذكره له الشعراني في ترجمته في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٨١).

(٥) في (م): «بلاء يعطش».

(٦) في (م): «ذاقت».

(٧) في (م): «الحديد».

وأنشَدوا[١] [من البسيط]:

إن البلادَ وما فيها من الشَّجَرِ ... لو بالهوى عَطشَتْ لم ترْوَ بالمَطَرِ

لو ذاقتِ الحُبَّ أرضُ الله لاشتَغَلَت ... أشجارُها بالهوى فيها عن الثَّمَرِ

ليس الحديدُ ولا صُمُّ الجبالِ ـ إذا ... فكَّرتَ ـ أقوى على البَلْوى منَ البَشَرِ

وأنشَدوا [من الكامل]:

بلَغَ الهوى في قلبِيَ المجهُودا ... والحُبُّ أخْلَقَني وكنتُ جَديدا[٢]

يا عاذِلي، لو ذُقتَ مِن أَلَمِ الهوى ... لوَجَدتَهُ صَعباً[٣] عليكَ شَديدا

ولجَميلِ بن مَعمَر[٤] [من الكامل]:

قد كنتُ أسمَعُ بالمُحِبّ وشَجوِه ... فأظَلُّ منه عاجِباً أتفكَّرُ[٥]

حتّى بُلِيتُ بحُبِّكُم فوَجَدتُهُ ... مُرّاً، ولم أكُ قَبْلَ ذلِكَ أشعُرُ

فاليومُ أعذُرُ كل متن أثبَتُّهُ ... صبّاً ومَن ذاقَ الهوى يستَشعِرُ[٦]

---

(١) في (ق): «وأنشد مجنونُ بني عامر فقال». وقد ذكر الأبياتَ الوتري في «روضة الناظرين» (ص٢٢) للشيخ منصور البطائحي.

(٢) في (م): «جديداً»، وقبلها فيها: «أقلقني».

(٣) في (م): «صباً». ولم أجد البيتين.

(٤) في (م): «معن». ولم أجد الأبيات في «ديوانه» ولا منسوبَين له، ووجدتُ الأوَّلَين في «كنز الكتاب» للبونسي (٢/ ٦٨١ ـ ٦٨٢) لامرأة.

(٥) في (م): «متفكر»، وطرف البيت فيها: «لو»، وفي (ق): «أسمع بالحب وذكره».

(٦) ليس هذا البيت في (م).

وأنشَدَ ابنُ الرُّوميِّ، فقال[١] [من البسيط]:

الحُــبُّ داءٌ عــظيــمٌ لا دواءَ لَـهُ ... تَــضِلُّ فيــه الأطِبّــاءُ النَّحاريــرُ

قد كنتُ أحسبُ أنّ الواصِفِينَ غَلَوا[٢] ... فــي وصـفِــهِ، فــإذا بــالقَومِ تَقصيرُ

وأنشَدوا [من الوافر]:

ومـا فـي الأرْضِ أشْـقَى مِـنْ مُحِبٍّ ... وإنْ وَجَـدَ الهَـوَى حُلْـوَ المَـذاقِ

تــراهُ باكِيــاً فــي كلِّ حِيــنٍ ... مَخافَــةَ فُرقَــةٍ أو لِاشْــتِياقِ

فيَبْكــي إنْ نــأَوْا شَــوْقاً إلَـيْهِــمْ ... ويَبْكي إنْ دَنَــوْا خَــوْفَ الفِــراقِ[٣]

قلـتُ: وبالجُملـة؛ فالـكلامُ علـى هذا الحـال والمقـام، مما يطـولُ ذِكـرُه على الأنـام، وقـد اشـتهرَ وذاع، ولو رامَ أحدٌ أن[٤] يفِيَ بالكلام عليه لَـمَا اسـتَطاع، وكيف يقـدرُ يفـي بالـكَلام علـى بحرٍ ليس لـه قَـرار، ونهرٍ لا يُـدرَكُ لـه تَيّـار، ومَقـامٍ ليس للمُبتَلـى به[٥] عنـهُ اصطِبار، وسُـلطانٍ تحكَّم وَجـار، وقتَلَ نفوسَ الأخيـار، ولـم يَزِنْ من دِيَتِهـا[٦] ولا رُبـعَ دِينار!

---

(١) في (م): «وأنشدوا». والبيتان لابن الرومي في «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٣٠٦)، ولهما ثالثٌ في «ديوانه» (٣/ ٩٩٣).

(٢) قوله: «غلوا» سقط في (م)، وسقط في البيت الأول في (ق) قوله: «عظيم».

(٣) هذه الأبيات وقبلها قوله: «وأنشدوا» ليست في (ق).

وهي في «ديوان الحماسة» بشرح المرزوقي (ص٩٣٧) غير منسوبة، ونسبها الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص٨٤) لنصيب بن رباح، وهي في «شعره» (ص١١١).

(٤) في (م): «ولو أراد أن».

(٥) قوله: «به» ليس في (ق).

(٦) في (م): «ولم يبرز ثديها».

وأنشَدوا [من الكامل]:

يـا مَـن يُـهَـدِّدُني بِـيَـومِ فِـراقِ ... قُل مـا تشـاءُ فَلَسـتُ بَعـدَكَ بـاقِ

هَيهـاتَ أرجُـو مِـن هَـواكَ سَـلامةً ... أم هَـل يُفَـكُّ مِـن الغَـرامِ[١] وِثاقـي

إنّـي أبِيـتُ لَديـغَ حُبِّـكَ فـي الهوى ... فَـامـنُنْ علَـيَّ بِخالِـصِ التِّرْيـاقِ[٢]

قـد ذُقـتُ طَـعْـمَ حَـلاوةٍ ومَـرارةٍ ... وعَـلِمتُ كَيـفَ مَصـارِعُ العُشّـاقِ

*** لطيفة:**

هـذا الـذي قرَّرنـاه مـن الـكلام علـى حالـة المُحِـبِّ والعاشِـق إن كان ذلـك الحُـبُّ ربانيّـاً، والعِشـق رحمانياً[٣]، فيـا حبَّذا ذاك، ويـا طِيبَ[٤] ما هنـاك! وإن كان نزغة شـيطانية، وشـهوة نفسـانية، فبئسَ ذاك، وما أقبَـحَ ما هناك[٥]، فهو إن[٦] سـكِرَ فـي هـذه الحالـة، وصـدَرَ منـه ضَلالـة، فهـو مؤاخَـذٌ بهـا، مُعاقَـبٌ[٧] بسَـبَبِها؛ لأن سُـكرَه نشـأ عن سـبَبٍ مُحرَّم.

قال العلّامة الوليُّ العِراقيُّ: هو مُلحَقٌ[٨] بشُرب الخمر، وليس لصاحبِه عذرٌ يعتَذِرُ به، ولا حُجّةٌ يُقيمُها.

---

(١) في (ق): «الفراق».

(٢) في (م): «الدرياق».

(٣) في النسختين: «وعشق رحماني»، وقبلها في (ق): «رباني».

(٤) في (ق): «فياحبذاك ويا أطيب»، وفي (م): «فياجنداك».

(٥) من قوله: «وإن كان» ليس في (م)، وفي الأُخرى: «أنزغة» و«فبين»، وصوّبتُ.

(٦) في النسختين: «وإن».

(٧) في (ق): «معاتب»، وقبلها في (م): «عنها».

(٨) في (م): «يلحق»، وليس فيها قوله: «هو».

مثالُ ذلك: أنه من شرِبَ الخمر وسكِر وحصَلَ منه جنايةٌ في حقِّ أحَد، أو عَربَدةٌ[(١)] على غيرِه، فأتلَفَ شيئاً أُخذ به؛ لأن الذي أزال عقلَه سببٌ[(٢)] محرَّمٌ أدخَلَهُ على نفسِه راضياً غيرَ مُكرَه، معَ علمِه ـ قبل أن يشرَبَه ـ أنه يُؤدي به الحالُ إلى هذا، وإذا اعتذَرَ وقالَ: لم أعِ[(٣)] ما قلتُ، ولا كان لي عقلٌ أُميِّزُ به! قُلنا له: أنتَ فرّطتَ حتّى شربتَ!

ولهذا جنَحَ العلماءُ إلى مُؤاخَذة السَّكران بما يصدُر منه من طَلاق وعِتاق وجِناية، بخِلاف مَن يزولُ عقلُه بخلطٍ سَوداويٍّ أو رُوحانيّ؛ فإن ذلك ليس هو مِن فعلِه[(٤)]، ولا تتسبَّب فيه برضاه، بخلاف العاشِق؛ فإنه [لو] لم ينتَقِلْ بنفسِه[(٥)] في مَراتب العِشْق من مرتبةٍ إلى مرتبةٍ حتى وصَلَ إلى الحدِّ الذي[(٦)] يُؤذيه لم يُصِبْه أذى.

فتقرّر ـ بهذا ـ أنه مُخطئ بما صدَر منه أولاً، وأنه[(٧)] كان ينبَغي له أن يحتاطَ لنفسِه ولا يُورِدَها لِما فيه هلاكُها؛ بسبَب تحكيمِه على نفسِه عِشقَ الصُّوَر المؤدّيةِ له[(٨)] إلى هذا الحال، فهو المفرِّطُ بنفسِه،..............................

---

(١) في (م): «وعربدة»، وقبلها فيها: «وحصلت».

(٢) في النسختين: «بسبب».

(٣) في (ق): «أدع».

(٤) في (م): «ليس له من سببه».

(٥) من قوله: «ولا تسبب» إلى هنا ليس في (ق)، والذي في الأخرى: «ولا تسبب» بتاءين، وصوبت.

(٦) زاد هنا في (م): «لم»، وفيها قبله: «حتى يصل»، وسياقُ مثاله من «فتوى في العشق» لابن تيمية (ص١٨٠ ـ ١٨٢)، والاستدراك منه.

(٧) في (م): «وإن».

(٨) قوله: «له» سقط في (م).

والمُغرِّرُ(١) بها، فإذا هلكَت فهو الذي أهلكَها، وإذا ماتَت فهو الذي قتَلَها؛ فإنه لولا تَكرارُ الذي نظَر إلى وَجه معشوقِه لم تثبُت مَحبّتُه(٢) في قلبِه؛ حتى أدّاه إلى ما أدّاه، فهو الجاني على نفسِه، وأشبَهُ به قولُ القائل [من البسيط]:

إنّـي جَنَيـتُ علـى نَفْسـي فيا أسَـفي كيفَ الخَلاصُ، فَما لـي مَن يُداويها

والله أعلَم.

* * *

(١) في (م): «والمغرور».

(٢) في (م): «مَحبّة»، وقبله فيها: «نظر لوجه».

الباب السابع

في حَقيقة الشَّوق، وهل يزول بالوصال أو يزيد؟ وهل يصحُّ كِتمان المَحبّة؟ وهل يتَصوَّرُ عند تمام[1] المَحبّة هَجْر؟ وهل إعراضُ الحَبيب عن عَداوة؟

[حقيقة الشوق]

وأمّا الشَّوقُ فهو سفَر القلب إلى المحبوب[2].

وقيل: هو هُبوبُ القلب إلى غائبٍ عنه، محبوبٍ له[3].

وقال الجَوهَريُّ في «الصِّحاح»: «الشَّوق» و«الاشتياق»: نِزاع النفس إلى الشيء[4].

وقال حكيم[5]: الشَّوقُ جوهر المَحبّة، والعِشْق جِسمُها.

وقال بعضهم: الشَّوقُ هيَجانُ القلب[6] عند ذِكر المحبوب.

وقال بعضُ أهل الرِّياضة: الشَّوقُ في قلب المُحِبِّ كالفَتيلة في المِصباح، والعِشْق كالدُّهن.

---

(١) في (م): «كتمان»، وليس قوله: «أو يزيد» في (ق).

(٢) يُنظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٥٣)، وليس قوله: «وأما» في (ق).

(٣) في (م): «محبوبه»، وهذا هو قول الهروي في «منازل السائرين»؛ كما في «شرحه» لابن القيم (٣/ ٥٧).

(٤) «الصحاح» (٤/ ١٥٠٤).

(٥) في (م): «بعضهم».

(٦) في (ق): «النفس».

وقال بعضُ أهل التَّحقيق: الشَّوقُ نورُ الشجرة، والعِشْقُ ثمَرتها[١].

وقال ابنُ عطاء الله: الشَّوقُ احتِراق الصُّدور، وتقلُّب القلوب، وتقطُّع الأكباد.

[هل يزول الشوق بالوصال أو يزيد؟]

واختُلف في الشَّوق: هل يزول بالوصال أو يزيد؟[٢].

فقالت طائفة: إنه[٣] يَزول؛ لأنه سفَرُ القلب إلى المحبوب، فإذا وصَل إليه انتَهى السَّفر، وأنشَدوا [من الطويل]:

وألقَت عَصاها واستَقَرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عَيناً بالإيابِ المُسافِرُ[٤]

وقالت طائفة: بل يزيدُ، واستَدلُّوا بقول الشاعر [من الوافر]:

وأعظَمُ ما يكون الشَّوقُ يوماً إذا دَنَتِ الخِيامُ من الخِيامِ

لأن الشَّوقَ هو حرقة المَحبَّة، والتهاب نارها في قلب المُحِبّ، وذلك مما يزيدُه[٥] القربُ والمُواصَلة.

وقال بعض المُحقِّقين: والصوابُ: أن الشَّوق الحادثَ عند اللِّقاء[٦] والمواصلةِ غيرُ الشَّوق الذي كان عندَه في الغَيبة عن المحبوب.

---

(١) هذا القول ليس في (م).

(٢) هذا السؤال سقط في (م).

(٣) قوله: «إنه» ليس في (ق).

(٤) في (ق): «مسافر»، وطرف البيت في (م): «فألقت».

(٥) في (ق): «يزيد».

(٦) في (م): «إلقاء»، وفيها قبلها: «وما الصواب»، وقبلها: «قال بعض».

وأنشَدوا(١) [من الطويل]:

أُعانِقُها والنفسُ بعدُ مَشُوقَةٌ إليها، وهَل بعدَ العِناقِ(٢) تَدانِ

وألثُمُ فاها كي تَزولَ صَبابَتي فيَشتَدُّ ما ألقى منَ الهَيَمانِ

كأنَّ فُؤادي ليسَ يَشفي غَليلَهُ سِوى أن يَرى الرُّوحَينِ تَمتَزِجانِ(٣)

قلتُ: والتحقيقُ ـ الذي عليه أهل التحقيق من أهل المَحبّة ـ أن هناك شوقاً واشتِياقاً.

وقلنا: فالشَّوق يسكُن باللِّقاء والمُواصَلة، والاشتياقُ يزيدُ ويَهيجُ عندَ اللِّقاء والمُواصَلة(٤).

ولذلك؛ لما سُئل أبو علي الدَّقّاق(٥): ما الفرقُ بين الشَّوق والاشتِياق؟ قال: الشَّوق يسكُن باللِّقاء والرُّؤية، والاشتِياق لا يزولُ باللَّقاء(٦)، بل يزيدُ ويتَضاعَف.

---

(١) في (م): «قال الشاعر».

(٢) في (م): «العذاب»، وسقط فيها في صدر البيت قوله: «بعد».

(٣) في (م): «الجسمين ممتزجان»، وفيها في صدر البيت: «يشقى عليلًا». ومن بدء السؤال إلى هنا مقتبسٌ من «روضة المحبين» لابن القيم (ص٢٤)، ونسب الأبيات النونية الثلاثة لابن الرومي، وهي في «ديوانه» (٦/ ٢٤٧٥)، و«أمالي القالي» (ص٣٥٢).
ولم أجد للبيت الميميِّ قبلها نسبةً، وأما بيتُ إلقاء العصا فلـمُعَقِّرٍ ـ واسمه عمرو ـ بن سفيان بن البارقي في أبياتٍ له في «الأغاني» (١١/ ١١٠).

(٤) من قوله: «والاشتياق» ليس في (م).

(٥) في (م): «ولذلك قال أبو علي الدقاق لما سئل».

(٦) في (م): «بالرؤية». وروى قولَ أبي عليٍّ الدقاقِ القشيريُّ في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٩٦).

وأنشَدوا [من الوافر]:

فأبكـي إنْ نَـأَوْا شَـوْقاً إلَيهِـمْ وأبكـيْ إنْ دَنَـوْا خَـوفَ الفِـراقِ

قال ابن العَرَبيّ: فهذا قد جمَع بين الشَّوقِ والاشتِياق[1].

وأما القلقُ، فهو سَطَواتُ الشَّوق على القلب[2] بالهُبوب إلى المحبوب؛ بحيثُ يبقى المُحِبُّ في حَيرةٍ لا يَدري: أطالَ الليلُ، أم قصُرَ النهار؟

وأنشَدوا [من الخفيف]:

لَسـتُ أدري: أطـالَ ليلـيَ أمْ لا كَيـفَ يَـدْري بِـذاكَ مَـن يَتَقَلّـى

لـو تَفَرَّغـتُ لِاسـتِطالَةِ لَيْلـي وَلِرَعيِ[3] النُّجـومِ كُنـتُ المُخَلّـى

وأنشَدوا [من البسيط]:

إنّـي أتانـي كِتـابٌ بَعـدَ فُـرقَـتِكُـمْ أنْ[4] كيفَ بعدَ فِراقيْ كُنت يا سَكَني

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنتُ، ولا لا كـنتُ إن كنتُ أدري كيفَ لم أكُنِ

لـو كنـتُ كنتُ كتَمتُ الحُبَّ ليتَ كما كُنّـا[5] يـكـونُ، ولكِـنْ ذاكَ لم يَكُنِ

---

(١) من قوله: «وأنشدوا» ليس في (م). ويُنظر: «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٦٤)، وقد تقدّم البيتُ بصيغة المتكلم في أبياتٍ منسوبة للمجنون.

(٢) في (م): «القلوب».

(٣) في (م): «أو لرعي». وروى البيتين ـ وقبلهما بيتٌ ـ ياقوتُ الحموي في «معجم الأدباء» (٢/ ٩٢٠) لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ثم ذكر أنه رآها في بعض الكتب منسوبةً إلى خالد الكاتب.

والبيتان في ثمانية أبيات في «ديوان خالد الكاتب» (ص٤٠٥) عن «روضة القلوب» للشيرازي.

(٤) في (م): «أو»، وطرف البيت فيها: «ما إن».

(٥) في (ق): «كما».

=

[هل يصحُّ كِتمان المَحبّة؟]

وأما كِتمان المَحبّة فاختُلف فيه، فقيل: يصحُّ كِتمانها، وقيل: لا يصحّ.

والكِتمان ـ عند القائلين به ـ هو أن لا ينطِقَ المُحِبُّ باسمِ محبوبه؛ لأسبابٍ ما[١]، إما لِخَوفِ الوُشاة، أو لِلاحترام لِأنْ يذكُرَه[٢] مثلُه.

وأنشَدوا [من الوافر]:

كتمتُ اسمُ الحَبيبِ عليَّ[٣] منّي ... وراعَيتُ المَودّةَ والذِّماما

ولم أُخْفِ اسمَهُ حَذَراً عليهِ ... ولكنّي[٤] ابتَغيتُ الاِحتِراما

واستَمرُّوا على حالة الكِتمان، فمنهم مَن يموت بوَجدِه، وهو[٥] كذلك لا يُظهِرُ سرَّه لأحد، حتى محبوبُه لا يدري به.

= وذكر البيت الأوسط ياقوتٌ في «معجم الأدباء» (٢/ ٦٧٤) وقبله آخَرُ في خبرٍ في ترجمة الوزير إسماعيل بن عباد الطالقاني ينسبهما لمحمدِ بن عبد الله بن طاهر.

وذكر بيتَي ابنِ طاهرٍ ابنُ خلكان في «وفيات الأعيان» (٢/ ١٤٤) للحلاج، وذكر أنهما يُرويان لسمنون الزاهد.

وهما في «شعر الحلاج» (الأعمال الكاملة) (ص٣٢٧)، وأخرجهما لسمنون الخطيبُ البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٢٦).

(١) قوله: «ما» ليس في (م).

(٢) في (م): «الاحترام لأن يذكر».

(٣) في (م): «على اسم الحبيب».

(٤) في (م): «ولكنني». والبيتان في خمسةٍ في «كتاب الحجب» لابن عربي (ص١١٩ ـ ١٢٠) دون نسبة.

(٥) قوله: «هو» ليس في (م).

وأنشَدوا [من الخفيف][١]:

باحَ مجنونُ عامرٍ بِهَواهُ وكتَمتُ الهوى فَمتُّ[٢] بوَجْدي

فإذا كان في القِيامةِ نُودي: مَن قَتيلُ الهوى؟ تقدَّمتُ وَحْدي

وقال آخرون:[٣] لا يصح كِتمان المَحبّة أصلاً؛ فإن سُلطان الحُبِّ[٤] أقوى من كلّ سُلطان؛ كما قال الخليفةُ هارونُ الرشيد[٥] [من الكامل]:

ملَكَ الثَّلاثُ الآنِساتُ عِناني[٦] وَحَلَلنَ مِن قلبي بكُلِّ مَكانِ

ما لي تُطاوِعُني البَرِيّةُ كُلُّها وأُطيعُهُنَّ[٧] وهُنَّ في عِصْياني

ما ذاكَ إلا أنَّ[٨] سُلطانَ الهوى وَبِهِ قَوِينَ أعَزَّ مِن سُلطاني

---

(١) زيد في (م): «معترضين على ما ضرت الأمثال».
ويُنسب البيتان لليلى صاحبة المجنون في «الكشكول» (١/ ٢٩٢)، وللجنيد في «الدر الفريد» للمستعصمي (٥/ ١٥٦) للمستعصمي، ولأبي بكر الشبلي في «رسالة الغفران» للمعري (ص٥٨٢)، وعنه في «ديوانه» (ص٩٩).

(٢) في (م): «وقمت».

(٣) في (م): «آخر».

(٤) في (م): «المَحبّة».

(٥) في (ق): «الرشيدي». والأبيات للرشيد في أكثر المصادر مثل «الزهرة» (ص٥٦٤)، و«الأغاني» (١٦/ ٢٣٦ـ٢٣٧)، وذكر أنه قيل: إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه، ولذلك هي في «ديوان العباس بن الأحنف» (ص٢٧٩).

(٦) في (ق): «مليك الإنسيات».

(٧) في (م): «وأطيعن».

(٨) قوله: «أن» سقط في (م).

وقال السُلطان الملكُ الظّاهرُ [من الكامل][١]:

ظبيٌ يَصولُ ولا وُصولَ إلَيهِ جرحَ[٢] الفؤادَ بصارِمَي لَحْظَيْهِ
ما ماسَ مُعتَدِلاً وهَزَّ قَوامَهُ إلا تَهتَّكَتِ[٣] السُّتُورُ علَيهِ
يا طِيْبَ لَيلَتِنا ونَحنُ بِمَجلِسٍ قامَ الحَبيبُ لَنا على قَدَمَيهِ
يَسقي[٤] المُدامةَ مِن سُلافَةِ رِيْقِهِ وَيَخُصُّنا بالغُنْجِ مِن عَيْنَيهِ
عَيْناهُ نَرجِسُنا، وأُسُّ عِذارِهِ رَيحانُنا، والوَردُ مِن خَدَّيهِ
يا شَعرُ في بَصَري وَلا في خَدِّهِ إنّي أخافُ مِنَ النَّسيمِ عَلَيهِ
عَجَبي لِسُلطانٍ يَجورُ بِعَدلِهِ وَيَجورُ سُلطانُ الغَرامِ عَلَيهِ[٥]
الناسُ طَوْعُ يَدي وحُكْمي نافذٌ وَأنا وَجَمْعُ الناسِ طَوْعُ يَدَيهِ[٦]

فكيفَ يصحُّ كِتمانُ المَحبّة ولسانُها لسانُ حال، لا لسانُ قال[٧]، يُظهِرُها اصفِرارُ المُحِبِّ وخُضوعُه، وانتِحالُه ودُموعُه، ويُنادي عليه لسانُ الحال ـ وهو صادق ـ: هذا مُحِبٌّ عاشِق.

---

(١) زاد في (م): «بيبرس»، وأشكُّ فيها، ولم أجد أن بيبرس شاعر، وقد نسبَ المحبيُّ في «خلاصة الأثر» (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) هذه الأبيات للسلطان العثماني أحمد بن محمد بن مراد باختلاف يسير.

(٢) في (م): «فرح»، وصدر البيت فيها: «أضحى يصول ولا يصول إليه».

(٣) في (م): «تبتكت».

(٤) في (م): «ويسقي».

(٥) هذا البيت ليس في (ق)، وكان في (م): «عجبي سلطان»، وصوبت.

(٦) في (م): «يايه»، وفيها في صدري البيت: «وحكمي ناجز».

(٧) في (م): «الإنسان قال».

وأنشَدوا [من الكامل]:

مَـن كانَ يزعُـمُ أنْ سيَكـتُـمُ حُبَّهُ حتـى تُشـكِّكَ فيـه فَهْـوَ كَـذوبُ

الحُـبُّ أغلَـبُ للفُـؤاد بقَـهـرِهِ مِن أن يُـرى للسَّـترِ[١] فِيـهِ نَصيـبُ

وإذا بَـدا سِـرُّ الحَبـيبِ فإنّـهُ لـم يَبْـدُ إلّا والفَتـى مَغلُـوبُ

إنـي لأحسُـدُ ذا هـوىً مُستَحفِظاً لـم تَتَّهِـمْهُ[٢] أعيُـنٌ وقُلُـوبُ

وقال بعضهم: العِشْقُ[٣] والكِتمان ضِدّان لا يجتَمِعان.

قلتُ: وفي الحَقيقة؛ لا خلافَ بين الفريقَين؛ فإنّ مَرجِعَ كِتمان المَحبّة وعدَمِه قوّة مَلَكة المَحبّة فيها، وثَباتُ جِناية [الشوق][٤] علَيها، فمَن كان فيه ذلك قال بالكِتمان، ومن لم يكُن فيه ذلك[٥] لم يذهَب مذهَبَهم، ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾ [البقرة: ٦٠].

لطيفة: [لا يصحُّ عند تمام المَحبّة هَجْرٌ]:

مذهَبُ أهلِ المَحبّة الكاملة[٦] أنه لا يصحُّ عند تمام المَحبّة هَجر، بل ولا

---

(١) في (م): «للسر».

(٢) في (م): «تتمه». والأبيات في «أمالي القاليّ» (ص٤٩٥) غير منسوبة، وهي للعباس بن الأحنف في «الزهرة» (ص٩٩)، وفي «ديوانه» (ص٦٠)، ونسبها الجاحظ في «المحاسن والأضداد» (ص٢١ ـ ٢٢) لأبي العتاهية، وليست في «ديوانه».

(٣) في (م): «الشوق».

(٤) في (م): «وثباتُ الجنون». واستدركتُ.

(٥) قوله: «قال بالكتمان ومن لم يكن فيه ذلك» ليس في (ق).

(٦) قوله: «الكاملة» ليس في (م)، وأول الفقرة في (ق): «ذهب».

يُتَصَوَّر[١]! لأن الصورةَ الرُّوحانيّة المعنويّة التي حكمها المُحِبُّ[٢] في نفسِه من مُشاهَدةِ محبوبه ثابتةٌ مقرَّرة عندَه، وليس لها وجودٌ إلا فيه.

قال الشِّبْليُّ: قلتُ للحُسَينِ بن منصور: أيحسُن الصَّبرُ[٣] بالمُحِبّ عن محبوبه؟ فقال: يستحيل صبر الشيء[٤] عن نفسه، إذا صدقت المَحبّة تمازجت الكُلّيّة، فاستحال الفِراق.

وأنشَدوا [من الخفيف]:

مـا لِـمَجنونِ[٥] عامرٍ مِن هَواهُ ... غيرُ شَكْوى البِعادِ والاِغتِرابِ

وَأنـا ضِـدُّهُ؛ فـإنَّ حَبيبي ... في فؤادي، فلم أزَلْ في اقتِرابِ[٦]

فحَبيبي منّي وفيَّ وعِنْدي ... فلماذا أقولُ ما بِيْ وما بي[٧]

وأنشَدوا[٨] [من مجزوء الكامل]:

القُربُ منكَ تباعُدٌ[٩] ... والبُعدُ قُربٌ نَحوَكا

أنتَ الذي أفنَيتَني ... عنّي فَصِرتُ معاً لَكا

---

(١) قوله: «ولا يتصور» ليس في (ق).

(٢) في (م): «المَحبّة».

(٣) في (م): «الحسين بالصبر».

(٤) في (ق): «التي».

(٥) في (ق): «مجنون».

(٦) في (م): «الاقتراب».

(٧) الأبيات للشيخ محيي الدين ابن عربي نسبها لنفسه في «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٣٧ـ٣٣٨).

(٨) قوله: «وأنشدوا» ليس في (م)، ولم أجد البيتين.

(٩) في (م): «يتباعد».

حتى إن بعضَهم إذا أقبَلَ عليه محبوبُه طلَبَ المُحِبُّ البعدَ منه؛ لأنه فيه[١] ألطَفُ منه في عينَيه للمُناسبة؛ لأن الحُبَّ[٢] رُوحانيّ ومَعنَويّ، ولأن المُحِبَّ الكاملَ[٣] أشغَلَهُ حُبُّه ـ عندَ تمام المَحبّة ـ عن[٤] النَّظَر إلى محبوبه.

ولهذا قال مجنونُ بني عامرٍ حين ضمَّتهُ ليلى إلى صَدرِها، فنظر إليها وقال: إليكِ عنّي؛ فإن حُبّكِ شغَلَني[٥] عنكِ.

ومنهُم من يَشتاق إلى محبوبه، فإذا بَدا مُقبِلاً أطرَق منه، وصدَّ عنه[٦]؛ حياءً وإجلالاً، ومهابة وتعظيماً، وصيانة له من أن ينظره مثله؛ كما قيل لبعضهم: أتريدُ أن ترى محبوبَك؟ فقال: لا، فقيل: لِـم ذلك؟ فقال: أنزِّهُ ذلك الجَمالَ عن نظَرِ مِثلي[٧].

وأنشَدوا [من مجزوء الكامل]:

أشـتاقُهُ فـإذا بَـدا ... أطرَقتُ مِـن إجلالِـهِ
لا خِيْفـةً، بـل هَيـبةً ... وصِيـانـةً لِجَـمالِهِ
وأصُـدُّ عنـهُ تـجـلُّداً ... وأرُومُ طَيْـفَ[٨] خَيالِـهِ

---

(١) في (م): «في»، وقبله في (ق): «لأن».

(٢) في (م): «المحب».

(٣) في (ق): «العامل».

(٤) في (م): «من».

(٥) في (م): «أشغلني». وينظر: «كتاب الحجب» لابن عربي (ص١٠٤).

(٦) في (م): «منه»، وقبلها فيها: «أطرق عنه».

(٧) ذكره القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤١١).

(٨) في (م): «خيف». والأبياتُ في «كتاب الحجب» لابن عربي (ص١١٢)، دون نسبة، وهي باختلافٍ في الأخير في «الإبانة» للعميدي (ص٤٥) منسوبة لمعوّج الرقي.

وأنشَدوا [من البسيط]:

قلبي يَراكَ على بُعدٍ منَ الدّارِ وأنتَ بالقُربِ مِن قلبي وتَذْكاري
إن غابَ شخصُكَ[1] عن عَيني، فلَم أرَهُ فإنَّ حُبَّكَ معقودٌ بإضماري

واعلم أن المُحِبّ الكاملَ عندَهم هو الذي لا يُخالف لمحبوبه مراداً؛ فإنّ كمال المَحبّة يقتضي ذلك، فيعشق كل مراد بمحبوبه ويرضى به؛ حتى إنه يُحِبُّ الفِراق إذا طلبه منه.

قال بعضُهم: المحبوبُ يطالبُكَ بحُبِّ الفِراق كما يطالبُكَ بحُبِّ الوصال؛ إذا كان الفِراقُ مُحَبّاً لمحبوبك، فيجِبُ عليكَ أن تُحبَّ ما أحَبّ، وقد قيل [من البسيط]:

وكلُّ ما يفعَلُ المحبوبُ محبوبُ

وقال آخَرُ [من الطويل]:

تعَشَّقتُ فيهِ كُلَّ شَيءٍ يُريدُهُ مِنَ الهَجْرِ؛ حتّى صِرتُ أعشَقُ صدَّهُ[2]

وأنشَدوا[3] [من الوافر]:

---

(١) في (م): «تشخصك». والبيتان في أبياتٍ لأبي بكرٍ العنبري من مشايخ الصوفية في «الدر الفريد» (٢/ ٣٩٤).

(٢) يُنظر: «كتاب الحجب» لابن عربي (ص١٠٣)، ولم ينسب الشعر.
والبيتُ باختلافٍ يسير لابن نباتة السعدي في «يتيمة الدهر» (٢/ ٤٤٨)، وهو في «ديوانه» (ص٣٣٨) في قصيدة.
وأما الشطرُ فلمهيار الديلمي في قصيدة في «ديوانه» (١/ ٢٤)، وصدره:
أرضى وأسخطُ، أو أرضى تلوُّنَهُ

(٣) من قوله: «واعلم أن المُحِبّ الكامل» إلى هنا ليس في (ق)، وفي الأُخرى قبل الشطر المفرد: «بأن قيل».

سُــروري أنْ أراكَ وأنْ تَــراني وأنْ يدنُـوْ مَكانَـكُ مِـن مَكانـي
وعَيشـي في لقائكَ كــلَّ يــومٍ وحَسْبي ذاكَ[1] مِـن كُلِّ الأماني
لَئـنْ واصَلتَنـي[2] وأرَدتَ قُرْبي وحــقِّكَ لا أُبالـي مَـن جَفانـي

فإن لم يُحِبَّ الفُرقةَ ـ التي هي محبوبُ محبوبه ـ فقد فعَل ما لا تقتَضيه[3] المَحبّة، وخالَفَ قولَ الكامل في مَحبّتِه وقال [من الطويل]:

ولــمّا رأيــتُ الحُــبَّ يعظُــمُ قَدْرُهُ ولَيــسَ لــهُ دُونَ المَمــاتِ تَــدانِ
تعشَّقتُ حِبَّ الحِبِّ دَهري[4]، ولم أقُلْ: كَـفـانــي الـذي قـد نِـلـتُ مِـنـهُ كَفاني

وخالَفَ قولَه [من الوافر]:

أُريــدُ وِصالَــهُ ويُريــدُ هَــجْري فأترُكُ مــا أُريــدُ لِــما يُريــدُ[5]

فهاتان حالتان يهلكُ المُحِبُّ بينهما؛ فإن المَحبّة تطلُبُ الاتصالَ بالمحبوبِ والاتحادَ به، وتطلُبُ أيضاً موافَقةَ المحبوب فيما يريدُه منه، فإن وافقَه لم يطلب الوِصال؛ لأنه إن طلَبَهُ لم يُرِدْ ما أرادَ المحبوب[6]؛ لأن المحبوبَ مريدٌ للفُرقة ومُحِبٌّ لها، وإذا أحَبَّ المُحِبُّ الفَرقةَ هلك، فهو مغلوبٌ محجوج[7].

---

(١) في (م): «ذلك»، وطرف البيت فيها: «وعشقي في القلب»، وفي (ق): «وحبي».
(٢) في (م): «أوصيتني». والبيتان الأولان في «أنس العاشق ونزهة الشائق» (ص١٥٠) لعلية بنت المهدي.
(٣) في (ق): «تقضيه».
(٤) في (م): «طول دهري». والبيتان غير منسوبين في «كتاب الحجب» لابن عربي (ص١٠٤).
(٥) لم يُنسب في «كتاب الحجب» (ص١٠٣)، ومن قبله في «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٦٦).
(٦) من قوله: «فيما يريده منه» إلى هنا ليس في (ق).
(٧) في (ق): «محوج». ويُنظر: «كتاب الحجب» (ص١٠٣).

قال ابن العربيّ: وعندي أن يحبَّ حُبَّ الحَبيبِ للفُرقة لا[1] الفُرقَةَ، مثل الرضا بقَضاء الله تعالى إذا قَضى بالكفر، فهو يرضى بالقَضاء لا المقضيِّ، فحُبُّ المُحِبِّ إنما[2] تعلَّق بإرادة المحبوب للفُرقةِ، لا بالفُرقة نفسِها. انتهى[3].

قلت: وهذه مسألةٌ طويلةُ الذَّيل، كثيرةُ النزاعِ بين الفُقَهاء والصُّوفيّة، وقد أكثَرَ أئمَّتُنا ـ كشيخِ الإسلام ابنِ تيمية ـ من الرَّدِّ عليهم؛ حيث قالوا: يلزمُ[4] الرِّضا بالمَرَض والفَقر والعاهة والكفر؛ لأن[5] هذا شأن المُحِبِّ الكامل.

واعتراضُ الفقهاء عليهم: إما لأنهم لم يفهَموا مُرادَهم ـ وهو ما حقَّقه ابنُ العَرَبيّ ـ أو لأنهم إنما ردُّوا على جهلة[6] الصُّوفيّة الذي لم يفهَموا مُرادَ المحقِّقين[7] منهم، وإلا فلا خلافَ بينَهم؛ على ما قرَّره ابنُ العَرَبيّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

[هل إعراضُ الحَبيب عن عَداوة؟]

واعلَم أن إعراضَ الحَبيب ـ عندَ المُحِبِّين ـ ليس عن عداوةٍ وبُغض؛ فإن الحُبَّ يمنَعُ[8] من ذلك، قال الله تعالى لحَبيبه ﷺ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، لكنْ فيه استِجلابُ الاِستِلطاف، وضربٌ منَ الاِلتِذاذ؛ كما قيل[9] [من الطويل]:

---

(١) قوله: «لا» سقط في (م).

(٢) قوله: «إنما» ليس سقط في (م).

(٣) يُنظر: «كتاب الحجب» (ص١٠٣ ـ ١٠٤).

(٤) في (م): «يجب».

(٥) في (ق): «والكفران هذا».

(٦) في (م): «جهة».

(٧) في (ق): «المخفين»، وسقط من قوله: «وهو ما حققه» إلى ما قبل هذه الكلمة فيها.

(٨) في (م): «يمتنع»، وفيها قبلها: «من المحبين».

(٩) في (م): «قال». والبيتُ في أبياتٍ لعليّة بنت المهديِّ في «أمالي القالي» (ص٣٤٩)، و«الأغاني» =

إذا لم يكُن في الحُبِّ سُخْطٌ ولا رِضاً　　فأينَ حَلاواتُ[١] الرسائلِ والكُتْبِ

وأنشَدوا أيضاً [من الطويل]:

ألذُّ الهوى ما ضاع في طيِّهِ العَقْلُ　　وأحلى اللِّقا ما طابَ مِن دُونِهِ[٢] القَتلُ

فلَولا الهوى لم يُعرَفِ الهَجرُ والقِلى　　ولولا القِلى[٣] والهجرُ لم يَعذُبِ الوَصْلُ

قلتُ: فعَلى هذا؛ المُحِبُّ العارفُ بمقام المَحبّة يَرى هَجْرَ الحَبيبِ كوَصلِه، ولا يشكو الهَجْرَ لأحدٍ؛ لِما يعرِفُ من حال محبوبه، وأنه ليس مرادُه إلا قوّةُ زيادةِ المَحبّة وميلِ قلبِ المُحِبّ إليه بزيادة تجنُّبِه وهَجرِه.

وأنشَدوا [من الطويل]:

خِيانةُ أهل الحُبِّ أن يُظهِروا الشَّكْوى　　وأن يَسأموا من صُحبةِ[٤] الضُّرِّ والبَلْوى

ومَن لم يذُقْ[٥] هجْرَ الحَبيب كَوصلِهِ　　فما ذاقَ مِن طَعمِ الغَرامِ سِوى الدَّعْوى

***

= (١٠/ ١٣٩)، وفيه (٢٢/ ٣٣ ـ ٣٤) أنه يُنسب إلى علية من شعر أبي حفصٍ الشطرنجيّ، وأنه كان منقطِعاً إليها، وكانت تأمرُه أن يقول الشعرَ في المعاني التي تريدُها، فيقولها، وتُغنّي فيها، فتنتحلُ بعضَ ذلك، وتتركُ بعضه.

(١) في (م): «حلاوة».

(٢) في (م): «دواء». وفيها في صدر البيت «كيد العقل».

(٣) في (م) هنا: «اللقا»، وفيها في صدر البيت: «واللقا».

(٤) في (م): «هجنة».

(٥) في (م): «وقل يذق». والبيتان في «المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية» للسفيري (١/ ٢٨٥) دون نسبة.

الباب الثامن

في إرشاد العاشِق السَّقيم إلى الطريق المُستقِيم

وبيان عُقوبة مَن جنَحَ للفِعل الذَّميم

[تمهيد]

اعلَمْ أن العاشِقَ على ثلاثِ مقامات: مُبتَدأ، ومتوسِّط، ومُنتَهى(١).

أما المبتدأ(٢)، ففي أول الأمر، فالواجبُ على العاشِق كِتمانُ ذلك وعدَمُ إفشائه للمخلوقين وللوشاة عليه، وإمالةُ قلب(٣) محبوبِه إليه، مراعياً في ذلك شرائطَ الفتوّة(٤) من تركِ الفعلِ مع القُدرة.

فإن زاد به الأمرُ إلى المقام الأوسط، فغلَبَ عليه الحال ولم يجدْ تخلُّصاً(٥)، فلا بأسَ بإعلام محبوبِه بمَحبّته، فيَخِفُّ بإعلامِه [له] وشكواهُ إليه ما يجِدُهُ منه من ألم المَحبّة، ويحذَر ـ كلَّ الحَذَر ـ من إطْلاع الناس على ذلك، فهو يكونُ سبَب هلاكِه.

فإن زاد به الأمرُ حتى أخرَجَه عن الحُدود والضَّوابط المذكورة، فقد التَحقَ ـ مَن هذا حالُه ـ بالمجانينِ والمولَّهين.

وقد مرَّ قريباً(٦) كلامُ الوليِّ العِراقيِّ عليه، فراجِعْه.

---

(١) في (م): «ونهاية».

(٢) في (ق): «فأما مبتدأه».

(٣) في النسختين: «تقلب»، وفي (ق): «وإما».

(٤) في النسختين: «المحبة»، وفي (م): «شرط»، والتصويب من «فتوى في العشق» لابن تيمية (ص١٨٢).

(٥) في (م): «مخلصاً».

(٦) قوله: «قريباً» ليس في (م).

إذا تقرَّر هذا؛ فاعلم ـ وفَّقك الله تعالى ـ أن المقدَّر كائنٌ لا مَحالةَ؛ لِما في «صحيح» البُخاريِّ ومُسلِمٍ عن النبيِّ ﷺ: «إن الله تعالى كتَبَ مقاديرَ الخَلائقِ قبل أن يخلُقَ السَّمواتِ والأرضَ بخَمسين ألفَ سنة»[١].

وقال أهل المعرفة: لا ينبَغي للعاقل أن يدخُل في أمرٍ حتى يُدبِّر الخروجَ منه[٢].

فإذا كان ذلك[٣] وابتُلي العاقلُ بما كُتب عليه تدارَكَ[٤] المقدورَ بالنَّظَرِ في عَواقبِ الأمور، والعَمَلِ بخَبرِ: «إذا ابتُليتُم[٥] فاستَتِروا»؛ فإنه من مُهمّات الأمور.

[إرشاد العاشِق السَّقيم إلى الطريق المُستَقِيم]

فالواجبُ على العاشِق المبتَلى بما هو عليه مسطورٌ تدارُكُ أمرِه بالبُعد عن معشوقِه، والسَّعي في خَلاصِ نفسِه قبل أن يتَمكّن العِشْقُ في قلبه، فيَعِزَّ الدَّواء، ويتَمكّنَ الدّاء.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ولم يروه البخاري.

(٢) ذكره ابنُ مفلح في «الفروع» (٨/ ٣٨١) عن «السرّ المَصون» لابن الجوزي، وهو كتاب مفقود، والله أعلم.

(٣) في (م): «كذلك».

(٤) في (ق): «ترك».

(٥) في (ق): «بُليتم». وأما خبر «إذا بُليتمْ بالمعاصي فاستَتِروا»، فقد رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٦١٥) ـ وقال: إنه على شرطهما ـ والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٦٠١) عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قام بعد أن رجم الأسلميَّ، فقال: «اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمن ألَمَّ فليستَتر بستر الله، وليتُبْ إلى الله؛ فإنه من يُبدِ لنا صَفحَتَه نُقِم عليه كتابَ الله عز وجل». ويُنظر: «كشف الخفاء» العجلوني (١/ ٨٤).

فعن بُقراط أنه قال: أنا رأس الحكماء، وقد فهمتُ الأدواء[١]، وامتحنتُ العَقاقير؛ حتى أقمتُها بأداء العِلَل، ومع ذلك؛ فقد عالجتُ كلَّ شيءٍ وغلبتُه، ودفَعتُ فيه حتى أحكَمتُه، وعجِبتُ في عِلاج الحُبِّ بعد تمكُّنِه وما أدركتُه كفاية عن الحِسّ[٢]؛ لأنّه شيءٌ دقيقٌ في القلب.

فمَن وقَع في ذلك فالواجبُ عليه[٣] العَفافُ والكِتمان، قبل أن يَبوءَ[٤] بالذَّنب والخُسران، ويَفوتَ عليه العمَلُ بحَديث سيِّد ولَدِ عَدنان، المُرشِدِ له بقَوله لِما يُصيِّرُه سَعيداً: «من عشق وعف[٥] وكتم فمات مات شهيداً»، فهذا الحديثُ وإن كان موضوعاً كما زعَم بعضُ الحُفّاظ، لكنّه صحيحٌ من بعض الطُّرق[٦].

---

(١) في الأصل: «الأدوياء».

(٢) كذا السياق في الأصل، ولم أهتدِ إلى تقويمه، وفي الأصل: «فقد تمكنه».

(٣) من قوله: «تدارك أمره بالعد» ليس في (ق).

(٤) في (م): «يبدو».

(٥) في (م): «فعف».

(٦) ليس في كلام المؤلف رحمه الله تناقض بين الصحة والوضع، فقد ذكره في كتابه «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة»، ثم قال: حديث موضوع، وأنكره ابن معين، ولكنه صحّ من طريق آخر. ا. هـ. ولم يبيّن الطريق الآخَر.

فلعله يريد ما رواه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ١٠٣) عن الزبير بن بكار بإسناده عكرمة عن ابن عباس موقوفاً بلفظ قريب، قال الزركشي في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (ص١٨٠): وهو إسناد صحيح، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ٣٧٢): هذه متابعة حسنة! وكان ذكر قبلَها إنكارَ الحاكم النيسابوري هذا الحديثَ في كتابه «تاريخ نيسابور»، وذكر إنكار البيهقي، لم أهتدِ إليه في مطبوع كتب أيٍّ منهما، والله أعلم.

وقد ذُكر هذا الحديث في عدَد من كتب الموضوعات، مثل «تذكرة الموضوعات» لابن طاهر المقدسي (ص٩١)، و«تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لابن عراق الكناني (٢/ ٣٦٤)، =

سُئل شَريك عن العُشّاق فقال: أشدُّهم[1] عِشقاً أعظَمُهم أجراً.

فعَلى هذا؛ فمَقام العِشْق مقامٌ عظيمٌ عزيزٌ للقائم[2] بشُروطِه،...............

= و«الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لملا علي القاري (ص٣٥٢ـ٣٥٣)، وغيرها.

وقد أسند ابن الجوزي هذا الحديثَ من طُرق عديدةٍ بألفاظ مختلفة في كتابه «ذم الهوى» (ص٣١٢ ـ ٣١٥)، وأورد منها في «العلل المتناهية» (١٢٨٦) و(١٢٨٧).

ورواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (١٠٦) عن شيخه أبي يوسف يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن بن عوف بإسناده إلى ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، مرفوعاً، ومن طريق الخرائطيّ رواه ابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣١٢)، وفي «العلل المتناهية» (١٢٨٨)، ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل قال: يعقوب ليس بشيء.

ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) من طريق سويد بن سعيد، قال: حدثنا علي ابن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، مرفوعاً، وقال: رواه غير واحد، عن سويد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، وهو المحفوظ.

وقد قال ابن القيم في «الداء والدواء» (ص٥٦٩): والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ موقوفًا عليه، فغلِط سويد في رفعه، ثم قال (ص٥٧١): وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان، وإليهم يُرجَع في هذا الشأن. وما صحّحه، بل ولا حسّنه أحدٌ يُعوَّل في علم الحديث عليه، ويُرجَع في التصحيح إليه؛ ولا مَن عادتُه التساهل والتسامح، فإنّه لم يُطنِّف نفسَه له، ويكفي أن ابنَ طاهر الذي يتساهَل في أحاديث التصوف، ويروي منها الغثَّ والسمين والمنخنقة والموقوذة قد أنكَرَه وحكَمَ ببطلانه، نعم، ابنُ عبّاس غير مستنكَر ذلك عنه. ا. هـ.

وأما تصحيح الحافظ مغلَطاي (٧٦٢هـ) لهذا الحديث ففي كتابه «الواضح المبين» (ص١٩)، وللشيخ أحمد بن الصديق الغماري (١٣٨٠هـ) رسالة «درء الضعف عن حديث من عشق فعف» تكلّف فيها ما أراد، والله تعالى أعلم.

(١) في (م): «أشهدكم». وأخرج قولَ شريك ـ وهو ابن عبد الله النخعي القاضي، أحد الاعلام ـ ابنُ الجوزيّ في «ذم الهوى» (ص٣١٥).

(٢) في (م): «العالم».

مع أن تَرْكَه وحَسْمَ مادّته بالكُلّيّة أفضَلُ وأقرَبُ إلى الحَق.

وأنشَدوا في حقِّ القائم بشُروط العِشْق [من البسيط]:

تـالله أحلِـفُ أيمانـاً مُؤكَّـدةً ... لا عـذَّبَ اللهُ أرواحَ المُحِـبّينا

القائميـن بشَـرط العِشْـق دَهْـرَهُـمُ ... على العَفـافِ[١] وإن أضحَـوا مُلامِينـا

وكيـفُ يُصليهِـمُ نـاراً وقَـد سكَنَت ... نـارُ المَحبّـة فـي أحشـائهم حِيْنـا[٢]

وقال بعضهم: عُفُّوا تشرُفوا، واعشَقوا تظرُفوا[٣].

وقال إبراهيم بنُ مُحمّد: دخلتُ على مُحمّدِ بنِ الإمام داودَ الظاهريِّ ـ المجتَهِد المشهور في فُنون العلم ـ في مرضِه الذي مات فيه، فقلت: كيف تجِدُك؟ فقال: حُبُّ من تعلَمُ أورَثَني ما ترى! فقُلت: ما منعَك من الاستِمتاعِ به مع القُدرة عليه؟ فقال: أما النَّظَر المُباح فأورَثَني ما ترى، وأما اللَّذّة المحظورة؛ فإنه منَعني منها ما حدَّثني به[٤] أبي قال: رُوي عنِ ابن عبّاس، عن رَسُول اللهِ ﷺ: «من عشِقَ وكتَم، وعفَّ وصبر، غفَرَ اللهُ له وأدخَلَه الجنة»[٥].

---

(١) في (م): «عفاف»، وفيها في صدر البيت: «بشروط العشق».

(٢) في (م): «في أحشاء المحبينا». ولم أجد الأبيات.

(٣) في (م): «تصرفوا»، وفي النسختين قبلها: «واعفوا»، وصوّبتُ، وهو قولُ أمير خُراسان محمد بن عبد الله بن طاهر لولده، ذكره التوحيدي في «البصائر والذخائر» (١/ ٧٠).

(٤) قوله: «به» سقط في (م).

(٥) إبراهيم بن محمد هو ابن عرفةَ نفطويه النحويّ، صرّح باسمِه الخطيب في رواية خبرِ وفاة ابن داود الذي رواه في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦) إلى هنا بهذا اللفظ، وفيه سياقةُ إسنادِ الحديث إلى ابن عباسٍ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً.

وقيل لبَعض العُشّاق[١]: ما كنت تصنَعُ لو ظفِرتَ بمَن تهوى؟ فقال: كنتُ أُمتِّع[٢] طَرْفي في وَجهِه، وأُروِّح قلبي بحَديثِه وذِكرِه، وأستُر منه ما لا يُحِبُّ كشفَه، ولا أصيرُ بقُبح الفعل إلى ما ينقُض عهدَه.

وأنشَدوا [من الكامل]:

أخلُو به فأعَفُّ عنه كأنّني ... خَوفَ الدِّيانةِ لَستُ مِن عُشّاقِهِ

كالماءِ في يدِ صائمٍ يلتَذُّهُ ... ظمَأً فيَصبِرُ[٣] عن لَذيذِ مَذاقِهِ

وأنشَدوا [من البسيط]:

كم قد ظفِرتُ بمَن أهوى فيَمنَعُني ... منهُ الحَياءُ وخَوفُ الله والحَذَرُ

وكم خَلَوتُ بهِ يوماً[٤] فيُقنِعُني ... منهُ الفُكاهةُ والتَّحديثُ والنَّظَرُ

أهوى المِلاحَ وأهوى أن أُجالِسَهُم ... وليسَ ليْ في حَرامٍ مِنهُمُ[٥] وَطَرُ

كذلك الحُبُّ لا إتيانُ معصيةٍ ... لا خيرَ في لذّةٍ مِن بَعدِها سَقَرُ[٦]

وقيل لبَعض الأعراب ـ وقد طال عشقُه بجارية ـ: ما أنتَ صانعٌ لو ظفِرتَ

---

(١) في (م): «وقيل له».

(٢) في (ق): «أضع»، وقبلها في (م): «بما تهوى».

(٣) في النسختين: «فيصدر»، وقبلها في (م): «عذباً». والبيتان والخبرُ قبلَهما في «فتوى في العشق» (ص١٨٣).

(٤) في (ق): «بمن أهوى».

(٥) سقط في (م) قوله: «منهم»، وفي (ق): «فساد منهم».

(٦) روى الأبياتَ الوشّاءُ في «الموشى» (ص٥٤) لإبراهيمَ بن محمد بن عرفةَ نفطويه النحويّ أنشده إياها لنفسه.

بفُلانةٍ ولا يراكُما غيرُ الله تعالى؟ قال: إذاً ـ واللهِ ـ لا أجعَلُهُ أهوَنَ الناظِرين! لكنّي أفعَلُ بها ما أفعلُهُ[1] بحَضرةِ أهلها: حديثٌ طويل، ولحظٌ من بَعيد، ونكرَهُ ما يكرَهُ الرَّبّ، ويقطَعُ الحُبّ[2].

وأنشَدوا [من الطويل]:

أُحِبُّكِ حُبّاً لا أُعنِّفُ بَعدَهُ ... مُحِبّاً، ولكنّي إذا لِيْمَ عاذِرُهْ

أُحِبُّكِ ـ يا سلمى ـ على غَيرِ رِيْبةٍ ... ولا بأسَ في حُبٍّ تعفُّ سرائرُه[3]

وقال بعضُ الأعراب: عَلِقتُ بامرأة، فكنتُ آتيها فأُحدِّثها مدّةَ سنينَ وما جَرَت بينَنا رِيبةٌ قَطّ، إلا أني رأيتُ بياضَ كفِّها في ليلةٍ مُظلِمة، فوضَعتُ يدي على يدِها، فقالت: مَهْ! لا تُفسِدْ ما صلَح؛ فإنه ما نكَح حُبٌّ قطُّ إلا فسَد، قال[4]: فقُمتُ وأنا أتصبَّب عرَقاً من الحَياء، ولم أعُدْ لشيءٍ من ذلك.

وأنشَدوا [من البسيط]:

إنَّ الفَتى إن صَبا أو شَفَّهُ غزَلٌ ... فلِلعَفافِ ولِلتَّقوى مآزِرُهُ

وأشرَفُ الناس أهلُ الحُبِّ منزلةً[5] ... وأشرفُ الحُبِّ ما عفَّت سرائرُهُ

---

(١) في (م): «أفعله»، وفيها قبلها: «أهون على النظرين لكنني».

(٢) روى الخبر الخرائطيُّ في «اعتلال القلوب» (٥٩٢)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٣٦).

(٣) في (م): «سراره»، وفي (ق): «مرائره». والبيتان ولهما ثالثٌ للحسين بن مطير الأسدي؛ كما روى الخرائطي في «اعتلال القلوب» (١١٠)، وهما في قصيدة في «شعره» (ص١٦٢ ـ ١٦٣).

(٤) قوله: «قال» ليس في (ق). وروى الخبر ابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٣٦).

(٥) في (م): «مزية». والبيتان لأبي فراس الحمداني مفتخراً في «الدر الفريد» (٤/ ٢٧٨)، وهما في قصيدة في «ديوانه» (ص١٧٢).

وحُكي عن عبدِ الملِك بن مَروانَ أنه قال لِلَيلى الأخيَلِيّة: بالله هل كان بينَكَ وبين توبة سوءٌ قطُّ؟ [قالت:] والذي ذهَب بنفسِه وهو قادرٌ على ذهابِ نفسي، ما كان بيني وبينه سوءٌ قطُّ[1]، إلا أنه قدِمَ من سفَر، فصافَحتُه، فغَمَز يدي، فظنَنتُ أنه يجنَحُ لبعض الأمر قال: فما مَعنى ذلك؟ فأنشدَت[2] [من الطويل]:

وذي حاجةٍ قُلنا: لا تَبُحْ بها ... فلَيسَ إلَيها ـ ما حَيِيتَ ـ سَبيلُ

فلَيسَ إلَيها ـ ما حَيِيتَ ـ سَبيلُ ... وأنتَ لأُخرى صاحبٌ وخليل[3]

وأنشَدوا [من الكامل]:

إنْسٌ غَرائرُ ما هَمَمنَ بِريبةٍ ... كظِباءِ[4] مكّةَ صيدُهنَّ حَرامُ

يُحسَبنَ مِن لِيْنِ الكَلامِ زَوانِياً ... وَيَصُدُّهُنَّ عَن الخَنا الإسلام[5]

---

(١) من قولها: «والذي ذهب» إلى هنا ساقط في (ق).

(٢) في (م): «وأنشدوا». وفي النسختين قبلها: «فما منعني ذلك»، والتصويب والاستدراكُ قبلَه من رواية الخبر عند الخرائطيِّ في «اعتلال القلوب» (١٤٤)، ومن طريقِه رواه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٦٢)، وابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٣٦).

(٣) في (م): «فاعلمين خليل» كذا. والبيتان لليلى فيما أخرج القاليُّ في خبر دخولها على الحجّاج في «الأمالي» (ص١٥٠ ـ ١٥١) بسياق مختلف تماماً.

وأخرَجهما في خبرِها مع الحجّاج الأصبهانيُّ في «الأغاني» (١١/ ١٤٣)، وهما في «ديوان ليلى الأخيلية» (ص٧٤).

(٤) في (م): «كضياء»، وفيها في صدر البيت: «أنسى عرار».

(٥) رواهما المُعافى النهروانيُّ في «الجليس الصالح الكافي» (ص٢٦٨)، ومن طريقه السراجُ في «مصارع العشاق» (٢/ ١٧٧) عن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، وإلى عبدِ الله أسندَ ابنُ عساكرَ البيتَين الميميَّين في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٣٨١)، وعاد فأسندَهما ثانية (٥٩/ ٢٤٩) إلى معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. =

وأنشد الصَّفيُّ الحِلّيُّ [من الكامل]:

لم أنس إذ نادمتُهُ في ليلةٍ ... عدَلَ الزّمانُ بمثلِها[١] لم يَمنُنِ
عاجَلتُهُ حذَراً عليهِ منَ الرَّدى ... عَجَلَ الجُفونِ إلى حِفاظِ[٢] الأعيُنِ
وضَمَمتُهُ من غيرِ موقِعِ رِيبةٍ ... وأطَعتُ فيهِ تعفُّفي وتديُّني
نحنُ الذي جاء الكِتابُ مُخبِّراً ... بعَفافِ أنفُسِنا وفِسْقِ الألسُنِ[٣]

وقال الضَّحّاكُ بن عُثمان الخزاميّ: نزلتُ بزينَبَ ـ التي كان نُصَيبٌ يُحِبُّها ـ فأعجَبَني ما رأيتُ[٤] من حُسنها وجَمالِها، فبينما نحن جلوسٌ وإذا بنُصَيبٍ قد أقبل، فنزَلَ وسلَّمَ علَيّ، وجلَسَ منها ناحيةً وسلَّمَ علَيها، وسأَلَها عن حالها، ثم أمَرَتهُ أن يُنشِدَها[٥] ما أحدَثَهُ من الشِّعر بعدَها، فأنشَدَها، فقُلتُ في نفسي: عاشِقان أطالا[٦] التَّنائي، لا بدَّ أن يكون لأحَدِهما إلى صاحِبِه حاجة، فقُمتُ إلى راحِلَتي، فقال لي: على رِسلِك، أنا معَك!

= وروى السراجُ الحكايةَ مرة ثانية (٢/ ٢١٧) عن عيسى بن يزيد، وحكاها ابنُ داود في «الزهرة (ص١١٨ ـ ١١٩) فيما بلغه عن الأصمعيّ.
ونسب الجاحظُ البيتَين في «البيان والتبيين» (١/ ٢٧٦) إلى بشار بن برد، وعنه في «ديوانه» (٤/ ١٩٢)، ونسبهما البصريُّ في «حماسته» (٢/ ١١١) لعروة بن أذينة القرشي، وهما في «ديوانه» (ص٨٤).

(١) في (م): «بأختها»، وفي النسختين في «صدر البيت»: «ناديته»، وصوبت.

(٢) في (م): «خفاض»، وفي (ق): «لحاظ».

(٣) الأبياتُ في قصيدة لصفي الدين الحلي في «ديوانه» (ص١١٥).

(٤) في (م): «رأيتها»، وفيها قبلها: «الذي كان».

(٥) في (م): «ينشد»، وفي (ق) قبلها: «عن حاله».

(٦) في النسختين: «أطال».

فنَهَضَ ونهَضتُ معَه، فتَسايَرنا ساعة، ثم التفت إليَّ فقال: قلتَ في نفسك: مُحِبّان[١] التَقَيا بعدَ طُول التَّنائي، لا بدّ أن يكونَ لأحَدِهما إلى صاحِبِهِ حاجة؟ فقلتُ: نعم؛ قد كان ذلك! قال: فلا ورَبِّ الكَعبة، ما جلَستُ منها مجلِساً قطُّ قَريباً[٢] كقُرب مَجلِسي الذي رأيتَ، ولا كان بينَنا مكروهٌ قطُّ[٣].

وأنشَدوا [من المنسرح]:

لا والـذي تسـجُدُ الجِبـاهُ لَـهُ ... ما لـيْ بِمـا تَحـتَ[٤] ثَوبِهـا خَبَـرُ

ولا بِفِيْـها وَلا هَـمَـمـتُ بِها ... مـا[٥] كانَ إلا الحَديـثُ والنَّظَـرُ

وأنشَد ابنُ الأنجَبِ [من الطويل]:

ولَـمياءُ تُحْيـي مَـن تُحَيِّـي بِريـقِـها ... كأنّ مِـزاجَ الـرّاحِ بالمِسْـكِ مِـن فِيْهـا

ومـا ذُقـتُ فاهـا غَيـرَ أنّـي رَوَيـتُـها ... عَنِ الثِّقَـةِ المِسْـواكِ وَهْـوَ مُوافِيْهـا[٦]

---

(١) في (م): «محبوبان».

(٢) في (م): «قريب»، وفيها قبلها: «فقال: لا ورب».

(٣) في (م): «منكر قط». وأسندَ القصة مطوّلةً بذكر أشعارٍ السراجُ في «مصارع العشاق» (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، وابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(٤) في (م): «ما لي بتحت».

(٥) في (م): «هممت به فما». والبيتان لجميل بثينة في «ديوانه» (ص٧٠)، ولهما قصة حكاها الوشاء في «الموشى» (ص٥٦).

(٦) لم يبقَ من البيتين في (م) إلا: «مزاج الراح بما لسكر مما فيها» مسبوقاً بقوله: «فقال»، وفي هذا البيت في (ق): «رأيتها»، وصدر أول البيتين فيها: «ولما تحييّ من تحيي بقربها»، وصوّبتُ.
والبيتان للحافظ أبي الحسن علي ابن الأنجب اللخمي المقدسي المالكي، (ت٦١٠هـ)، رواهما عنه ابن خلكان في ترجمته في «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٩١).

وأنشَدَ آخَرُ [من الطويل]:

سَبَانِي ثَغْرٌ منك كالدُّرِّ نَظمُهُ ... فيا مَن رأى دُرّاً[1] يُشَبَّهُ بالدُّرِّ

أُشاهِدُ رِيْقاً منك كالشَّهْدِ طَعمُهُ ... وما ذُقتُهُ يَوماً ولكنني أدْري[2]

وأنشَدَ ابنُ قرناص [من البسيط]:

ليسَ الظّريفُ الذي تُبدُو خَلائقُهُ ... لِلنّاسِ ألطَفَ مِن مَرِّ[3] النَّسيمِ سَرى

لكنّهُ رجُلٌ عَفَّت ضَمائرُهُ ... عَنِ المَحارِمِ لَمّا بالمُنى ظَفَرا[4]

وأنشَدَ الوّضّاحيُّ[5] [من البسيط]:

إن كنتُ أهواكَ - يا سؤلي - لفاحِشةٍ ... فلا وُقيتُ عَنِ الأيّامِ مِن ضَرَرِ

أني أصونُكَ عن حالٍ تُعابُ[6] بها ... كما تَصونُ جُفوني باطِنَ النَّظَرِ

لي فيكَ حَظّانِ مِن مَرْأى ومُستَمَعٍ ... وليسَ لِيْ في حَرامٍ منكَ مِن وَطَرِ

وأنشد ابن المعتزّ فقال[7] [من البسيط]:

---

(١) في (م): «رما داراً».

(٢) البيتان في «الغيث المسجم» للصفدي (١/ ٢٧١) منسوبان لسعد الدين محمد بن عربي.

(٣) قوله: «مر» سقط في (ق)، وفيها في صدر البيت: «تبدو ظرائفه».

(٤) البيتان لإبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص، الأديب، مخلص الدين، الحموي الشاعر، (ت٦٧١هـ) في ترجمته في «الوافي بالوفيات» (٦/ ٨٧)

(٥) في (م): «الوضاع فقال». ولم أهتدِ إلى الأبيات، ولا إلى معرفة الشاعر، والله أعلم.

(٦) في (م): «تكون».

(٧) قوله: «فقال» ليس في (ق). ولم أجدِ الأبيات لابن المعتز في «ديوانه»، ولا منسوبةً إليه، وهي دون نسبة في «الزهرة» (ص٣٨٦)، ورواية البيت الأول فيه أقوَمُ:

قد كانَ يكفيكَ ما بالجِسمِ مِن سقمٍ ... لَمْ زِدْتَني سهَراً لا مسَّكَ السَّهرُ

لو كان يكفيكَ ما بالجسمِ من سَقَمٍ ... مـا زِدتَـني سَهَراً لا[١] مَسَّكَ السَّهَرُ

عَينـي مُؤرَّقـةٌ والجسـمُ مُختَبلٌ[٢] ... والـقلبُ بينَهُمـا تخلُـو بـه الفِكَـرُ

يـا مانِعـي لَـذَّةَ الدُّنيـا بمـا رَحُبَت ... إنّـي ليُقنِعُنـي مِـن وَجهِـكَ النَّظَـرُ

وأنشَدَ العبّاسُ بن الأحنَفِ فقال[٣] [من البسيط]:

أتأذَنـونَ[٤] لِصَـبٍّ فـي زِيارَتِكُـمْ ... فعِندَكُم يَشـتَهي بالسَّـمعِ والبَصَـرِ

لا يُظهِـرُ الشَّـوقَ إن طـالَ الجُلوسُ بِهِ ... عـفُّ الضَّميـرِ ولكنْ فاسِـقُ النَظَرِ[٥]

وقال آخَرُ [من الخفيف]:

ليـسَ فـي العاشِـقينَ أقنَـعُ منّي ... أنـا أرْضـى بِنَظـرةٍ مِـن بعيـدِ[٦]

قلت: والأخبارُ والأشعارُ في هذا كثيرة، وإنما ذكرتُ بعضَها هنا؛ ليتأمَّلَ العاشِقُ الواقفُ عليها، والمُحِبُّ الناظرُ إليها، في أخبارِ هؤلاء العاشِقين، وأشعارِ هؤلاء المُحِبّين الصادِقين[٧]، ويقتَديَ بهم في عشقِهم؛ فإن الطَّبْع السليمَ يسرِق.

فإن لم يكُن له طبعٌ سليم، وقلبٌ مُستَقيم، فليُكثِرْ من خَوف الله، ويتحقَّق أنّه ناظرٌ إليه، ومُطَّلعٌ عليه، ويتفكَّر في عَواقِب الهوى، فكَم قد أفاتَ من فَضيلة، وأوقَعَ

---

(١) في (ق): «إلا»، وقبلها في (م): «ما رادني».

(٢) في (م): «مختبر».

(٣) قوله: «فقال» ليس في (ق).

(٤) في (م): «إذا دنوت».

(٥) في (ق): «البصر»، وقبلها في النسختين: «ما سوى»، وقبلها في (ق): «عن الضمير».
والبيتان في «الأغاني» (٨/ ٢٥٦)، و«ديوان العباس بن الأحنف» (ص١٤٧).

(٦) من قوله: «وقال آخر» إلى هنا ليس في (ق). والبيت غير منسوب في «حماسة الظرفاء» (١/ ٢٣).

(٧) في (م): «الصديقين».

في[1] رَذيلة، وكم ذلّةٍ أوجَبَتِ انكِسارَ جاه، وكم شَهوةٍ يَسيرةٍ أذهَبَت على[2] العاقلِ ما تَمنّاه، وليتَفكَّر العاقلُ فيما يطلُبُه من اللَّذّات الزائلة، وما يجِدُه من الأذى الكَثيفِ عَقِبَ اللَّذّات الحاصِلة، ولو فكَّر العاشِقُ في مُنتَهى معشُوقِه، وماذا يصيرُ إليه منَ الأسقام والاِضمِحلال، والقُبحِ بعد الجمال، لَانتَهى عما هو فيه من الغَيِّ والضَّلال!

فعَنِ ابنِ مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: إذا أعجَبَ أحدَكُم امرأةٌ فليَذكُرْ مُنتَهاها[3].

وأنشَدَ المُتنبّي[4] [من السريع]:

لـو فكَّـرَ العاشِـقُ فـي مُنـتَـهى ... حُسْنِ الـذي يَسْـبيهِ لم يَسـبِهِ[5]

والمانعُ الأعظَم في هذا المقامِ خوفُ الله تعالى، وخوفُ الإثم والعار[6]، وما يَلقى من النار.

---

(١) الحرف «في» ليس في (م)، وقبل فيها: «قدما مات».

(٢) في (م): «عن».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣٨) بلفظ: «فليذكر مَناتِنَها»، وهو مواضعُ النَّتَنِ من بدنها.

(٤) في (م): «فليذكر منتهاه وأنشدوا».

(٥) البيت في «ذم الهوى» (ص٣٨)، و«ديوان المتنبي» (بشرح البرقوقي) (١/ ٣٣٧).

وفي هامش (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «وقال بعضهم:

ولـو أن مـا بـي مـن جـوىً وصَبابة ... علـى جَمَـلٍ لـم يدخُـلِ النـارَ كافِرُ»

وقد ذكرَ البيتَ ابنُ السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ١٩٥) وشرحه بقوله: فإن معناه لو كان ما بي من الصبابة بالجمل لضعُف ورقَّ وصار بحيثُ يلِجُ في سَمِّ الخِياط، ولو ولج في سَمِّ الخِياط لدخل الكافرُ الجنةَ؛ على ما قال تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ولو دخل الجنةَ لم يدخُل النارَ، فوضَحَ أنّ ما بي من الحب لو كان بالجمَل لم يدخُل النارَ كافر.

(٦) في (ق): «والفساد».

وقيل: إنّ سفيانَ كان يتمثَّل بهذَين البيتَين [من البسيط]:

تفنى اللَّذاذَةُ مِمَّن[١] نالَ صَفوَتَها ... مِنَ الحَرام، ويَبقى الإثمُ والعارُ

تَبقى عَواقِبُ سُوءٍ في مَغبَّتِها ... لا خَيرَ في لَذّةٍ مِن بَعدِها النّار[٢]

وأنشَدَ ابنُ العرَبيِّ فقال[٣] [من الطويل]:

علينا منَ التَّقوى رَقيبٌ مُسلَّطٌ ... إذا ما خَلَونا والهوى زائدُ البَلْوى

ولكنْ وَقانا اللهُ شَرَّ بَلائهِ ... بما[٤] جعَلَ الرَّحمنُ فينا منَ التَّقوى

ولَو لم[٥] يكُن تَقوى لكانَ اشتِغالُنا ... إذا ما خَلَونا[٦] بالعِتاب وبالشَّكوى

---

(١) في (م): «اللذة لمن».

(٢) في (ق): «نار». وفي (م) في صدر البيت: «من بقيتها».

وروى تمثُّل سفيان بهذين البيتين الخرائطيُّ في «اعتلال القلوب» (١٣١)، وذكر ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (ص٤٣٩) أنه نُقل عن الإمام أحمد أنه كان يقولهما، ورواهما الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٢١) من قول مِسعَرِ بنِ كِدَام.

وفي هامش (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «وقد أنشد أبو علي الروذباري يقول:

أُنَزِّهُ في رَوْضِ المحاسِنِ مُقْلَتي ... وأمْنَعُ نَفْسي أنْ تَنالَ مُحَرَّما

وأحْمِلُ مِنْ ثقلِ الهَوَى ما لَوَ انَّهُ ... على جامِدِ الصَّلْدِ الأصَمِّ تهَدَّما»

وقد أخرج البيتَين وآخرَين الخطيبُ البغداديُّ في «تاريخه» (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣) من إنشاد الإمام أبي علي الروذباري الصوفي في ترجمته دون نسبةٍ ولا خبر، وعنه رواها السراجُ في «مصارع العشاق» (٢/ ٢٢٢)، إلا أن الخطيب قد روى في «تاريخه» (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥) أول الأبياتَ لأبي بكرِ بن محمد بن داود الظاهريِّ في خبرٍ له مع شيخ الشافعية القاضي أبي العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، وذلك في مجلس القاضي أبي عمر محمد بن يوسف الأزدي.

(٣) قوله: «فقال» ليس في (ق).

(٤) في (م): «ما».

(٥) في (م): «ويعلم».

(٦) في (م): «حكون».

ويَأبى الهوى القَتّالُ إلا صِيانةً عن اللَّثم لـمّا كان سُلْطانُهُ أقوى[١]

فحَسبِيَ أن أَفْنىٰ إذا ما لَقيتُهُ وحَسْبِيَ ما يَلْقى مِنَ السَّمْعِ والنَّجْوى[٢]

قلتُ: فإن لم يكُن عندَه خوفٌ من الله تعالى، أو كان عندَهُ ولكن زادَ عليه الغَرام، وطالَ به داء[٣] العِشْقِ والهُيام، فإن كان معشوقُه امرأةً فلْيجتَهِدْ في نِكاحِ تلك المرأةِ التي ابتُلي بها إن تيسَّر له ذلك، فإن لم يتيَسَّر له تزويجُها[٤] لمانعٍ من الموانع ـ أو كان معشوقُه غلاماً ـ فليجتَهِدْ في مُطلَق الزَّواج[٥] إن أمكَنَه.

قال الأطِبّاء: إن سبَب العِشْق النَّفسانيِّ الاستحسانُ والفِكرُ، وسبَب العِشْق البدَنيِّ ارتفاعُ بُخارٍ رديءٍ إلى الدِّماغ عن مَنيٍّ مُحتَقِن، ولذلك كان أكثَرَ ما يعتَري العُزّابَ، وكثرةُ الجِماع تُزيلُه بسُرعة[٦]، ويحمَدُ العاشِقُ عاقِبةَ الزَّواج أو التَّسرّي في هذه الحالة.

فعَن عَطاءٍ الخُراسانيّ: مكتوبٌ في التوراة: كلُّ تزويج على غير هوىً حَسرةٌ ونَدامة[٧].

---

(١) هذا البيت ليس في (م).

(٢) يُنظر: «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» لابن عربي (٢/ ٣٥٩)، وذكر أنه نظمها ارتجالًا، وآخرُها:

حديثٌ كزهرِ الرَّوضِ عطَّرَهُ الندى وفي الطَّعمِ طَعمُ المَنِّ فيه مع السَّلوى

(٣) قوله: «داء» ليس في (م).

(٤) في (م): «ذلك ويحبها».

(٥) في (م): «التزويج».

(٦) يُنظر: «روضة المحبين» (ص٩٩).

(٧) أسندهُ إليه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٧٦).

ويُروى في الحديث: «أيما شابٍّ تزوَّجَ في حَداثةِ سِنِّهِ عَجَّ شَيطانُه: يا وَيلَه! عَصَمَ منّي دِينَه»[(١)].

وقال بعضُهم: سمعتُ الإمام أحمَدُ يقولُ: ليس العُزوبيّة من أمرِ الإسلام في شيء، والنبيُّ ﷺ تزوَّج أربعَ عشْرةَ امرأة، وماتَ عن تِسع، ثم قال: ولَو كان بِشرُ بن الحارثِ تَزوَّجَ كان قد تمَّ أمرُه كلُّه، لو ترَكَ الناسُ النِّكاحَ لم يَغزُوا ولم يحُجُّوا[(٢)]، ولم يكُن كَذا، ولم يكُن كذا[(٣)].

وقال[(٤)] القاسمِ ابنُ مُحمّدٍ النّميري: ما رأيتُ شابّاً ولا كَهلاً من ولَد[(٥)] العبّاس أصوَن لنفسِه، وأضبطَ لحاشيته، وأعفَّ لِساناً[(٦)] وفَرْجاً من عبدِ الله بنِ المُعتَزّ، وكان يَعيبُ العِشْق، ويقول: هو طَرَفٌ من الحُمق، وكان إذا رأى منا مُطرِقاً مُفكِّراً اتّهَمَه بهذا المعنى، ويقول: وقعتَ ـ واللهِ ـ يا فلانُ، وقَلَّ عقلُك!

وما زال كذلكَ إلى أن رأيناهُ وقد حدَثَ به سَهوٌ شَديد، وفِكرٌ دائم، وزَفيرٌ[(٧)]

---

(١) رواه أبو يعلى الموصلي في «المسند» (٢٠٤١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٧٥) عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٣): فيه خالد بن إسماعيل المخزومي، وهو متروك.

(٢) في (م): «يحج».

(٣) قوله: «ولم يكن كذا» الثاني ليس في (م). وقولُ الإمام أحمد في «الورع» له برواية المروزي (٣٨٨)، وينقل المؤلف عن «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٢٧٤).

وبشر بن الحارث هو ابن عبد الرحمن، المروزي، الزاهد، المشهور بالحافي (٢٢٧هـ).

(٤) زيد في النسختين هنا «ابن»، والتصويب وفاقاً لمصدره.

(٥) في (م): «بني».

(٦) في (م): «سماناً».

(٧) بيض في (م) لقوله: «وزفير».

مُتابِع، وسَمِعناه يُنشِدُ الأشعارَ لنفسِه، فقُلنا له[١]: جعلَنا اللهُ فِداكَ! هذه أشياءُ[٢] كنتَ تَعيبُها منا، ونحنُ الآن نُنكِرُها علَيك! فما زِلنا به حتى تحقَّقنا عشقه[٣].

قال أبو بكر الصُّولي: فاعتل عبد الله ابن المعتَزّ، فأتاه أبوهُ عائداً، فقال له: ما عَراكَ يا بُنيّ؟! فأنشَأ[٤] يقول [من الخفيف]:

أيُّها العاذِلونَ لا تعذِلوني ... وَانظُروا حُسنَ وَجهِها واعذُروني

وَانظُروا هَل تَرَونَ أحسَنَ مِنها ... إنْ رأيتُم شَبيهَها[٥] فَاعْذِلُوني

بي جُنونُ الهوى وما بي جُنونٌ[٦] ... وجُنونُ الهوى جُنونُ الجُنونِ

قال: فتَتَبَّع[٧] أبوهُ الحالَ، حتّى وقعَ علَيها، فاشتَرى له الجاريةَ التي شُغِفَ بها بتِسعةِ آلافِ دينار، ووجَّهها إلَيه، فزالَ ما به[٨].

وأنشد مُوفَّقُ الدين ابنُ أبي الحَديد ـ والثلاثةُ الباقيةُ تذييلٌ لمؤلِّفه الفَقير[٩] ـ [من الكامل]:

---

(١) قوله: «له» ليس في (م).

(٢) في (ق): «أشياء».

(٣) في (ق): «تحققنا عشقه». وقد ذكر الخبرَ مطوّلًا بأشعارٍ ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٨٤ ـ ١٨٦).

(٤) في (م): «فأنشد».

(٥) في (ق): «شبهها».

(٦) في (م): «بي جنون الصور ما بي جنون».

(٧) في (م): «فاتبع».

(٨) يُنظر: «ذم الهوى» (ص١٨٦).

(٩) قوله: «ابن أبي الحديد» إلى هنا ليس في (م).

وهو الموفق قاسم بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني البغدادي، الأصولي، الأديب، صاحب الإنشاء، ويدعى: أحمد، أخو عزِّ الدين عبدِ الحميد شارح «نهج البلاغة»، كانا من كبار الفضلاء، وأرباب الكلام والنظم والنثر والبلاغة، والموفق أحسنُهما عقيدة، فإن العزَّ معتزلي، ماتا كلاهما سنة (٦٥٦هـ). يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٢٧٤).

زَعَمَ ابنُ سِينا في عُقُودِ كَلامِهِ[١] أنّ المُحِبَّ دَواؤُهُ الألحانُ
ووِصالُ غيرِ حَبيبِهِ مِن جِنْسِهِ والماءُ[٢] والصَّهْباءُ والبُستانُ
فَصَحِبْتُ غَيرَكَ لِلتّداوي ساعةً وَأعانَني المَقدُورُ والإمكانُ
فَازْدادَ بِي شَوْقاً إلَيكَ وَشَفَّني شَغَفي، وَثارَت نَحوَكَ الأشجانُ[٣]
فعَلِمتُ أنَّ العِشْقَ داءٌ مُفرِطٌ بُقْراطُ فِيهِ كَلامُهُ هَذَيانُ
وَأنا الخَبيرُ بِطِبِّهِ وَدَوائِهِ فَافْهَمْ كَلامي أيُّها الإنسانُ
لا شيءَ مِثلُ الوَصْلِ، ذاكَ دَواؤُهُ وَالوَصْلُ أنواعٌ، وَفيهِ بَيانُ
إنْ كانَ مِن وَجْهٍ حَلالٍ حَبَّذا أو لا، فَذاكَ مَذَلّةٌ[٤] وَهَوانُ

ولقد أحسَنَ صاحبُ «الموجَز في الطِّبّ» - بل أنصَفَ - حيثُ قال: لا شيءَ للعاشِقِ كالوِصال[٥].

وأنشَدوا [من الخفيف]:

زائرٌ ساقَهُ إليَّ المَنامُ فاشتَفى من عناقِهِ[٦] المُستَهامُ
فاشتَفى من عناقِهِ[٧] المُستَهامُ ـهِ[٨] وَقَبَّلْتُهُ وطالَ اللِّثامُ

---

(١) في (م): «نظامه».

(٢) في (م): «والمال».

(٣) في (م): «الأجفان»، ومطلع البيت فيها: «وازدد في».

(٤) في (م): «مذهلة».

(٥) يُنظر: «الموجز في الطب» لابن النفيس (ص١٨٥).

(٦) في (ق): «علاقة».

(٧) في (ق): «علاقة».

(٨) في (م): «خذه».

وإذا كـانَ وَردُ[١] خَـدَّيـهِ عِـنـدي ... فَعَلَى الـوَرْدِ فـي الرِّيـاضِ السَّـلامُ
حَبَّـذا زَورَةُ الحَبيـبِ وَإنْ كـا ... نَ سُـرُوراً أَتَـتْ بـه الأحـلام[٢]

قلتُ: فإن لم يتيَسَّر للعاشِقِ نكاحُ مَن عَشِقَها، ولا نِكاحُ غَيرِها، فلْيشتَغِلْ بالصِّناعات، أو بالرِّياضة، أو بالبُعد عن المعشوق؛ فإنّ ذلك يُسكِّن الفِكرة، ويُنقِصُ العِشْق؛ لأن سببَ العِشْق الفراغُ وخُلُوُّ البال، لا سيّما إذا بعُدَ[٣] عن معشوقِه باشتِغال صَنعَتِه.

قال بعضُهم: طريقُ عِلاج العِشْق البُعدُ عن المعشوق؛ بحيثُ لا يَراهُ ولا يَسمَعُ كلامَه؛ فإن البُعدَ جَفاء[٤]، والقُرب مَودّة.

قال الشاعر [من الطويل]:

تَزَوَّدتُ مِن لَيلى بِتكليمِ ساعةٍ ... فَما زادَ إلّا ضعْفَ ما بيْ كَلامُها[٥]

وقال[٦] [من الوافر]:

وأعظَمُ ما يَكونُ العِشْقُ يوماً ... إذا دَنَتِ الخِيامُ مِنَ الخِيامِ

وليُكثِرْ من التفكُّر في مَساوئ المعشوق، وقَبيحِ صِفاتِه، وعاقبةِ أمرِه،

---

(١) في (ق): «ورود».

(٢) في (ق): «الأحكام». ولم أجد الأبيات.

(٣) في (م): «أبعد».

(٤) يُنظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (ص٦٣٥).

(٥) نسبه العيني في «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» (٢/ ٩٤٥) لمجنون بني عامر، وليس في «ديوانه».

(٦) في (م): «وقلت». وتقدم البيت.

وكثرةِ عُيوبِه؛ فقد قال العلّامةُ ابنُ الجَوزيّ: الإطّلاع على بعض العُيوب يقدَحُ في المَحبّة[١].

قال بعضُ الحُكَماء: مَن نام إلى جانبِ محبوبِه، فرأى منه ما يكرَهُ سَلَاه[٢].

وقد مرَّ قولُ ابن مسعود: إذا أعجَبَ أحَدَكُم امرأةٌ[٣] فلْيذكُر مُنتَهاها.

وقولُ[٤] المُتَنبّي [من السريع]:

لو فكَّرَ العاشِقُ في مُنتَهى حُسْنِ الذي يَسبيهِ[٥] لم يسبه

قلتُ: فإن لم يتيَسَّر للعاشِقِ جميعُ ما قدَّمنا ذِكرَه[٦]، واستَمرَّ به الحال، فلْيجتَهِدْ في الجَمعِ بينَهُ وبينَ معشُوقِه على وجهٍ لا يُؤدّي إلى الحَرام.

قال الوليُّ العراقي ـ رَحِمه الله ـ: وأباحوا لـمَن وَصَلَ إلى حَدٍّ يَخافُ على نفْسِهِ منهُ[٧] الهلاكَ القبلةَ في الجَبين لردِّ نفسِه وشَهوَتِه.

قالوا: لأن في تَركِها ما يُؤدّي إلى هَلاك النَّفْس[٨]، والقُبلةُ صَغيرة، وهَلاكُ النَّفْس كبيرة، وإذا وقَع الإنسان في مرضَين خطِرَين داوى أخطرَهُما، ولا خطَرَ أعظَمَ مِن قتلِ النَّفْس؛ حتى أوجَبوا على المعشوق مُطاوَعَتَهُ لذلك؛ إذا عَلِمَ أنّ ترْكَ

---

(١) حكاه عنه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (ص٦٣٥).

(٢) ذكره ابنُ مفلح في «الفروع» (٨/ ٣٨١) عن «السرّ المَصون» لابن الجوزي.

(٣) في (م): «جارية».

(٤) في (م): «وقال».

(٥) في (ق): «يُسبه».

(٦) قوله: «ذكره» ليس في (م).

(٧) قوله: «منه» ليس في (م).

(٨) في (م): «إلى الهلاك».

ذلك يُؤدّي إلى هَلاكِه، واستَدلُّوا على ذلك بقَولِه تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الآية [هود: ١١٤][١].

قالوا: إن سبَب نُزولها أنَّ رجُلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللهِ، إني أصبت منِ امرأةٍ أجنبيّةٍ كلَّ شيءٍ إلا النِّكاحَ، فقال لَه النبيُّ[٢] ﷺ: «أصلّيتَ معنا؟»، قال: نعم، قال: «قد غفَرَ الله لك»، فنزَلَت هذه الآية[٣].

واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢].

قال بعضُ السَّلَف: ما رأيتُ شيئاً أشبَهَ باللَّمَم من قولِ أبي هُرَيرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «كتب على ابنِ آدَمَ حظّه مِن الزنى، أدرَكَ[٤] ذلك لا محالة، فالعين تزني وزِناها النَّظَر، واللسان يزني وزِناهُ النُّطق، والرِّجلُ تَزني وزِناها الخُطا[٥]، واليدُ تَزني وزِناها البَطْش، والقلبُ يَهوى ويتَمَنّى، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلِكَ أو يُكَذِّبُه»[٦].

قلتُ: ولم يجوِّز أحَدٌ من العلماء للعاشِق من المعشُوق سِوى ما مرَّ نقْلُه عن الوليِّ العراقيِّ من جواز القُبلة بشَرطِه، ومعَ ذلك فلا ينبَغي التَّفَوُّه[٧] به للعامّة ومَن

---

(١) قوله: «الآية» ليس في (م).

(٢) قوله: «النبي» ليس في (م).

(٣) رواه البخاريُّ في «صحيحه» (٥٢٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٦٣) عن ابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

(٤) في (ق): «أدركه».

(٥) ليس في (م) قوله: «الخُطا».

(٦) بعضُ السلف المقصود هو ابن عباسٍ ـ رضي الله عنه ـ كما روى البخاريُّ في هذا الحديث في «الصحيح» (٦٢٤٣)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٥٧). والتعليل بطوله من «فتوى في العشق» لابن تيمية (ص١٨٤).

(٧) قوله: «التفوه» ليس في (م)، وقبله فيها: «من جواز القُبلة بنقله».

شاكَلَهُم؛ لئلّا يجعَلوهُ ذَريعةً للوُقوع في الحَرام؛ إذ لم[١] يُوجَد فيهِم شرطُ ذلك.

* **لطيفة:**

اعلَم أنَّ كلامَ العرَب ـ ومَن وافَقَهم ممّن يتكلّم في العِشْق ـ إنما يَعنُون بذلك عِشْقَ النِّساء؛ لأن أولئك القومَ في الزَّمَنِ الأول لم يكُن للغِلْمان عندَهم قَدْر، ولا تَميلُ الطِّباعُ لعِشْقِهم.

وأما في زَمانِنا هذا فقَد زادوا[٢] في عِشقِهم أعظَمَ من عِشْق النِّساء، وبهِمُ[٣] الفتنةُ الآنَ موجودة.

وقد نقَلَ الإمامُ النَّوَويُّ ـ رَحِمَه الله تعالى ـ تحريمَ النَّظَر إلى الأمرَدِ[٤] الحَسَن بشَهوَة وبغَير شَهوة، وأفتى به، وصَحّحه ذاهِباً[٥] إلى سدِّ هذه الذَّريعة.

فلْيَحذَرِ العاشِقُ[٦] من الوُقوع معَهم في الحَرام؛ فقَد شدَّدَ الشّارعُ في ذلك.

[بيان عُقوبة مَن جنَحَ للفِعل الذَّميم]

واختلف العلماء في عُقوبة اللُّوطيّ وغلظِها على مَذاهِب[٧]:

---

(١) في (ق): «الحرام مع أن لم».

(٢) زيد في (م) هنا: «على عِشْقِهم على الحدَّ، وإن زادوا على أولئك»، وأراه تخليطاً.

(٣) في (ق): «وهم».

(٤) في (م): «المرد».

(٥) في (م): «ذهاباً»، وليس في (ق) قوله: «وأفتى به».

والمذكور في غير ما كتاب من كتب النووي؛ مثل «شرح صحيح مسلم» (٤/ ٣١)، و«الفتاوى» (ص١٨٢).

(٦) زاد في (ق) هنا: «الهم»، ولا أراها.

(٧) اقتبسها المؤلفُ من «الداء والدواء» لابن القيم (ص٣٩٢ـ٣٩٨).

فمَذهب[١] أبي بكرٍ وعليٍّ وخالدِ بن الوَليد وعبدِ الله بن الزُّبَير وعبدِ الله بن عبّاسٍ وجابرِ بن زيدٍ وعُبَيدِ الله بن مَعمَر والزُّهريِّ ورَبيعةَ ومالكٍ وإسحاقَ وأحمَدَ ـ في إحدى الرِّوايتَين ـ والشّافِعيِّ ـ في أحَدِ القولَين ـ: أن عُقوبة اللواط[٢] أغلَظُ من عُقوبة الزنى، وأن عقوبتَه[٣] القتلُ على كلِّ حال، مُحصَناً أو لا.

ومذهبُ عَطاء بنِ أبي رَباحٍ والحسَنِ البَصريِّ وسَعيدِ بن المُسيّب وإبراهيمَ النَّخَعيّ وقَتادةَ والأوزاعيِّ والشّافِعيِّ ـ في ظاهر مَذهَبِه ـ وأحمَدَ ـ في أصحِّ الروايتَين ـ وأبي يوسُفَ ومُحمّدٍ: أنّ عقوبتَه وعُقوبة الزاني سواءٌ.

ومذهب الحكَمِ وأبي حنيفة: أنَّ عقوبته[٤] دونَ عُقوبة الزاني، قالوا[٥]: وهو التّعزيز، قالوا: لأنه معصيةٌ لم يُقدِّرِ الشارعُ فيها حَدّاً[٦]، فكان فيها التعزيز.

وحجّةُ المذهَب[٧] الأوّل: أنّه من أعظَمِ المفاسِد بعدَ الكُفر، وقولُه ﷺ: «مَن وجَدتُموهُ يعمَلُ عمَلَ قومِ لُوطٍ فاقتُلوا الفاعِلَ والمفعولَ به». رواه أهل السُّنَن، وصحَّحه ابن حِبّانَ وغيرُه[٨].

---

(١) قوله: «فمذهب» سقط في (م).

(٢) في (م): «اللوطي»، وسقط فيها قبلها حرف الجرّ «في».

(٣) سقط في (م) قوله: «الزنى وأن عقوبته».

(٤) في (م): «عقوبة». وسقط فيها قولُه: «عقوبته وعقوبة الزاني سواء. ومذهب الحكَمِ وأبي حنيفة: أنَّ».

(٥) قوله: «قالوا» ليس في (ق).

(٦) في (م): «قالوا: لأن الشارع لم يقدر فيها حد».

(٧) في (م): «مذهب».

(٨) رواه من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً أبو داود في «سننه» (٤٤٦٢)، والترمذي في «سننه» (١٤٥٦)، وابن ماجه في «سننه» (٢٥٦١)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٧٣٢)، والحاكم =

وأطبَق أصحابُ رَسُول اللهِ ﷺ على قتلِه، وقضيّةُ خالدٍ في اللُّوطيِّ مشهورةٌ حين[1] استَشار الصِّدّيقُ فيه الصحابةَ، فرأى عليٌّ أن[2] يُحرَّقَ بالنار، فكتَبَ أبو بكرٍ إلى خالدٍ، فحَرّقه[3].

قال بعضُهم: واجتَمع رأيُ الصحابةِ في خِلافة الصِّدّيقِ على أن يُحرَّقَ اللُّوطيُّ بالنار، وقد حرَّقهم ابنُ الزُّبَير، وهشامُ بنُ عبد الملِك[4].

ويُروى أن عليّاً ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ رجَمَ لُوطيّاً، وهو مذهبُ الشّافعيِّ وأحمَدَ بشَرطِه، وهو أن يكون اللُّوطيّ مُحصَناً مكلَّفاً مُختاراً.

وسئل ابنُ عبّاس: ما حد اللُّوطيّ؟ قال: يُنظَرُ أعلى بيتٍ في القَرية، فيُرمى مُنكَّساً، ثم يُتبَعُ بالحِجارة، وهو مَذهَبُ الحنَفيّة[5].

= في «مستدركه» (٨٠٤٧) وصحّحه، ولم يروه ابن حبان هكذا، بل هو في «صحيحه» (٤٤١٧) بلفظ: «ولعن الله من عمل عمل قوم لوط» ثلاثاً.

(١) في (ق): «حتى».

(٢) في (ق): «فرأى أنه».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٤٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢١٢)، ورواه الآجري في «ذم اللواط» (٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٠٢٨)، وذكر أنه مرسل.

(٤) القول في رواية ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٤٠)، وعنه في «ذم الهوى» (ص٢١٢)، وفيهما ذكرُ حكاية تحريق ابن الزُّبَير وهشامُ بنُ عبد الملِك للُّوطيّ دون إسناد.

وفي حكاية هذا الإجماع نظَر؛ لسببين: الأول كون الحديث مُرسَلاً، والثاني ما تراهُ من وجودِ أقوال أخرى.

(٥) من قوله: «ويروى أن عليا» إلى هنا ليس في (م).

وروى أثرَ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٢٤)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢١٢).

وروى أثرَ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٢٥)، والآجري في «ذم =

وقال سفيانُ الثَّوريُّ: لو أن رجُلاً عبَثَ بغُلامٍ بين أصبعَين من أصابع رِجلَيه ـ يُريدُ الشَّهوةَ ـ كان لواطاً[١].

وثبَت عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ: «لعَن الله من عَمِلَ عَمَلَ قَومِ لوط». قالها ثلاثاً[٢].

وفي حديثِ ابن عُمَر: «لم يَعل فَحْلٌ فَحْلاً حتى يكونا[٣] من قَوم لوط، فإذا فعل ذلك اهتز عرش الرحمن».

وفي «الصحيح»: «لا يَزني الزّاني حين يَزني وهو مُؤمِن»[٤].

وفي «الصحيح» أيضاً: «أخوَفُ ما أخافُ[٥] عليكم عمَلُ قومِ لُوط».

والله تعالى أعلَم.

= اللواط» (٣٠)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢١٢).
ويُنظر لأحكام المذاهب الأربعة: «رد المحتار على الدر المختار» لابن عابدين (٤/ ٢٧)، و«الشرح الكبير» للشيخ الدردير (مع حاشية الدسوقي) (٤/ ٣١٤)، و«الشرح الكبير» للرافعي (١١/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، و«المغني» لابن قدامة (٩/ ٦٠).

(١) في (م): «لوطياً». وقد روى هذا القولَ ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٢٣)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٢٥٣).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٨١٦)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٧٢٩٧)، وابن حبان في «صحيحه (٤٤١٧)، والحاكم في «مستدركه» (٨٠٥٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) في (م): «لم يعمل فحل بفحل حتى يكون». وقد رواهُ ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٠٨) مرفوعاً باختلاف وزيادة.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٤٧٥)، ومسلم في «صحيحه» (٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (م): «يخاف»، وسقط فيها قبله قوله: «أيضاً».
ومراد المؤلف بقوله: «في الصحيح» تصحيحُ الحديث لا أنّه في أحد الصحيحين؛ فقد صححه الحاكم في «المستدرك» (٨٠٥٧)، ووافقه الذهبي. ورواهُ الإمام أحمد في «المسند» (١٥٠٩٣)، والترمذي في «السنن» (١٤٥٧) وقال: حسن غريب، وابن ماجه في «السنن» (٢٥٦٣).

الباب التاسع

في الحَذَر من إطلاق النَّظَر

وما قيل من العتاب بين القلب والبَصَر

وفي الحَذَر من المُرْد وأصحاب العِذار

وما قيل فيهم من الأشعار

[في الحَذَر من إطلاق النَّظَر]

اعلَم ـ وفَّقَكَ الله تعالى ـ أن البَصَر صاحبُ القلب، ينقل إليه أخبار[1] المُبصَرات، وينقُشُ فيه[2] صُوَرَها، فيجولُ الفِكرُ فيها، فيشغَلُه ذلك عن الفِكر فيما ينفَعُه من أمور الآخِرة.

ولما كان [إطلاقُ][3] البَصَر سبباً لوُقوع الهوى في القلب أمرك الشَّرعُ[4] بغَضِّه عمّا تخافُ عَواقِبه، فقال ـ سُبْحانَه وتعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وفي الحديث: «غُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم، واحفَظوا فُروجَكم»[5].

وفيه: «إيّاكُم والجلوسَ على الطُّرُقات»، قالوا: يا رَسُول الله، مَجالِسُنا ما لا بُدَّ

---

(١) زاد في (ق) هنا: «المرسلات».

(٢) في (م): «فيها».

(٣) في (م): «ولمان»، والاستدراك من مصدره: «ذم الهوى» (ص١٠٦).

(٤) في (م): «الشارع في».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٧٥٧)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٧١) في عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

منها»[١]، قال: «فإن كنتُم ـ لا بُدَّ ـ فاعِلين، فأعطُوا الطَّريقَ حَقَّه»[٢]، قالوا: وما حَقُّه؟ قال: «غضُّ البَصَر، وكفُّ الأذى، وردُّ السَّلام»[٣].

وقال ـ عليه الصلاة والسلامُ ـ لعليٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: «لا تُتبعِ النَّظرةَ النَّظرةَ؛ فإن الأولى لك، وليسَت لك الآخِرة»[٤].

وقال له أيضاً ـ: «يا عليّ، اتَّقِ النَّظرة بعد النَّظرة؛ فإنها سَهمٌ مسمومٌ يُورث الشَّهوةَ في القَلب»[٥].

وعن[٦] سُفيان: قال عيسى ـ عليه السلام ـ: إياكم والنَّظرة؛ فإنها تزرَعُ في القلب الشَّهوة[٧]، وكفى بها لصاحبِها فتنة.

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: النَّظَر لغير حاجةٍ إلى محلِّ الفِتنة لا يجوز، ومن كرَّر النَّظَر ونحوَه وقال: إني لا أنظُرُ في شهوة؛ عُذِّب في ذلك؛ فإنه إذا لم يكُن له داعٍ ـ يحتاجُ معه إلى النَّظَر ـ لم يُكرِّره، ولا يتكرَّرُ إلا بما يحصُل في القلب من اللَّذّة والسُّرور بذلك[٨].

---

(١) في (م): «في بد لنا منه».

(٢) في (م) هنا وبعد قليل: «حقها»، وفيها قبله: «قاعدين».

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٤٥٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٢١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بنحوه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٩٧٤)، وأبو داود في «سننه» (٢١٤٩)، والترمذي في «سننه» (٢٧٧٧) عن بُريدة رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١١٣) عن عليٍّ رضي الله عنه.

(٦) في (ق): «وقال».

(٧) في (ق): «شهوة». وقد رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١١٤).

(٨) قول ابن تيمية كله ليس في (ق)، وهو في «مجموع الفتاوى» له (١٥/ ٤١٩) بنحوه.

فاحذَرْ من شرِّ النَّظَر، فكم قد أهلَكَ من عابِد، وفسَخَ عزْمَ زاهِد، وكم أبعد عن[1] فَضيلة، وأوقَعَ في رَذيلة، وعِلاجُه في بِدايتِه[2] قَريب، فإذا تكرَّر زادَ المرضُ وعَزَّ الطبيب، سيما إذا تكرَّر[3] النَّظَرُ في محاسِن الصورة ونقَلَها إلى قلب متفرِّغٍ[4] فنقَشَها فيه، فكلما تَواصَلَت[5] النَّظَرات، عظُمت الحَسَرات، فيفسُدُ القلب، ويخرُجُ بصاحِبِه إلى المِحَن ويرتَكِبُ المحظورات، ويقَعُ بسَبَبِ ذلك في الهَلَكات.

والنَّظَرُ أصلُ عامّةِ الحَوادث التي تُصيب الإنسان[6].

وأنشَدوا [من البسيط]:

كلُّ الحَوادث مَبْداها مِنَ النَّظَرِ ... ومعظَمُ النارِ من مُستَصغَرِ[7] الشَّرَرِ

كم نظرةٍ بلَغَت مِن قَلبِ صاحِبِها ... رَمْيَ السِّهامِ بِلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ

والعبدُ ما دامَ ذا طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ ... في أعيُنِ الغِيْدِ موقوفٌ على الخَطَرِ

يَسُرُّ مُقلَتَهُ ما ضَرَّ مُهجَتَهُ ... لا مَرحَباً بسُرورٍ عادَ بالضَّرَرِ[8]

---

(١) في (م): «من».

(٢) في النسختين: «تدانيه»، وفي (م) قبلها: «وعاجله». ويُنظر: «ذم الهوى» (ص١١٧).

(٣) قوله: «إذا تكرر» ليس في (م).

(٤) في (ق): «القلب المتفرغ».

(٥) في (م): «واصلت».

(٦) يُنظر: «الداء والدواء» لابن القيم (ص٣٥٠) ثم ذكر الأبيات دون نسبة، والبيتان الأخيران مع بيتين آخرَين في «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص١٢٢) ينسبها لعبد المحسن بن غالب الصوري، ترجمه الذهبي في «السير» (١٧/ ٤٠٠) فوصفه بشاعر الشام، قال: ونظمه فائق، (ت ٤١٩هـ).

(٧) في (م): «مستعر»، وفي (ق) في صر البيت: «مبدؤها».

(٨) في (م): «بالنظر»، وفيها في صدر البيت: «ضرّ سجيته»، وفي (ق) قبلها: «بسُور»، وطرَفُ البيت فيهما: «لا سرّ مقلته».

[ما قيل من العتاب بين القلب والبَصَر]

وقد أنشَدَ العُقَلاء في وصفِ البلايا التي حلَّت بالناظِرين[١]، وتكلّموا في العِتابِ بين القلب وبينَ العين[٢]، بما يرِقُّ له قلوبُ الحاسِدين.

قال الفَرَزدقُ [من الطويل]:

تـزوَّدَ منهـا نـظرةً لـم تَـدَعْ لَـهُ ... فُؤاداً، ولـم يشـعُرْ بمـا قـد تَـزوَّدا

فلـم أر مقـتولاً ولـم أر قـاتـلاً ... بغير سـلاح مثلهـا حيـن أقصـدا[٣]

وقال آخَرُ [من البسيط]:

يقـول قلبـي لطرفي إذ بكـى جـزعاً: ... تبكي وأنـتَ الـذي حَمَّلتَنـي الوَجَعا؟

فقال طـرفـي لـه فيمـا يـعـاتـبـه: ... أنتَ الـذي عَرَّفتَني الآمـالَ[٤] والطَّمَعا

حتـى إذا مـا خَـلا كُلٌّ بـصاحِبِهِ ... كِلاهُما بِطَويـل السُّـقْم قـد قَنِعـا

ناداهُمـا كَبِـدي: لا تتلفـا؛ فـلَقَـد ... قَـطَّعتُماني بِمـا لاقَيتُمـا قِطَعـا[٥]

وقال آخَرُ [من السريع]:

مُتَيَّـمٌ يَرعـى نُجُـومَ الـدُّجى ... يَـبكي عليـهِ رحمـةً عاذلُـهْ

---

(١) يُنظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص١١٨)، ثم أورد أشعاراً كثيرة انتقى الكرميُّ بعضها، وقد عقد ابن القيم في «روضة المحبين» البابَ السابع في ذكر مناظرة بين القلب والعين، ولومِ كلٍّ منهما صاحبَه، والحكم بينهما.

(٢) في (ق): «القلب والعين»، وقبلها في (م): «وتكلموا بالعتاب».

(٣) البيتان في «ذم الهوى» (ص١١٨)، وهما مطلع قصيدة في «ديوان الفرزدق» (١/ ٢٤٣).

(٤) في (م): «عرتني الأمل». وسقط إلى هنا فيها من قوله في البيت السابق: «حملتني الوجعا».

(٥) الأبيات في «ذم الهوى» (ص١١٩) من إنشاد الدولابي.

عَيْنــيْ أشــاطَتْ بِدَمــي فــي الهوى فـابْكُــوا قَــتيلاً بعضُــهُ قاتِلُــهْ[1]

وقال آخَرُ [من الوافر]:

ومـا أدري إذا مـا جَـنَّ لَيْلي أشــوقاً فـي فُـؤادي أم حَريقـا

ألا يـا مُقْلَتـيَّ دَهَيتُـماني[2] بلَحظِكُما، فَذُوْقـا ثُـمّ ذُوْقـا

وقال آخَرُ [من الكامل]:

نظَـرُ العُيـونِ إلـى العُيـونِ هُـوَ الذي جَعَـلَ العُيـونَ علـى القُلـوبِ وَبَـالا

ونَهَيـتُ نَومـي عـن جُفُونـي فانتَهى وأمَـرتُ لَيلـيْ أن يَطُـولَ فَطـالا[3]

وقال آخَرُ[4] [من الرمل]:

كانَ طَرْفـيْ أصْلَ سُـقْمي في الهـوى لا أذاقَ[5] اللهُ طَـرْفـي الـوَسَـنـا

لـو تَحـرَّى فـي مَرامـي لَحْظِـهِ يَوْمَ سَـلْعٍ[6] مـا عَنانـي مـا عَنَـى

---

(١) ليس البيتان والقول قبلهما في (ق)، وختام آخرهما في الأُخرى: «عاذلا»، ونسبهما في «ذم الهوى» (ص١١٩) لابن المعتز، وهما في «ديوانه» (١/ ٤٠٩).

(٢) في (م): «دنيماني»، والبيتان في «ذم الهوى» (ص١١٩) لابن المعتز، ولم أجدهما في «ديوانه».

(٣) ليس البيتان والقول قبلهما في (م). وهما لإبراهيم بن المهدي العباسي في «أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم» لأبي بكر الصولي (ص٢٢).

(٤) قوله: «آخر» ليس في (ق).

(٥) في (م): «ذاق».

(٦) في (م): «سلم»، وفي صدر البيت فيها: «في رامي» وفي (ق): «في لامي»، والتصويب من «ذم الهوى» (ص١٢٤) ونسب البيتين لعليٍّ بن أفلح، وهو أبو القاسم العَبْسي الكاتب، كان فيه فضل حسن، وله شعر مليح، (ت ٣٥٣هـ)؛ كما في ترجمته في «المنتظم» (١٧/ ٣٣٨).

وقال آخَرُ [من الكامل]:

لَأُعَذِّبَنَّ العَينَ غَيرَ مُفَكِّرٍ ... فِيها جَرَت بالدَّمعِ أم[1] فاضَتْ دَما

ولَأَهجُرَنَّ مِنَ[2] الرُّقادِ لَذيذَهُ ... حتّى يَصيرَ على الجُفُونِ مُحَرَّما

سَفَكَت دَمي، فَلَأَسفِكَنَّ دُمُوعَها ... وهِيَ التي بدَأَت، فكانَت أظلَما

هيَ أوقَعَتني في حَبائلِ فِتنةٍ ... لو لم تكُنْ نَظَرَت لَكُنتُ مُسلَّما[3]

وقال آخَرُ [من البسيط]:

يا ربِّ ماذا[4] جَنَت عَيْني عَلى بَدَني ... مِنَ السِّقام، فَلَيتَ العَينَ لم تكُنِ

لم تذهَبِ النَّفْسِ إلا عِندَ لَحظَتِها ... وَحَسبُها أن تَرى المَملوكَ يَملِكُني[5]

جِسْمي وَرُوحي مَقرُونان في قَرَنٍ ... مُوَكَّلان بِطُولِ السُّقْمِ والحَزَنِ

وقال آخَرُ [من الطويل]:

فَواللهِ ما أدري[6] أَنَفْسي أَلُومُها ... على الحُبِّ، أم عَيني المَشْوْمَةِ أمْ قلبي

إذا لُمتُ قلبي قال: نَفْسُكَ أذنَبَتْ ... وإنْ لُمتُها قالت: خُذُوا[7] العَينَ بالذَّنْبِ

---

(١) في (م): «أو»، وفي (ق) قبلها: «جرى».

(٢) «من» سقط في (م).

(٣) في (ق): «سلما»، وفي النسختين قبلها: «لكانت»، والتصويب من «ذم الهوى» (ص١٢٤) ينسب الأبياتَ فيه للوزير أبي شجاع محمد بن حسين بن عبد الله بن إبراهيم الروذراوريّ (٤٨٨هـ)، ترجمه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٧/ ٢٢) ترجمة طيبةً ذكر فيها أنه كان له شِعر حَسَن.

(٤) في (م): «إذ ما»، وفي (ق): «إذا ما»، والتصويب من «ذم الهوى» (ص١٢٠) ينسب الأبيات لخالد الكاتب، وهي ليست في «ديوانه».

(٥) في (م): «مالكي».

(٦) في (م): «بالله ما ندري».

(٧) في (م): «خذ».

فقَلبيْ وطَرْفي قد تـشـارَكْنَ فـي دَمـي ... فيا رَبِّ كُنْ عَوْناً[١] على العَيْنِ والقَلْبِ

ولابن العَرَبيِّ ـ رَحِمَهُ الله ـ [من البسيط]:

أقـولُ للقلـبِ [قـد][٢] أورَثتَنـي سَقَماً ... فـكَـيـفَ عَينـاكَ قادَتْنـي إلـى التَّلَفِ

لـو لـم تَرَ العينُ لـم أُمْسِ حليفَ ضنـاً ... وإنْ أمُتْ فيـهِ ما في الحُـبِّ مِن خَلَفِ

لذاكَ قَسَّمتُ[٣] ما عِنْدي على بَـدَنـي ... مِنَ الضَّنَى والجَوى والدَّمْعِ والأَسَفِ

ولخالدِ بن يزيدَ[٤] [من البسيط]:

القلـبُ يحسُـدُ عينـي لَـذَّةَ النَّـظَـرِ ... والعَـيـنُ تحسُـدُ قلبـي لَـذَّةَ الفِكَـرِ

يقُـولُ قَلْبِـيْ لعَينِـيْ كُلّمـا نظَـرَت: ... كـم تنظُريـنَ؟ رَمَـاكِ اللـهُ بالسَّـهَرِ

العَيـنُ تُورِثُـهُ هَـمّـاً فـتَـشـغَـلُـهُ ... والقَلبُ بالدَّمـعِ يَنْهاهـا عَـنِ النَّظَـرِ

هذانِ خَصْمانِ لا[٥] أرضى بِحُكْمِهِما ... فَاحْكُمْ ـ فَدَيتُكَ ـ بينَ القَلبِ والبَصَرِ

ولِلعَبّاسِ بن الأحنَفِ[٦] [من السريع]:

---

(١) في (ق): «عوني». والأبيات في «روضة المحبين» (ص٨٠) دون نسبة.

(٢) في (م): «أقول لقلبي إذ». والاستدراكُ من «الفتوحات المكية» (٤/ ٧١ ـ ٧٢) ينسب الأبيات وقبله بيتٌ لنفسه.

(٣) في (م): «لذا أقسمت».

(٤) في (م): «وقال آخر». وهو خالدٌ الكاتب، والأبيات في «محاضرة الأبرار» لابن عربي (٢/ ٤٢٧)، وعنه في «ديوانه» (ص١٤١)، وأول الأبيات مع ثانٍ في «المحب والمحبوب» (٢/ ١١١) منسوبٌ لابن وهيب.

(٥) في (م): «لم».

(٦) «ابن الأحنف» سقط في (م). والبيتان في «الأغاني» (٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢)، «محاضرة الأبرار» لابن عربي (٢/ ٤٢٩)، و«ديوانه» (ص١٧٨ ـ ١٧٩).

قَلبـيْ إلـي مـا ضرَّنـي داعي[١] بـكَـثرةِ أسـقامي وأوجاعـي
كيـفَ احترِاسـي مِـن عَـدُوٍّ إذا كـانَ عَـدُوّي بيـنَ أضلاعـي

وله أيضاً [من مجزوء الوافر]:

أقـامَ[٢] قِيامَـتي نَـظَـري فَمَن يَعْـدُو عَلـى بَصَـري
تَعَـرَّضَ لـي الهَـوى غِرّاً[٣] فَشَيَّبَـني علـى صِغَـري
وكانَ هَـواكَ لـيْ قَـدَراً فَكَيفَ أفِـرُّ مِـن قَـدَري

وبالجُملـة؛ فالأشـعار فـي ذلك[٤] كثيـرة، وفيمـا ذكرنـاهُ كفايـةٌ للمُتَّعِظين[٥]، وعِبـرة للمُعتَبِرين.

[الحذَرُ من النظَر إلى النساء]

والحَذَرَ من النَّظَر إلى النساء، لاسيَما[٦] الجَميلات منهنّ، لا سيّما مع الخَلوة؛ فقد أمر الشارعُ بذلِك، وحَثَّ السلفُ نصيحةً للكف[٧] عمّا هنالِك:

فيُـروى: لا تُمكِّـنْ سَـمعَكَ مِـن صاحِـبِ لهـو[٨]، فيُلقـي فـي نفسِـكِ شـيئاً

---

(١) في (ق): «داعني».

(٢) في (م): «أقوم».

(٣) في النسختين: «للهوى غررا»، والتصويب من «محاضرة الأبرار» لابن عربي (٢/ ٤٢٩)، والأبيات عنه في «ديوان العباس» (ص١٥٥).

(٤) في (م): «مثل هذا».

(٥) في (م): «للمتيقظين».

(٦) قوله: «لاسيما» ليس في (ق).

(٧) في (م): «عن الكف».

(٨) في (م): «هوى».

يسخَطُ[١] اللهُ به عليك، ولا تخلُ بامرأةٍ ليست لك بمَحرَمٍ ولو أنكَ تقرأُ عليها القُرآن، ولا تدخُلَنَّ على أميرٍ ولو أنك تعِظُه[٢].

وقال سعيدُ بنُ جُبَير: لأنْ أُؤتَمَنَ على بيتٍ من الدُّرِّ[٣] أحَبُّ إلي من أن أُؤتَمَنَ على امرأةٍ حَسناء[٤].

وقال يوسُفُ بنُ أسباط: لو ائتمَنَني رجلٌ على بيتِ مالٍ لظَنَنتُ أني[٥] أؤدّي إليه الأمانةَ، ولو ائتمَنَني على زَنْجيّةٍ أن أخلوَ معها ما ائتَمَنتُ نَفْسي عليها[٦].

وفي حديث جابر: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخِرفلا يخلُوَنَّ بامرأةٍ ليس معها ذو مَحرَمٍ منها[٧]؛ فإن ثالثَهما الشيطان».

وفي حديث ابن عُمَر: «لا يخلُوَنَّ رجُلٌ بامرأةٍ لَيسَت له بمَحرَمٍ إلا همّ[٨] وهمت به...» الحديثَ.

---

(١) في (ق): «ليسخط».

(٢) هو ممزوج مما رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٦٦ ـ ١٦٧) في وصية عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران، ووصية يونس بن عبيد لحماد بن زيد.

(٣) في (ق): «الدرر». وفي هامشها: «الدرر: جمعُ درّة، وهي الجوهرة النفيسة».

(٤) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٧٩).

(٥) ليس في (ق) قوله: «أني».

(٦) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٧٩).

(٧) في (م): «منهما»، وليس في (ق) قبلها: «ذو». والحديث في «مسند أحمد» (١٤٦٥١).

(٨) في (ق): «همت». وروى هذا الحديثَ ابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما.

[الحَذَر من المُرْد وأصحاب العِذار]

والحَذَرَ ثمّ الحَذَرَ من النَّظَر إلى المُرْد؛ فإنّهم من أعظَمِ الفِتَن!

فإنّ الشيطان إنما يدخُل على العبد من حيث يُمكِنُه الدُّخول، فيأتي للعالم والعابد فيعرفُ أنهما قد أغلَقا عن أنفُسِهما باب النَّظَر من النِّساء الأجانب؛ لبُعد مُصاحَبَتِهنّ، وامتِناعِ مُخالَطَتِهنّ، والصّبيُّ مُخالِطٌ لهما، فيقَعَ بسبب النَّظَر[1] إليه في الفِتنة، فيا لها من فتنةٍ كم زلَّ فيها من قَدَم، وكم قد حُلّت من عزمٍ[2] وهِمَم، وعلى منهاج الحَذَر مَضى[3] سلفُ هذه الأمّة، وبه أمرَ[4] العلماء الأئمة.

قال فتحٌ المَوصِلي[5]: صحبتُ ثلاثينَ شيخاً كانوا يُعَدُّون من الأبدال، فكُلُّهم أوصَوني عند مُفارَقتي إيّاهم: اتّقوا معاشَرةَ[6] الأحداث.

وقال سُفيانُ الثَّوريُّ: يتبَعُ الجاريةَ شيطان، ويتبَعُ الغلامَ شيطانان[7].

ويروى أن سُفيانَ[8] دخل يوماً الحَمّام، فدخل عليه أمرَد، فقال: أخرِجوه؛ فإن كل امرأة معَها شيطان، ومَع كلِّ أمرَدَ ثمانيةَ عَشَرَ شيطاناً يُزَيِّنونَه في أعيُن الناس.

---

(١) في (م): «ذلك».

(٢) في (م): «حزم».

(٣) في (م): «مشى».

(٤) في (م): «أمن»، وفي (ق): «أمّ»، والتصويب من «ذم الهوى» (ص١٢٦).

(٥) قوله: «الموصلي» سقط في (م).

(٦) في (ق): «معاشر». وروى قوله ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٣٢).

(٧) في (ق): «شيطان». وذكرَ قول سفيانَ بشرُ بن الحارث في خبرٍ رواهُ في «ذم الهوى» (ص١٣٠ ـ ١٣١).

(٨) في (ق): «سلمان»، وفي (م): «سليمان». والصواب ما أثبتُّ. وذكر هذا عن الثوريِّ فريدُ الدين العطّار في «تذكرة الأولياء» (ص٢٣٤).

وقال(١) ابنُ [أبي] السائب: أنا على القارئ من الغُلامِ الأمرَدِ أخوَفُ من سبعين عَذراء.

ويُروى في حديث أَنَس: «لا تُجالِسوا أبناءَ الملوك؛ فإنّ الأنفُس تشتاقُ إليهم ما لا تشتاقُ إلى الجَواري»(٢).

ويُذكَر عن الشَّعبي قال: قدمَ وفدُ عبدِ القَيسِ على رَسُول اللهِ ﷺ وفيهم غلامٌ أمرَدُ ظاهرُ الوَضاءة، فأجلَسَهُ ﷺ وراءَ ظَهرِه(٣).

وقال إبراهيمُ الحَربيُّ: أول فَساد الصِّبيان بعضِهم من بعض.

---

(١) زاد في (م) هنا: «علي». وهو خطأ.

والقائلُ هو ما أثبتُّ؛ كما روى ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٢٩)، ثم رواه ثانيةً عقبَه عن عبد العزيز بن أبي السائب عن أبيه. وعبدُ العزيز هو ابنُ سليمانَ بن أبي السائب القرشي، وهو وأبوه سليمان مترجمان في «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٣٦/ ٢٨٩) و(٢٢/ ٣١٦) على التوالي.

(٢) قوله: «ما لا تشتاق» سقط في (م).

وأخرج هذا الحديثَ الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٦/ ٤٣٧)، وعنه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٢٦)، وذكر في «العلل المتناهية» (٢/ ٢٨٤) أنه حديثٌ لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ، وإنما هذا الكلام بعض السلف.

وفي إسناده عمرو بن الأزهر العتكي متروك متهم؛ كما في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٤٥).

وبعض السلف الذي عناهُ ابنُ الجوزي هو الحسن بن ذكوان، قال: لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن لهم صوراً كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذارى. رواه عنه ابنُ أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٣٩).

(٣) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٢٧). وهو ـ على إرساله وضعفِ مُجالد بن سعيد ـ قد نقَل ابنُ عِراقٍ في «تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢/ ٢١٦) عن الزَّركشي في «تخريج أحاديث الرافعي»: هذا حديثٌ منكَرٌ فيه ضُعفاءُ ومجاهيلُ وانقطاعٌ، وقد استدل بعضُهم على بُطلانه بخبر «إني أراكم من وراء ظهري». ا. هـ. والكلام عن داود ﷺ بهذا من الإسرائيليات القبيحة.

وقد افتُتِنَ بالأحداثِ خَلقٌ كَثيرٌ من الأفاضِل(١).

قال أبو حمزةَ الصُّوفيُّ: كان عبدُ الله بنُ موسى من رُؤساء الصُّوفيّة، فنظَر إلى غلامٍ في بعض الأسواق، فبُلي به وكاد يذهَبُ عقلُه عليه صبابةً وحُبّاً، وكان يقِفُ كلَّ يومٍ على طريقِه حتى يَراه إذا أقبَلَ وإذا انصَرَف، فطالَ به ذلك حتى حلَّ به الضَّنى، فكان لا يقدِرُ أن يمشيَ خُطوة، فأتيتُه يوماً لأعودَه، فقلتُ له: ما قصّتُك؟ فقال: أمورٌ امتَحَنَني اللهُ بها، فلَم أصبِرْ على البَلاء فيها، ورُبَّ ذَنْبٍ استَصغَرَهُ(٢) الإنسانُ وهو عندَ الله عَظيم، وحَقيقٌ لمن تعرَّض للنَّظَر الحَرام، أن تَطُولَ به الأسقام! ثم بكى، فقلتُ: ما يُبكيك؟ فقال: أخافُ أن يطولَ في النار شَقائي! فانصرَفتُ وأنا أرحَمُه؛ لِـما رأيتُ من حالِه(٣).

[ما قيل في المُرْد من الأشعار]

وقد تغزَّلَ في المُرْد كثيرٌ من الأفاضل، والأئمّة الأماثل؛ كما هو معلومٌ لمن وقف عليه في كلامهم؛ ففي «رِياض الألباب» أنّ العلامةَ عبدَ القاهِرِ البَغداديّ أنشَدَ(٤) هذِه الثلاثَ أبياتٍ الأُوَل، والأربعُ باقيها تذييلٌ

(١) قاله ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٣٥)، وروى قبله قول الحربي.

(٢) في (م): «استغفره».

(٣) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٣٧ ـ ١٣٨).

(٤) قوله: «أنشد» ليس في (ق)، وفي (م) قبلها: «القادر»، وفي (ق) قبلها: «للعلامة»، وفي النسختين: «الجرجاني»، والصوابُ ما أثبتُّ، وهو عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، الأستاذ، أبو منصور البغدادي، إمام عظيم القدر، جليل المحل، كثير العلم، حبر لا يساجل في الفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الكلام، (ت ٤٢٩هـ)، ترجمه ابنُ السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٣٦)، وروى له الأبيات الثلاثةَ، وتذييلَ والدِه تقيِّ الدين عليها. =

لقاضي القضاة تَقيّ الدين السُّبكي، وهي هذه [من الوافر]:

طلَبتُ مِنَ الحَبيب زَكاةَ حُسْنٍ عَلى صِغرٍ منَ القَمَرِ البَهيِّ
فَقال: وهَل على مِثْليْ زَكاةٌ عَلى رأيِ العِراقيِّ الكَمِيِّ؟[١]
فقُلتُ: الشّافِعيُّ لَنا إمامٌ وقَد فَرَضَ الزّكاةَ على الصَّبيِّ
فَقالَ: اذْهَبْ إذاً فاقْبِضْ زَكاتي[٢] بقَولِ الشّافعيِّ ـ مِنَ الوَليِّ
فقُلتُ لَهُ: فَدَيتُكَ مِن فَقيهٍ أَيُطلَبُ بالوَفاءِ سِوى المَليِّ
نِصابُ الحُسْنِ عِندَكَ ذُو امتِناع بلَحْظِكَ والقَوَامِ السَّمْهَرِيِّ[٣]
فإنْ أعطَيْتَنا طَوْعاً وإلّا أَخَذناهُ[٤] بِقَولِ الشّافِعيِّ

وقال أحمدُ بنُ يونُسَ: كان زَيدانُ الكاتبُ يكتُب بين يدَي القاضي يحيى ابنِ أكثَم، وكان زيدانُ جميلاً متَناهياً في الجَمال، فقرصَ القاضي خدَّه، فخَجِلَ زَيدانُ واستَحيا، وطرَحَ القلَمَ مِن يدِه، فقال له يحيى: اكتُبْ ما أُمليهِ علَيك، وأنشد[٥] [من الطويل]:

أيا قمَراً خَمَّشتُهُ فتَغَضَّبا وأصبَحَ لي مِن تِيْهِهِ مُتَجَنِّبا[٦]

= و«رياض الألباب ومحاسن الآداب» لمحمد بن حسن بن علي النواجي (ت٨٥٩هـ) غيرُ محقَّق، وحُقِّقَ بهذا الاسم كتابٌ منسوباً للسيوطي، غيرَ أنّي لم أطّلع عليه، والله تعالى أعلم.

(١) في (م): «الزكي».

(٢) في (م): «زكاة».

(٣) في (م): «السهري»، وفيها قبلها: «بلحظه». والسمهري: الرُّمح.

(٤) في (م): «أخذناها».

(٥) قوله: «وأنشد» ليس (ق).

(٦) في (م): «متحجبا». وفي صدر البيت في النسختين: «خمشته» بالخاء، وكذا في مصدره «ذم =

إذا كنتَ للتَّخميش والعِشقِ كارِهاً فكُن أبداً - يا سيِّدي - مُتَنَقِّبا
ولا تُظهِرِ الأصداغَ للنّاس فِتنةً وتَجْعَلَ منها فَوْقَ خَدَّيكَ عَقرَبا[1]
فتَقتُلَ مُشتاقاً، وتَفتِنَ ناسِكاً وتُترَكَ قاضي المُسلِمينَ مُعذَّبا

واعلَم أنّ كَثيراً منَ الصِّبيانَ تحسُنُ وُجوهُهُم بخُروجِ زَغَباتِ الشَّعر[2]، فيزيدون بذلك على المُرْد في الحسن والجمال، وقد افتتن بهم جماعةٌ[3] كثيرة.

وأنشَدَ مُحمّدُ بنُ داودَ لنَفْسِه في مَرَضِ موتِه فقال[4] [من البسيط]:

انظُرْ إلى السِّحرِ يَجري في لَواحِظِهِ وانظُرْ إلى دَعَجٍ في طَرْفِهِ السّاجي
وانظُرْ إلى شَعَراتٍ فَوقَ عارِضِهِ كأنَّهنُ نِمالٌ دَبَّ في عاجِ[5]

وقال بعضهم: أنشدنا ابنُ كاملٍ[6] الدِّمشقِيُّ لابن داودَ في حَبيبِه [من البسيط]:

= الهوى» (ص١٣٦)، و«الخَمْشُ»: الخَدْشُ في الوجهِ وقد يُستَعمَلُ في سائر الجَسَد، ولعلّ الصواب «جمّشتُه» بالجيم، و«الجَمْش»: المُغَازَلة ضَرْبٌ بقَرْص ولعِب، وقد جَمَّشَه، وهو يُجَمِّش المرأةَ، أَي: يُقرِّصُها ويُلاعِبُها.

(١) في (م): «فوق خدك». وعَقْرَبُ الصُّدْغ: خصلة الشعر المتدليةُ على الصدغ المنحنيةُ على شكلِ عضو اللَّسْع في العقرب.

(٢) في (م): «العذار».

(٣) في (ق): «جماعات». ويُنظر: «ذم الهوى» (ص١٤١).

(٤) في (ق): «شعر».

(٥) رواهما الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٧) في خبر موت ابن داود الظاهريّ رحمه الله، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٤١).

(٦) في (ق): «أنشد ابن مالك»، وقبلها في (م): «أنشدنا». وروى هذه الأبياتَ الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٣٩).

يـا يوسُـفَ الحُسْـنِ تَمثيـلاً وتَشبيـها ... يــا طَلعـةً[١] لَيـسَ إلا البَـدرُ يَحكيهـا

مَن شَـكَّ في الحُـوْرِ فَلْيَنْظُرْ إلَيـكَ فَما ... صِـيْـغَــتْ مَعانِيـكَ[٢] إلا مِن مَعانيها

مـا لِلبُـدورِ ولِلتَّحذيـفِ يـا أمَـلـــي ... نُورُ البُـدورِ عَـنِ التّحذيـفِ يُغْنيهـا[٣]

إنَّ الدَّنانيـرَ لا تُجلـى وإن عَـتِـقَـت ... وَلا يُـزادُ علـى النَّقْـشِ الـذي فيهـا[٤]

وأنشَدَ القاضي الفاضل [من السريع]:

قالـوا: التَحـىٰ فَاصْبُ إلى غَيرِهِ ... قُــلتُ لهم: لسـتُ إذاً[٥] أسْـلُو

لـو لـم يكُـن مِـن عَسَـلٍ رِيقُهُ ... مـا دَبَّ فـي عارِضِـهِ النَّمْـلُ[٦]

وأنشَدَ بعضُهم[٧] [من الخفيف]:

إن ذاك الــطَّـــــلا وذاك الـعِـــذارا ... فتكا فــي الأنــامِ حتّــى العَـذارى[٨]

---

(١) في (م): «طلة».

(٢) في (م): «هاتيك»، وفيها في صدر البيت: «في الحسن».

(٣) التحذيف: تسوية الشعر بقصِّه.

(٤) في (م) في صدر البيت: «لا تحلو». وفي هامش (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «قوله: عتقت، أي: صارت عتيقة، بمعنى قديمة مضى عليها كثيرٌ من الزمان».

(٥) في (ق): «لهم فما أسلو». وفي (م) في صدر البيت: «فأحب».

(٦) البيتان لأبي المعالي سعد بن علي الورّاق الكُتبي الحَظيري (ت٥٦٨هـ)، في ترجمته في «خريدة القصر» (٤/ ١/ ٣٤) لعماد الدين الأصبهاني.

والقاضي الفاضل هو عبد الرحيم بن علي بن اللخمي، المولى الإمام العلامة البليغ، محيي الدين، يمين المملكة، سيد الفصحاء، وزير السلطان صلاح الدين المقرّبُ منه، (ت٥٩٦هـ). ترجمه الذهبي في «السير» (٢١/ ٣٣٨).

(٧) قوله: «بعضهم» ليس في (ق). ولم أهتدِ إلى البيتين.

(٨) في هامش (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «جمعُ عَذْراء: الشابة الجميلة». ا. هـ. قلتُ: كذا! بل العذراء: الفتاةُ البِكر.

إنّمـا النَّمـلُ دَبَّ يطلُـبُ شَـهْـداً فَرأى النّـارَ فـي الطَّريـقِ فَـدارا[(١)]

وأنشَدَ الرئيس إلياس السِّنجاريّ[(٢)] [من البسيط]:

يـا مَن حَكـى ثغرُهُ الـدُّرَّ النَّضيـدَ ومَن تـخـالُ أصـداغَـهُ الـسُّودَ العَناقيدا

[اِعْطِفْ على مُستَهامٍ ضمَّ مِن أسَفٍ] علـى هَـواكَ وفي حَبلِ العَنا قَيْدا[(٣)]

وأنشَدَ ابنُ الرعاق النَّحْويّ [من البسيط]:

قالـوا: إلامَ تُعانـي الحُبّ، قلتُ لـهم: مـا دُمتُ حَيّاً ودامَ الحُسْـنُ في الناسِ

.... لَـهُ عِـذارٌ علـى الخَدَّيـنِ كاليـاسِ[(٤)]

إذا كَلِفـتُ بـمَـن أهـوى وكـانَ لـهُ وَجهٌ مَليحٌ فَما فـي الحُبِّ مِن باسِ

---

(١) من قوله: «وأنشد الرئيس إلياس» إلى نهاية الأبيات الفائية الثلاثة الآتية ليس في (ق)، وجاء في هامشها بخطٍّ مختلفٍ: «كناية عن كونه لم يستَوفِ عِذارَه، بل فقط دبّت في عارضِه شعراتٌ قليلةٌ منعها عن استدراتها احمرارُ خدِّه الشبيه بالنار، الناشئُ من الشبوبية. فَدار: أي: رجعَ عن استكماله لعدم بلوغه أوان إنباته، فقوله: وذاك العذارا، المرادُ به: بعض العذار، فهو على تقدير مضاف قبل ذاك، تقديره: وبعض ذاك العذارا».

(٢) هـو إليـاس بـن علي الرئيـس المعروف بابـن الصفار السـنجاري، ترجمـه الأصبهاني فـي «خريدة القصر»(قسـم شـعراء الشـام) (٢/ ٤٠٤)، وذكـر أنـه صنَّـف كتاباً في سـائر المعانـي والأوصاف، ويظهـر أنّـه أنشـد فيـه هذيـن البيتيـن الذيـن وجدُتهمـا لأبـي نصـر الحسـن بـن أسـد بن الحسـن الفارقـي فـي ترجمتـه فـي «الخريدة» (قسـم شـعراء الشـام) (٢/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤)، وعنه فـي «معجم الأدبـاء» لياقـوت (٢/ ٨٤٥).

(٣) في الأصل: «الناقيدا». كذا. وبيّض لصدر البيت الثاني، واستدركته من المصدرين.

(٤) بيّض في الأصل لصدر البيت الثاني. ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه شبّه العِذارَ باليأس؛ بجامع السَّواد فيهما، تشبيهَ محسوسٍ بمعنويّ.

وقالَ بعضُهم [من الوافر]:

ونَحْويٌّ[1] مَليحٌ كالهِلالِ بَدا يَختالُ في ثَوْبِ الجَمالِ
وَأرضى مِن عِذارِ الشّعرِ ليلاً وقَلبي قَد هَواهُ وليسَ خالي

وأنشَدتُ [من الطويل]:

تذَكّرتُ أوقاتَ اللّواتي سَوالِفُ فقَد شاقَني من زينَتَيهِ[2] سوالِفُ
وإنّي لَأرضى عَهْدَهُ وَوِدادَهُ وإن ساءَني الدَّهرُ[3] الذي هُو سالِفُ
أُناشِدُهُ أن ليس نَأْياً وإن نأى شَفيعيْ إلَيهِ عارِضٌ وسَوالِفُ[4]

وأنشَدَ آخَرُ[5] [من الكامل]:

حاشا لِمِثْليْ عن هَواهُ يَتُوبُ هُوَ دُونَ كُلِّ العالِمينَ حَبيبُ
أهواهُ طِفْلاً في القِماطِ، وأمرَداً وبِلِحيةٍ، وإذا عَلاهُ مَشيبُ[6]

وأنشَدَ الصَّفَديُّ [من البسيط][7]:

---

(١) في الأصل: «ونحوا». وصوبّتُ، ولم أجد البيتين.

(٢) في الأصل: «زينته»، وقوّمتُ.

(٣) في الأصل: «هابني الزمن». وقوّمتُ السياق.

(٤) في الأصل في صدر البيت: «ليس نيا»، وفي عجزه «شفيعي البر».

(٥) عليه في (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «وهو غريب عما في الباب». والبيتان في «الغيث المنسجم» للصفدي (١/ ٢٣٨) دون نسبة.

(٦) في (م): «وإن علاه شيب».

(٧) عليه في (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «معنى الثاني لم يُفهم»، واسم المُنشد فيها: «الصغري»، والذي في (م): «وأنشد آخر»، ورجّحتُ ما أثبتُّ؛ لأنّ لصلاح الدين الصفدي في هذا الموضوع رسالتان هما: «خلع العذار في مدح العذار»، و«السيف المجرد في مدح الأمرد»، وكلتاهما =

كم قد أقَمْنا على حُبِّ العِـذارِ لِـمَـن   نَـهْـواهُ عُـذراً إذا مـا جـاءَ يَـعـتَذِرُ
ومـا لَحَيْنـا علـى حُـبِّ اللِّحـى أحَداً   يَهيـمُ فيهـا، وقُلنـا[1]: الأمـرُ يُغتَفَـرُ

وأنشد أيضاً [من الكامل]:

طُوبىٰ لِـمَن رَفَـضَ[2] الفَتاةَ وقَد غَدا   حُـبُّ الـفـتـى أبَـداً لـمُهجَتِهِ غِذا
ما قالَتِ العَرَبُ الفصاح إذا ارتَضَـتْ   فـي الدَّهْرِ شيئاً: حَبَّذيْ[3]، بل: حَبَّذا

وأنشد عِزُّ الدين[4] [من البسيط]:

أهـوى الغَـزالَ الـذي قـد تَـمَّ عارِضُهُ   كـأَنَّـهُ عَـنـبَـرٌ مِـن فَـوقِ كـافُـورِ
ولا أُحِـبُّ فَـتـاةَ الـحَـيِّ قَـطُّ ولَـو   كانَتْ مِـن الآنِسـاتِ الخُرَّدِ الحُـوْرِ[5]

وأنشَدَ بعضُهم [من الخفيف]:

أسـوَدُ الشَّـعْرِ، أبيَـضُ الثغـر، ألْـمىٰ   أحـمَـرُ الخَـدِّ، أخضَـرُ العارضَيـنِ

= مفقودتان فيما أعلم، والله أعلم.

(١) في (م): «فقلنا»، ومطلع البيت في (ق): «وبالحبيب عن حب ألا».

(٢) زاد في الأصل: «قد».

(٣) في الأصل: «حبذا»، وليس هذان البيتان والقول قبلهما في (ق).
وقد أنشدهما الصفديُّ لنفسه في «فض الختام عن التورية والاستخدام» (ص٣٣١).

(٤) عليه في (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «لم يُقم دليلًا على إنشاده».
والبيتان في «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» للعيني (عصر سلطان المماليك) (٤/ ١٠٣) للشيخ عز الدين البابصري خازن كتب الخانقاة الشميصاطيّة، وهو الشيخ عز الدين، أبو محمد، عبد العزيز بن القاسم بن عثمان بن عبد الوهاب البابصري البغدادي الحنبلي، (ت٦٩٦هـ)؛ كما في ترجمته في (عصر سلطان المماليك) (٣/ ٣٧٧).

(٥) في (ق): «الحرّر الحور»، وفي (م): «الحسنات الحرد في الجور».

أوحَدُ الحُسن في الملاحةِ فَرْداً ثانيَ الغُصن، ثالثُ القَمَرَينِ[١]

وأنشَدَ كمالُ الدِّين ابنُ النَّبيه [من الطويل][٢]:

تَبَسَّمَ ثَغْرُ الزَّهْرِ عَن شَنَبِ القَطْرِ ودَبَّ[٣] عِذارُ النَّمْلِ في وَجْنَةِ البَدْرِ

فإنْ رَقَّ واعتَلَّ النَّسيمُ صَبابةً إذا مَرَّ في تِلْكَ الرِّياضِ ففي عُذْرِ[٤]

تَجانَبَني الوَرْدُ الجَنيُّ وإنَّني بِوَجْنةِ[٥] مَن أهوى لَقَد حِرْتُ في أَمْري

وأنشد الحسينُ بنُ عليِّ بن يوسُف[٦] خَطيب الموصل [من مجزوء الكامل]:

يا أيها الرَّشَأُ الأغَنْ إنّي بِحُبِّكَ مُفتَتَنْ

أغرى سُهاداً مُقلَتي ما في جُفُونِكَ مِن وَسَنْ[٧]

[وَ] جَعَلتَ سِرَّ صَبابَتي بقَبيحِ فِعلِكَ في عَلَنْ[٨]

---

(١) لم أجد البيتين.

(٢) في (ق): «فأنشد القاضي» فحسبُ، وفي (م): «وأنشد كمالُ الدِّين ابن النبه»، وصوّبتُ، وهو كمال الدين علي بن محمد بن الحسن، ابن النبيه المصري، أحد شعراء العصر العباسي؛ عاش في مصر أثناء حكم الأيوبيين، ولم يكُن قاضياً، بل شاعراً مُحسناً، بديعَ القول، رائقَ النَّظم، (ت٦١٩هـ). يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٣/ ٥٨١). والبيتان في مطلع قصيدة في «ديوانه» (ص٣٧) باختلافٍ يسيرٍ في ألفاظها.

(٣) في (م): «شنبه الغض وذب».

(٤) في (م): «حذر».

(٥) في (م): «وجنة»، وقبلها فيها في صدر البيت: «وآيتي»، وفي مطلعه: «يجاذبني».

(٦) قوله: «بن يوسف» ليس في (ق)، ولم أعرف القائلَ، ولم أجد الأبيات.

(٧) البيتان الأولان ليسا في (ق).

(٨) البيت في (م): «بملت بفعل صبابتي بقبيح فعلك في عن».

فغَدَوتُ محلولَ العِذا ... رِ، وكُنْتُ مَفتُولَ[1] الرَّسَنْ

بَدْرٌ كأنَّ اللهَ لَمْ ... يَخلُقْهُ إلّا لِلفِتَنْ

لا تَقرَبَنَّ كِناسَهُ ... وَتَنَحَّ عَنْهُ وَابْعُدَنْ

مَن رامَ مِنهُ قُبْلَةً ... في ذلِكَ الوَجْهِ الحَسَنْ

قالَتْ سَوالِفُهُ لِسَيْـ ... ـفِ لِحاظِهِ المَرْضَى ابْرُزَنْ[2]

وبالجملة؛ فالمُرْدان[3] حَبائلُ الشَّيطان، وكلامُ القَومِ فيهم وما قالوهُ من الشِّعرِ والنَّثْرِ ممّا يَطُول ويبلُغ كِتاباً وأبواباً وفصولاً.

لطيفة:

قال الشيخ مُحيي الدين بنُ العرَبيِّ ـ رحمه الله تعالى ـ: كنتُ يوماً بمَدينة قُرطبةَ وأنا ماشٍ[4] إلى صلاةِ الجُمعة، ومعي جماعةٌ من إخواني، وذلك في أيام جَهالتي[5]، وفي الجماعة شخصٌ[6] أخَصُّ مَن عندَنا، وكان متيَّماً بغُلامٍ محبوبٍ حسَنِ الوجه، وكان في ذلك اليوم محبوبُه قابضاً لِشماله[7]، فمَرَرنا ببَعضِ إخواننا، فسلَّم علينا، ونظَرَ إلى المُحِبِّ ومحبوبِه[8]، ....

(١) في (م): «معقول»، وسقطت فيها راءُ «العذار».

(٢) عليه في (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «أمرٌ من البراز للقتال».

(٣) في (ق): «فالمراذان».

(٤) في (م): «أمشي».

(٥) في (ق): «جاهليتي».

(٦) في (م): «مَن».

(٧) في (م): «قائماً بشماله».

(٨) في (م): «والمحبوب»، وفيها قبلها: «فسلم إلينا فنظر».

وقـال للمُحِـبِّ: إن محبوبَـك لَكريـهُ المنظَر! مـا أعجَبَكَ منه؟

فأنشَدَ - في الحال - بيتَين، فلا أدري: أتمثَّلَ بهِما أم ارتجَلَهُما؟ وهُما[1] [من الطويل]:

رأى وَجْهَ مَن أهوى عَذُولي، فَقالَ لِيْ ... أُجِلُّـكَ عَـنْ وَجْـهٍ أَراهُ كَريهـا

فَقُلـتُ لَـهُ: وَجْـهُ الحَبيـبِ مـراءةٌ ... وأنـتَ تَـرى تِمْثـالَ وَجْهِـكَ فيهـا

وأنشَدَ بعضُهم[2] [من الطويل]:

إذا مـا التَحى المحبوبُ طـارَ جمالُهُ ... فَلِحيَتُـهُ رِيْـشٌ يَطيـرُ بهـا الحُسْـنُ

وقَـد مَلَّـهُ مَـن كانَ يطلُـبُ قُربَـهُ ... وَجَفَّ احْمِرارُ الوَردِ مُذ ذَبُلَ الغُصْنُ

وردَّ على هذا القائلِ بعضُ الأُدَباء، فقال[3] [من المتقارب]:

وقالـوا: العِـذار جَنـاحُ الهَـوى ... إذا مـا اسـتَوى طـارَ عـن وَكـرِهِ

---

(١) في (ق): «شعر».

بل تمثّل بهما، فهما في «جذوة المقتبس» للحميدي (ص٢٢٤) لسليمان بن محمد المهري الصقلي، من أهل العلم والأدب والشعر، قدِم الأندلس بعد (٤٤٠هـ)، ومعلومٌ أنّ ابن عربي رحل من الأندلس قبل سنة (٦٠٠هـ)، ولم أدرِ في أيِّ كُتب ابن عربي ذكَر ما ذكر.

(٢) عليه في (ق) بخطٍّ مختلفٍ: «أنصفَ؛ فإنّ المستحسَن بعضُ الشعر - الذي يُقال له: العارض - الدالُّ على نقاء الشبوبية، لا اللحيةُ الدالّةُ على الكهولية».

وتقدّم فيها من قوله: «وأنشد بعضهم» إلى نهايةِ ما ذكَرَهُ الشيخ ابنُ عربي إلى ما قبلَ أبياتِ ابنِ النبيهِ السالفة.

وأولُ هذين البيتين مع ثانٍ في «روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار» للأماسي (ص٣٦٧) لمولانا عضد، وهما ليسا في أصله «ربيع الأبرار»، والله أعلم.

(٣) زاد في (ق): «شعر».

وليسَ كَذاكَ فَخَبِّرْهُمُ قِياماً بعُذْرِيَ أوْ عُذْرِهِ
إذا كَمُلَ الحُسْنُ في وجنةٍ[١] فَخاتِمةُ المِسكِ مِن شَعرِهْ

ذكر ذلك أيضاً الشيخ مُحيي الدين بنُ العَرَبيِّ قُدِّسَ سِرُّه[٢].

***

(١) في النسختين: «وجنته»، وصوّبتُ.

(٢) قوله: «أيضاً» ليس في (م).

وقد قال الشيخ محيي الدين بن عربي في «الإسفار عن نتائج الأسفار» (ص٣٨٠): أنشدني الكاتب الأديب أبو عمرو ابن مهيب بإشبيلية أبياتاً عملها في حمود بن إبراهيم بن أبي بكر الهرغي، وكان أجمل أهل زمانه رآه عندنا زائراً، وقد خط عذاره، فقلت: يا أبا عمرو، ماتنظر إلى حسن هذا الوجه؟ فعمل الأبيات في ذلك، وهي، فذكرها ثم قال: وقد ورَدَ أن في وُجوه الغِلمان لمَحاتٍ من الحور العين، فيا أيتها النفسُ المنيعةُ احذَري في سفَركِ أن تغفلي عما يجب عليك لسيّدكِ من الوقوف عند حُدودِه، والحِفظِ لحُرَمِه؛ فإنّكِ إذا فعلتِ ذلك سيُنيلُك حُرمتَه بحُرمتِه، ويهَبُك نعمتَه بنعمتِه. ا. هـ.

الباب العاشر

في فضل الشِّعر

وفي ذكر شيءٍ من أشعار المُحِبّين

وما قالوه من الغزَل والتَّشوُّق

اعلَمْ ـ وفَّقك اللهُ تعالى ـ أن المشايخَ الأفاضل، والأئمّةَ الأماثل، قد أكثَروا في هذا الفنِّ من الأشعار والغزَل؛ مما[1] هو معلوم، لِـمن طالَعَ كُتُبَ القَوم[2]، وليسَ ذلك بمعيبٍ ولا نَقْصَ؛ فإنَّهم أجَلُّ من أن يَرتَكِبَ مِثلُهم النَّقائص، بل ذلك مِن شِيَمِ القَوم الكِرام؛ لعِلمِهم[3] أنّ الشِّعر فنُّ أهلِ البلاغة منَ الأنام، وحِكمةٌ[4] تُزيلُ عن القُلوب الأسقام.

[في فضل الشِّعر]

قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «إنَّ من الشِّعر لحكمة». رواه البُخاريُّ وأبو داود[5].

وقال ﷺ: «إنَّ منَ البيان سِحراً[6]، وإنَّ منَ الشِّعر حكماً»، رواه التِّرمِذيُّ وأبو داود[7].

---

(١) في (ق): «كما».

(٢) زاد في (ق): «الكرام».

(٣) في النسختين: «ولعلهم».

(٤) في (ق): «وحكيمة».

(٥) «صحيح البخاري» (٦١٤٥)، و«سنن أبي داود» (٥٠١٠) عن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه.

(٦) في (م): «لسحراً».

(٧) «سنن الترمذي» (٢٨٤٥)، و«سنن أبي داود» (٥٠١١) ـ واللفظ له ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن ابنِ عبّاس ـ رَضِيَ اللهُ عنهما ـ قال: قال عُمرُ بن الخطاب ـ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ـ: تعلموا الشِّعر؛ فإن فيه محاسنَ تُبتَغى، ومساوئَ تُتّقى، وحكمةً للحُكماء، ويدُلُّ على مَكارمِ الأخلاق[1].

وعن أبي هُرَيرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: أن عُمرَ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ مرَّ بحسانَ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ وهو يُنشِدُ الشِّعرَ في المسجد، فلَحَظَهُ شذَراً، فقال: كنت أُنشِدُ فيه، وفيه مَن هو خيرٌ منك... الحديثَ رواهُ البُخاريُّ ومُسلِمٌ وأبو داود والنَّسائي[2].

وعن عمرو بن شريد[3] قال: [قال الشَّريد]: كنتُ رِدْفاً لرسولَ[4] الله ﷺ، فقال لي: «أمعَكَ[5] مِن شِعر أُميّةَ بنِ الصَّلتِ شيء؟»، قلتُ: نعَم، قال: «فأنشِدْني»، فأنشَدتُه[6] بيتاً، فلَم يزَلْ يقولُ [لي] ـ كلّما أنشَدتُهُ بيتاً ـ: «إيْهِ»؛ حتى أنشَدتُه مئة بيت. رواه مُسلِمٌ والإمامُ أحمدُ واللَّفظُ له[7].

وعن جابر بن سمرة[8] ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ قال: جالستُ النبي ﷺ أكثرَ من مئةِ مرّة، وكانَ[9] أصحابُه يتناشدون الشِّعر، ويتذاكَرون أشياءَ من أمر جاهليّتِهم،

---

(١) ذكره في «كنز العمال» (٨٩٤٥)، وعزاه إلى ابن السمعاني.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٢١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٤٨٥)، «سنن أبي داود» (٥٠١٣)، و«سنن النسائي» (٧١٦).

(٣) في (م): «عمر بن الشديد».

(٤) في (ق): «ردف رسول».

(٥) أقحم في (م): «شيء».

(٦) في (م): «فنشدته».

(٧) «صحيح مسلم» (٢٢٥٥)، و«مسند الإمام أحمد» (١٩٤٦٧).

(٨) في (م): «سلمت».

(٩) في (ق): «وكانت».

وهو ساكت، وربما تبسم معهم. رواه التِّرمِذيُّ وإسنادُه حسَن[١].

وكانت عائشةُ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ تحفَظُ جميعَ شِعر لَبيد[٢].

وروى الطَّبَرانيُّ عنها: أن رَسُول اللهِ ﷺ كان يقولُ لها[٣]: «يا عائشة، ما فعلت أبياتك؟» فتقول: أيَّ الأبياتِ تُريد ـ يا رَسُول اللهِ ـ فإنّها كَثيرة[٤].

وعن أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ قال: كان أبو بكرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ إذا نظر إلى رَسُول اللهِ ﷺ مُقبِلاً يقول [من الوافر]:

أمينٌ مُصطفىً لِلخَيرِ يَدْعو … كَضَوءِ البَدْرِ زايَلَهُ الظَّلامُ[٥]

قال القُرطُبيُّ: وإذا كان رَسُول اللهِ ﷺ يسمَع، وأبو بكرٍ يُنشِد، فهَل للتَّقليدِ موضعٌ أرفَعُ من هذا؟[٦].

وقال الإمام النَّوَويُّ في «شرح مُسلِم»: قال العُلماء كافّة: هو مباحٌ ما لم يكُن فيه فُحش، قالوا: وهو كلامٌ حسَنُه حسَن، وقَبيحُه قَبيح، قال: وهذا هو الصّواب؛ فقد سمع رَسُولُ اللهِ ﷺ الشِّعر، واستنشدَهُ أصحابَهُ في الأسفار وغيرها، وأنشَدَهُ[٧]

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٨٥٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ذكرت ذلك بعض كتب الأدب نحو «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» لابن رُشيق القيرواني (١/ ٣٠).

(٣) سقط قوله: «لها» في (م).

(٤) رواه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٧٦) و«الأوسط» (٣٥٨٠)، وشيخُهُ ذاكر بن شيبة العسقلاني، ضعفه الأزديُّ. قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨١).

(٥) ذكر ذلك الفاكهاني في «الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير» (ص٨٤)، ولم أجده مسنداً، والله أعلم. وزايله: فارقه.

(٦) ()في (ق): «هذه». ويُنظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٨٩).

(٧) في (ق): «وأنشدتها»، وفيها قبله: «واستنشد أصحابه».

الخُلَفاءُ وأئمّةُ الأصحابِ وفُضَلاءُ السَّلَف، ولم يُنكِره أحَدٌ منهم، وإنما أنكَروا المذمومَ منه، وهو[1] الفحشُ ونحوه.

وأنشَدَ الإمام الشافعي ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ ليلتَين مِن أشعارِ مَن اسمُه عَمرٌو[2]، وقال: أحفظ أشعار الثلاث مئة مجنون[3]، وكان يحفَظُ أكثرَ من عشَرة آلافِ بيتٍ من أشعار هُذَيل[4].

وأنشد أبو عمرِو بنُ العَلاء ليلةً ستّين قصيدةً على حرف السين لستّين شاعراً، اسمُ كل منهم عمر[5].

ومن فضيلة الشِّعر: أنه يجعل صَداقاً للمرأة، وسئل المُزَنيُّ صاحبُ الإمام الشّافعيّ[6]: أيجعل الشِّعر صداقاً للمرأة؟ فقال: إذا كان مثل قول أبي الدَّرداءِ فهو جائز، وأنشَد[7] [من الوافر]:

---

(١) قوله: «وهو» ليس في (م). ويُنظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١٤).

(٢) روى البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٤٥) عن الأصمعي قال: قرأت شعر الشنفري على علاّمةٍ بمكة يقال له: محمد بن إدريس الشافعي، فأنشدني لثلاثين شاعراً أساميهم: عمرو.

(٣) روى البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٤٧) عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال: سمعت الشافعي يقول: أروي لثلاث مئة شاعر مجنون.

(٤) روى البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٤٤) عن الأصمعي قال: صحّحتُ أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له: محمد بن إدريس الشافعي.
وروى معناه (٢/ ٤٥) عن الزبير بن بكارٍ، و(٢/ ٤٨) عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

(٥) لم أجده، وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي، ثم المازني، البصري، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب، والشعر وأيام الناس، (ت١٥٤هـ). يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤٠٧).

(٦) قوله: «الشافعي» ليس في (ق).

(٧) في (م): «وأنشدوا». والمُزَنيّ هو العلامة الفقيه، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى، المصري، تلميذ =

يريــدُ المــرءُ أن يُعطــى مُناهُ وَيــأبــى اللهُ إلّا مــا أرادا
يقولُ المرءُ: فـائـدَتي ورِبْحي وتَقْوى[١] اللهِ أفضَلُ ما استَزادا

[نُبذةٌ يَسيرةٌ من أشعار القوم الكِرام، وفُضلاء الأئمّة الأعلام]

إذا تقرَّر هذا؛ فلْنذكُرْ نُبذةً يَسيرةً من أشعار القوم الكِرام، وفُضلاء الأئمّة الأعلام:

قال شيخُ الشيوخ بحَماة[٢]:

لا تَنسَ وَجْـديْ بِـكَ يـا شادِناً بـحُـبِّــهِ[٣] أُنـسِيــتُ أَصْحابــي
مـا لــي علــى هَجْـرِكَ مِـن طاقـةٍ فَـــهَلْ[٤] إلــى وَصْلِـكَ مِــن بــابِ

= الشافعي، وناصر مذهبه، من مؤلفاته: «المختصر»، و«الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير» وغيرها، (ت ٢٦٤هـ). يُنظر: «السير» (١٢: ٤٩٢).

وحكى هذا عن المزنيِّ الماورديُّ في «الحاوي الكبير» (١٧/ ٢٠٧)، والرافعي في «الشرح الكبير» (٨/ ٣١٢).

وأسند البيتَين إلى أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٨٣).

(١) في (م): «وتقى».

(٢) شيخ الشيوخ: هـو رئيـس خوانـق الصوفية جميعـاً، وكان لهـذه الوظيفة قيمـة سياسـية تزيد على قيمـة قاضـي القضـاة. «معجـم الألفـاظ التاريخية فـي العصـر المملوكي» للأسـتاذ محمـد أحمد دهمـان (ص٩٩).

وأحسـبُ أنّ المـرادَ شـرف الدّيـن عبـد العزيـز بن محمـد بن عبـد المحسـن الأنصاري الشّـافعي الأديب الشـاعر، المعـروف بابن الرقّاء، (ت٦٦٢هـ)، يُنظر: «تاريخ الإسـلام» للذهبي (١٥/ ٥٤). ولم أجد البيتين.

(٣) في (م): «بحبك».

(٤) أقحم في (م): «لي».

وأنشَدَ الحافظ ابن حجَر[1] [من مجزوء الرجز]:

ذُبتُ[2] في الحُبِّ إلى ... أنْ رَقَّ لي مَن قَتَلا

وقالَ: ذا الحَوْلَ أَزُرْ ... فقلتُ:[3] لا حَوْلَ وَلا

وقلتُ مُضمِّناً له[4] [من الرمل]:

صارَ جِسمِيْ مِن[5] نُحولٍ وَبَلا ... مُذ أتى المَحبوبُ في الوَصْلِ بِـ«لا»

قالَ لي: ذا الحَوْلَ آتي زائراً[6] ... مانَ ذا الفَرَّارُ[7] لا حَوْلَ وَلا

وأنشَدَ ابن سناء الملك[8] [من الطويل]:

صِلوا مُغرَماً مِن أجلِكُم واصَلَ الضَّنى ... وفي حُبِّكُمْ طِيْبَ الرُّقادِ فَقَدْ فَقَدْ

---

(١) قوله: «وأنشد» ليس في (ق). ولم أجد البيتين في «ديوان الحافظ ابن حجر» ولا غيره.

(٢) في (م): «قلت».

(٣) في (ق): «أزورُ ما زار».

(٤) قوله: «له» ليس في (م).

(٥) في (م): «في».

(٦) في (م): «إني زائر». وعلى هذا الموضع في (ق): «آتي: أي: أجيء».

(٧) في (م): «ماذا الفرار». وعلى قوله: «مان» في (ق): «أي: كذب»، وعلى قوله: «الفرّار»: الفرّار: أي: الذي يفرُّ الناس، وهو بدلٌ من اسم الإشارة، أو عطفُ بيان».

(٨) قوله: «وأنشد» ليس في (ق).

وابن سناء المُلك هو أبو القاسم هبة الله بن جعفر الكاتب في ديوان الإنشاء، (ت٦٠٨هـ)، ولم أجِدِ البيتين في «ديوانه»، ولا له في غيره، ووجدتُهما في «الكشكول» (٢/ ٦٦٣) لابن نباتة، ولم أجدهما في ديوانَي المصري، ولا السعدي! والبيتان في «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» للبلوي (٢/ ٨٥) للملك الكامل رحمه الله.

أثـارَ الهـوى نـاراً تَشِـبُّ بقَلبِـهِ فكيـفَ بإطفـاءِ الغَـرامِ وَقَـدْ وَقَـدْ

وأنشد ابنُ أبي حَجلةَ[1] [من البسيط]:

لـم أطلُبِ الوَصـلَ مِن أَجْليْ فدَيتُكَ يا من زاد حَظّي سَـواداً منكَ[2] شـاماتُ

لكِـنْ خَشـيتُ بـأن تُبلـى بعِشـقِ رَشـاً يقتَصَّ لـي[3] منـكَ، والدُّنيـا مُكافـاةُ

وأنشد ابنُ المُستَوفي[4] [من البسيط]:

وعاشِـقَينِ[5] قَضـى اللهُ اجتِـماعَهُما فـلَـم يُـلامـا بِمـا قـالا ومـا فَعَـلا

تَجاذَبـا طَرَفَـيْ عَـتْبٍ ومَعـذِرةٍ فَاصْفَرَّ ذا فَرقـاً، واحمَـرَّ ذا خَجـلا

وأنشد الصَّلاحُ الصَّفَديُّ[6] [من الطويل]:

---

(١) قوله: «وأنشد» ليس في (ق). وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني، مهر في الأدب، ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسّل ففاق، (ت٧٧٦هـ). يُنظر: «إنباء الغمر بأبناء العمر» للحافظ ابن حجر (١/ ٨١). وقد أنشد ابن أبي حجلة البيتين لنفسِه في كتابه «ديوان الصبابة» (ص١٠٨).

(٢) في (م): «فطني سواد مند»، وفيها في صدر البيت: «فديتك بل».

(٣) في (م): «بي».

(٤) قوله: «وأنشد» ليس في (ق). ولم أجد البيتين. والمنشد هو أبو البركات، شرف الدين، المبارَك بن أحمد بن مبارك بن موهوب بن غنيمة اللخمي الإربلي، صاحب «تاريخ إربل»، كان كثيرَ المحفوظ، مليحَ الخطّ، جيدَ النظم والنثر، ماهراً في فنونِ الأدب من النحو واللغة، والبيانِ والشعرِ والعروضِ، وأيّام العرب، وَلِيَ نظرَ الديوان بإرْبِل، (ت٦٣٧هـ). يُنظر: «تاريخ الإسلام» (١٤/ ٢٥٥).

(٥) في (ق): «وما عاشقين».

(٦) قوله: «وأنشد» ليس في (ق).

وقد أنشدهما الصفديُّ لنفسه في «فض الختام» (ص٤١٣).

تَنـاءى[1] الـذي أهـوى فمِـتُّ صَبـابةً ... فـقال: عَجيـبُ كلُّ أمرِكَ فـي الهوى

صَبَـرتَ لِطَرْفـيْ إذْ رَمَتـكَ سِـهـامُــهُ ... ولـم تَتَصَبَّـرْ لـيْ إذْ رَمَيتُـكَ بالنَّـوى[2]

ولبَعضِهم ـ رَحِمَه الله ـ [من الوافر]:

لَحانــي العاذِلُــونَ فقُلــتُ: مَهْلاً[3] ... فإنّــي لا أرى فــي الحُــبِّ عــارا

وقالــوا: قــد خَلَعــتَ[4]، فقلــتُ: لَسْنا ... بــأوَّلِ خـالِــعٍ خَـلَــعَ الـعِــذارا

وأنشَدَ القاضي شرَفُ الدِّين[5] [من البسيط]:

وَشـى إليـكَ بـيَ[6] الواشـي فلَـم تَرَني ... أهْـلاً لتكذيـبِ مـا ألقـى مـنَ الخَبَـرِ

ولــو وَشـى بِـكَ عِنـدي فـي ألَـذِّ كَرىً ... طَيـفُ الخَيـالِ لَبِعـتُ النَّـومَ بالسَّـهَرِ

وأنشد شمسُ الدين التِّلْمَسانيُّ[7] [من الطويل]:

---

(١) في (م): «تثنى». وعليها في (ق): «تناءى: أي: تباعد».

(٢) عليه في (ق): «فيه تورية بنوى التمر».

(٣) في (ق): «سهل».

(٤) في (م): «خلت». والبيتان في «طبقات الصوفية» للسلمي (ص٢٢٤) لبنان بن محمد الحمّال.

(٥) قوله: «وأنشد» ليس في (ق). وأحسبُ أنّ المُنشد هو شرفُ الدين الحسين بن سليمان بن أبي الحسن ابن ريّان الطائي، نشأ حسنة وتعانى الآداب، وكان صادق اللهجة، حسن المجالسة، رقيق الحاشية، وله نَظم، (ت٧٧٠هـ). يُنظر: «الدرر الكامنة» (٢/ ١٦٨). ونسب الصفدي البيتين في «الوافي بالوفيات» (٢٠/ ١١٤) لعلي بن أحمد، ابن نوبخت الشاعر، (ت٤١٦هـ).

(٦) في (م): «يفي».

(٧) قوله: «وأنشد» ليس في (ق). والمنشد هو الشاب الظريف، شمس الدين محمد بن سليمان بن علي ابنُ العفيف، التلمساني، تعانى الكتابة، ووُلّي عُمالة الخزانة، وكان فيه عشرة ولَعِب وخلاعة، وله شعر في غاية الحسن. مات شاباً (٦٨٨هـ)، يُنظر: «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٦١٥). ولم أجد البيتين في «ديوانه»، ولا غيره، والله أعلم.

رأيتُـكَ أن ألزمتَنـي الذَّنْـبَ ظـالِـمـاً وذَنْبُكَ بينَ النّاسِ قَد[1] شـاعَ وَاشْـتَهَرْ

كَقَلْـبِ الـذي يَهْـوى يُعَـذَّبُ دائـمـاً ولَم يَجْـنِ ذَنْبـاً، إنّمـا الذَّنْـبُ للبَصَـرْ

مُخلص الدين بنُ قرناص [من الطويل]:

وَصَيَّـرتَ لـيْ ذَنْبـاً ولـم أكُ مُذنِباً وَحَمّلتَنـي بالذَّنْـبِ مـا لا أُطيقُـهُ

ومـا طلَبـي لِلوَصْلِ حِرْصـاً علـى اللِّقا ولـكـنّـهُ أجْـري[2] إلَيكَ أَسُـوقُهُ[3]

وأنشَدَ الشيخ صدرُ الدين[4] [من الطويل]:

هَوِيتُـكَ طِفْـلاً وَاتَّخَذتُـكَ صاحِباً فَجَرَّعتَنـي بالصَّـدِّ فاتِحـةَ الرَّعْـدِ

لَعلَّـكَ تُطْفـي لَوعَتـي وَصَـبابَـتـي بِفاتِحةِ الأعراف مِـن رِيْقِكَ الشَّـهْدِ[5]

وأنشَدَ بعضُهم[6] [من مجزوء الوافر]:

مَليـحُ العَيـنِ والـحـدَقَـهْ بَـديعٌ[7] والـذي خَلَقَـهْ

---

(١) سقط الحرف «قد» في (ق).

(٢) عليه في (م): «يعني: حسناتي».

(٣) البيتان والتسمية قبلهما ليس في (ق)، وكان في (م): «محمد الدين»، وصوّبت. ولم أجد البيتين.

(٤) قوله: «وأنشد» ليس في (ق). ولم أعرف المنشد من هو! والبيتان لابن سهل الأندلسي في «ديوانه» (ص٤٨).

(٥) أراد بفاتحة الرعد «المر» برسم ﴿الٓمٓر﴾ [الرعد: ١]، وبفاتحة الأعراف: «المصّ» برسم ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١].

(٦) في (ق): «البحتري». وأول الأبيات أولُ أربعةِ أبياتٍ للشاعر الخبزأرزي نصر بن أحمد البصري في «ديوانه» (ص١٤٠).

(٧) في (م): «مليح».

لِعَيْنـــي مِـــن مَحاسِـــنِهِ رِياضُ مَناظـــرٍ[1] أَنِقَـــهْ

فـأحـيـانـــاً أُنَـزِّهُـهـــا وَحِيناً[2] فـــي دَمٍ غَرِقَـــهْ

ابنُ الدَّهّان النَّحويّ[3] [من الكامل]:

يـا بانـةَ الـوادي التـي سـفَكَت[4] دَمي بِلِـحـاظِـهـــا، بـل يـا فَتـاةَ الأجرَعِ

لـي أن أبُـثَّ إلَيـكِ مـا ألـقـــاهُ مِـــن أَلَمِ الجَـوى، وعلَيـكِ أن لا تَسـمعي

قُـل للبَخيلـةِ بـالـسَّـــلامِ تـورُّعـــاً: كيفَ اسْـتَبَحتِ دَمـي ولـم تتَورَّعـي

هـل تَسـمَحينَ ببَـذلِ أيـسَرِ نـائـلٍ: أن أشـتكي شـيئاً إليـكِ وتَسـمَعي[5]

---

(١) في (م): «ناضر»، ومطلع البيت فيها: «للذي».

(٢) في (م): «وحين».

(٣) في النسختين: «النحوي»، وهو سعيد بن المبارك بن علي بن برهان، ابن الدهان، البغدادي، العلامة صاحب التصانيف، (ت٥٦٩هـ). يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٨١).

وليس هو المراد، بل الصوابُ أنه ابن الدهّان الموصلي، مهذب الدين، أبو الفرج، عبد الله بن أسعد ابن علي، العلامة الشافعيّ، الشاعر، له «ديوان» صغير، ونظمه بديع، قاله الذهبي في «السير» (٢١/ ١٧٦)، وذكر أنه مدح السلطانَ صلاحَ الدين بقصيدةٍ طنانةٍ، ذكر منها خمسةَ أبياتٍ مطلعُها ثالثُ الأبيات المذكورة هنا، وليست قصيدتُه تلك في «ديوانه» المطبوع، وأورد جملةً منها ـ وفيها البيتان الأخيران ـ الخفاجيُّ في «منازل الأحباب» (ص٢٩١ ـ ٢٩٢).

وأول بيتين مذكورين هنا هما في أبياتٍ في «الوافي بالوفيات» (١٢/ ٢٢١) للحسين بن أبي الحسن أبو عبد الله الشهراباني الشاعر. فلعله اختلط على المؤلف أو النسّاخ، والله تعالى أعلم.

(٤) في (ق): «سكنت».

(٥) عليه في (ق): «انظر كيف ألزمها أولًا عدم السماع بقوله: وعليك ألا تسمع، وطلب منها آخراً سماعها وجعله أيسر شيء».

وأنشد تقيُّ الدين [من الكامل]:

ومُهَفهَـفٍ قَسَـمَ المَلاحـةَ رَبُّنا ... فيـهِ فأبدَعَـهُ بغَيـرِ مِثـالِ

فَلِخَـدِّهِ النُّعمانِ رَوضُ شَـقائقٍ ... ولِثَغـرِهِ النَّظّـامِ عِقـدُ لَآلِ

ولِطَرْفِـهِ الغَـزّالِ إحيـاءُ الهَوى ... وكَذلِـكَ الإحيـاءُ للغَزّالـي

[يُشبه قولَ] الصاحبِ ابنِ عبدِ الظاهِرِ السَّعْديّ [من الكامل]:

يـا مَـن رأى غِـزْلانَ رامـةَ[1] هـل رأى ... بـالله ـ فـيهِـمْ مِـثْلَ طَـرْفِ غَزالـي

أحيـا قُلـوبَ العاشِـقينَ بلَحظِـهِ الـ ... غـزّالِ، والإحيـاءُ للغَـزّالـيّ[2]

وأنشَدَ ابنُ الحَلَاويّ[3] [من الكامل]:

---

(١) في (م): «راية».

(٢) في (م): «وكذلك الإحياء للغزال»، وليس فيها قوله: «الصاحب ابن عبد الظاهر السعدي»، وتأخر فيها ثالثِ الأبيات اللامية إلى آخر الخمسة، وليس في (ق) قوله: «وأنشد تقي الدين» إلى نهاية الأبيات اللامية الثلاثة عقبها.

وقد قوّمتُ السياقَ بما يوافق حِكايةَ الأبيات في «الوافي بالوفيات» (١٦/ ٦٤) في ترجمةِ تقي الدين، شبيبِ بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن شبيب بن محمود، الأديب الفاضل، الطبيب الكحال (ت٦٩٥هـ).

وذكر البيتين الأخيرين ثانيةً في (١٧/ ١٣٥) في ترجمة القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة الجذامي المصري، الكاتب الناظم الناثر، شيخ أهل الترسل، (ت ٦٩٢).

(٣) في (ق): «احلاوي»، وليس فيها: «أنشد»، وهو أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن أبي الخطاب بن محمد بن الهزبر الربعي، المعروف بابن الحلاوي الموصلي، شاعر مجيد فاضل، حسن المفاكهة والأخلاق، (ت٦٥٦هـ)، ترجمه ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ١٠٦٧)، وذكر هذين البيتين في قصيدة له.

وقَفَ الجَمالُ على مَحاسِنِ وَجهِهِ حتّى ظَنَنتُ الحُسْنَ مِن عُشّاقِهِ
عَذْبُ اللَّمى، حُلوُ الحديثِ كأنَّما خُلِقَت مَراشِفُ[1] فِيهِ مِن أخلاقِهِ

الجَليسُ بنُ الحُبَاب [من الطويل]:

بَدا وأرانا مَنظَراً جامِعاً لِما تفرَّقَ مِن حُسْنٍ على النّاسِ مُونِقا
أقاحاً وراحاً تحتَ وَرْدٍ ونَرجِسٍ ولَيلاً وصُبْحاً فَوقَ غُصْنٍ على نَقا[2]

وأنشَدَ بعضُ الفضلاء[3] [من الكامل]

ومُهَفهَفٍ لَبِسَ المَلاحةَ خِلْعةً[4] فَطِرازُها في عارِضَيهِ مُمَسَّكُ
غَنِجُ الجُفونِ كأنَّ لَحْظَ عُيُونِهِ سَهْمٌ يُصيبُ بِهِ القُلوبَ فيَفتِكُ
سَكَنَ الحَشا لمّا تحرَّكَ مائساً ومِنَ العَجائبِ ساكنٌ مُتَحَرِّكُ[5]

وأنشَدَ[6] الشريفُ الحَسَنِ بنِ الأكرَم البَغداديّ [من الكامل]:

---

(١) في (م): «من أشف».

(٢) البيتان في «خريدة القصر» (١٤/ ١٩٨) في ترجمة القاضي الجليس أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدي التميمي، فضله مشهور، وشعره مأثور، وقد كان أوحد عصره في مصره نظماً ونثراً، وترسلاً وشعراً، (ت ٥٦١).
وفي «فوات الوفيات» (٢/ ٣٣٢): سمي «الجليس»؛ لأنه كان يعلِّم الظافرَ وأخوَيه أولاد الحافظِ [الخليفة العُبَيديّ] القرآنَ الكريمَ والأدب، وكانت عادتُهم يسمّون مؤدِّبهم «الجليس»...، وتولى ديوان الإنشاء للفائز.

(٣) قوله: «وأنشد» ليس في (ق).

(٤) في (م): «خلت».

(٥) البيت الأخير ليس في (م). ولم أهتدِ إلى هذه الأبيات.

(٦) قوله: «وأنشد» ليس في (ق). ولم أهتد إلى الشعر ولا قائله.

رشَــأٌ مــن الأتــراكِ فــي لَحَـظاتِــهِ   بِيْضُ الظُّبـا وقَوامُــهُ سُــمْرُ القنـا[(١)]

شَــفَعَتْ مَحاسِــنُهُ إلــى عُشّــاقِهِ   أنْ لا يُؤاخَــذَ بالسُّــلُوِّ إذا جَنــىٰ

وأنشَدَ شمسُ الدين مُحمّدُ بنُ[(٢)] التَّلمسانيّ [من الطويل]:

وهَلْ فيهِ مِن حُسـنٍ سِوى أنَّ لَحْظَهُ[(٣)]   لِـكُــلِّ فُــؤادٍ لِـلـبَـرِيّــةِ صـائــدُ

وأنَّ مُـحَـيّـاهُ إذا قــارَنَ الــدُّجى   أنارَ بــه جُنْــحٌ مــنَ اللَّيــلِ راكِــدُ

وأنَّ ثَــنـايــاهُ نُـجــومٌ لِـبَــدْرِهِ   وهُنَّ لِعِقْـدِ الحُسْــنِ فِيـهِ فَرائــدُ

فكَــم يتَجافــى خَصْــرُهُ وَهْــوَ ناحِلٌ   وكَــم يَتَحالــىٰ رِيْقُــهُ وَهْــوَ بــارِدُ

وكــم يدَّعــي صَوْنــاً وهَـٰـذيْ جُفُونُهُ   بـفَـتْـرَتِـهـا للعــاشِقينَ مَواعـدُ[(٤)]

وأنشَدَ أبو[(٥)] المحاسِنِ يُوسُفُ المِصريُّ[(٦)] [من الطويل]:

وفاحَـت فألقى العُـودُ في النّـارِ نَفْسَهُ   كَــذا نَقَلَـت[(٧)] عنْهُ الحَديـثَ المَجامِرُ

---

(١) في (ق): «النقا»، وفي صدر البيت في (م): «كفي لحظه».

(٢) قولـه: «وأنشـد» ليس في (ق)، واسـمه فـي (م): «محمد بن شـمس الدين»، والأبيـات في «ديوان الشـاب الظريف» (ص٩١ ـ ٩٢).

(٣) (م): «أنّ لحظي».

(٤) في (م): «تداعا». وفي الأبيات مدحٌ بما يُشبه الذمّ.

(٥) في (م): «وأنشد».

(٦) في (ق): «البصري»، وليس فيها: «وأنشد»، وليس في (م): «أبو»، وفي النسختين: «الحسن»، وصوّبت كنيته. والبيتان في «فوات الوفيات» (٢/ ٣٠٥) وعنه في «الوافي بالوفيات» (١٨/ ١٨٥) ليوسف بن عبد العزيز المرصص، وترجمه في (٢٩/ ١١١)، قال: ابن المرصص يوسف بن عبد العزيز بن شداد الهمذاني المصري، علم الدين، أبو المحاسن، (ت ٦٣٨هـ).

(٧) في (م): «نقله».

وقالَتْ، فَغارَ الدُّرُّ وَاصْفَرَّ لَونُهُ ... كذلِكَ ما زالَت تَغارُ الضَّرائرُ

وأنشَدَ مُحمّد بنُ الإمام داودَ الظّاهريّ [حينَ] جاءته[1] فُتْيا [من الخفيف]:

يا ابنَ داودَ يا فَقيهَ العِراقِ ... أفْتِنا في قَواتِلِ الأحْداقِ

هل علَيها[2] بِما أَتَتْ مِن جُناحٍ ... أمْ حَلالٌ لَها دَمُ العُشّاقِ

فكتَبَ الجَوابَ بخَطِّهِ تحتَ البيتَين [من الكامل]:

عِنْديْ جَوابُ مَسائلِ العُشّاقِ ... فَاسْمَعْهُ مِن قَرِحِ الحَشا مُشْتاقِ

لمّا سألتَ عنِ الهَوى هيَّجتَني ... وأَرَقْتَ دَمْعاً لم يَكُنْ بِمُراقِ

إنْ كانَ مَعشُوقٌ يُعذِّبُ عاشِقاً ... كانَ المُعذَّبُ أنْعَمَ العُشّاقِ[3]

وفي روايةٍ: أنّه أجابَ بقَولِه [من الخفيف]:

كيفَ يُفتيكُم قتيلٌ صَريعٌ ... بِسِهامِ الفِراقِ وَالاشْتِياقِ

فقَتيلُ[4] التَّلاقِ أحْسَنُ حالاً ... عندَ ابْنِ داودَ مِن قَتيلِ الفِراقِ[5]

---

(١) في (م): «من حالة»، وقوله: «وأنشد» ليس في (ق).

(٢) في (م): «طلبها».

(٣) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٠)، وعنه السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ١١٩) و(٢/ ٢١٣).

(٤) في (م): «فقيل».

(٥) ذكر هذه الرواية ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦١) عن ابن أبي الدنيا أنه حضر مجلس ابن داود قال: فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة، فأخذها وتأملها طويلاً، وظن تلامذته أنها مسألة، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها إلى صاحبها، فنظرنا فإذا الرجل عليُّ بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور، وإذا في الرقعة، وذكر بيتَي السؤال، وهذين البيتين.

وأنشَدَ الإمامُ الجَليلُ أبو الخَطّابِ شيخُ الحنابلة في وقتِه [إذ] رُفِعَ له فُتيا[1] [من البسيط]:

قُل لِلإمامِ أبي الخَطّابِ: مَسألةٌ ... جاءَتْ إلَيكَ، وما خَلْقٌ سِواكَ لَها
ماذا على رَجُلٍ رامَ الصلاةَ فمُذ ... لاحَت لخاطِرِهِ ذاتُ الجَمالِ لَها

فأجابَ ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ [من البسيط]:

قُل لِلأديبِ الذي وافى بمَسألةٍ ... سَرَّتْ فؤادي لـمّا أن أصَخْتُ[2] لَها
إنَّ التي[3] فَتَنَتْهُ عَن عِبادَتِهِ ... خَريدةٌ ذاتُ حُسْنٍ فاثنَنى[4] ولَها
إنْ تابَ ثُمّ قَضى عنهُ عِبادَتَهُ ... فرَحمةُ الله تَغشى مَن عَصى ولَها[5]

الشهابُ محمودٌ[6] [من الكامل]:

---

(١) قوله: «شيخ الحنابلة» إلى هنا ليس في (م)، وفي (ق): «ابن الخطاب»، وما فيها قولُه: «وأنشد»، واستدركتُ تقويماً.

(٢) في (م): «فؤادي بما ان لها». وعليها في (ق): «أي: استمعت». ومطلع العجُز في (ق): «أسرّت»، وفي (م): «أرسلت». وصوّبتُ من القصة في «تاريخ الإسلام» للذهبي (١١/ ١٤١) في ترجمة شيخ الحنابلة الإمام أبي الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن بن الحسن، الكلوذاني، الأزجي، (ت٥١٠هـ).

(٣) في (م): «الذي».

(٤) ليس في (ق) قوله: «ذات»، وفيها: «فاقتنى ولها». وعليها فيها: «اقتنى ولها: أي: اكتسب ضعفاً وحباً».

(٥) وعليها في (ق): «أي: اشتغل باللهو»، وفيها قبلها: «تغثتني»، وتحتها: «عمّت»، وفي صدر البيت في (م): «قضى منه».

(٦) قوله: «الشهاب محمود» ليس في (م). وهو الإمام العلامة البارع البليغ الكاتب الحافظ محمود بن سلمان بن فهد، أبو الثناء الخفاجي الحنبلي الدمشقيّ، صاحب «منازل الأحباب»، (ت٧٢٥هـ). =

هـل لـيْ إلـى رشَـفاتِ فِيـكَ سبيلُ ... فـيَـبُـلَّ صَـبٌّ، أو يُـبَـلَّ غَليـلُ [١]

يـا شـادِنـاً لـولا تـرنُّـحُ عِـطفِهِ ... لم يـدْرِ غُصـنُ البـان كيـفَ يَميـلُ

إن أنكَـرَت عَينـاكَ قَتْلـي فـي الهوى ... فَـدَمـي عـلـى خَدَّيـكَ فِيـهِ دَليـلُ

أهواهُمـا، ومِـنَ الـعَـجـائبِ أنّـهُ ... يشـتـاقُ شـوقَ القاتـلِ المقتـولُ

عَجَباً ورَوضُ بَديعِ حُسْنِكَ لـم يزَلْ ... يَـجـري بِـهِ مـاءُ الـصِّـبا ويَحـولُ

إذ[٢] خَـدُّكَ الفتّـانُ فيـهِ نَضارةٌ ... والناظِـرُ الوَسْـنانُ فيـه ذُبـولُ

أصبَحـتَ كالبـدرِ المُنيـرِ ضيـاؤُهُ ... دانٍ، ولـكـنْ مـا إليـهِ وَصـولُ

ابن نُباتة[٣] [من الوافر]:

بُروحـي عاطِـرُ الأنفـاسِ ألْـمى ... رَشيقُ القَـدِّ سـاجي[٤] المُقلَتَيـنِ

يَهُـزُّ مُثَقَّـفاً مِـن مَـعـطِفَيـهِ ... ومِن جَفْنَيـهِ[٥] يَجـذُبُ مُرهَفَيـنِ

لـهُ خـالانِ فـي دينـارِ خَدٍّ ... تُـبـاعُ لَـهُ القُلـوبُ بِحَبَّتَيـنِ

وحَـولَ نَقـا سوالِفِـهِ[٦] عِـذارٌ ... كَما سَـعَّرْتَ نَقْشـاً فـي لُجَيـنِ

= يُنظر: «فوات الوفيات» (٤/ ٨٢). ولم أجد أبياته.

(١) أول عجز البيت في (م): «فيبسلو حباً». و«يَبُلُّ» ـ بضم الباء ـ: ينجو، وقد تكون بكسرها بمعنى: يبرأ ويصِحّ، و«يُبَلُّ»: من البلل والبرودة.

(٢) في (م): «إن».

(٣) قوله: «ابن نباتة» ليس في (م). وهو المصري، والأبيات من قصيدة في «ديوانه» (ص٦٢ ـ ٦٤).

(٤) في (م): «شاحي»، وآخر الصدر فيه: «إلى».

(٥) في (م): «يمن شغفاً من مطعميه وجفنيه».

(٦) في (ق): «سالفة»، وفي (م): «ساله»، وصوّبتُ

أظَلُّ إذا نَظَرتُ لِوَجنَتَيهِ أُنَزِّهُ في النَّقا والرّقمَتَينِ[١]

فيا للهِ مِن غُصنٍ فَريدٍ وفي خَدَّيهِ كِلْتا الجنتين

ابن مطروح[٢] [من الكامل]:

ما لِلجَمالِ بِوَجنَتَيكَ[٣] مَعينُ لو كانَ لِيْ عِندَ الوُرُودِ مُعينُ

لكِنْ حَمَتْهُ أسِنّةٌ وأعِنّةٌ فلَكَمْ قَتيلٌ حَولَها[٤] وطَعينُ

فالليلُ ثَمَّ عِبارةٌ عَن طُرّةٍ إنْ كُنتَ تفهَمُ ـ والصَّباحُ جَبينُ

مِن كُلِّ ضارِبةِ اللِّثام وإنّما تَحتَ اللِّثامِ مَحاسِنٌ وفُنونُ

يا قلبُ وَيحَكَ، ما تُفيقُ مِنَ الجَوى فَمَعَ الزَّمانِ تولُّهٌ[٥] وجُنونُ

لكَ كُلَّ يَومٍ صَبْوةٌ عُذْريّةٌ أعَلَيكَ نَذْرٌ أمْ عَلَيكَ يَمينُ

وبكُلِّ قَدٍّ أنتَ صَبٌّ هائمٌ وبكُلِّ خَدٍّ مُغرَمٌ مَفتُونُ

سُئِلَ الضَّرائرُ عن حَقيقةِ ثَغرِها[٦] يَوماً، فَقُلْنَ: اللُّؤلُؤُ المكنُونُ

---

(١) في (م): «والرمقتين»، وفيها في الصدر: «أضل إذا نصرت».

(٢) قوله: «ابن مطروح» ليس في (م). وهو الإمام الكبير، صاحب النظم الفائق، جمال الدين يحيى ابن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح الصعيدي، خدم الملك الصالح نجم الدين، فلما تسلطن بمصر، ولاه نظر الخزانة، ثم وزر له بدمشق، ثم عزله، وله «ديوان» مشهور، (ت٦٤٩هـ). من «السير» للذهبي (٢٣/ ٢٧٣). والأبيات في «ديوانه» (ص١٩٢ ـ ١٩٣).

(٣) في (م): «بوجنيك» وقبلها في (ق): «الجمال».

(٤) في (م): «ونحوها»، وفيها في الصدر: «ألسنة».

(٥) في (ق): «تركه»، وقبلها في (م): «عمم الزمان».

(٦) في (م): «الضائر عن حقيقة أمره».

وأفادَنــي المِسْــواكُ أنّ رُضــابَها ... مِسْكٌ وَشَــهْدٌ، والسِّــواكُ أميــنُ
مَحجُوبــةٌ فــي خِدْرِهــا[1]، مَحبُوبــةٌ ... إنَّ الجمــالَ يُحِــبُّ وَهْــوَ مَصُــونُ

ابن قناص[2] [من الكامل]

مــا إنْ رَنــا باللَّحــظِ مِــن وَسْــنانِهِ ... إلّا سَطَــا بِحُسامِــهِ وسِــنانِهِ[3]
والسَّـيفُ يَقتُـلُ حيـثُ فـارَقَ جَـفْنَـهُ ... واللَّــحْظُ[4] يَقتُـلُ وَهْـوَ فـي أجفانِـهِ
وبِمُهجَتي مَـن قَـد ثَوىٰ في مُهْجَـتي ... وَفَــداهُ طَـرْفٌ[5] حَـلَّ فـي إنسانِهِ
غَضبـانُ يُهْـوىٰ مَـعْ إساءَتِـهِ إلــى الـ ... عُشّـاقِ، كيـفَ[6] يكُـونُ مَـعْ إحسـانِهِ
هَــزَّتْ رَوادِفُــهُ مَعاطِفَــهُ، فَقُــلْ: ... أغْصانُ بـانٍ مِلْـنَ[7] مَـعُ كُثْبانِـهِ
هُـوَ رَوضةٌ لِلحُسْـنِ، أسـوَدُ ناظِري[8] ... جَـعَلُـوهُ نـاطُـوراً عـلـى بُـستانِهِ
يَبْـدُو تَضَـرُّمُ خَـدِّهِ مِــن قَـدِّهِ ... أرَأيتُــمُ التُّفّــاحِ فــي أغصانِــهِ
وتَظُـنُّ نَرجِسَـهُ يُشيـرُ بِغَمْــزِهِ: ... أن قَبِّلــوا[9] المُبَيْـضَّ مِـن سُوسـانِهِ

---

(١) في (م): «درها».

(٢) قوله: «ابن قناص» ليس في (م)، ولا من هو بهذا الاسم، ولعله ابن قرناص المتقدّم، ولم أهتد إلى الأبيات، والله أعلم.

(٣) في (م): «بحسانه ولسانه»، وفي صدر البيت في في (ق): «ردنا».

(٤) في (م): «والحظ».

(٥) في (م): «طرفي»، ومطلع البيت فيها: «وبهجتي».

(٦) قوله: «كيف» سقط في (م)، ومطلع البيت فيها: «غضبان يهد».

(٧) في (م): «مذ».

(٨) في (م): «الحسن أسود ناظر».

(٩) في (م): «انبضوا».

هــذا رَبيــعٌ فائــتٌ فــتَـفَـتَّــحُوا وَرْداً تَحمَّــلَ فــي ذَرىً[١] رَيحانِــهِ

قَــد جــالَ مــاءٌ لِلنَّعيــمِ بِــعِطْفِهِ لكِنْ تَمَــوَّجَ مِنْــهُ فــي أعكانِــهِ[٢]

كَــمْ ذُقْــتُ صَبْــراً مِــن مَــرارةِ هَجْرِهِ طَـعْــمُ الجَــنا كَحــلاوةٍ[٣] بِلِســانِهِ

وَصَبَــرتُ مِنْــهُ لِلَــدْغِ عَقــرِبِ صُدْغِهِ حتــى تَـطُــولَ يَـدي إلــى ثُعبانِــهِ[٤]

إنَّ الـهــوى أبَــداً تــرى آســادَهُ هانَت قِيــاداً فــي يــدَي[٥] غِزْلانِــهِ

ظَبْــيٌ مــنَ الأتــراكِ يُــعرِبُ أنّه لــم يَتْرُكَــنْ[٦] حُســناً علــى عُرْبانِــهِ

وأَميــرُ حُسْــنٍ قَــد جَعَلــتُ تَــقَرُّبي سَبَباً لِنَظْــمِ الوَصْــلِ مِــن[٧] إحســانِهِ

الشيخ صدر الدين[٨] [من الكامل]:

قَــد جَــرّدَ الهِنْــديّ مِــن لَحَظاتِهِ وتَعَلَّــمَ الخَطــيُّ مِــن خَطَراتِــهِ[٩]

---

(١) في (ق): «ودي»، وفي ختام الصدر في (م): «فتعتموا».

(٢) في (م): «تمرح منه في أكنافه». والأعكان: الأَطْواء في البَطْن مِنَ السِّمَن، وتَعَكّنَ البَطنُ: صارَ ذا عُكَن.

(٣) في (م): «كحلاة».

(٤) يُريد بالثعبان: الخصرَ المتثنّيَ.

(٥) في (م): «بدي». وختام الصدر فيها: «أسياه»، وفي (ق): «أيساره»، وصوّبت.

(٦) في (م): «يترك».

(٧) في (ق): «في».

(٨) قوله: «الشيخ صدر الدين» ليس في (م)، ويحتمل أن يكون الشيخ صدر محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي، ربيبُ الشيخ محيي ابن عربي وتلميذه المقرب، وشارح عدد من كتبه، (ت ٦٧٣هـ)، ولم أجد الأبيات.

(٩) في (م): «خطواته»، وبيّض فيها لقوله: «الهندي».

قَمَـرٌ تَصيـدُ الأُسْـدَ سُـوْدُ عُيُونِـهِ ... وَيَغـارُ مِنـهُ البَـدْرُ مِـن هالاتِـهِ
يـا خَجْلَـةَ الأَغْصـانِ مِـن أَعْطافِـهِ ... وَفَضيحـةَ الغِـزْلانِ مـن[1] لَفَتاتِـهِ
أَبْـدى الذُّؤابَـةَ والقَـوامَ فَـلا تَسَـلْ ... عَـن بـانِ نُعْمـانٍ وعَـن عَذَباتِـهِ
قَدَّمـتُ فِيـهِ صَبابَـةً، وَلِـيَ الهَـنا ... فَلِمِثْلِـهِ[2] خُلِـقَ الحَيـا وَحَياتِـهِ
حـازَ القُلـوبَ بِأَسْـرِها فـي أَسْـرِهِ ... إِذْ[3] شـاهَدَتْ مِنـهُ بَديـعَ صِفاتِـهِ
أَرجُـو وأَحْـذَرُ قُرْبَـهُ وَبِعَـادَهُ ... فَالقَلْـبُ بَيـنَ حَياتِـهِ وَمَماتِـهِ

ابنُ النَّبيه[4] [من الكامل]:

بيـنَ البَنـانِ وصُدْغِـهِ المعقـودِ ... خَمْـرانِ مِـن كأسٍ ومِـن عُنقُـودِ
هٰـذِيْ تُـدارُ لَنـا بأبيَـضَ ناعِـمٍ ... تَـرِفٍ، وتِلْـكَ تُـدارُ فـي تَوريـدِ[5]
سـاقٍ كأنَّ جَبينَـهُ فـي شَـعْرِهِ ... قَمَـرٌ تَبَلَّـجَ[6] فـي اللَّيالـي السُّـودِ
غُصْـنٌ تَرَنَّـحَ خَصْـرُهُ فـي رِدْفِـهِ ... فَعَجِبْـتُ لِلمَعْـدُومِ[7] فـي المَوْجُـودِ
وَضّـاحُ دُرِّ الثَّغْـرِ، مَعْسُـولُ اللَّمـى ... مُتَضايِـقُ الأَجْفـان، رَحْـبُ الجِيْـدِ
يَلْـوي علـى زَرِدِ العِـذارِ دَلالَـهُ ... كـم فتنـةٍ بيـن اللِّـوى وزَرُودِ[8]

---

(١) سقط الحرف «من» في (م)، ومطلع البيت فيها: «يا خجلة الإنسان».

(٢) في (م): «ولا الهنا فلثلاثة».

(٣) في (م): «إذا».

(٤) قوله: «ابن النبيه» ليس في (م). والأبيات من قصيدة في «ديوانه» (ص٨٢).

(٥) في (م): «عنقود»، وأول العجز فيها: «برق». وقوله: «تَرِف» مولَّد.

(٦) في (م): «نيح».

(٧) في (م): «للمعزوم».

(٨) اللِّوى وزَرُود: اسمان لِموضعَين رَمْلَين مشهورَين.

نَبَتَت عَلى الكافُورِ مِسْكةُ خالِهِ ... والمِسْكُ[١] ينبُتُ في الظِّباءِ الغِيْدِ
في جَفْنِهِ لِمُحِبِّهِ وَعَدُوِّهِ ... سَيْفانِ مِن لَحْظٍ وَحَدِّ حَديدِ
هذا يقُومُ على القُلُوبِ دَليلُهُ ... قَطْعاً، وذاكَ السَّيفُ بالتَّقليدِ
إيّاكَ والأتْراكَ إنَّ لِبَعْضِهِمْ ... أشخاصَ[٢] غِزْلانٍ وَفِعْلَ أُسُودِ
أجسامُهُمْ كالماءِ إلّا أنّها ... حَمَلَت[٣] قُلُوباً مِن صَفا الجُلمُودِ

لابن النبيه أيضاً[٤] [من الكامل]:

ما لِيْ وَلِلتَّشبيبِ بالأوْطانِ ... لِيَ شاغِلٌ بِجَمالِكَ الفَتّانِ
لِلرِّيقِ والثَّغْرِ العُذَيبُ وبارِقٌ ... وَقُباكَ مَزْرُورٌ على نُعْمانِ
وَسِنانُ حُوْرِيِّ الصِّفاتِ[٥] كأنّهُ ... مَلَّ الجِنانَ فَفَرَّ مِن رُضْوانِ
طالَت على عِطْفَيهِ لَيلةُ شَعْرِهِ ... فتَرَنَّحا[٦] كالعاشِقِ الوَلْهانِ
واخْضَرَّ فَوْقَ الوَرْدِ أُسُّ عِذارِهِ ... فَعَجِبْتِ لِلْجَنّاتِ في النِّيرانِ
جُنَّتْ بِمَنْظَرِهِ البَديعِ عُيونُنا ... فَتَسَلْسَلَتْ بِمَدامِعِ الأجْفانِ

وللشيخ شَرفِ الدّين أحمدَ ابنِ الحَلَاويّ المَوصِليِّ ـ ورواها الدِّمياطيُّ في «معجمه»[٧] ـ [من الطويل]:

---

(١) في (م): «مسك قده فالمسك»، وفي (ق): «سكة خاله».

(٢) في (ق): «لفتات».

(٣) في (ق): «حلت».

(٤) قوله: «لابن النبيه أيضاً» ليس في (م). والأبيات من قصيدة في «ديوانه» (ص٤٧ ـ ٤٨).

(٥) في (ق): «الصفا».

(٦) في (م): «فترما»، وفي (ق): «فنزحنا».

(٧) قوله: «في معجمه» ليس في (م)، وفيها قبله: «ورواه»، وليس في (ق) قوله: «وللشيخ». =

حَـكاهُ مـن الغُصـنِ الرَّطيـبِ وَريقُـهُ ... ومـا الخَمْـرُ إلّا وَجنَتـاهُ ورِيقُـهُ

هِـلالٌ، ولكِـنْ أُفْـقُ[1] قَلبـي مَحلُّـهُ ... غـزالٌ، ولكِـنْ سَـفْحُ عَينـيْ عَقيقُـهُ

وأسـمَر يَحكـي الأسـمَرَ اللَّـدْنَ قَـدُّهُ ... غَـدا راشِـقاً[2] قَلْـبَ المُحِـبِّ رَشـيقُهُ

على خَـدِّهِ جَمْرٌ مِنَ الحُسْـنِ مُضرَمٌ[3] ... يَشِـبُّ، ولكِـنْ فـي فُـؤاديْ حَريقُـهُ

أَقَـرَّ لَـهُ مِـن كُلِّ حُسْـنٍ جَليلُـهُ[4] ... ووافَقَـهُ مِـن كُلِّ مَعنـىً دَقيقُـهُ

بَديـعُ التَّثَنّـي راحَ قَلْبـي[5] أسـيرَهُ ... علـى أنَّ دَمْعـي فـي الغَـرامِ طَليقُـهُ

علـى سـالِفَيهِ لِلعِـذارِ جَديـدُهُ ... وَفـي شَـفَتَيهِ لِلسُّـلافِ عَتيقُـهُ

يُهَـدِّدُ مِنـهُ الطَّـرْفُ مَـن لَيْـسَ خَصْمَهُ ... وَيُسـكِرُ[6] منـهُ الرِّيـقُ مَـن لا يَذوقُـهُ

علـى مِثلِـهِ يَستَحسِـنُ الصَّـبُّ هَتْكَـهُ ... وفـي حُبِّـهِ يَجْفُـو الصَّديـقَ صَديقُـهُ

= والدمياطي هـو الإمـام العلامـة الحافـظ الحجـة الفقيـه النسـابة شـيخ المحدثيـن، شـرف الدين، أبـو محمـد، عبـد المؤمـن بـن خلـف بـن أبـي الحسـن التونـي الشـافعي، صاحـب التصانيـف، (ت٧٠٥هـ). ترجمـه تلميـذه الذهبي فـي «تذكـرة الحفـاظ» (٤/ ١٧٩)، و«معجمه» غيـر مطبوع فيمـا أعلـم، والله أعلـم.

والأبيـاتُ فـي ترجمـة ابـن الحـلاوي فـي «بغيـة الطلـب فـي تاريـخ حلـب» لابـن العديـم (٣/ ١٠٦٧ ـ ١٠٦٨).

(١) في (ق): «أقف»، وأول البيت في (م): «حلال».

(٢) فـي (ق): «عـذار شـقّ»، وفي صـدر البيت في (م): «كل الأسـمر الزين». والأسـمر اللـدن: الرمح الطريّ.

(٣) في (م): «معرض».

(٤) في (م): «جليلًا».

(٥) في (م): «قلب».

(٦) في (م): «ويسكن».

مِنَ التُّركِ لا يُصْبيهِ وَجْدٌ إلى الحِمى ... ولا ذِكْرُ باناتِ الغُوَيرِ[(١)] تَشوقُهُ

ولا حَيَّ في حَيٍّ تَلُوحُ قِبابُهُ ... ولا سارَ في رَكْبٍ يُساقُ وَسيقُهُ[(٢)]

ولا باتَ صَبّاً بالعُذَيبِ وأهلِهِ ... ولكِنْ إلى خاقانَ يُعْزىٰ فَريقُهُ

لَهُ مَبسَمٌ يُنْسي المُدامَ بَريقُهُ ... وَيُخجِلُ أَنْوارَ[(٣)] الأقاحِ بُروقُهُ

تَداوَيتُ مِن حَرِّ الغَرامِ بِضَمِّهِ ... فأُضرِمَ مِن ذاكَ الرَّحيقِ حَريقُهُ[(٤)]

إذا خَفَقَ[(٥)] البَرْقُ اليَمانيُّ مَوهِناً ... تَذَكَّرتُهُ، فاعتادَ قَلْبيْ خُفُوقُهُ

حَكىٰ وَجْهُهُ بَدْرَ السَّماءِ، فَلَو بَدا ... مَعَ البَدْرِ[(٦)] قالَ النّاسُ: هذا شَقيقُهُ

يَراني خَيالاً حينَ وافى[(٧)] خَيالُهُ ... فأَطرَقَ مِن طَرْقِ الحَياءِ طَرُوقُهُ

فأَشبَهتُ مِنهُ الخَصْرَ سُقْماً، وَقَد غَدا ... يُحَمِّلُني - كالخَصْرِ - ما لا أُطيقُهُ

فَما بالُ قَلبيْ كُلُّ حُبٍّ[(٨)] يَهيجُهُ ... وحَتّامَ طَرْفي[(٩)] كُلُّ حُسنٍ يَرُوقُهُ

---

(١) في (م): «إليه»، وفي (ق): «الغرير»، ولم أجده موضعاً، وأثبتُّ ما في «بغية الطلب» (٢/ ١٠٦٨)، وهو ماء لكلبٍ بأرضِ السماوة بين العِراق والشام.

(٢) في النسختين: «تساق وسوقه»، ولم أجد «الوسوق»، وأثبتُ ما في «البغية»، والوسيق والوسيقة من الإبل: كالرُّفقةِ من الناس. وقبله في (م): «في كب»، وآخر صدر البيت في (ق): «قلوح قبله».

(٣) في (م): «ويخمد نوار»، وفي الصدر في (ق): «ينبي المدام».

(٤) في (م): «ريقه»، وآخر الصدر في (ق): «بشعره».

(٥) في (ق): «خفت».

(٦) في (م): «البرق».

(٧) في (م): «حين دجا»، ومطلع البيت فيها: «رآني».

(٨) في (م): «حي».

(٩) في (م): «وحتى طرفي»، وفي (ق): «وحتى مطرفي»، وفي صدر البيت في (م): «كل حبي»، وفي =

فهٰـــذا لِيَـوْمِ البَيْــنِ لـم تُطْـفَ نـارُهُ وهـذا[١] فَبَعْـدَ البُعْـدِ ما جَـفَّ مُوقُهُ[٢]

لابن مطروح[٣] [من الكامل]:

هَـزُّوا القُـدُودَ وأظهَـروا سُـمْرَ القَنـا وتقَلَّـدوا عِـوَضَ السُّـيوفِ الأَعيُنـا

وتَقَدَّمــوا لِلــعاشِقينَ، فَكُلُّهُــم طَلَبــوا الأمــانَ لأنفُـسٍ[٤] إلّا أنــا

لا خَيــرَ فــي جَفْــنٍ إذا لــم يَكتَحِـلْ أَرَقــاً، ولا جَسـدٍ تُجافيـهِ الضَّنــى[٥]

وأنـا الـفِـداءُ لِـبابِـلـيِّ لِـحـاظِـهِ لا تَسـتَطِيعُ الأُسْـدُ[٦] تَثْبُـتُ إنْ رَنـا

لــمّا بَـدا فــي حُلّــةٍ مِــن سُـندُسٍ قالَـت غُصـونُ البـانِ: مـا أبقَـى لَنـا؟

= (ق): «كل يحب» وصوّبتُ.

(١) في (م) هنا: «فهذا»، وفيها في مطلع البيت: «فهذا اليوم».

(٢) في (م): «لا جف موقه». والموق: مؤخر العين، وقيل: مقدّمها، وفي «بغية الطلب» (٣/ ١٠٦٨): «خفّ موقه»، وفسّره المحقق بالحُمق، وهو وَجيه، وإن كنتُ أراه تفسيراً لتصحيف، والله أعلم.

(٣) قوله: «لابن مطروح» ليس في (م).

ولم أجد الأبيات في «ديوان ابن مطروح»، وفيه (ص١٩٤) سبعة أبيات أخرى من نفس الوزن والروي.

ونسبةُ المؤلف تدحضُ نسبةَ الشيخِ عبد الرزاق البيطار هذه الأبياتَ في «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» (ص١٣٧٠) للشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي، أديب زمانه، ولبيب وقته وأوانه، (ت١٠٣٢هـ).

(٤) في (ق): «لنفسه».

(٥) في (م): «ولا به بإعدام القنا» وفي (ق): «صبا بي عدم الفنا»، وأثبتُّ ما في «الحلية».

(٦) في (م): «الأسا»، وسقطت هذه الكلمة في (ق)، وفي صدر البيت في (م): «القد الباني لحظه» وفي (ق): «الغر البابلي لحظه»، وأثبتُّ ما في «الحلية». والبابلي: السحر المنسوب إلى بابل.

فَبِخَدِّهِ وَبِثَغْرِهِ وعِذارِهِ مَعنى[١] العَقيقِ وبارِقٍ والمُنحَنى
أَقْسى عليَّ مِنَ الحَديدِ فُؤادُهُ ومِنَ الحَريرِ تَراهُ عِطْفاً لَيِّنا
يا قلبَهُ القاسيْ ورِقَّةَ خَصْرِهِ لِم لا نَقَلْتَ إلىٰ هُنا مِنْ هاهُنا
شَبَّهتُهُ بالبَدْرِ، قالَ: ظَلَمْتَني يا عاشِقي واللهِ ـ[٢] ظُلْماً بَيِّنا
مِن أينَ لِلبَدرِ المُنيرِ ذُؤابةٌ[٣] أو مُقلةٌ، أو وَرْدُ خَدٍّ يُجتَنى
البَدْرُ يَنقُصُ والكَمالُ لِطَلعَتي[٤] فَلِذاكَ قَد أصبَحتُ مِنهُ أحسَنا

* * *

(١) في (ق): «معين».
(٢) في (م): «فأشبهلي البدر»، وفي (ق): «يا مشبهي للبدر»، وأثبتُّ ما في «الحلية».
(٣) في (م): «ذواته».
(٤) في (م): «لطلقي».

خاتمة

[ببعض أشعار المؤلف]

قد أحبَبْتُ[1] أن أختمَ هذا المجموعَ ببعضِ أشعارٍ قُلتُها، وكَلِماتٍ رَسَمتُها ورَقَمتُها، وإن كانَ لا يليقُ أن تُذكَرَ مع كلامِ القوم[2] خَشيةَ افتِضاحِها، ولا أن تَقتَرِنَ بأشعارِهم لعَدَمِ بَلاغَتِها وإفصاحِها[3]:

أتظهَرُ معَ الشُّموسِ الكواكب، أو تُقاسُ بالضّياءِ الغياهب، لكن مُخالِطَ[4] الشَّريفِ شَريف، ومُعاشِرَ أهل الكمالِ ظَريف[5]، فعَسى بمُخالَطتِها لِكلامِهم تَحلو، وباقتِرانها معَ نِظامِهم تَغلُو[6]، ويمَدَحُها المُحِبُّ والحَبيب، وبالعَكسِ العَذُولُ والرَّقيب:

قلتُ ـ مُفرَدَين [7] ـ [من الطويل]:

ألا إنّيَ اسمٌ قَدْ[8] تخصَّصَ بالذي ... يُقالُ لَهُ: خَفْضٌ، وأنتَ سُكُونُ

على الفِعْلِ تَدْخُلْ، لا عَلى الإسْمِ، ما أنا ... بفِعلٍ، فَمَوتيْ في هَواكَ سُكُونُ

وقلتُ أيضاً [من الطويل]:

---

(١) في (م): «قد أوجبت».

(٢) من قوله: «وكلمات» إلى هنا سقط في (م).

(٣) في (م): «وفصاحتها».

(٤) في (م): «مخالطة».

(٥) في (م): «ظرف».

(٦) في (م): «اتصافهم تعلو».

(٧) في (م): «مفردين».

(٨) سقط الحرف «قد» سقط في (م)، ومطلع البيت فيها: «ألا إنني».

إذا زارَ داريْ زَوْرةً زادَ وُدُّهُ[١] وإن رامَ زادي، أو أرادَ رِدائــي

فأهْلاً وسَـهْلاً، ثمَّ حُبّـاً ومَرحَباً وإن رامَ رُوحـي كانَ ذاكَ مُنائي

وقلتُ أيضاً[٢] [من الطويل]:

بُنِيـتُ عَلى[٣] كَسْـرٍ، وها أنـتَ ساكِنُ وحُـبُّـكَ فـي قَلبيْ ـ وحَقِّكَ ـ سـاكِنُ

وهـا أنـتَ مَرْفـوعٌ، وخَفْضـيْ مُحَقَّقٌ لَدَيـكَ، وجَزْمـيْ أنَّنـي مِنـكَ آسِـنُ[٤]

نَصَبـتَ شِـراكَ اللَّحْـظِ ثُـمَّ رَمَيتَني بِظُلْمِـكَ لـيْ ـ واللهِ ـ دَلَّـتْ قَرائـنُ

فأصبَحـتُ مَجرُوراً وَلَحْظُكَ خافِضي وَسُـقْمـيَ فِعْـلٌ لازِمٌ مِـنـكَ بائنُ

فمـا الحالُ والتَّمييزُ فِـيكَ بِـمُـطـلَقٍ ولا النَّعْتُ والتَّوكيـدُ والعَطفُ ماينُ[٥]

وقلتُ أيضاً[٦] [من الطويل]:

مَوانِعُ صَرْفِكْ قَد طَلَـبْتُ فَـلَـمْ أَجِـدْ وُصُولاً لها أَصْلاً، وأصبَحْتَ مُنصَرِفْ

فَصِيغَـةُ جَمْعـيْ فـي هَـواكَ كَمُفْرَدٍ وَألِفـا التّأنيـثِ صـارا كَلا أَلِـفْ[٧]

لَقَدْ رَدَّ في الوَزْنِ العُـدُولُ عَـنِ الـفَـتـى إلى أينَ قُلْ لي: إنْ عَدَلْتَ فَمَنْ أَلِفْ؟[٨]

---

(١) في (م): «زد وده»، وفي (ق): «وزرت وده»، وصوّبتُ.

(٢) قوله: «وقلت أيضاً» ليس في (م).

(٣) في (م): «تصبب عن».

(٤) «آسن»: متغيِّر، ويُستعمل في الماء؛ قال تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]. وتعبيره فجّ!

(٥) «ماين» فاعل «مان يمون عليه»، أي: كانت له عليه دالّة وكلمة مسموعة، وهو تعبير مولّد.

(٦) قوله: «وقلت أيضاً» ليس في (م).

(٧) في (م): «وألف التأنيث صار كالألف».

(٨) ليس هذا البيت في (ق). و«مَن أَلِفَ»: سؤال عمّن قد قام بالأُلفة؟

فَمَعلُومٌ حاليْ أنّني فِيكَ مُغرَمٌ ... وَوَصفُكَ ذُو[1] قَدٍّ رَشيقٍ، فكَمْ أَصِفْ
عَذُولي ذُو التّأنيثِ أضْحى بِعُجْمةٍ ... وتَرْكِيبُهُ مَزْجي ثَلاثٌ بها عُرِفْ
فَها مانِعاتُ الصَّرْفِ لكِنْ تَخلَّفَتْ ... إلَيكَ مُضافاً[2]، أنتَ أمْ أنتَ «ألْـ» رَدِفْ

وقلتُ أيضاً[3] [من البسيط]:

إنَّ النُّحاةَ ذَوُو[4] ذَوْقٍ ومَعرِفةٍ ... وقَد أصابُوا، ونِعْمَ السّادَةُ النُّبَلا
حيثُ المُنادىٰ بِعارِضْ ضَمِّهِ[5] اعتَبرُوا ... فَأتْبَعُوه؛ لِأنْ بالسّالِفِ اتَّصَلا
ما لاحَظُوا ما بُنِيْ في الأصلِ فاعتَبَروا[6] ... لِكَونِ لا عارِضٌ، فيَندَرِجْ بَدَلا[7]

وقلتُ أيضاً[8] [من الكامل]:

مِن يومِ غابَ مُعَذِّبي وَمُنادِمي ... فاللَّونُ مِنّي مِن جَفاهُ قَدِ انْكَشَفْ[9]
والحالُ حالَ ولا أراهُ مُواصِلي ... فانْظُرْ تَرىٰ حاليْ وما خَفِيَ[10] انكَشَفْ

---

(١) في (م): «ووصف وذو»، ومطلع البيت في (ق): «فعلوم حالتي».

(٢) في (ق): «لديك مضاف».

(٣) قوله: «وقلت أيضاً» ليس في (م).

(٤) في (م): «ذو».

(٥) قوله: «ضمه» سقط في (م).

(٦) في (ق): «ما اعتبروا»، ومطلع البيت في (م): «ما لحظوا».

(٧) سقط حرف الجيم في (ق)، وبيّض للكلمتين في (م).

(٨) قوله: «وقلت أيضاً» ليس في (م).

(٩) في (م): «انكسف»، وهي وجيهة جداً، لكنّها تعكّر جناسَه التامّ، والله أعلم.

(١٠) في (م): «أخشى».

وقلتُ أيضاً(١) [من الكامل]:

مُذْ غابَ عَن عَيْنيْ وأعرَضَ عامِداً ... مَن كُنتُ أهواهُ تغيَّرَ حالي

وأتى العَذُول مُوَبِّخاً(٢) ومُعاتِباً ... ما مَن يُقاسي مثلَ مَن هُوَ خالِ

وقلتُ(٣) [من الكامل]:

مِن حينِ رامَ الهَجْرَ عَمْداً مالِكي ... وَرَمى(٤) بِقَلبيْ مِن جَفاهُ كلاما

ما حَنَّ(٥) ليْ مِن شافعٍ في شافِعي ... فانظُرْ تَراني لا أرُدُّ كَلاما

وقلتُ(٦) [من الطويل]:

رُميتُ بألحاظٍ مِراضٍ منَ الظِّبا(٧) ... فُؤاديْ وقَلْبيْ ثُمَّ عَقْليْ لَها صَبا

رُميتُ بِلا رِفْقٍ(٨) فَعِشتُ بِلَوعةٍ ... وجُرحُ غَرامي مُستَزيدٌ منَ الصِّبا

فَها أنا مَجروحُ الفُؤادِ مُعذَّبٌ ... يَزيدُ غَرامي كُلَّما هَبَّتِ الصَّبا

وقلتُ مُعاتِباً(٩) [من البسيط]:

---

(١) قوله: «وقلت أيضاً» مع البيتين ليس في (م). والبيتان في «نفحة الريحانة» (٢/ ٢٤٥).

(٢) في (ق): «موابخاً».

(٣) قوله: «وقلت» ليس في (م).

(٤) في (م): «وروماً». وكرر ناسخ (ق) في صدر البيت: «رام».

(٥) في (م): «حنت»، والبيت كله ليس في (ق).

(٦) قوله: «وقلت» ليس في (م).

(٧) في (م): «الصبا».

(٨) في (م): «فرق».

(٩) قوله: «وقلت معاتباً» ليس في (م). والأبيات غير الأخير في «الغزل المطلوب» للكرمي.

إنّـا كَتَبْنـا إلـى مَـن صـارَ[١] ناسِـيْنا ... لَئِـنْ نَسـيتَ فَمـا كُنّـا بِناسـينا
وإنْ صـدَدتَ فمـا صَـدٌّ يُغيِّرُنـا ... وإنْ نَأَيـتَ فَمـا كُنّـا بِنائينـا[٢]
وإنْ هَجَرتَ فلَيسَ الهَجْرُ يُسخِطُنا[٣] ... وإنْ جَفَـوتَ فَمـا كُنّـا بِجافينـا
وإنْ نَقَضـتَ عُهُـوداً ليـسَ نَنقُضُهـا ... وإنْ سَـلَوتَ فَمـا كُنّـا بِسـالينا
وإنْ غَضبـتَ فتَلْقـىٰ عِندَنـا شَـغَفاً[٤] ... وإنْ بغضـتَ فتَلْقانـا مُحِبِّينـا
وإنْ تَرَكـتَ سَـلاماً إذْ مَـرَرتَ فَسَـلْ ... مَـن كان حاضِرَنـا عَمّـا[٥] جَـرى فينـا
لـولا اصطِبـاريْ لَـكان الوَجْـدُ قاتِلَنـا ... لـولا التّأسّـي لـكانَ الصَّبـرُ مُفْنِيْنـا

[وقلتُ] ـ من الكامل ـ:

لـو كانَ فـي قلبـي كقَـدْرِ قُلامـةٍ ... حـبٌّ لِغَيـرِكَ مـا أتتـكَ رَسـائلي[٦]
ولَـوِ اسـتَطَعتُ لَكُنـتُ جِئتُـكَ زائـراً ... يـا مَـن أُراسِـلُهُ ولَيـسَ مُراسِـلي
عَطْفـاً علـى قَلْبـيْ اشـتِياقٌ زائـدٌ ... وَدَعِ التَّجنّـيَ كَـم أراكَ مُماطِلـي
والصَّبـرُ قَـلَّ وإنْ شَـكَكتَ فَشـاهِدي ... خَفَقـانُ قَلْبـيْ وارتِعـادُ مَفاصِلـي
والهَجـرُ أضعَفَنـي وحُبُّـكَ مُتلِفـي ... والشَّـوقُ أقلَقَنـي، وبُعـدُكَ[٧] ناحِلـي

---

(١) في (م): «هو».

(٢) في (م): «بنائلنا».

(٣) في (م): «عادتنا».

(٤) في (م): «شفقاً».

(٥) في (م): «من كان حاضر عما قد».

(٦) في (م): «حبا لغيرك ما تدر سائلي»، والتصويب من «ديوان جميل» (ص١٠٧)؛ إذ البيت له، قد ضمّنه المؤلّف ببعض تصرف.

(٧) في (م): «وبعاك».

وأنا[١] الذي ما زِلتُ أنتَظِرُ اللِّقا ... شَوقاً إلَيكَ وأنتَ غَيرُ مُواصِلي

لَو كانَ عِندَكَ عُشْرُ بَعْضِ تَشَوُّقي ... أَوصَلْتَني وعَلِمْتَ أنّكَ قاتِلي

وقلتُ [من البسيط]:

يا ساحَرَ الطَّرْف، يا مَن مُهجَتي سَحَرا ... كم ذا تنامُ، وكَم أسهَرتَني[٢] سَحَرا

لو كنتَ تعلَمُ ما ألقاهُ منكَ لَمَا ... أتعَبتَ ـ يا مُنيَتي ـ قلباً إلَيكَ سَرى

هذا المُحِبُّ لقَد شاعَت صَبابَتُهُ ... بالرُّوح والنَّفْس يَوماً لِلوِصال شَرى

يا[٣] ناظِري، [ناظِري] بالدَّمعِ جادَ وَما ... أبقَيتَ [في مُقلَتي] ـ يا مُقلَتي ـ نَظَرا

يا مالِكي قِصّتي جاءَت مُلَطَّخةً ... بالدَّمعِ يا شافِعي كدَّرتَها[٤] نظَرا

عَساكَ بِالحَنَفيْ تَسعى عَلى عَجَلٍ ... بِالوَصلِ لِلحَنْبَليْ يا مَن بَدا قَمَرا

اللهُ يُنصِفُنا بِالوَصلِ مِنكَ عَلى ... غَيظِ الرَّقيبِ بِمَنْ [قد] حَجَّ واعتَمَرا

يا غامِراً لِكَئيبٍ بالصُّدودِ كَما ... أنَّ السّقام بِمَن يَهواكَ قَد غَمَرا

قَلَّ الصُّدودُ، فكَم أسقَيتَ أنفُسَنا ... كأسَ الحِمامِ بِلا ذَنْبٍ بَدا وجَرى

وكَم جَرَحتَ فُؤادي، كم ضَنا جَسَدي ... أَلَيسَ دَمْعيْ ـ حَبيبي ـ مُذ هَجَرتَ جَرى

فالشَّوقُ أقلَقَني، والوَجْدُ أحرَقَني ... والجِسمُ ذابِ لِما قَد حلَّ بي وَطَرا[٥]

---

(١) في (م): «وإن».

(٢) في (م): «أسحرتني»، وفي ختام صدر البيت: «سجرا»، والتصويب وفقاً لمصادر الأبيات.

(٣) في (م): «ها».

(٤) في (م): «كروبها».

(٥) أراد: «طرأ» بالهمزة، وسهّلها.

والهَجرُ أضعَفَنـي، والبُعـدُ أتـلَـفَنـي | والصَّبرُ قَـلَّ ومـا أدركـتُ لـيْ وَطَـرا
أشْكُوكَ لِلمُصطفى زَيْنِ الوُجودِ ومَنْ | أرجـوهُ يُنـقِـذُنا مِنْ هَجْرِ مَن هَجَرا[1]

[وقلتُ] ـ من الطويل ـ:

لَقـد لامَنـي العُـذّالُ فيمَـنْ أُحِبُّـهُ | وقالـوا مَقالاً وَهْوَ ـ لا شَـكَّ ـ كاذبُ
ألا إنْ مَـن تَهْـواهُ لا حُسْـنَ زائـدٌ | لَدَيـهِ، وهُـم عِنـديْ جَميعاً كَـواذِبُ
فقُلْـتُ لَهُـم: كُفُّـوا المَلامَ؛ فـإنَّ مَن | كَلِفـتُ بـهِ منـهُ تَغـارُ الكَواكِـبُ
وفي مَذهَبي أنْ لَيسَ في الحُسنِ مِثلُهُ | وإنّـي لَهُ فـي مَذهَـبِ الحُـبِّ ذاهِبُ
فتَقليـدُهُ حَسْـبي وعِشْـقُهُ مَـذهَبي | ولِلنّاس فيمـا يَعشَـقُونَ مَذاهِـبُ[2]

---

(١) في (م)في آخر الصدر: «وكم».

وقد نسب الكرمي مطلعَ هذه القصيدة لنفسه في كتابه «القول البديع في علم البديع» المطبوع ضمن هذا المجموع.

والقصيدةُ له في «خلاصة الأثر» (٤/ ٣٦٠)، و«النعت الأكمل» (ص١٩٤)، وكذا في «السحب الوابلة» (٣/ ١١٢٢ ـ ١١٢٣)، وقد علّقَ محقّقاه على هذا البيت الأخير بالقول:

هذا فيه سوءٌ مع النبيِّ ﷺ، وتعلُّقٌ بغير الله، هذا إن لم يكُن من الغزلِ الصوفيّ المقيت، والشعر الإشاريّ (الرمزي)، وفيه من الانحراف ما لا يخفى. ا. هـ.

قلتُ: أحسبُ أنه يرمُزُ ويُورّي، ولا يُريدُ سيدَنا محمداً ﷺ، فقد ذكرَ المالكيَّ، والحنفيَّ، والشافعيّ، ولعله أرادَ أحداً اسمه المصطفى، أو زين الوجود، أو هو يراه زين الموجودين حولَه....

مع عدم نفيِ الاحتمال الذي رآه الأستاذان؛ فالكرميّ له نَفَسٌ في التصوف لا مِراء، كما يظهر في جملة من مصنَّفاتِه، ولكنّه ليس ـ فيما يبدو لي ـ من الغُلاة، بل من المعتدلين والمُنضبطين بالكتاب والسنة، والله أعلى وأعلم.

(٢) والأبيات في «الغزل المطلوب» للكرمي، والأخيران في «القول البديع» له.

وقلت أيضاً [من الوافر]:

ألا إنّـي لِـمَن أهْـوىٰ أُحِـبُّ وأنحُـو نَحْـوَه أبَـداً وأصبـو[١]

وأرضـىٰ أن أكـونَ لَـهُ عُبَيـداً ذَليـلاً خادِمـاً فَهَـواهُ طِـبُّ[٢]

وقَـد أبـدى العَـواذِلُ لـيْ مَلامـاً قَطيعـاً مِـن جَفـاهُ عَلَـيَّ صَعْـبُ

وقالـوا: ليـسَ مَـن تَهـوى مَليحـاً وزادُوا فـي الـكَلامِ وذاكَ كِـذْبُ

فقُلـتُ لَهُـم: جَهِلتُـمُ أمْ ذَهِلتُـم؟ أمـا قالـوا: مَليحُـكَ مَـن تُحِـبُّ؟

[وقلتُ ـ من الطويل ـ:]

أبَـرُّ إذا أقسَمـتُ يَومـاً بـأنّنـي أَهِيمُ بِمَن أهوى على سائرِ المَلا

بِرُوحِـيَ أفْديـهِ وسَـمْعيْ وناظِـري فتَعذيـبُ قَلْبـيْ فـي مَحبَّتِـهِ حَـلا

رَضِيـتُ بذَنْبـي فـي هَـواهُ ولَوعَتـي فَمـا فـيَّ عَظْـمٌ مِـن مَحبَّتِـهِ خَـلا

أرى العـاذِلَ الخالـيْ يَرُوم لِسَـلوَتي[٣] وكيـفَ وقَلبـيْ فـي المَحبّـة مـا سَـلا

هوى النـاسِ في هِندٍ وسَـلْمى وزَينَبٍ وقَلبي هَـوى ظَبْيـاً يَميـلُ إلـى الفَـلا

يَميـلُ كغُصـنِ البـانِ لكِـنَّ خَصـرَهُ رَقيـقٌ، فهـل بَـدْرٌ حَـكاهُ إذا انجَلـى

مَليـكُ جَمـالٍ صـارَ بالحُسـنِ مالِكـي فكُـنْ شـافِعي يـا مَـن عَلَـيَّ لَـهُ الـوَلا

وقلتُ [من الطويل]:

يُعاتِـبُ مَـن فـي النـاسِ يُدعـىٰ بِعَبـدِهِ ويقتُـلُ مَـن بالقَتـلِ يَرضـىٰ بِعَمـدِهِ

---

(١) في (م): «وأحب»، والتصويب من الأبيات في «الغزل المطلوب».

(٢) في (م): «خاذلًا فهواه العطب»، وصوّبتُ.

(٣) في (م): «سلوتي»، والتصويب من «الغزل المطلوب».

ويُشهِرُ لـيْ سَـيفاً ويمـرَحُ ضاحِـكاً فيـا لَيـتَ سَـيْفَ اللَّحـظِ تـمَّ بِغِمـدِهِ
فلِلّـهِ مِـن ظَبْـيٍ شَـرودٍ ونـافِـرٍ يُجـازي جَميـلاً قَد صَنَعـتُ بِضِـدِّهِ[١]
يُبالِـغُ فـي ذَمّـي وأمـدَحُ فِعلَـهُ فشُـكراً لِـمَن مـا جـارَ يَومـاً بِضِـدِّهِ

وقلتُ أيضاً[٢] [من الطويل]:

نُحُولـيْ وأشْـجانيْ وفَيـضُ مَدامِعـي ووَجْـديْ وأحْزانـي جَميعـاً فَواضِـحُ
فَحالـيْ ومـا أُخفيـهِ ممّـا أصابَنـي وأمّـا غَرامـيْ فِيـكَ ـ يـا ذا ـ فَواضِـحُ
بتَوضيـحِ مـا أُخفيـهِ يـا دائـمَ الجَفـا تُعَجِّـلُ لـيْ بالوَصـلِ لَيتَـكَ ناصِـحُ
وكُـن مُنجِـزاً لِلوَعـدِ إنّـي مُتيَّـمٌ وإنسـانُ عَينـيْ هامِـلُ الدّمـعِ ناضِـحُ
وحالـيْ كَحـالِ العَقـلِ ممّـا أصابَـهُ[٣] فمَكنُـونُ مـا أُخفيـهِ فـاشٍ وفائـحُ
وقَـد صِـرتُ مِـن هَجْـري ذَليـلاً مُتَيَّماً فـهـا أنـا بيـنَ النّـاسِ بـاكٍ ونائـحُ
فمـا حالَتـي إنْ غبـتَ يـا نُـورَ ناظِـري ويـا مَـن كَمِسـكٍ منـهُ فاحَـت رَوائـحُ
وكيفَ اصطِباريْ ـ سـيّدي ـ وتجَلُّدي وأنـتَ عَـنِ[٤] المُشـتاقِ غـادٍ ورائـحُ
فمَهْـلاً رُوَيـداً، مالِكـي ثُـمّ شـافِعي ويـا مَـن لِقلْبـي باللَّواحِـظُ جـارحُ

---

(١) سقطت في النسخة (ق) ورقة أذهَبَت إلى هذا الموضعِ بدءاً من بيتِه المتقدّم:

لـولا اصطِباريْ لَكان الوَجْدُ قاتِلَنـا لولا التّـأسّـي لـكانَ الصَّبرُ مُفْنِيْنا

والأبيات الأربعة في «الغزل المطلوب»، و«خلاصة الأثر» (٤/ ٣٦١)، وعنه في «السحب الوابلة» (٣/ ١١٢٤ ـ ١١٢٥)، «النعت الأكمل» (ص١٩٥).

(٢) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

(٣) في (م): «كحالي العمل مما أصابني».

(٤) سقط الحرف «عن» في (م).

فإنّـي قاصـدٌ لديـكَ وواقِـعٌ ... وَصَفْـوُكَ صَيّـادٌ، ولَحْظُـكَ جـارِحُ[١]
وقَـد صِـرتُ مَوثُوقـاً طَريحـاً مُمَرَّغـاً ... نَهـاريْ ولَيلـيْ هائـمٌ ثـمّ جائـحُ
إلـى اللـه أشـكُو ـ لا إليـكَ ـ مَواجِعي ... بِقَتلـي[٢] وتَعذِيْبـيْ، فكَـم أنـت بائـحُ

وقلتُ أيضاً [من البسيط]:

لقــد أوحَشــتَنا مُــذْ غِبْــتَ عنّــا ... وصِرْنــا بَعْــدَ بُعــدِكَ حائرينــا
وذُقْنــا بَعْــدَ قُربِــكَ والتّدانــي ... فِـراقــاً طَـعـمُــهُ مُــرٌّ عَلَينــا
وذُبْنــا مُــذْ[٣] فَقَدْنــا جَمْـعَ شَـمْلٍ ... تَـرانــا بَـعــدَ عِــزٍّ خـاضِعـيــنا
وعُدْنــا كالخِــلال لِــما عَرانــا[٤] ... مِــنَ الهِجْــرانِ لا نَلقــىٰ مُعينــا
ولَــو أنّــا اســتَطَعْنا أنْ نَـراكُــمْ ... لَـجِـئْـنــا لِلّـديــار مُسَــلِّمينا
خَفُــوا[٥] الرَّحمــنَ فينــا يـا غِضابـاً ... وَعُودُونــا وكُونــوا مُؤمِنينــا
فإنّــا نَســتَحِقُّ العَــوْدَ مِنكُــمْ ... فَمِمّــا صــارَ صِرْنــا مُذْنَفينــا[٦]
لئــنْ كُنتُــم سُــرِرتُمْ مُــذ[٧] بعُدْتُــمْ ... فقَلبــي لا يــزالُ بِكُــمْ حَزينــا

---

(١) ليس هذا البيت في (ق)، وكذا رواية صدره في (م).

(٢) في (م): «مرادي فقتلي»، وفي (ق): «لقتلي»، وصوبت.

(٣) في (م): «وذنب قد».

(٤) في (ق): «عرفنا».

(٥) كذا في النسختين، يكتبُ ما يتلفَّظُ به للوزن من «خافوا» فعل الأمر من «خاف يخاف» المسنَد إلى جماعة المخاطَبين.

(٦) في (ق): «مذ نفينا».

(٧) في (م): «قد».

فلَيسَ العيدُ عِنْدي[١] غَيرَ يَومٍ أراكُمْ مُقبِلينَ وضاحِكينا

وقلت أيضاً[٢] [من الطويل]:

بأيِّ كِتابٍ أمْ بأيّةِ سُنّةٍ تَرى الهَجْرَ حِلّاً إنَّ هَجْرَكَ قاتِلي
ومَن ذا الذي أفْتاكَ بالهَجْرِ والقِلى ومَن ذا الذي أغْرىٰ فَصِرتَ مُقاتِلي
ومَن ذا الذي أغْراكَ حتّى رَمَيتَني بِسَهمِ لِحاظٍ منكَ صابَتْ مَقاتلي[٣]
ومَن ذا الذي أوصاكَ بالصَّدِّ والجَفا ومَن ذا الذي أعطاكَ مَطْلَ المماطِلِ
ومَن ذا الذي لِلوَصلِ[٤] يَمنَعُ بَينَنا إلى كَم ـ حَبيبي ـ لا تَزالُ مُماطِلي
شُهوراً وأعْواماً طِوالاً هَجَرتَني فيا لَيتَني يوماً أراكَ مُواصِلي
ويا لَيتَ بَعْدَ الهَجْرِ والبُعْدِ نَلتَقي فيا مُنْيَتي ذابَتْ وبانَتْ مَفاصِلي
فهَلّا أتَيتَ الآنَ تَنظُرُ ذِلّتي وعَن حالَتي يَوماً أتَيتَ مُسائلي
لِتَجبُرَ كَسْريْ ثُمّ تَرحَمَ لَوعَتي فأنتَ الذي ـ لا شَكَّ واللهِ ـ قاتِلي

وقلتُ أيضاً [من الوافر]:

أطالَ اللهُ ـ يا مَولايَ ـ عُمْرَكْ وأعظَمَ في قَتيلِ الهَجْرِ أجْرَكْ
وأحياكَ الإلٰهُ وعِشتَ دَهْراً وزادَ اللهُ في الدّارَينِ قَدْرَكْ
وأَوْلاكَ الكَمالَ وحُزْتَ سَعْداً[٥] وأَعْطاكَ الجَمالَ وعَزَّ نَصْرَكْ

---

(١) في (م): «عيدي». والأبيات في «الغزل المطلوب» للكرمي بزيادة بيتين.
(٢) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).
(٣) كذا في النسختين، ولو قال: «بأسهم ألحاظٍ أصابت مقاتلي» لأصابَ مَقاتِلَ الصواب.
(٤) في (م): «بالوصل».
(٥) في (م): «سعرا».

حَبيبَ القَلبِ[1] إنْ يُرضِيْكَ قَتْلي ... فيَا سَعْدِيْ بِهِ إنْ كانَ يُدْرَكْ
حَبيبَ القَلبِ عَذِّبْ وَاختَبِرْني ... وَلكِنْ لا تُطيلُ عَلَيَّ هَجْرَكْ
حَبيبَ القَلبِ لَو عايَنتَ حالي ... لكُنتَ عَذَرتَ مَن لم يَنْسَ ذِكْرَكْ
حَبيبي مُرْ بِما تَهواهُ مِنّي ... تَجِدْني لا أُخالِفُ قَطُّ أمْرَكْ
حَبيبي إنَّ قلبيْ ذابَ شَوْقاً ... وحُبّي فِيْكَ فَرْضٌ لَيسَ يُترَكْ
حَبيبي إنَّ عُذْرَكَ قَد أتاني ... وإنّي قَد قَبِلتُ الآنَ عُذْرَكْ

وقلتُ أيضاً [من البسيط]:

أذَقتَ قَلبيْ ـ حَبيبي ـ أعظَمَ المِحَنِ ... وزادَ ـ مَولايَ ـ مِن طُولِ الجَوىٰ شَجَني
وفي رِضاكَ تَرَكتُ النّاسَ كُلَّهُمُ ... ومِن جَفاكَ رَأيتُ النَّومَ فارَقَني
وفي هَواكَ بَراني الشَّوقُ وانتَحَلَتْ ... مِنّي المَفاصِلُ، والأسقامُ في بَدَني
ومِن قَلاكَ عَراني الوَجْدُ أجمَعُهُ ... قَلَّ الصُّدودُ، فكَم ذا أنتَ تَمطُلُني
فكَم غَرامٍ، وكَم شَوقٍ، وكَم شَغَفٍ ... وكَم سِقامٍ، وكَم وَجْدٍ، وكَم مِحَنِ
وكَم بِعادٍ، وكَم صَدٍّ، وكَم وَصَبٍ[2] ... وكَم سُهادٍ، وكَم تَعْبٍ، وكَم وَسَنِ
وكَم نُحُولٍ[3] ضَنانيْ مِنكَ، كَم قَلَقٍ ... وكَم ذُبولٍ، وكَم حَرْقٍ، وكَم حَزَنِ
وكَم عُهُودٍ حَفِظْناها وتَنقُضُها ... وكَم عُقُودٍ وَفَيْناها ولَم نَخُنِ[4]

---

(١) في (م): «القتل».

(٢) في (ق): «صبّ».

(٣) في (ق): «غول».

(٤) في (م): «وفيت بها ولم أخن».

وكَـم أُداري عَذُولـيْ ثُـمّ مُرتَقِبـي … [وكَـم أرى حَسَـناً مـا لَيسَ بالحَسَـنِ
ومُـذْ عَرَفتُـكَ غـابَ النَّـومُ مِـن مُقَلي … يـا لَيـتَ][1] مَعرِفَتـي إيّـاكَ لـم تكُـنِ

وقلتُ أيضاً[2] [من الكامل]:

قَسَـماً بِمَـن أهْـواهُ عُمْـري دائمـاً … وبِمَـنْ بِـهِ وَلَـعَ الفُـؤادُ مِـن الصِّبـا
لا مِلتُ[3] عـن حُبّي لِـمُتلِفِ مُهجَتي … بـلِّـغْ إلَيـهِ تَـحـيَّتي رِيْـحَ الصَّبـا
واقْرِي السَّـلامَ لِشـافِعي ولِـمالِكي[4] … مَـن فيـهِ عَقْلـي بالمَحبّـة[5] قَـد صَبـا

وقلتُ أيضاً [من الكامل]:

قَسَـماً بمَكّـةَ والمَدينـةِ والحُجَـرْ … وبِطَـرْفِ ظَبْـيٍ نافِـرٍ قَلبـيْ سَـحَرْ
لا زِلـتُ فِيـهِ بِمُغـرَمٍ ومُتَيَّـمٍ[6] … يـا لَيتَـهُ لَـو زارَنـي لَيـلاً سَـحَرْ
قَسَـماً بـأحـمَـدَ إنّـهُ لَـو زارَنـي … فـي وَسْـطِ بُسْـتانٍ وَرَوْضٍ وَشَـجَرْ
لَبَقِيـتُ سُـلْطاناً بِحَـضرةِ مـالِكـي … فـي الخُلـدِ فَرْحانـاً عَذُولـي في سَقَرْ
لكنّـهُ قَـد صـامَ عَـنْ وَصْلـي وَجـا … لَيـس مِنَ امْ بِـرّ امْ صِيامُ في امْ سَـفَرْ[7]

---

(١) سقط في (م) من قوله في البيت السابق: «وكم أرى» إلى هنا.

(٢) قوله: «أيضاً» ليس في (ق). والأبيات في «الغزل المطلوب».

(٣) في (م): «مت».

(٤) في النسختين: «ومالكي»، وفي (م) قبلها: «سلامي للشافعي».

(٥) في (م): «بالمحب».

(٦) في (م): «مغرماً ومتيماً».

(٧) «وجا» في صدر البيت مسهَّل «وجاءَ». والأبيات في «الغزل المطلوب» للكرمي. وقد ضمّن في عجُز البيت الأخير حديثَ النبي ﷺ برواية الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٣٦٧٩) عن كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنه.

=

وقلتُ أيضاً [1] [من الكامل]:

قَسَماً بِيُوسُفَ ثمّ يُونُسَ والقَمَرْ ... وبِلَحظِ ظَبْيٍ صادَ قَلبي ونَفَرْ

وبِوَرْدِ خَدَّيهِ وعَنبَرِ خالِهِ ... وبكُحلِ عَينَيهِ [2] التي فيها حَوَرْ

وبصُبحِ غُرَّتِهِ ونَمْلِ [3] عِذارِهِ ... وبحُسنِ صُورَتِهِ [4] التي فاقَتْ صُوَرْ

وبطِيْبِ نكهَتِهِ ورِيقَةِ ثَغْرِهِ ... وبحُسنِ طَلعَتِهِ [5] التي تَحكي القَمَرْ

وبلَونِ [6] وَجنَتِهِ ورِقِّ قوامِهِ ... وبحُسنِ مِشيَتِهِ التي فيها خَطَرْ

وبحُسنِ قامَتِهِ وطِيبِ كَلامِهِ ... وبصَوتِ لَفْظِ سَلامِهِ [7] لـمّا حَضَرْ

لا زالَ قَلْبِيْ مُغرَماً بجَمالِهِ ... ما دُمتُ حَيّاً إنْ يُواصِلْ أو هَجَرْ

ما عِشتُ لا أَسْلُوْهُ يَوماً ساعةً ... لا عاشَ مَن يَسلُو ولا نالَ الوَطَرْ

= قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٣٩٣): هذه لغةٌ لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التعريف ميماً، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ خاطب بها هذا الأشعريَّ كذلك؛ لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعري هذا نطق بها على ما أَلِفَ من لُغته، فحملها الراوي عنه، وأدّاها باللفظ الذي سمِعها به، وهذا الثاني أوجَهُ عندي. والله أعلم. ا. هـ.

والحديث في «الصحيحين»: البخاري (١٩٤٦) ومسلم (٢٦١٢) من رواية جابرٍ رضي الله عنه.

(١) سقط هذا القول وشطر البيت السابق في (م). والأبيات في «الغزل المطلوب».

(٢) في (م): «عينه».

(٣) في (ق): «وغسل».

(٤) في (م): «صوته».

(٥) في (م): «طلعة».

(٦) في (م): «وبلين».

(٧) في (م): «سالمه».

وقلتُ أيضاً [من الكامل]:

أسهَرتَ جَفْني كَم سُهادٍ، كَم أرَقْ ... وتَركتَ جِسْمي كالخِلالِ[(١)]، بلْ أرَقْ
وهَجَرتَني وصَدَدتَني وتَركتَني ... والقَلبُ فيكَ وفي جَمالِكَ قد غَلِقْ[(٢)]
أزَعمتَ أنّي قَد سَلَوتُكَ، سيِّدي[(٣)] ... لا والذي أبْدى جَمالَكَ مِن عَلَقْ
لم أسْلُ قَطُّ ولَو هَجَرتَ مُتَيَّماً ... فارْحَمْ وواصِلْ إنَّ وَصْلَكَ بِيْ أَحَقْ
يا ساحِراً بِلحاظِهِ[(٤)] قَلْبَ الفَتى ... آمنتُ - يا هذا - بأنَّ السِّحْرَ حَقْ
كَم حالَ لَوني إذْ رأيتُكَ مُقبِلاً ... كَم صُفْرةٍ مِن بَعْد يَعْلُوني العَرَقْ
غَرّقتَني في بَحْرِ هَجْرِك عامِداً ... أنْقِذْ[(٥)] مُحِبَّكَ - يا مَليحُ - مِنَ الغَرَقْ
أنفَقتُ دَمْعيْ مِن مِدادِ رَسائلي ... حتّى التَفَتُّ فَلا مِدادَ وَلا وَرَقْ
يا مالِكي، جِسْميْ - وحَقِّكَ - ناحِلٌ ... كُنْ شافِعي، ذابَ الفَتى مِنْكَ وَرَقْ[(٦)]

وقلتُ أيضاً [من الطويل]:

تذَكّرتُ أوقاتَ اللَّواتي سَوالِفُ ... فقَد شاقَني مِن زينَتَيهِ[(٧)] سَوالِفُ

---

(١) في (ق): «كالخلالة»، وفي (م): «كم سهر وكم». والخِلال: العُودُ الذي يُتخَلَّل به.

(٢) في (م): «علق». وهو بالمعجمة: بمعنى عَسِرَ فَتْحُه، وبالمهملة، من العلاقة، وهي الحبّ.

(٣) في (م): «يسلي»، ومطلع البيت فيها: «وزعمت أنك».

(٤) في (م): «يا ساحر ألحاظ».

(٥) في النسختين بزيادة فاء، والفعل لازم لا يتعدّى إلا رباعياً وسداسياً.

(٦) ليس البيتان الأخيران في (م).

(٧) في (ق): «زينته»، وفي (م): «عن زينة و»، وفيها في صدر البيت: «أوقاتي اللواتي سالف». وسلفَ هذا البيت وتالياه من قبل.

وإنّـي لَأرعــــى[١] عَـهْــدَهُ وَوِدادَهُ ... وإن هاجَني الدَّهـرُ الـذي هُو سـالِفُ
أُناشِـدُهُ أن ليـس نَأْيـاً وإنْ نـأىٰ ... شَـفيعيْ إلَيـهِ عـارِضٌ وسَـوالِفُ[٢]
أتَرضـى ببُعـدٍ لَيْسَ أقـوىٰ أُطيقُـهُ[٣] ... إذا غِبْتَ عـن طَرْفي لِـمَن هُـوَ يألَفُ
فهـا قلبِـيَ العانـي نحَـرتُ[٤] صَبابـةً ... وهـا جِسـمِيَ الفاني ـ وحَقِّـكَ ـ تالِفُ
وجُـلُّ مُنىٰ قصـدي[٥] حُضُـورُكَ دائماً ... لَـدَيَّ؛ فـإنَّ القَلـبَ بَعْـدَكَ واجِـفُ
وإنّـي لَأرجُـو اللُّطْـفَ والـوُدَّ والصَّفا ... وتَرْكَ الجَفا، فالدَّمعُ ـ إنْ غِبْتَ ـ ذارِفُ

وقلتُ أيضاً [من الكامل]:

أنـا الأذَلُّ[٦] وَأنـتَ بِالحُسْـنِ الأَجَـلْ ... فَارْحَـمْ بِوَصْلِـكَ مَـن دَنـا مِنْـهُ الأَجَلْ
وَارْفُـقْ بِصَـبٍّ أُحرِقَـتْ أحشـاؤُهُ ... بالهَجْـرِ، ما طَلَبَ الوِصـالَ فَقُلْ: أَجَلْ
إنْ لـم تَـزُرْهُ ذابَ شَـوْقـاً عـاجِــلاً ... وغَـدا بِطُـولِ[٧] الهَجْـرِ مِنْكَ بِـلا أَجَلْ
فَجِـدْ وَجُـدْ وَعِـدْ وَعُـدْ، بالمصطفـى ... إنـي ـ لَعَمْـرُكَ ـ مِـن جَفاكَ لَفـي وَجَلْ
وَصِـلْ وَصُـلْ بِسَـيفِ لَحْظٍ صـارِمٍ[٨] ... وَاطْعَــنْ بِقامـاتِ القُـدُودِ وبِالأَسَـلْ

---

(١) في (ق): «لا أراعي».
(٢) في (ق): «عارض منه سالف»، وفي الصدر فيها: «أن ليس ينأى»، وختامه في (م): «وإن تا».
(٣) في (م): «أترى لعبد ليس قول لطيفه».
(٤) في (م): «نحر»، وفي (ق): «يحب»، وصوبتُ.
(٥) في (م): «قلبي»، وفي النسختين قبلها: «مني».
(٦) في (م): «الذل».
(٧) في (م): «بصول».
(٨) في (م): «وحل وصل بالمصطفى لحظ ما رما»، وفي (ق): «لحاظ صارم».

وِمِـلْ[١] لِنَحْـويْ مِثْـلَ غُصْـنٍ مائـسٍ ... يـا مَـن يَميـلُ وكُلَّمـا مـالَ عَـدَلْ

وقلت أيضاً:

ثيـابُ جمـالٍ ـ يـا مَليـحُ ـ لَهـا افْتِنـا ... وأمّـا[٢] احْمِـرارُ الخَـدِّ مِنـكَ فأَفْتَنـا

وأمّـا صُـدُوْدُكْ هَـدَّ حَيْلـي وقُوّتـي ... أهـذا حَـلالٌ أمْ حَـرامٌ، فأَفتِنـا[٣]

فـإنْ قُلـتَ: حِـلٌّ، قُلـتُ: بـلْ ذا مُحَرَّمٌ ... يَمينـاً بمَـن[٤] طافُـوا وعادُوا إلـى مِنى

أمَـا جـاءَ هَجْـرُ[٥] المَـرءِ فَـوقَ ثَلاثـةٍ ... حَـرامٌ فَجُدْ بالوَصْـلِ يا مَن هُـوَ المُنى

وقلتُ سائلاً [من الكامل]:

مـاذا تقُـولُ السّـادةُ العُلَمـاءُ ... أهـلُ الثّنـا وَالمَجـدِ والصُّلَحـاءُ

فيمَـن يُحِـبَّ البَـدْرَ والشَّـمْسَ التـي ... قَـد زانَهـا الإشـراقُ والأضـواءُ

وغَـدا بِهَجْـرِ[٦] البَـدْرِ مُصفَـرّاً إلـى ... أنْ زارَهُ الـحُـسّـادُ والأعـداءُ

أيَجـوزُ هـذا، أم حَـرامٌ سـادَتي ... رُدُّوا الجَـوابَ، فأنتُـمُ النُّجَبـاءُ

وقُلتُ مُجيباً [من الكامل]:

هَجْرُ الفَتـى فَـوقَ الثَّـلاثِ مُحَـرَّمٌ[٧] ... لا سيّـمـا إنْ كـانَ فيـهِ ضَـنَاءُ

---

(١) في (م): «وصل».

(٢) في (ق): «وما»، وقبلها في (م): «جمالك يا مليح له افتنا».

(٣) ليس هذا البيت في (م).

(٤) في (م): «بل».

(٥) في (م): «بهجر». وعن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام». رواه البخاري في «صحيحه» (٦٠٦٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٥٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) في (م): «بسجن».

(٧) في (م): «حرام».

وَوِصالُـــهُ لِلصَّـــبِّ حِـــلٌّ جائـــزٌ ... لا ســـيّما إنْ كانَ فيـــهِ شِـــفاءُ[١]

والشَّـرطُ لا يُنسـىٰ، وذلِـكَ عِفّـةٌ ... ودِيـانـــةٌ وصِيـانـــةٌ وحَـيـــاءُ[٢]

وقلتُ أيضاً:

عَذابـي بقُـربِ الوَصلِ مِـن حُبّكُم عَدا ... ولا تُشـمِتوا[٣] بالهَجْـرِ منكُـمْ بِنـا عِدا

فَمـا في الحَشـا رِقٌّ سِـواكُمْ لمُغـرَمٍ[٤] ... ولا فـي الهَوى يَهـوى خَلاكُمْ وما عَدا

فُـؤاديْ تقيَّـدْ[٥] فـي هَواكَـمُ ولـم يَمِلْ ... لِغَيرِكُـمُ فـي الدَّهـرِ يَومـاً ولا عـدا

فـمــا حَـقُّـهُ بُـعْـــدٌ وصَـدٌّ وفُـرقـةٌ ... لَـقَـد جُـرتُم في العَبْدِ مَهْلاً بِمَن عَدا[٦]

ولا تُبعِـدوا صَبّـاً عَلى الحَـيِّ والحِمىٰ ... فمَيْتـاً[٧] ومِسـكيناً مِـن الهَجْـرِ قد غَدا

وقلتُ سائلاً [من الرمل]:

أيُّـهـــا الـمُـعـــرِضُ عـنّـــا أَفتِنـا ... هـــل يَجُـــوزُ الهَجـــرُ ممـــن أُفتِنـا

أم حَــــرامٌ ـ ســيّــــدي ـ رُدَّ لــــنا ... مـــا ســأَلْـنـــاهُ حَـقـيـقـــاً بـيِّـــنا

---

(١) في (ق): «شقاء».

(٢) أبيات السؤال والجواب في «الغزل المطلوب».

(٣) فـي (م): «تشـخنا»، وامطلع فيـه: «عداكم»، والتصويب مـن «الغزل المطلـوب»، والأبيات فيه إلا الأخير.

(٤) في (م): «رقا سواكم المُغرَم». يقول: ليس في الحشا رقٌّ لمُغرَمٍ في غيرِكم.

(٥) في (م): «فزادَ بِثِقْلِيْ».

(٦) «عَدا» ـ في صدر البيت الأول ـ ظلَم وجار، و«عدا» ـ في البيت الثاني ـ تجاوز، و«عدا» ـ في البيت الثالث ـ من عداهُ عن الشيء: صرفه وشغلَه، وكأنّ «عدا» ـ في البيت الرابع ـ بمعنى: جرى، يريدُ وصفَه نفْسَه بالتمادي في السير في طريق محبة المحبوب، والله أعلم

(٧) في (م): «فميت».

وتَصفَّحْ ـ مُنْيَتي ـ كُتْبَ الهوى ... وتَأمَّلْ قبلَ أنْ تُفْتيْ لَنا

ولْتُراجِعْ مَن درىٰ مُشكِلَها ... واختَبِرْ(١) ممّن رأى ذِلَّتَنا

إن عَرَفتَ الحَقَّ فَافتِيْ وَاحْكُمَنْ ... كيفَ ما شِئتَ، أنا العبدُ أنا

إنْ تَرُمْ قَتْلي فأهلاً(٢) سيِّدي ... أو تَرُمْ وَصْلي فبُلِّغتَ المُنى

وقلتُ مُجيباً [من الرمل]:

أيها العاشِقُ فينا لُذْ بِنا ... لا تَخَفْ ـ يا مُذنباً ـ مِن هَجْرِنا

لا تَخَفْ يا صادِقاً في حُبِّهِ ... لَيسَ هَجْرُ المَرءِ مِن شِيمَتِنا

قَد تَصَفَّحْنا لكُتْبٍ في الهوى ... فَرَأينا(٣) الهَجْرَ قَد حَلَّ لَنا

جائزاً مِن مُدَّعٍ في حُبِّهِ ... كاذبٍ في قَولِهِ عن حُبِّنا

وحَراماً مُنكراً عن صادقٍ ... ذاكَ بُشْراهُ بغالي وَصلِنا

خُذْ جَواباً أيُّها السّائلُ ليْ ... قَد أَجَبْناكَ جَواباً بَيِّنا(٤)

وقلتُ مُتغزِّلاً(٥) [من الطويل]:

ألا إنَّ مَن تَهوى فَريدٌ(٦) بِذا العَصْرِ ... مَليحُ المُحَيّا قَد تَهَلَّلَ كالبَدْرِ

ورِيمٌ يَرومُ الأَسْرَ حَقّاً لِمُهجَتي ... وقيّدَني، هَلْ ليْ(٧) مُجيرٌ منَ الأَسْرِ

---

(١) في (م): «واجتبى». والتصويب من «الغزل المطلوب»، وأبيات السؤال والجواب فيه.

(٢) في (م): «فاها».

(٣) في (م): «فرأيت».

(٤) من قوله: «وقلتُ أيضاً: عداكم بقرب الوصل من حبكم عدا» إلى هنا أسقطه ناسخ (ق).

(٥) في (م): «وقلتُ أيضاً».

(٦) في (م): «ألا من أهوى فريداً».

(٧) سقط في (م) قوله: «لي»، وفيها في صدر البيت: «يروم الأسا حقا بمهجتي».

وهَل لِيْ مُعينٌ مِن جَفاهُ؛ فإنّهُ لقَدزادَني في الأَسْر[١] مِن حَيثُ لا أدْري

تَعشَّقتُ ظَبْياً أحوَرَ الطَّرفِ نافِراً مَليحَ المُحَيّا قَد تَقَنَّعَ بالسُّمْر

وألحاظُهُ كالعَضْبِ[٢]، والشَّهْدُ رِيقُهُ وبُسْتانُ خَدَّيهِ تَكَلَّلِ بالزَّهْرِ

وأجفانُهُ رِيْشُ النُّسُورِ وثَغْرُهُ فَفي فيهِ[٣] ياقوتٌ تَنَضَّدَ بالدُّرِّ

وأعطافُهُ ماسَتْ، وأعذارُهُ التَوَتْ وأسلافُهُ رامَتْ لقَتْلي[٤] بلا نُكْرِ

مَليحٌ منَ الأشرافِ حازَ فَصاحَةً فما مِثلُهُ في الحُسْنِ والطِّيْبِ والنَّشْرِ

تَبارَكَ مَن أنشاهُ كالبَدْرِ طالِعاً وسُبْحانَ مَن أبْداهُ في[٥] حُلَلٍ خُضْرِ

وجَلَّ الذي أعطاهُ كُلَّ مَلاحَةٍ لَقَد صارَ سُلْطانَ المَلاحَةِ في مِصْرِ

فَما ليْ بكُلِّ الناسِ مِن حاجَةٍ وما أَرُومُ سِوى المَحبُوبِ في السِّرِّ والجَهْرِ

فيا مالِكي، لا تَهجُرِ العَبْدَ؛ إنّهُ مُحِبٌّ ومُشتاقٌ تَعلَّلَ بالهَجْرِ

وياشافِعي في الوَصْلِ، هل أنتَ راحِمي[٦] ويا هَلْ تُرى يَوماً تَرِقُّ منَ الدَّهْرِ

فأنتَ مُنى قَلبيْ ومالِكُ مُهجَتي وما لي شَفيعٌ غَيرُ وَصلِكَ يا بَدْري[٧]

---

(١) في (ق): «لقد زارني في الأثر»، ومطلع البيت في (م): «وهل أتى».

(٢) في (ق): «كالغصن».

(٣) في (ق): «ففي ريقه»، وفيها في صدر البيت: «ريش النثور».

(٤) في (م): «لقلبي». وأول العجُز في (ق): «وأسلا».

(٥) في (ق): «من». وفي (م) في الموضعين: «ما».

(٦) في (م): «راحم».

(٧) في (م): «لا يدر».

وقلتُ أيضاً [من الكامل]:

هــلّا أتيــتَ مُســائلاً عــن حالِيــا[1] أو زُرْتَ صَبّــاً فِيــكَ أصبَــحَ بالِيــا

وَرَحِــمْتَهُ بِتَـعَـطُّــفٍ وتَـلَـطُّـفٍ ما لي رأيتُكَ عَن مُحِبِّكَ نائيا

كَــم ذا تَمُــرُّ ولا أَراكَ مُجالِســي كَــم فــي هَــواكَ أُلامُ مِــن عُذّالِيــا

إنــي أُحِبُّــكَ لا لِفاحِشــةٍ وَلا كِــنَّ[2] الإلــهَ اخْتارَنــي وَبَلانِيــا

كَــم ذا أُكابِــدُ فِيــكَ مِــن أَلَــمِ الجَفــا مــا لَــو عَلِمــتَ بِــهِ رَثَيــتَ لِحالِيــا

لا تعتَقِــدْ أنّــي أُحِــبُّ لِرِيْبــةٍ لا والــذي بالحُــبِّ فِيــكَ رَمانِيــا

ما كُنتُ قَطُّ بِمَــن يُـدَنِّسُ عِـرْضَـهُ أو مَن يُحِبُّ فَتىً يَرى الفَحْشا لِيا[3]

لــو كُنــتُ أعلَــمُ أنَّ عِنــدَكَ رِيبــةً مــا كُنــتُ فــي حُبَّيْــكَ[4] صَبّــاً فانِيــا

كَــم ذا أرى فــي النــاسِ بَــدْراً مُقبِــلاً يأتــي المُحِــبَّ مُوافِيــاً ومُواتِيــا[5]

لكنَّهُــم لــم يُشــبِهُوكَ وفُقْتَهُــمْ لُطْفــاً وظُرْفــاً كامِلَيْــنِ عَواليــا

فَلِـذا ـ وحَقِّـكَ ـ مُذْ نَظَرْتُـكُ أصبحَتْ مِنّــي العِظــامُ نواحِــلاً وبَوالِيــا[6]

ثــم انجبلــت علــى مَحبّتــك التــي أضنــت لحالــي ثــم شــتت باليــا

فكَأنَّنــي لــم أَلْــقَ مِثلَــكَ فــي الــوَرى وكأنَّ مِثلَــكَ دائمــاً لــي ســالِيا

---

(١) في (م): «سائلًا هل خاليا»، وفي (ق): «خالي». والأبيات في «الغزل المطلوب».

(٢) في (م): «كان»، وفي (ق): «كذا»، وصوّبتُ.

(٣) في (م): «برا إعجاليا».

(٤) في (م): «حبك».

(٥) في (م): «ومواليا»، ومطلع البيت فيها: «كم ذا أرمى».

(٦) في (ق): «وبواكيا»، وفي صدر البيت في (م): «قد»، ومطلع البيت فيها: «هذا».

وكأنَّني إلّا لِحُبِّكَ لم أكُنْ ... وكأنَّ حُبَّكَ لم يكُنْ إلّا لِيا

وقلتُ أيضاً [من المتقارب]:

[أيا مَنْ تجنَّوا علَينا] جِهارا ... أمَا تَرْحَمُونَ؛ فإنّا[1] حَيارى

مِنَ البُعْدِ منكُمْ رأَيْنا سِقاماً ... ومِمّا عَرانا تَرانا سُكارى

فبِالله بِاللهِ رِقُّوا لَنا ... وَجُودُوا عَلَينا؛ فإنّا أُسارى

ودَاوُوا جِراحاً[2] لكُمْ في الحَشا ... فأنتُمْ رَمَيتُم عَلى القَلبِ نارا

فما بالُ صَبٍّ بكُمْ والِعٍ ... يَوَدُّ بأنْ لَو لَكُمْ[3] كانَ جارا

وقَد جاءَ يَشْكُو لكُمْ[4] حالَهُ ... لأنَّ الحَبيبَ عَلى الصَّبِّ جارا

وقلتُ أيضاً [من الوافر]:

إلَيكَ تَحيَّتي حَقّاً وَشَوْقي ... بَعَثْتُ إلَيكَ لِما طالَ بَيْني

وأَعلَمْتُ النَّسيمَ لِفَرْطِ وَجْدي ... بِما قَد صارَ بَينكُمُ وَبَيْني

وجَفَّ الحِبْرُ مِن زَفَراتِ ناري[5] ... وَبَلَّيتُ الكِتابَ بِدَمْعِ عَيْني

وأَبدَيْتُ الصَّبابةَ في كِتابي ... وَشَوقي[6] صارَ مِثْلَ الخافِقَينِ

---

(١) في (م): «فإننا»، ورواية صدر البيت في النسختين: «أيها المعرضون عنا جهارا»، وهي من بحر الخفيف، وأثبتُّ رواية الأبياتَ في «الغزل المطلوب».

(٢) في (م): «براما».

(٣) في (م): «لولاكم».

(٤) في (م): «له».

(٥) في (م): «وحب الحر من زفرات نار».

(٦) في (م): «وشوقاً».

وبَثَّيْتُ اشْتِياقاً مِن[1] غَرامي ... وقُلْتُ لِمَن غَدا في المُقلَتينِ
لقَد كُنّا الثُّرَيّا في اجْتِماعٍ ... بِمَجلِسِنا وَقُرْبَ الفَرقَدَينِ
فعَارَضَنا الزَّمانُ بِشَتِّ شَمْلٍ ... فَنَحنُ الآنَ بُعْدَ المَشرِقَينِ
أَبْعْدَ الوَصْلِ تَرضىٰ لِيْ بِهَجْرٍ ... وتُحرِقُني بِنارِ الوَجنَتَينِ
لقَد أتعَبْتَني وشَغَلتَ[2] فِكْري ... وقَلْبي قَد حَرَقتَ بِجَمرَتَينِ
فلَيتَكَ لَو سَمَحتَ بِيَوْمِ وَصْلٍ ... ولَيتَكَ لَو مَنَنتَ بِزَورَتَينِ
إذا ما زُرْتَني تُحْيي فُؤادي ... فَزَوْرةُ مِنكَ تَعْدِلُ حَجَّتَينِ[3]
وتَرْحَمُني وتَجْبُرُ ذُلَّ كَسْري ... فَعَجِّلْ زَوْرَتي بالعُمرَتَينِ[4]
عَلى رغْمِ العَذُولِ وكُلِّ واشٍ ... وتَرمي مَن وَشىٰ بالجَمرَتَينِ
وتَبْقى في مِنىٰ والوَصلُ دانٍ ... وتأتِيْنا البَشائرُ مِن حُنَينِ
وتَذكُرُ عَهْدَنا[5] الماضي قَديماً ... ومَعْهَدَنا بِسَفْحِ الأَبْرَقَينِ

وقلتُ أيضاً [من الكامل]:

إنْ كُنتَ تزعُمُ أنَّ عقلَكَ كامِلُ ... والحِلْمَ وَصفُكَ إنْ أتىٰ لكَ سائلُ
أو كُنتَ ذا خُلُقٍ رَضِيٍّ واسِعٍ ... بَينَ البَريّةِ لِلأذيّةِ حامِلُ

---

(١) في (م): «اشتياقي في».

(٢) في (ق): «وشتت»، ومطلع البيت في (م): «فقد».

(٣) في (م): «جنتين».

(٤) في (م): «فتعجل زورتي بالقمرتين».

(٥) في (م): «عهد».

أو كُنتَ تحفَظُ عَهْدَ مَن خالَلْتَهُ وتُريدُ أنَّ ثَناهُ نَحْوَكَ واصِلُ
واصِلْ خليلَكَ ما التَّواصُلُ مُمكِنٌ فَلأَنْتَ أَوْ هُوَ عن قَريبٍ راحِلُ[1]
واطْلُبْ رِضاهُ وكُنْ بِهِ مُتَلَطِّفاً وَاحْمِلْ أذاهُ فَكُلُّ شَيءٍ زائلُ[2]

وقُلتُ أيضاً [مَواليا]:

أصبَحتُ حَيران كئِيبْ ما بينَ سُهادٍ وبِعادٍ ونَحيبْ
مِن هجرِك قد ضَنِيت يا بَدْرَ دُجى والدّمع من العيونِ ينهلّ صَبيبْ[3]

وقلتُ أيضاً [مَواليا]:

الوصلُ بَعيدٌ مِنكَ والهَجْرُ قَريبْ ضِدّانِ تَوافَقا على[4] قَتْلِ غَريبْ
مَلّكتُك مُهْجَتي فَداوي سَقَمي حاشاكَ بأن يُقال: ما أنْتَ طَبيبْ[5]

وقلتُ أيضاً [من الوافر]:

أذَبتَ القَلبَ من طُولِ[6] التَّجنّي أيا غُصْناً يَميلُ مِنَ التَّثَنّي
ويا ظَبْياً نَفُوراً لا يُداني أمَا يوماً تَرِقُّ لِطُولِ حُزْني
ويا مَن قَد رَمى باللَّحْظِ قَلبي فلَيتَكَ لَو رثَيتَ لِضَعْفِ سِنّي[7]

---

(١) في (م): «رحل».
(٢) الأبيات في «الغزل المطلوب».
(٣) ليس البيتانِ ولا القول قبلهما في (م).
(٤) في (م): «خلاق توافقا عن».
(٥) في (م): «حبيب»، ورواية الصدر فيها: «ملكت مهجتي فؤادي سقمي».
(٦) في (م): «فرط».
(٧) بين البيتين تقديم وتأخير في (ق).

أطَلْتَ الهَجْرَ - يا مَولايَ - عَمْداً فقُلْ لي ما جَرى؟ ما كانَ مِنّي

فإنْ بُلِّغتَ أنّي عَنكَ أسْلُو فما صَحَّ الذي بُلِّغتَ عَنّي

فإنّي ما بَقِيتُ علَى وِدادي مُقيمٌ ثابِتٌ وَهَواكَ فَنّي

وقلتُ أيضاً مُخَمِّساً [1] [من الكامل]:

أصبَحتُ مُشتاقاً لِطَيفِ خَيالِكُمْ مِن بَعْدِ مَجمَعِنا وَطِيبِ وِصالِكُمْ

كَم ذا أَقُولُ مُعَرِّضاً بِوِصالِكُم [2]

يا سادَتي هَل يَخطُرَنَّ ببالِكُمْ مَن لَيسَ يَخطُرُ غَيرُكُم في بالِهِ [3]

أمسَيتُ [4] مِن بَعْدِ المَسَرّةِ في الحَزَنْ ودُموعُ [5] عَيْنيْ أظهَرَتْ ما قَد بَطَنْ

كَم ذا أَقُولُ وحُبُّكُمْ قَلبيْ سَكَنْ

حاشاكُمُ أن تغفلُوا عَن حالِ مَنْ هُو غافِلٌ في حالِكُمْ عن حالِهِ

وقلتُ أيضاً [6] [من البسيط]:

---

(١) «أيضاً» سقط في (م).

(٢) في (م): «قول محرضاً بسؤالكم».

(٣) عجُزُ البيتِ المخمَّس ساقط في (م)، وفي صدره فيها: «هل يخطرون».

والبيتان المخمَّسان في «شرح ديوان ابن الفارض» للبوريني (١/ ١٥٨) ينسبهما للشيخ محمد المغربي، التبريزي الأصل، من الأولياء المشهورين في ديار العجم، وله أحول مشهورة، وكرامات مذكورة، وذكرَ لهما ثالثاً:

بخيالكم إن كان غيري يكتفي فأنا الذي لا أكتفي بوِصالِهِ

(٤) في (م):

(٥) في (م): «ودمع»، ومطلع البيت فيها: «أصبحت».

(٦) قوله: «وقلت أيضاً»، مع الشطر الأخير قبله ساقط في (م).

عَوَّدْتُمونا البَشاشَهْ عِنْدَ لُقيانا ... ما لِيْ أرىٰ[١] وَجْهَكُمْ ذا اليَومَ غَضْبانا
فَهَلْ أتىٰ لَكُمُ الواشي بمَفسَدةٍ ... أو قالَ عَنّي بأنّي رُمْتُ سُلْوانا[٢]
ما كانَ ذاكَ ولا هذا[٣]، وقَد نَقَلَت ... عنّي[٤] العَواذِلُ شَيْئاً لم يكُنْ كانا
وحَقِّ عَيْشٍ تَقَضّى في رُبُوعِكُمُ ... وَطِيْبِ وَصْلِيْ بِكُمْ[٥] ما كُنْتُ خَوّانا

وقلت أيضاً[٦] [من الكامل]:

زادَ الهَواءُ عَلى الهَوى فَتَزايَدَتْ ... نِيرانُ ذي المَقْصُورِ بالمَمْدُودِ[٧]
وذَكَرتُ مِن مَرِّ الصِّبا وَمَدامِعي ... مُرّ الصِّبا فَغَدوتُ كالمَصفُودِ[٨]

وقلتُ أيضاً[٩] [من الطويل]:

ألا هَل فَتىً مِثْلي كَئيبٍ أُسامِرُهْ ... وهَل مِن شَجٍ في النّاسِ مِثْلي أعاشِرُهْ[١٠]

---

(١) في (م): «وما السبب»، وفيها في الصدر: «منذ لقيانا»، ويلزمُ إسكان التاء المربوطةِ هاءً من «البشاشة»؛ ليستقيم الوزن!. والأبيات في «الغزل المطلوب».

(٢) في (م): «سلطانا».

(٣) في (ق): «هاك».

(٤) في (م): «على».

(٥) في (م): «وصلكم».

(٦) قوله: «وقلت أيضاً» ليس في (م).

(٧) في (م): «بالمصدود»، وفي (ق) قبلها: «ذا»، ومطلع البيت في (م): «زاد الهوى».

(٨) في (م): «فعدية كالمفصود»، وفي (ق): «فغديت»، وصوبتُ.

(٩) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

(١٠) قوله: «أعاشره» سقط في (م)، وفيها قبلها (م): «شجي»، وفي (ق): «شَبَحٍ»، وختام الصدر في (م): «أسايره».

وهَل مـن مُحِـبٍّ صـادقٍ فـي وِدادِهِ ... علَيـهِ مِـنَ الوَجْـدِ الشَّـديدِ أمايِـرُهْ
فأُخبِـرَهُ عـن حالَتـي لِيُريحَنـي ... ويُخبِرَنـي عمّـا بِـهِ وأُذاكِـرُهْ
ونَذكُـرَ وَجْـداً بينَنـا كُلَّمـا مَضَـتْ ... أوائلُـهُ عـادَتْ إلَينـا أَواخِـرُهْ
فَمـا راعَنـي فـي الحَـيِّ إلا ظِبـاؤُهُ ... وَلا سـاقَني لِلقَتْـلِ إلّا مُباشِـرُهْ

وقلتُ أيضاً[1] [من البسيط]:

إنَّ المُحِبّيـنَ فـي تَعـبٍ وفـي نَصَـبٍ ... وفي سِقامٍ تُذيبُ الجِسْمَ[2] بالعَجَلِ
وفـي بُـكاءٍ، وفي شَغفٍ، وفي أسَـفٍ ... وفـي أنيـنٍ، وفـي وَلـهٍ، وفي وَجَـلٍ[3]
وفـي نُحُـولٍ، فأجسـادُ لَهُـم ذَبُلَـت ... صُفْرِ الوُجـوهِ بِـلا مَـرضٍ ولا عِلَلِ[4]
فاللـهُ يَرحَمُهُـم ماتُـوا ولـم يَجِـدُوا ... لِلوَصْلِ مِن مَسلَكٍ في السَّهلِ والجَبَلِ

وقلتُ أيضاً[5] [من الطويل]:

تَقَضّى زَماني في «عَسىٰ» و«لَـعَـلَّـمـا» ... و«ياهَلْ تُرى»، و«مَتّىٰ»، و«لَيتَ»، و«رُبَّما»
وأَمسَيتُ بالتَّسويفِ مِن «سَوفَ» ما خَلا ... وأصبَحتُ في «كَلّا»، و«بَلْ لا»، و«قَلَّما»
و«ماما»، و«لا لا»، ثُمَّ «هَلّا»، و«كَيفَ لا» ... فَما حِيلَتِي في «ما»، و«لَوْلا»، و«كيفَما»[6]

---

(١) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

(٢) في (م): «القلب».

(٣) في (م): «أجل».

(٤) أورد في الثلاثة الأبياتِ أربعةَ ألفاظٍ على وزن «فَعَلٍ» بفتحتين ـ هي: «تَعَب» «شَغَف»، «وَلَه»، «مَرَض» ـ يلزمُ إسكانُ عينها؛ لئلا يختل الوزن!.

(٥) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

(٦) في (م): «وبينما».

وقَد صِرتُ مَخفُوضاً بِـ«حَتّى»، وساكِناً بـ«إذْما»، و«أنّى»، قائلاً عندَ «كُلّما»
يَمُرُّ ولَا يُبدي[١] سَلاماً على الفَتىٰ أيا لَيتَهُ يَوْماً إذا مَرَّ سَلَّما
فَلِلّهِ ما أبْهاهُ إذْ كانَ مُغضَباً وَلله ما أحْلاهُ إذْما تبَسَّما

وقلتُ أيضاً[٢] [من الكامل]:

ماسَتْ غُصُونُ البانِ في أنفاسِهِ وغَدَتْ بِلِينٍ مِن لَطيفِ مِساسِهِ[٣]
فَانْظُرْ ظِباءَ البَرِّ لمّا خِلْنَهُ كَيْفَ انْثَنَيْنَ ولم يُطِقْنَ لِباسِهِ
وَانْظُرْ إلى زَهَرِ الرَّبيعِ فَقَد كُسِيْ كُلَّ المَحاسِنِ مِن خُيُوطِ لِباسِهِ
واللَّيلُ مُذْ[٤] ما اسْوَدَّ يَوْماً ما حَكى بِسَوادِهِ شَعَراً أقامَ بِراسِهِ
مِن خَدِّهِ الوَردُ استعارَ[٥] لِحُسْنِهِ وكَذا النَّسيمُ أُعِيرَ مِن أنفاسِهِ
لَيسَ المُهَنَّدُ[٦] حاكِياً لِلحاظِهِ وَالرُّمْحُ لا يَحْكي اعْتِدالَ قِياسِهِ

وقلتُ أيضاً[٧] [من الطويل]:

بَعُدْتَ ولا أسْلُو فَزادَنِيَ الكَرْبُ هَجَرْتَ ولا مِنّي سَواءٌ[٨] ولا ذَنْبُ

---

(١) في (م): «يبدو»، وسقط الحرف «لا» في (ق).

(٢) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

(٣) في (م): «مساسه».

(٤) في (م): «قد».

(٥) في (م): «استعار الورد».

(٦) في (م): «الهتدي».

(٧) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

(٨) مطلع البيت في (م): «تبعدت»، وفي النسختين هنا: «أساء»، وأثبتُّ ما هو الصواب، يُقال: ساءَهُ يَسُوؤُه سَوْءاً وسُوءاً وسَواءً وسَواءَةً ومَساءً: فَعَلَ به ما يكرَهُ.

وصَدَّ مُنى قلبي فأحرَقَ مُهجَتي وأبعَدَهُ عنّي التَّذلُّلُ والعُجْبُ
وغيَّبَهُ شَعْرٌ يُشَبَّهُ[1] بالدُّجى وأصبَحَ مَحجُوباً ولَيسَ لَهُ حُجْبُ
ويتَّمَني عَمْداً بِسحرِ جُفُونِهِ وأسكَرَني صِرْفاً فَغِبْتُ ولا شُرْبُ
وهيَّمَني مُذ ما نَظَرتُ جمالَهُ فها أنا لا عَقْلٌ أُفيقُ ولا قَلبُ
وأشرَقَ في وَجْهِيْ وَضاءَةُ خَدِّهِ ولاحَ لَهُ خالٌ يَلُوحُ ولا سُحْبُ
صَبَوتُ لَهُ طَوْعاً وزدتُ[2] بِه صَبَاً وَصَيَّرَني صَبّاً مَدامِعُهُ صَبُّ
وكَيفُ ولا أَصْبُو وذاكَ جَمالُهُ ومَن ذا يَرى هذا الجَمالَ ولا يَصْبُو

وقلتُ أيضاً[3] [من الطويل]:

وظَبْيٌ مِن الغِزْلانِ يَدْنُو وَيبعدُ لَهُ في الحَشا والقَلْبِ مَرْعىً وَمَورِدُ
رَشيقُ قَوامٍ ناعِسُ الطَّرْفِ نافِرٌ لَهُ الطَّرفُ مَكحُولٌ[4] وخَدٌّ مُوَرَّدُ
يَصيدُ بِلَحظِ الطَّرْفِ مَن جاءَ نَحْوَهُ ويقتُلُ مَن داناهُ عَمْداً[5] ويَشرُدُ
عَجِبتُ لِظَبْيٍ صائدٍ[6] بِلِحاظِهِ أُسُودَ الوَغى أنّ الهوى فيهِ يُحمَدُ

وقلت أيضاً[7] [من المتقارب]:

---

(١) في (م): «مشتبه».
(٢) في (ق): «وزرت».
(٣) قوله: «أيضاً» ليس في (ق). والأبيات عدا الأول في «الغزل المطلوب».
(٤) في (ق): «مكحولًا».
(٥) في (ق): «عمداً من واناه».
(٦) في (م): «لطرف ما حل».
(٧) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

نَفْسُكَ فِي الصَّدِّ قَدْ أَسْرَفَتْ ... ورُوحِيْ على الموتِ قَدْ أشْرَفَتْ

وعَينايَ لِلنَّومِ قَدْ طَلَّقَتْ ... وعَيناكَ بالرَّمِيِ[١] لِيْ أتلَفَتْ

أصابَتْ بِرَمْيٍ لها مُهجَتِي ... ويا لَيتَها إذْ رَمَتْ أنصَفَتْ

سأشكُوكَ[٢] يوماً لقاضِي الهَوى ... وأُبدِي دَعاوى علَيكَ احتَوَتْ

دُموعِي شُهودِي[٣] بِما قَدْ جَرى ... فَعَيناكَ مُذْ لِيْ جَفَتْ[٤] أوجَفَتْ

وقلتُ أيضاً[٥] [من الطويل]:

أيا مُعرِضاً[٦] رِفْقاً بمَن فيكَ مُغرَمُ ... وكُنْ راحِماً تُرحَمْ فبِاللهِ تَرحَمُ

ولا تُعرِضَنْ بالعُجْبِ فالصَّدُّ ضَرَّني ... وكُن راحِمِي، فالحَقُّ[٧] أنّي مُتَيَّمُ

وقِلَّ الصُّدودَ الآنَ يا نُورَ ناظِري ... فإنْ دامَ هذا الصَّدُّ[٨] ما عُدتُ أسلَمُ

فيا مُعرِضاً بالعُجْبِ، يا دائمَ الجَفا ... ويا باخِلاً بالوَصْلِ، هل أنتَ مُسلِمُ

فإنْ تدَّعي الإسلامَ والعِلمَ والتُّقى ... فَفي شِرْعةِ الإسلامِ هَجْري[٩] مُحرَّمُ

---

(١) في (م): «للرمي».

(٢) في (م): «سأشكوه».

(٣) في (م): «وشهود معي» وفي (ق): «ونشهد دموعي».

(٤) في (م): «من لي فجفت».

(٥) قوله: «أيضاً» ليس في (ق).

(٦) في (م): «مغرماً».

(٧) في (قم): «والحق»، وفي (م) في صدر البيت: «ولا تعرض بالعجب فالهجر».

(٨) في (م): «الهجر».

(٩) في (م): «شريعة الإسلام هجر».

وإنْ كُنتَ في رَيبْ فسَلْ لِأُولي النُّهى[١] وسَلْ لِأُولي الألبابِ لا شَكَّ تَعلَمُ
وحَيثُ عَلِمتَ الحالَ يا نُورَ ناظِري فَما شِئتَ فافْعَلْ؛ فالمُحِبُّ مُسَلِّمُ

وقلتُ أيضاً مادحاً للمُصطفى علَيه الصلاة والسلام[٢] [من المتقارب]:

ماذا أقولُ بِوَصْفي لَكا وبَعْثُكَ قَد شَرَّفَ العالَما[٣]
فبَعْضُ صِفاتِكَ يا سيِّدي فإنَّكَ خَيرُ بَني آدَما
وأنتَ غَداً في الوَرى شافِعٌ وقَدْرُكَ في الكَونِ حَقّاً سَما[٤]
وَأُوتِيتَ مَا لَم يُطَقْ ذِكْرُهُ ورَبُّكَ صلّى وقَد سَلَّما
عَلَيكَ وما لِيْ سِوىٰ حاجةٍ بأنّي أمُوتُ لَهُ مُسلِما

وقلتُ أيضاً [من الكامل]:

قَد حَلَّ في قلبيْ إلَيكَ غَرامُ وعَلا فُؤادي حُرقةٌ وهُيامُ
وازدادَ شَوقيْ ثُمّ قَلَّ تَصبُّري والدّارُ شَطَّتْ[٥] والدُّموعُ سِجامُ
والعَجزُ لا يَخفىٰ وحالي ظاهِرٌ والقَلبُ[٦] مَشغوفٌ وفِيهِ كِلامُ
وَلَوِ استَطَعتُ لَكُنتُ جِئتُكَ زائراً لٰكِنَّ جِسْمي أنْحَلَتْهُ سِقامُ

---

(١) في (م): «التقى»، ومطلع البيت فيها: «فإن كنت ذا».
(٢) في (م): «مادحاً النبي ﷺ». والأبيات في «الغزل المطلوب».
(٣) في (م): «العالمين»، وفيها في صدر البيت: «بوصلي».
(٤) في (م): «قد وسما». ويقصد بـ«غداً»: يوم القيامة؛ لذلك خالفتُ ما في النسختَين من قوله: «شافعي».
(٥) في (م): «سلت».
(٦) في (م): «وقلب».

يا صاحِبَ القَدْرِ الرَّفيعِ ومَن لَهُ[١] عِنـدَ الإلـهِ وَسيلَـةٌ ومَقامُ
يـا مُرسَـلاً لِلنّـاس حقّـاً رَحمـةً يـا سَـيّداً لِلرُّسْـلِ[٢] وَهْـوَ إمـامُ
يـا شـافِعاً عنـدَ الإلـهِ بنَفْسِـهِ والنّـاسُ فـي يَـومِ القِيـامِ[٣] زِحـامُ
كُـن شـافِعيْ ـ يـا سيِّدي ـ إنّ الهَـوى قَـد ضَرَّنـي فـي النَّفْسِ وَهْـوَ حَـرامُ
فَلَعَـلَّ قَيْـدي أنْ يُفَـكَّ بسُـرعةٍ ويكـونُ لـي[٤] بالعَفْـوِ منـكَ ذِمـامُ
صلّـى علَيـكَ بِقَـدْرِ قَـدْرِكَ ربُّنـا وعلَيـكَ منـهُ[٥] تَحيَّـةٌ وسَـلامُ
والآلِ والأصحـابِ مـا هَـبَّ الصَّبـا وعَلـى ضَجيعَيـكَ اللذَيـنِ كـرامُ[٦]

وقلتُ أيضاً [من البسيط]:

يا أشـرَفَ الخَلْـقِ قاطبـةً وأعظَمَهُمْ[٧] وأحسَـنَ النّـاسِ وَجْهـاً مُشـرِقاً وَقَفـا
عَبـدٌ بِبابِـكَ فـي خَـوفٍ وفـي وَجَـلٍ يُمَـرِّغ الخـدَّ ذُلّاً طالَـما وَقَفـا[٨]
لا يَملِكُ القَلبَ، والأحشاءُ في شَغَفٍ[٩] والـنَّـفْـسُ سَـبَّـلَـهـا والـرُّوحَ قَد وَقَفا

---

(١) سقط قوله: «له» في (م).

(٢) في (م): «سيد السر».

(٣) في (م): «القيامة».

(٤) سقط قوله: «لي» في (م)، ومطلع البيت فيها: «بحل قيدي».

(٥) في (م): «مني».

(٦) البيت الأخير ليس في (م)، وفي الأخرى: «ما هب صبا وعلى صحبَيك الذَين» بهذا الضبط، وأثبتُّ ما في «الغزل المطلوب» ضعف سبكه.

(٧) كذا في النسختين، وفي «الغزل المطلوب» حيثُ الأبياتُ فيه.

(٨) في (م): «ذلا من المواقف»، وفي (ق): «يمرغ الخدود ودلا ظالما وقفا».

(٩) في (م): «لا أملك القلب والأسا في شعف»

مـا أمَّ غيرَكُـمُ يَبْغـي الـنَّجـاةَ بِـهِ ... إلّا ـ وحَقِّـكَ ـ ولّـى مُدبِـراً وَقَفـا[1]

أنـت الوليُّ لها، قَلْبي[2] لَـهـا ولَـهـا ... إنّي قَصَدتُكَ فَاسْعِفْ وَادْرِكَنْ وَقِفا[3]

* * *

والحمـدُ لله وَحـدَه، وصلّـى اللهُ علـى مَـن لا نبيَّ بعـدَه، وعلـى سـائر إخوانه مـن النبييـن والمرسـلين وصحبـه وآله.

كمُل الكِتاب، بعَونِ الله الملِكِ الوَهّاب، على يدِ العبدِ الفَقير، الذَّليلِ الحَقير، أسيرِ ذَنْبِه، وعَبْدِ رَبِّه، جَعَلَ اللهُ لَهُ ولِوالِدَيهِ ولِـمَشايِخهِ ولمن كانَ إليه القُرآنَ في قُبورِهِم أنيساً[4].

كمُل يومَ الإثنين، يومَ ثلاثةٍ وعِشرينَ من صَفَرِ الخَير، سنةَ ١٠١٥، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هذا البيت ليس في (م)، وفي (ق): «لي مدبرا»، وصوّبتُ.

(٢) في (م): «لمن اقلبي لها»، ومطلع البيت في (ق): «أنت الو لها»، وصوّبتُ.

(٣) في (م): «وادركن واقف». وفي صدر البيت فيها: «لمن اقلبي لها»، ومطلعه في (ق): «أنت الو لها»، وصوّبتُ.

وقوله: «قفا» ـ في البيت الأول ـ هو وراء العنُق في خلف الرأس، و«وقف» ـ في البيت الثاني ـ من الوُقوف، و ـ في البيت الثالث ـ من الوَقْف، و«قَفا» ـ في البيت الرابع ـ: ذهَب في إثر الشيء وتبِعَه، و«قَفا» ـ في البيت الأخير ـ بكسرِ القاف، فعل أمرٍ من وَقَفَ يَقِف أكّده بنون التوكيد المنقلبة ألفاً.

وقوله: «أنت الوليُّ لها»، أي: للنجاة، و«قلبي لها ولها» من اللهو أكّدَ الفعل، أو الأولُ منهما من الأُنس، والثاني من اللهو، أي: قلبي أنسَ إلى الدنيا ثم انغمس في اللهو بها.

ولو قال: «إني قصدتُك، أسعِفْ أدرِكَنْ وقِفا» لكان خيراً له من إضمار التعديةِ في الفعل الثلاثي «سعف» و«درك»، والله أعلم.

(٤) وجاء في خاتمة النسخة (ق) هو: «وصلّى اللهُ على مَن لا نبي بعده، وإخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آلِ كُلٍّ وصَحبِه أجمَعين» فحسبُ، وزيدَ فيها اللطيفة القادمة وماوراءها.

* **لطيفة:**

كتب إلي الأخُ الشقيقُ الشيخُ يحيى مُراسَلةً وأنا بمَحرُوسةِ مِصرَ يشكُو طُولَ الفِراق، ويحُثُّني فيها على طَريق الصُّوفيّة عامَ اثنينِ وعِشرينَ بعدَ الألف؛ يقول [من الرمل]:

فاضَ دَمْعي ـ يا أخي ـ مِن مُقلَتَيْ ... ولَيالي الهَجْرِ قد طالَتْ عَلَيْ

صَدَّني عَنْها غَراميْ والهَوى ... وانخِلاعي بَينَ أربابِ الهُوَيْ[1]

مَزَّقَ الشَّوقُ اصْطِباريْ والحَشا ... كيفَ حاليْ والهَوى قاضٍ عَلَيْ

فَاسْتَمِعْ ليْ ـ يا مُعَنّى ـ بَعْضَ ما ... قِيلَ مِن صَبٍّ ضَناهُ الوَجْدُ طَيْ

مِن شُجُونيْ زادَ شَوْقيْ والهَوى ... وعَلى جِسْميْ نُحُولٌ يا أُخَيْ

لَيسَ يَدْريْ في الهَوى أهلَ الهَوى ... عاذِلُ يَلْويْ عَنِ المَحبُوبِ لَيْ

يَعرِفُ العُشّاقَ مَن خاضَ الهوى ... وَطَوىٰ تحتَ ثَرى المَحْبُوبِ طَيْ

صَدَّ عنّي مُنيَةُ القَلْبِ وَما ... أَدْرِي ما أصنَعُ في هِجْرانِ مَيْ[2]

كَم إلى كَم يا حَبيبي ذا الجَفا ... عُدْ بِوَصْلٍ قبلَ مَوْتي هَيِّ هَيْ[3]

وبِطِيْبِ الوَصْلِ فَاجْبُرْ دانياً ... علَّهُ يَحيا، فَمَن وافاكَ حَيْ[4]

---

(١) «الهُوَي» ـ بضم الهاء وفتح الواو وتشديد الياء ـ تصغير «الهَوَىٰ».

(٢) يلزم إسقاطُ ياء «أدري» عند الإنشاد ليصحَّ الوزن، و«ميّ»: رمز للمحبوب.

(٣) يُريد: «هِيه» ـ بمعنى «إيهِ» التي يقولها المستزيدُ من شيءٍ معهود ـ فأبدل مِنَ الهمزةِ هاءً، وأحوجه الوزنُ إلى ما ترى، والله أعلم.

(٤) في (ق): «واجبر بطيب الوصل دانيا»، و«دانياً»: حالٌ من الجابر المواصل، و«حي» مخفَّفُ: «حيَّ» مشدد «حَيِيَ يحيا».

زادَ شَوْقي وكَذا وَجْدي بها ... من يُجيرُّ الصَّبّ يا أهْلَ الهوَيْ

مِنكِ أَصْلُ الحُبِّ يا شَمْساً بَدَتْ ... في فُؤادِي كُلَّ وَقْتٍ بِضُوَيْ[١]

كُلَّ يَومٍ، كُلَّ وَقْتٍ أرتَجي ... ضاعَ عُمْريْ، قَلَّ صَبْري، يا أُخَيْ

صِرتُ مَنسُوباً إليكُمْ فاعْطِفُوا ... يا أُهَيْلَ الحَيِّ لا تَجْفُوا فُتَيْ

شَفَعَ الواشُونَ عَنّي بالجَفا ... وَرَمَوْني واجْتَرَوا ظُلْماً عَلَيْ

زَعَمُوا أنّ فُؤاديْ قَد سَلا ... كَيفَ يَسْلُو هائمٌ[٢] فيكُم ظَمِيْ

أيُّها العاذِلُ دَعْني، لائمٌ[٣] ... مَن يَلُومُ الصَّبَ لَو يَبكي دُمَيْ[٤]

يا أَخِيْ دَعْ عَنكَ ذا اللَّومِ ولا ... تَذكُرِ النّائينَ قَطْعاً بشُفَيْ[٥]

لَيتَ شِعْرِيْ يا حَبيبي ما الّذي ... أوجَبَ الهِجْرانَ يا أَخُّ[٦] عَلَيْ

ذابَتِ الرُّوحُ لِشوقيْ والحَشا[٧] ... وبعادُ الدّارِ أجْرى مُقلَتَيْ

فَهَبُوا عَيْنيْ وَمُدُّوْها بِما ... عَلَّها تَجْري دماً في وَجْنَتَيْ

فافْعَلُوا فِيَّ الأَسى واحتَسِبُوا ... كلُّ شيءٍ حَسَنٌ مِنكُمْ[٨] لَدَيْ

---

(١) «بضُوَي»، يريد: «بِضُوَيْءٍ» مصغّر «ضَوْء».

(٢) في (ق): «هائماً».

(٣) كذا في (ق)، وتحتاج تأويلًا نحو «أنت لائمٌ».

(٤) «دُمي»: مصغّر «دم».

(٥) «بشُفَي» من «بشُفَيهة» تصغير «شفة».

(٦) في (ق): «يا أخي»، وصوّبتُ بما يوافق لغةً في «الأخِ».

(٧) في (ق): «شوقاً والحيا»، وصوّبتُ.

(٨) في (ق): «واحسبوا كل شيء منكم حسن».

لَسْتُ أنْسى الجَمْعَ فِيما بَيْنَنا ... وكُؤُوسُ الوَصْلِ قَدْ دارَتْ عَلَيْ

لا تَلُمْني لَو جَرى دَمْعِيْ دَماً ... أوْ بَدا سَحّاً كَنِيْلٍ يا بُنَيْ

في هَواكُمْ ـ سادَتي ـ عُمْري انقَضَى ... وبِعادُ الإلْفِ أسْوا حالَتَي[1]

عَهدَكُم ـ يا سادَتي ـ لا تَقطَعُوا ... واصِلُوا، ثُمَّ اعْطِفُوا عَطْفاً عَلَيْ

وَاجْبُرُوا قَلبيْ؛ فإنّي عَبدُكُمْ ... عَبْدَ رِقٍّ راقِياً فِيْكُمْ رُقِيْ

لَيسَ لَوْ عَذَّبتُمُوني بالجَفا ... سَلا[2]، يا أَهْلَ الحِمى عُوْدُوا إلَيْ

هَجْرُكُمْ وَصْلٌ وَإنْ شَطَّ المَدى ... وَصْلُكُمْ سُكْرِيْ وعِزِّي سَكْرَتِيْ

عَذِّبُوني كَيفَ شِئْتُمْ فالرِّضا ... في رِضاكُمْ يا لَطَيٍّ يا لَطَيْ

عَلِّلُوا رُوْحِيْ بذَيّاكَ الشَّذا ... فَبِذاكَ النَّشْرِ «يحيى» صارَ حَيْ

إنْ ضَنا جِسْمِيْ وَسَحَّتْ عَبْرتي ... فَهَواكُمْ ساكِنٌ في مُهجَتِيْ

كَم إلى كَمْ قامَ زَيدٌ وَأتى ... وَرَمَى عَمْرٌو لِزَيْدِ بالعصِيْ[3]

ما عُلُومُ النَّحْوِ مِن أهلِ الهَوى ... ما سِوى المَحْبُوبِ لا يَرْضَى بِشَيْ

دَعْ عُلُومَ العَقْلِ لا تَقْنَعْ بِها ... وَاقْصِدِ الحاناتِ يا خَيّ تحيْ[4]

عَلَّ ساقي القَوم يستَحيْ[5] ... بِها يا خَليليْ حُبُّها فَرْضٌ عَلَيْ

---

(١) في (ق): «وبعداد»، و«أسوا»: مسهَّلُ «أسوأ».

(٢) يلزم إسقاطُ ألف «سلا» عند الإنشاد ليصحَّ الوزن.

(٣) قد تكون الياء ألفاً ممالة، ويكون أراد: «بالعَصا»، أو يكون أراد الجمع: «بالعِصِي»، أو يكون أراد «بالعَصْي»، فحرّك الصاد وسكّن الياء، والله تعالى أعلم.

(٤) في (ق): «علوم الفتل»، وصوّبت، والحانات: رمزٌ لمكان الانسلاخ من العقل بمتابعة الهوى، وقوله: «يا خيّ تحي»، يريد: «يا أخيّ تُحْيَ» أو «تَحْيَ»، وأحوجه الوزن إلى ما ترى.

(٥) أي: يفعل ما كأن فيه طلبَ الحياةِ منه لنا.

كَـم مُحِـبٍّ هـامَ ـ يـا خِلّـيْ ـ بهـا
مِثْـلَ ذِي النُّـورِ ناشـرٍ وَالسَّـريْ[(١)]

طالِـعِ المَنقُـولَ عَنْهُـمْ واجتَهِـدْ
واقصِـدِ العَلْيـا وَدَعْ عَمْـرَ وَزَيْ[(٢)]

واخلَـعِ الأعْـذارَ عَنْـكَ[(٣)] تَحْتَظِـي
وتُعانـي حـالَ أربـابِ الهُـوَيْ

واصحَـبِ الأخْيـارَ مِـن أحْبابِهـا
وَدَعِ المَحجُـوبَ راوٍ عَـن رُوَيْ[(٤)]

باكِيـاً يبحَـثُ عَـن قَـولِ الـوَرَىٰ:
قـالَ زيـد، قـالَ عَمـرٌو، يـا أُخَـيْ

سـاعةً أمـضِ[(٥)] بأنفـاسٍ وَهَـتْ
ليـسَ فِيْهـا مِـن مَـرامِ القَـوْمِ شَـيْ

نَحـنُ لا نَصْحَـبُ إلّا عاشِـقاً
راضِيـاً بالقَتْـلِ فـي لَيلـىٰ وَمَـيْ

لَيـسَ نَهْـوى خالِـياً أو عـاذِلاً
لـو رَقـى أعلـى المَنابِـرْ فـي حُلـيْ

خَمْـرةُ الحُـبِّ بِهـا نِلْـتُ المُنـى
لَيـسَ لـيْ عَنْهـا صُـدُودٌ مِـن فُتَـيْ

كُلُّ بَسْـطِيْ وَانشِـراحِيْ يـا أُخَـيْ
فـي ارْتِشـافِ كأْسَـها وَقْـتَ العَشـيْ

يـا لَهـا مِـن خَمْـرةٍ كَـم خامَـرَتْ
كَـم لهـا مِـن عاشِـقٍ مَيْـتٍ وَحَـيْ

فَهْـيَ خَمـرُ القَـوْمِ كَـم فيهـا[(٦)] تَـرى
مِـن شُـيُوخٍ وَشَـبابٍ مَـعْ صَبـيْ

فـي هَواهـا ضـاعَ عُمْـريْ وانقَضـى
لَيـسَ فـي عَينـيْ سِـواها يَحْلُو[(٧)] شَـيْ

---

(١) كذا في (ق): «ناشر»، ولم أتبيّنه، وقوله: «والسري» يريد السقطي الزاهد، والله أعلم.

(٢) يريد: «عَمْراً وزيداً».

(٣) يلزم إشباعُ فتحة الكاف عند الإنشاد ليصحَّ الوزن.

(٤) «رُوي»: تصغير «راوٍ».

(٥) في (ق): «تمضين ساعة»، واجتهدتُ في تقويمه.

(٦) في (ق): «خمرة القوم كم بها».

(٧) يلزم إسقاطُ واو «يحلو» عند الإنشاد ليصحَّ الوزن.

هِيَ راحِــيْ ومُـدامــيْ ذِكـرُهــا يـا لَقَومـيْ سـاعِدُوا[١] مَيْتاً كَحَـيْ
صـارَ مِــن أشــواقِهِ بَيْــنَ الــوَرى هائمــاً يَنْشَــقُ نَسْـماتِ الهُــوَيْ
نـارُهُ فــي قَــلْــبِــهِ مِــن نُــورِهــا نُوْرُ يَكْوِي الحُبَّ يَكْوِي الصَّبَّ كَيْ
لَــو تَـرى ـ يـا صـاحِ ـ مَحبُوبـاً لَنـا مُشـرِقاً كالشَّـمْس فـي وَقْـتِ الضُّحَيْ
يُخجِـلُ الشَّــمْسَ، ومِــن أيــنَ لَهـا نُورُهـا ـ يـا صاحِ ـ مِـن ذاكَ الضُّـوَيْ
مَــن لَــهُ مِثْــلُ حَبيــبٍ سَــيِّدٍ كامِــلِ الحُسْــنِ بأحْــداقِ الظُّبَــيْ
وَجْهُـهُ قِـبْلَــةٌ لِــيْ فــي الــسَّــمــا كُنـتَ ـ يـا مَحْبُـوبُ ـ لا تُمْسِـكْ عَلَيْ
حُبُّــهُ فَرْضِـــيْ ومــا لـــيْ راحـــةٌ غَيْــرُ بَسْــطِيْ وَانْخِلاعِــي مَذهَبِــيْ
لا يُقـــاسُ البَحْـــرُ بالنَّهْـــرِ، وَلا يَعــدِلُ العَــدُّ لِجَمْــعٍ مــن شَــيْ[٢]

والحمدُ لله وحدَه، وصلَّى الله على مَن لا نبيَّ بعدَه، آمين

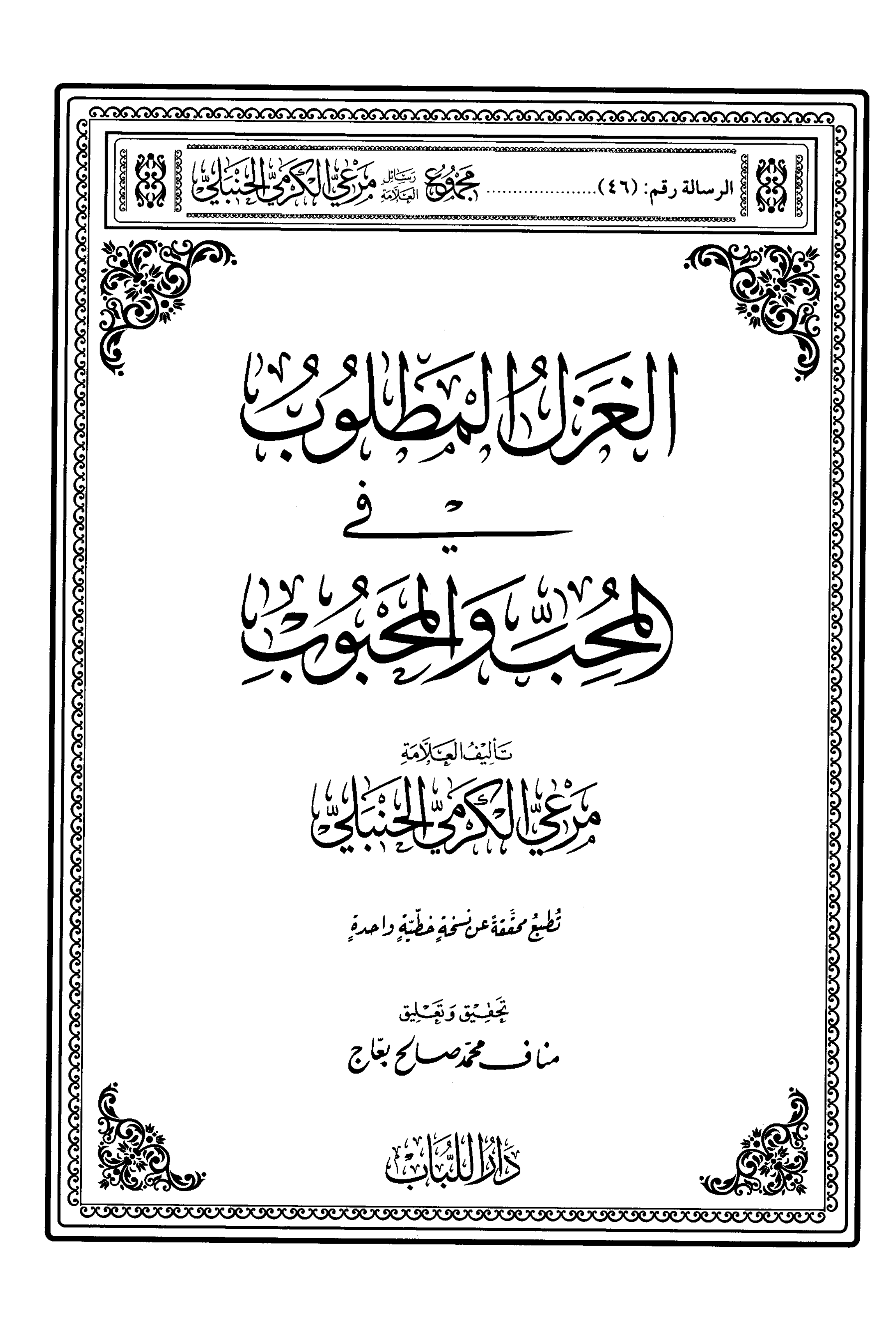
والحمدُ لله ربِّ العالَمين

* * *

(١) زاد في (ق): «فما»، وزيادتها فساد.

(٢) كذا في (ق)، وهو غامض، والله أعلم.




مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
الرسالة رقم: (٤٦)
الغزل المطلوب في المحب والمحبوب
تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
تطبع محققة عن نسخة خطية واحدة
تحقيق وتعليق
مناف محمد صالح بعاج
دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الإمام العالم العلامة والعمدة الفهامة مرعي
بن الشيخ يوسف بن أبي بكر المقدسي الحنبلي أفاض الله على
قبره الرحمة والرضوان والروح والريحان وأسكنه
في أعلى غرف الجنان بجاه محمد سيد ولد عدنان إنه على
ذلك قدير وبالإجابة جدير الحمد لله الذي سلسل سلسبيل دموع
المحبين فأبدوا نظاما وسلسل بسلاسل الغرام قلوب
العاشقين فزادوا هياما وجعل التعبير المراد بالكلام
فربما أبدوا كلاما في القلوب كلاما والصلاة والسلام
على من رقي حتى مع الكلم وحل على مراتب البلاغة ﷺ
مقاما وعلى آله وأصحابه أولي الفصاحة والبراعة
أنعم بهم أقواما كراما وأئمة أعلاما وأما [illegible]
فليت شعري على ما أهدي إليهم أجمعين تحية وسلاما
وبعد [illegible] تقدم [illegible] وكم من [illegible] الأشعار [illegible]
بالبال وكم من بلبال تهيجه الأفكار [illegible] بعض
ما [illegible] من الشعر وإن كان [illegible] الشعر بل لا ينبغي [illegible]

مثل ذلك للوجود إذ هو إظهار مساوي وكيف يظهر ما ليس
بكلام القوم بما [illegible] لكن الطباع تختلف
فربما يميل إليه بعض الطباع ويجد به لذة فربما يلتذ
بسماعه بعض الأسماع ولا ريب أن في هذا الكلام الفصيح
والأفصح كما أن في الملاح المليح والأملح وهذا أمر إنما
يدرك بالذوق السليم والطبع المستقيم

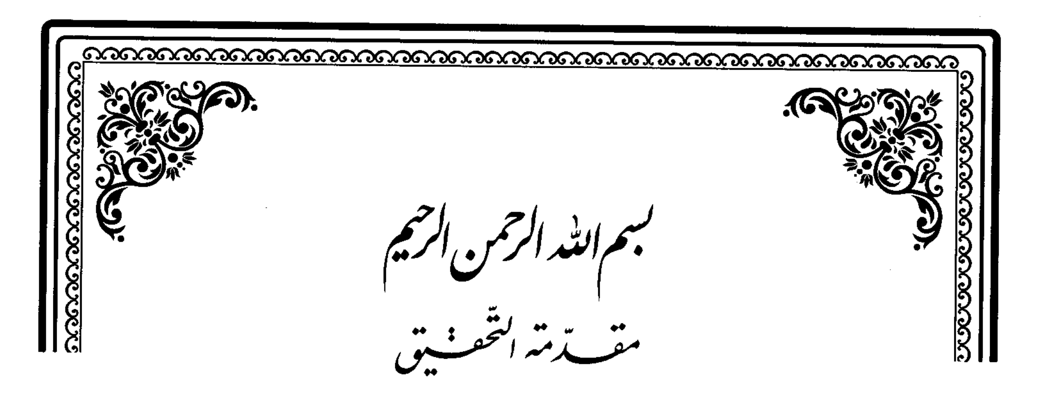
قال [illegible]

يا أشرف الخلق قاطبة وأعظمهم ... [illegible]
عبد في بابك [illegible] ... [illegible]
لا يملك الأحشاء والقلب شغف ... والروح قد سلبها والنفس قد [illegible]
[illegible] ... [illegible]
أنت الوطي لها قلبي [illegible] ... إن قصدتك فاسعف وارحم [illegible]

[illegible]

قد [illegible] في قلبي إليك غرام ... وعلا في [illegible] حرقة وهيام
وازداد شوقي [illegible] ... والدار [illegible] والدموع سواجم
والعجز لا يخفى وحالي ظاهر ... والقلب مشغوف وفيه كلام

مكتبة جامعة الملك سعود (الأصل)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسان، علَّمه البيان، وفضَّله به على سائر المخلوقات، ومن هذا البيانِ الشعرُ؛ فإنَّ من الشعرِ لحكمة، وإنَّ من البيان لسحراً.

فالشعرُ هو السِّحرُ الحلال، ليس فيه مَخْرَقاتٌ وخُزعبِلات، لكنَّ فيه صوراً وتشبيهات، وحقيقةً وخيالات، ومباشرةً والتفاتات، مِمَّا يأخذُ بألباب السَّامعين، ويخلِبُ عقولَ القارئين، فيُحلِّقونَ معَ الشِّعرِ في عوالمَ لم يكونوا ببالغيها إلا بِشِقِّ الأنفس.

وهذا الشعرُ ليس برتبةٍ واحدة؛ فمنه ما هو أسرعُ من البرق، ومنه ما هو بسرعةِ الفرَس، ومنه ما يمشي على أربعٍ، ومنه ما يمشي على رجلين، ومنه ما يزحفُ على بطنه زحفاً.

سمعتُ منذ زمنٍ بعيدٍ بمصطلحِ (**شعر العلماء**)، فخطرَ ببالي أنَّه شعرٌ فخمٌ؛ لِما في نفوسِنا من تعظيمٍ للعلم والعلماء، ثمَّ تبيَّن لي فيما بعدُ أنَّ مصطلحَ (**شعر العلماء**) ليس للتَّعظيم، وإنَّما لوصف الشعر المرصوفِ رَصفاً، والذي يفتقرُ إلى الصورِ والأخيلةِ، وإنَّما يستعملُه العلماء لينظموا فيه للطلاب ضوابطَ معينة وحدوداً لبعض العلوم، كالمنظومات المعروفة (ألفية ابن مالك، وألفية العراقي في الحديث، والمنظومة البيقونية، والمنظومة الرَّحبية).

قال شهاب الدين الخفاجي في «ريحانة الألبّا» مترجماً لابن المنقار: (... إلا أن شِعرَه **شعرُ العلماء**، وأدبه أدبُ الفقهاء، وما كل قصرٍ خَوَرْنَقٌ وسَدِير، وما كل وادٍ فيه رَوْضة وغَدِير)[1].

وقال المحبِّي في «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» في ترجمة القزديري الدمشقي الحنفي: (... وَله شعر كثير إلا أَنه من **شعر الْعلمَاء**)[2].

إذاً فـ**(شعر العلماء)** هو شعر موزونٌ مقفًى، لكنَّه أقربُ إلى النَّظم منه إلى الشِّعر.

ثم بحثتُ عن الأمر أكثر فتجلَّى لي بعد زمن أنَّ العلماء صنفان، صنفٌ لا يكترثُ كثيراً للشعر رغم اهتمامِه بالعربية وعلومِها.

وصنفٌ يستروِحُ نسائمَ الأدبِ والشعر، فيكونُ لشعرهِ رونقٌ ليس لشعرِ غيرِه من العلماء.

ومن هذا الصنف الثاني الفقيه عروة بن أذينة[3] شيخ الإمام مالك،

(١) انظر: «ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا» لشهاب الدين الخفاجي (١/ ١٢٨).

(٢) انظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي (٣/ ١٣).

(٣) ومن شعره:

إنَّ التي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّها ... خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هَوًى لها

بَيْضاءُ بَاكرهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا ... بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّها وأَجَلَّها

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فقلْتُ لِصَاحبي ... ما كانَ أكثرَها لنَا وأقلَّها

وإذا وَجَدْتُ لَها وساوِسَ سَلوَةٍ ... شفع الضَّمير إلى الفُؤَادِ فَسَلَّها

والقاضي عبد الوهاب المالكي[١]، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني[٢]، وابن قيم الجوزية[٣].

بل حتى في كتب التَّراجم تجد هذا الفرق جلياً؛ فعندما تقرأ في كتاب «الوافي بالوفَيَات» للصَّفديِّ، تجد في قراءة تراجمه من المتعة ما لا تجده في غيره من كتب التَّراجم، وما ذاك إلا لأنَّه ألَمَّ بطرفٍ من الأدب والشعر.

ولو قلنا إنَّ الرسالة التي بين أيدينا (الغزل المطلوب) للشيخ العلامة مرعي الكرمي الحنبلي من هذا الصنفِ الثاني، لم نُبعد النُّجعة؛ فقد وجدتُ

---

(١) ومن شعره أبياته الرائعة:

متى يصلُ العِطاشُ إلى ارتواءٍ ... إذا استَقَتِ البحارُ من الرَّكايا

ومن يثني الأصاغرَ عن مرادٍ ... وقد جلس الأكابرُ في الزوايا

وإن ترفُّعَ الوُضَعاءِ يوماً ... على الرُّفعاءِ من إحدى الرزايا

إذا استَوتِ الأسافلُ بالأعالي ... فقد طابت منادمةُ المنايا

(٢) وله قصيدة رائعة يقول فيها:

يقولونَ لي فِيْكَ انقِبَاضٌ وإنَّمَا ... رأوا رجلًا عن موقف الذلِّ أحجما

أَرى النَّاسَ مَن داناهمُ هَانَ عِندَهُمْ ... ومن أكرمَتْه عزةُ النفس أُكرِما

وَمَا كُلُّ بَرقٍ لاحَ لي يَسْتَفِزُّني ... ولا كل من لا قيتُ ألقاه مُنْعِمَا

إذا قِيلَ هذَا مَنْهَلٌ قُلتُ قَدْ أَرَى ... ولَكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتَمِلُ الظَّمَا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانهُمْ ... ولو عَظَّمُوهُ في النُّفوسِ لَعُظِّمَا

(٣) ومن أجمل ما قال قصيدتاه (الميمية)، و(النونية).

فيها شعرَ (أديبٍ) تقرؤه فتجدُ فيه مُستَجمّاً للنفس مِن جفاف الحياة، ومُستراحاً للرُّوح من ثِقَل الجماد.

ولعلَّ الوصف المناسب لشعر الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي أنَّه في منزلةٍ بينَ المنزلتين، فهو شعرٌ لا يرقى إلى شعر الأدباء، لكنَّه أعلى وأجودُ من شعر العلماء، فهو كشعر سالم بن عمر بو حاجب البنبلي الذي قال عنه محمد محفوظ: (وله شعر سهل ممتنع، فوق نسق شعر العلماء، ولا يسمو إلى شعر الأدباء المختصين المتفرغين لحوك القريض)[١].

إنَّه ديوانٌ فيه أزاهيرُ متنوّعة تقول للقارئ: (هيتَ لك)، فيقولُ: (معاذ الله) ألا أشَمَّكِ وأتعطَّرَ بأريجِك.

ولكنْ دونَ تلك الأزهارِ أهوالٌ وأشواك، قد تصيبُ أحياناً عاشقَ تلك الأزهار بشيءٍ من الألم إذا شِيْكَ بها، وهذا ما وقع لي عند تصحيح هذه الرّسالة؛ فقد أتعبتني أيَّما إتعاب، وأسهرتْني لياليَ ذواتَ عدد.

وحاولتُ قدْرَ المستطاع تصويبَ مختلِّ أبياتِها، وذلك بإضافةِ كلمات أو حذفِها، أو تغيير ترتيبِها، أو استبدالِها بكلمات أخرى غيرِها؛ حتَّى يستقيمَ معوَجُّ هذه الأبيات.

وعلَّقتُ بعضَ التعليقات بِما لا يُثقلُ كاهل الرِّسالة، وبِما يبيِنُ سبب حذف تلك الكلمات أو تبديلها، أو يشرحُ بعض الأبيات الغامضة، ويوجِّهها.

هذا ويغلبُ على ظنِّي أنَّ ناسخ هذه الرسالة بضاعتُه من الشعر قليلة؛ لأنَّ طائفةً غير قليلة من الأبيات كانت فاسدةً بسبب تغير ترتيب الكلمات.

---

(١) انظر: «تراجم المؤلفين التونسيين» لمحمد محفوظ (٢/ ٨٠).

كما أنَّ هناك أخطاءً نحويةً لا تُخلُّ بالوزن، لا أدري هل هي من أصل الأشعار، أم تغيرت على يد الناسخ.

وفي الأبيات أيضاً كلماتٌ لو تُركتْ على أصلها لانكسر وزنُ البيت الواردة فيه، فكنتُ أسكِّنُ المتحرك، أو أحرِّكُ الساكن لضرورة الوزن، مع الإشارة في الحاشية إلى ذلك التغيير، وهذا الأمر من أصل الشعر؛ إذ ليس للناسخ يدٌ فيه.

ومن الأشياء التي لفتت انتباهي أنَّ الناسخ لم يكن يميزُ بين (الضاد) و(الظَّاء)، فقد خلط بينهما في مواضع كثيرة، أشرتُ إليها.

كما تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ الصفحَات العشر الأخيرة تقريباً، هي ليست من شعر المؤلف، وإنَّما هي أشعار تخَيّرها وألحقها بأشعاره، وهي أشعارٌ جميلة تدلُّ على ذائقة المؤلف وعقله؛ لأنَّ (اختيارَ المرءِ قطعةٌ من عقلِه) كما يُقال.

وقد اعتمدتُ في تحقيقِ هذه الرسالة على أصلٍ خطِّي واحد وهو الأصلُ المحفوظُ في جامعة الملك سعود، وأشرت إليه بـ(الأصل).

هذا وقد بذلتُ الوُسع لإخراج الرسالة بهذا الشكل، فما أصبتُ فيه فمن الله وحدَه، وما أخطأتُ فيه فمِن نفسي وضعفي وتقصيري.

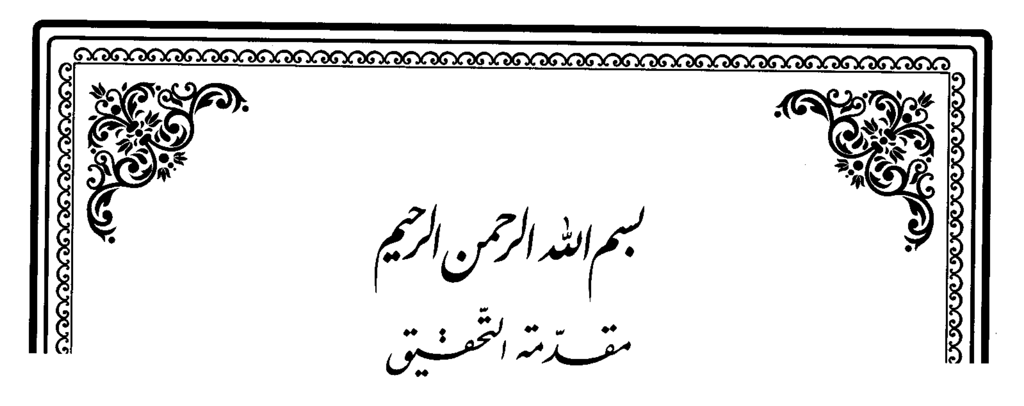
إذا لـم يكـنْ عـونٌ مـن الله للـفتى ... فـأولُ مـا يَـجني عليـه اجتهـادُهُ

وأسألُ اللهَ تعالى أن يجعلَ هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعَ به؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

المحقق

* * *





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

قال الشيخ الإمام العالمُ العلّامةُ، العمدةُ الفهَّامة، مرعيُّ بن الشيخ يوسفَ ابنِ أبي بكر المقدسيُّ الحنبليُّ، أفاض الله على قبره الرحمةَ والرضوان، والرَّوحَ والريحان، وأسكنه في أعلى غرفِ الجِنان، بجاه محمدٍ سيد وَلَدِ عدنان، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير:

الحمدُ لمن سَلْسَلَ سلسبيلَ دموعِ المحبين فأبدَوا نِظاماً، وسَلْسَلَ(١) بسلاسلِ الغرامِ قلوبَ العاشقينَ فزادوا هُياماً، وجعل الشُّعراءَ أمراءَ الكلامِ فربما أبدَوا كَلاماً، [أثارَ](٢) في القلوب كِلاماً(٣).

والصَّلاةُ والسَّلامُ على من أوتي جوامعَ الكَلِمِ وحلَّ أعلى مراتبِ البلاغةِ مقاماً، وعلى آلِه وأصحابِه أولي الفصاحةِ والبراعةِ أَنْعِمْ بهم أقواماً كراماً، وأئمةً أعلاماً،

[من المجتث]:

إن يَهجروني(٤) محباً ... فليت شعري على ما

---

(١) سلسلَ الأولى بمعنى: (أجرى)، والثانية بمعنى: (قيَّد).

(٢) زيادة يقتضيها السِّياق.

(٣) كِلام: جمع كَلْم، وهي الجروح.

(٤) في الأصل: «وإن هجروني» وهو خطأ مخل بالوزن.

أهـدي إليهـم جميعاً[١] تـحـيـةً وسـلاماً[٢]

وبعد:

فقد عنَّ لي، وكم عنَّ لي تروِّي الأشعار! وسنَح بالبال، وكم من بَلبَالٍ تُهيِّجُه الأفكار! أن أذكرَ هنا بعضَ ما قلتُ من الشعر وإن كان رخيصَ السِّعر، بل لا ينبغي إظهارُ مثلِ ذلك للوجود، إذ هو إظهارُ مَساوٍ[٣]، وكيف يَظهر ما ليس بكلامِ القومِ بمماثلٍ أو مُساوٍ[٤]؟! لكنَّ الطِّباعَ تختلف، فربما يَميلُ إليه بعضُ الطِّباع، ولكلِّ جديدٍ لذَّةٌ[٥]، فربما يلتذُّ لسماعِهِ بعضُ الأسماع، ولا ريبَ أنَّ في هذا الكلامِ الفصيحَ والأفصح، كما أنَّ في المِلاحِ المليحَ والأملح، وهذا أمرٌ إنما يُدرَكُ بالذَّوق السَّليم، والطَّبْعِ المستقيم.

قال رضي الله تعالى [عنه] ورحمه: [من البسيط]

يا أشرفَ الخَلْقِ قاطبةً[٦] وأعظَمَهُمْ وأحسنَ النَّاسِ وجهاً مُشْرِقاً وَقَفا

---

(١) في الأصل: «أجمعين» وهو خطأ مخل بالوزن.

(٢) هذان البيتان من البحر المجتث، لكنَّهما في الأصل مختلاً الترتيب والكلمات، ومكتوبان على أنَّهما نثر.

(٣) في الأصل: «مساوي».

(٤) في الأصل: «مساوي».

(٥) هذا مثلٌ من أمثال العرب، مأخوذ من قول الشَّاعر

لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ غيرَ أنَّني وجَدْتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ

ويُنسبُ إلى الحطيئةِ خطأً، والصَّحيح أنَّه لضابئ بن الحارث، وإنَّما تمثَّل به الحطيئة تمثُّلاً، عند وفاتِه. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٢٢٣).

(٦) البيت على هذه الشاكلة غير موزون، إلا إذا سُكِّنت الباء من كلمة (قاطبة)، وهي ضرورة غير جائزة للشاعر.

عَبـدٌ بِبابِـكَ فـي خَـوفٍ وفـي وَجَلٍ ... يُـمـرِّغُ الـخَدَّ ذُلًّا طـالَ مـا وَقَفـا

لا يَملِكُ اِلَّا حَشاً والقلبَ في شَغَفٍ[١] ... والـرُّوحَ قـد سلَّها[٢] والنَّفسَ قد وَقَفا

مـا أَمَّ غيرَكُـمُ يرجـو النَّجـاةَ بـه ... إلا وحـقِّـكَ ولَّـى مُدْبِـراً وقَفَـا

أنتَ الوليُّ لها قـلْبِي لَـهـا وَلَـهـاً[٣] ... إنِّي قصدْتُكَ فاسعِفْ وادْرِكَنْ وقِفَا[٤]

وقال أيضاً سامحه الله تعالى: [من الكامل]

قـدْ حـلَّ[٥] فـي قلبـيْ إليـكَ غَرامُ ... وعـلا[٦] فـؤادي حُـرقَةٌ وهُيـامُ

وازدادَ شـوقيْ ثـمَّ قَـلَّ تـصـبُّري ... والـدَّارُ شَـطَّتْ والدُّمـوعُ سِـجَامُ

---

(١) في الأصل: «لا يملك الأحشاء»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «سبلها»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) (لها) الأولى حرف جر مع الضمير (ها)، و(لها) الثانية فعل ماض من اللهو، و(ولهاً) مفعول مطلق، وهو من الولَه، وهو التعلُّق.

(٤) وقفا الأولى: هي حرف العطف (الواو) مع (قفا) وهو مؤخر الرأس.

والثانية: هي فعل ماض من الوقوف.

والثالثة: هي فعل ماض من الوقف؛ يعني: وقف نفسَه.

والرَّابعة: هي حرف العطف (الواو) مع الفعل (قفا يقفو)؛ أي: تتبَّع أثره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

والخامسة: هي حرف العطف (الواو) مع فعل الأمر: (قِفْ) والألف التي هي في الأصل نون التوكيد الخفيفة.

ومثلها قول الأعشى: (وَلَا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعْبُدَا)، أي: فاعبدَنْ

(٥) في الأصل يوجد كلمة (إليك) بعد (حلَّ)، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٦) (علا) هنا فعل وليست حرفاً، ولذلك كتبتْ بألف ممدودة. وتعني هنا: أنَّ فؤادي غشِيَته حرقة وهيام.

والعَجْزُ لا يَخفى وحاليْ ظاهِرٌ ... والقلبُ مشغوفٌ وفيهِ كِلامُ
ولو استطعتُ لكنْتُ جِئْتُكَ زائراً ... لكنَّ جِسْمي أنْحَلَتْه سَقَامُ
يا صاحبَ القَدْرِ الرَّفيعِ ومَنْ لهُ ... عندَ الإلهِ وسيلةٌ ومَقامُ
يا مرسَلاً للنَّاس حقاً رحمةً[(١)] ... يا سيداً للمرسَلينَ إمامُ
يا شافعاً عندَ الإلهِ بنفسِهِ ... والنَّاسُ في يومِ القِيامِ زِحامُ
كنْ شافعاً يا سيدي إن الهوى ... قد ضرني في النَّفسِ وهْو حَرامُ
فلعلَّ قيديْ أن يُفكَّ بسرعةٍ ... ويكونَ لي بالعفو [منكَ][(٢)] ذِمامُ
صلَّى عليكَ بقَدْرِ قَدْرِكَ ربُّنا ... وعليكَ منه تحيةٌ وسَلامُ
والآلِ والأصحابِ ما هبَّ الصَّبا ... وعلى ضَجيعَيكَ[(٣)] اللذينِ كِرامُ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من المتقارب]

[و][(٤)] ماذا أقولُ بوصفي لكا ... وبَعثُكَ قد شرَّف العالَما
فبعضُ صفاتِكَ يا سيِّدي ... بأنَّكَ خيرُ بني آدما
وأنتَ غداً في الورى شافعٌ ... وقَدْرُكَ في الكونِ حقَّاً سما
وأُ[و]تيتَ[(٥)] ما لم يُطَقْ ذكرُه ... وربُّكَ صلَّى وقد سلَّما
عليكَ وما لي سوى حاجةٍ ... بأنِّي أموتُ له مُسْلِما

---

(١) في الأصل: (حقاً ورحمةً) وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.
(٢) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.
(٣) في الأصل: (ضجيعك) بياء واحدة، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.
(٤) زيادة يقتضيه الوزن.
(٥) في الأصل: (أُتيت)، وهو خطأ.

وقال رضي الله عنه: [من الطويل]

سـألتُكَ يـا مـولايَ بالمصطفـى رضًا ... وأســألُكَ اللهــمَّ لُطفَـكَ[١] بالقضـا

وأسـألُكَ الأمـنَ الأمـانَ مـن الهَـوى ... فمِمَّـا جـرى للصَّـبِّ ضـاقَ بـه القَضا

وأســألُكَ التَّوفيـقَ والعِلْـمَ والتُّقـى ... ولا تأخُذَنِّـي يـا إلهـيْ بمـا مضـى

جعلـتُ إليـكَ المصطفى في وسيلتي ... لـهُ العَـزمُ كالسَّـيفِ الصَّقيـلِ إذ مضى

فيـا مصطفًـى حـازَ الكمـالَ مع البَهـا ... ببعضٍ مـن الأوصـافِ جئـتُ معرِّضَا

لِتَجبُرني بالوصلِ يا أحسـنَ الـورى ... ولا تكُ[٢] عنِّي طولَ ما عشـتُ مُعْرِضا

ولا تهجُرَنِّـي يـا رؤوفـاً ورحمـةً ... فهجـرُكَ لـي واللـه مـا زال مُمْرِضـا

فيا فاتحاً للخيرِ يـا خـاتـماً سـمـا ... ويـا مصطفى عفـواً وحِلْماً مـع الرِّضا

وقال أيضاً عفا الله تعالى عنه: [من الطويل]

ألا إنَّنِـي عبـدٌ ببـابـكَ واقـفٌ ... ذليـلاً وقـد طالـتْ علـيَّ المواقـفُ

وقـد جئـتُ مكسـوراً لبابِـكَ قاصـداً ... وهـا أنـا مـن ذُلِّـي ببيتـكَ طائـفُ

فمَـنْ أَمَّكُـمْ يحيـا إلـى كَـمْ إلـى متـى ... تــردُّ فـقـيـراً وهْــو بــاكٍ وخائـفُ

وكـم تَطـرُدُ الملهوفَ يا مالـكَ الوَرَى ... ويـا مـنْ بحالـي عالـمٌ ثـمَّ عـارِفُ

إذا لـم تكنْ [لي][٣] مُسْعِداً ومساعِفَاً ... فمـا ليْ وحقِّـكْ[٤] في البلادِ مسـاعِفُ

---

(١) في الأصل: «لطفاً» وهو خطأ مخلّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «تكن»، وهو خطأ مُخلٌّ بالوزن.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن.

(٤) لا بدَّ مِن تسكين الكاف في هذه الكلمة؛ ليستقيم الوزن.

إلهي قَطعْتُ العُمْرَ في الغيِّ والصِّبا فقلبي على العِصيانِ والذَّنْبِ عاكِفُ

إلهيْ وفي الخُسرانِ أخْنَتْ[1] تجارتي فمن أجْلِيْ[2] هذا الدَّمعُ في الخَدِّ ذارِفُ

إلهي فؤاديْ ذائِبٌ من صَبابتي فكنْ راحمي يا مَنْ لديهِ اللَّطائِفُ

إلهي أجِرْ قلبي من الصَّدِّ والجَفا فجِسْميْ من الهِجرانِ والبُعدِ تالِفُ

إلهيْ وقد صارَ الجوى في ضمائِرِيْ لغيرِ الذي أهو[ى] [و]ما القلبُ آلِفُ

إلهيْ قُلوبُ العالمينَ مَلَكْتَها تُقلِّبُها كالغُصْنِ والرِّيحُ عاصِفُ

فثبِّتْ فؤادِيْ يا إلهيْ على الهُدى فإنِّيَ مِنْ سُوءِ الحسابِ لَخائِفُ

فما حالتِيْ في يوْمِ عَرْضِي[3] صَحيفتِيْ إذا نُشِرَتْ يومَ الحسابِ الصَّحائِفُ

فما لي شَفيعٌ غيرُ عفوِكَ سيِّدِيْ وها أنا مُحتاجٌ ببابِكَ واقِفُ

تَعَطَّفْ على عبْدٍ ينادِيْ بذِلَّةٍ[4] وما عَطَفَتْ يوماً عليهِ[5] العَواطِفُ

وقال أيضاً سامحه الله تعالى: [من الكامل]

ماذا يضرُّكَ لو مَنَنْتَ على امرئٍ أضحى غَرِيباً في البلادِ ذَليلاً

---

(١) أخنى: هلك، يقال: أخنى عليه الدهر؛ أي: أهلكه.

ومنه قول الأعشى:

أضحت خلاءً وأضحى أهلُها احتملوا أخنَى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

(٢) كذا في الأصل، والمعنى: أنَّ هذا الدمعَ ذارفٌ من أجلي.

ويمكن أن تكون: (من أجلِ) دون ياء، فيصبح المعنى: أنَّ الدمعَ ذارفٌ من أجل هذا الذي حلَّ بي.

(٣) كذا في الأصل، ولو قال: «عرض» دون ياء، لكان أولى.

(٤) في الأصل: «بذلّه».

(٥) في الأصل: «عليه يوماً»، وهو خطأ مُخِلٌّ بالوزن.

بفُؤادِهِ نارٌ تَشِبُّ ولَوْعَةٌ ... ضلَّ السَّبيلَ وما أصابَ دَليلاً
متأسِّفاً متلهِّفاً متخضِّعاً ... متضرِّعاً متخشِّعاً ونَحِيلاً
يرجو الوِصالَ لعَلَّ يبرَأُ داؤُهُ ... ما جاءَ يَرجُو جَنَّةً ونخيلاً
يبكي الدُّموعَ بِحَسرةٍ وبِلَوعةٍ ... بدموعِهِ والرُّوحِ ليسَ بخيلاً
كم باتَ مكتئباً طريحاً هالِكاً ... كمْ في لَظى الأشواقِ ظَلَّ قَتِيلاً
فارحَمْ لصَبٍّ قد أُمِيتَ صَبابَةً ... مِنْ هَجْرِ مَن يَهواه ظَلَّ عَليلاً
فامنُنْ لَهُ بالوَصْلِ يَوْماً ساعةً ... فعَساهُ يَرْوِي بالوِصال غَليلاً
يرجُوكَ في كُلِّ الأمورِ فَمَنْ لَهُ ... إن لم تكُنْ لي ما أَصَبْتُ خَليلاً
فالذَّنْبُ ذَنْبِي والكريمُ مُسامِحٌ ... والعَفْوُ موجُودٌ لديْكَ جَليلاً[1]
يا مَالِكِيْ باللُّطفِ جِئْتُكَ سائِلاً ... كُنْ شافِعِيْ بالمصُطفى وكَفِيلاً

وقال أيضاً رضي الله عنه: [من الطويل]

لكَ الحمْدُ يا مولايَ سِرّاً ومُعْلَناً ... لكَ الفضْلُ والإحسانُ والجَوُّ والثَّنَا
لكَ الحمدُ والمجدُ الذي أنتَ أهلُهُ ... لكَ المُلْكُ والمَلْكُوتُ[2] والعِزُّ والسَّنَا
لكَ العفْوُ ثُمَّ الصَّفْحُ عنْ كُلِّ مُذْنبٍ ... لأنَّكَ يا مَولايَ ذُو الطَّوْلِ والغِنَى
فأسأَلُكَ اللَّهُمَّ عفواً[3] ورَأْفَةً ... ويُسْراً يُزيلُ الهَمَّ عنِّيَ والعَنَا
وصِدْقاً وإخْلاصاً ويا رَبِّ عِصْمةً ... مَعَ الخيرِ والإحسانِ والبِرِّ والهَنا

---

(١) «جليلا» حال من العفو، وليست خبراً ثانياً، فنصبها جائز.

(٢) الملكوت، بفتح اللام، ولا بدَّ هنا من تسكين اللام لضرورة الوزن.

(٣) في الأصل: «عفوٌ»، وهو خطأ.

ونُـوراً بإبْصـارِيْ وسَـمْعِيَ والحَشَـا ... لأُبعَـثَ فـي يـومِ القيامـةِ آمِنـاً

إلهـيْ وأسـألْكَ[١] العَفَـافَ مَـعَ التُّقَى ... مـعَ الخيـرِ منْـكَ مـع المسـرَّةِ والهَنَـا

إلهـيْ وأسـأَلْكَ[٢] الزِّيـادةَ فـي الرِّضـا ... لعلِّـيَ فـي الدَّاريْـنِ أنْ أبلُـغَ المُنـى

وترزقَنِـي عِلْمَـاً وحُبَّـاً ورَأْفَـةً ... وتقبِضَنـي عنـدَ المنيـةِ مؤمنـاً

وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه: [من البسيط]

أشـكُوْ إليكَ إلهيْ مـا بُليتُ بِـهِ فارحمْ ... عُبَيْـداً [غَـدا][٣] يَشـكُوْ الـذي وَجَـدا

وقَـدْ قَصَدْتُـكَ يـا مـولايَ مُرتجيـاً ... فامنُـنْ بعفـوِكَ واصْلِحْ[٤] للذي فَسَـدا

وقَـدْ مَـدَدْتُ يـديْ بالـذُّلِّ مُفتقِـراً ... إلـى غِنـاكَ ومنـكَ الجُـودُ قـد[٥] وَرَدا

إنِّي بُلِيتُ وتَعْلمْ[٦] مـا بُلِيـتُ بِـهِ ... يا مالِـكَ [الملكِ][٧] حاشَـا أنْ تَرُدَّ يَدَا

أنـتَ الكريـمُ وذو الفضـلِ العميـمِ فيا ... [يـا] ربِّ هيِّـئْ[٨] لنـا مِـن أمرِنَا رَشَـدا

وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه: [من الطَّويل]

إليـكَ أمـورِيْ سـيِّديْ قـد رَفَعْتُـهـا ... فجُدْ [لـي][٩] بتيسـيرٍ تُزيلُ بهِ عُسْـري

---

(١) الأصل في اللام الضمّ، وسُكِّنت لضرورة الوزن.

(٢) الأصل في اللام الرفعْ، وسُكِّنت لضرورة الوزن.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن، والمعنى.

(٤) تُوصل همزةُ القطع هنا لضرورة الوزن.

(٥) في الأصل: «وقد»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٦) هذا الفعل حقُّه الرفع، وسُكِّنَ لضرورة الوزن، ولو قال: (تدري)، بدل «تعلم» لانضبط الوزن.

(٧) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(٨) في الأصل: «ربّ هيِّئ هيِّئ»، ولعلَّ الصواب هو ما أُثبت، فكأنَّ الناسخ رأى كلمة (يا) مكرَّرةً، فكرَّر بدلاً منها كلمة (هيِّئ)

(٩) .زيادة يقتضيها الوزن.

وكنْ راحِمِيْ يومَ الحِسابِ ومُؤْنِسيْ إذا صِرْتُ في لَحْديْ وأُنزِلْتُ في قَبريْ
وعَامِلَنِـي[١] باللُّطْـفِ واغْفِـرْ خَطِيئَتِيْ ولا تُخْزِنـي يـا ربِّ في مَوْقِفِ الحَشْـرِ
وكُـنْ راضيـاً عنِّـي ولا تَـطْـرُدَنَّنِـي عن البـابِ إنَّ الطَّـرْدَ يُشْـعِرُ[٢] بالهَجْرِ
إذا لـم تكُـنْ لـيْ يـا إلهـيْ فمـا أَرَى سِـوَاكَ مُعينـيْ يـا مُدبِّـرُ للأمـرِ[٣]
فدبِّـرْ أمـوريْ بالتَّلطُّـفِ فـي القَضَـا فأنـتَ الـذي كُلُّ الأمـورِ بكـمْ تَجريْ

وقال أيضاً سامحه الله تعالى: [من الطويل]

رَجَعْـتُ إليـكَ الآنَ يـا خيـرَ سيِّدٍ[٤] رُجـوعَ أسـيرٍ مذنِـبٍ كانَ آبِقَـاً
أَتيتُـك فـي ذُلِّـيْ وفَقـريْ وفاقتِـيْ وعَجـزيْ وتقصيـريْ وقد كنتُ سـابِقَاً
أَخـافُ وأرجـو العفـوَ منـكَ لِزَلَّتـيْ وأَخشـاكَ فـي غَيبـيْ وأدعـوكَ صادِقَاً
فيـا خَيـرَ مسـؤولٍ ويـا خَيـرَ رَاحـمٍ أَتيـتُ فَقيـراً[٥] طَامِعـاً فيـكَ واثِقـاً
أَزِلْ مِن فـؤاديْ الغِـلَّ والبَغْيَ والهَوى فقـدْ صرتُ فـي بَحرٍ مـن الغِـيِّ غَارِقَاً
شُغِلْتُ بحبِّ اللَّهوِ عـنـكَ فـعـافـنـي عنِ الخوفِ والإحْسانِ والخَوفِ والتُّقى
سَـقَيتَ مُحِبِّيـكَ الشَّـرابَ مُرَوَّقـاً[٦] وصفـوُ شَـرابِيْ لسْـتُ ألقـاهُ رائِقـاً

---

(١) هذا الفعلُ مبني على السكون، وأبدلت السكون فتحةً لضرورة الوزن.

(٢) في الأصل: «لا يُشعر»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «للأمري»، وهو خطأ.

(٤) في الأصل: «سيدي»، وهو خطأ.

(٥) في الأصل: «فقيرٌ»، وهو خطأ.

(٦) روّقَ الشَّرابَ ترويقا: إذا صفّاه، والرَّاووق: المصفاة، قال عَدي بن زيد العبادي:

قدَّمَتْـهُ علـى عُقـارٍ كَعَـيْنِ الـدِّ ـدِيك صفَّى سُـلافَها الرَّاووقُ

=

فهبْ أنَّني قد كنتُ في سوء[١] حالة ... أليس بكَ الغفرانُ والصَّفْحُ لائِقاً

إذا لم تكُنْ في كيفِ حَالي وما أرى ... سِواكَ نصيريْ فاقبلِ اللهُ آبِقاً

فكَمْ لَكَ مِنْ فضلٍ عليَّ ونعمةٍ ... هديتَ وجودُكَ لي فما زالَ لاحقاً

وقال أيضاً رضي الله عنه تعالى: [من الكامل]

العلمُ نُورٌ للأنامِ هِدايةٌ ... فاخْلِصْ[٢] وبادِرْ كي تكونَ على الهُدى

واسهرْ بليلٍ كي تَفوزَ بنُورِهِ ... واطلُبْ بِهِ طُرُقَ النَّجا[٣] حقّاً غَدَاً

واعلَمْ بأنَّ العِلْمَ أعلى رتبةٍ ... والجهلَ عارٌ فيه تَشميتُ العِدا

والصِّدْقُ فيه مسَرَّةٌ وسَلامةٌ ... والكِذْبُ فيه المُهلِكاتُ معَ الرَّدى

والصَّبْرُ فيه النَّصْرُ والعزُّ بِهِ ... لا شَكَّ في هذا وإنْ طالَ المَدى

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من المجتثّ]

إن رُمْتَ عِلْماً فلازِمْ ... للدَّرْسِ واجهَدْ تُحَصِّلْ[٤]

واسهَرْ وطَالِعْ وبَاحِثْ ... فالبحثُ دَأْبُ المُحَصِّلْ

وقال أيضاً سامحه الله تعالى: [من الطَّويل]

أرى النَّاسَ في هذا الزَّمانِ تعلَّموا ... لعِلْمٍ بِلا عملٍ[٥] فما فيه فائدَةْ

= انظر: «لسان العرب» (مادة: رهق).

(١) في الأصل: «بسوء»، بدل «في سوء»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) يجب وصل همزة القطع هنا، وإلا صار هذا الشطر من البحر الطويل، بينما القصيدة من البحر الكامل.

(٣) في الأصل: «النجاة»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٤) في الأصل: «لا تحصل»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٥) يجب تسكينُ الميم من كلمة «عمل» ليستقيم الوزن.

أَلَا إنَّ تَـرْكَ العِلْـمِ خيـرٌ لمثلِهِـمْ   لأنَّ نواصِيْهِـمْ عـن الخيـرِ شـارِدَةْ
لهُـمْ عِلَلٌ في القلـبِ والمكـرُ عندَهمْ   وأنفسُـهم بالظَّـنِّ[١] والسُّـوءِ زائـدَةْ
أضلُّـوا وضَلُّـوا للعبـادِ بِفِعْلِهِـمْ   وفكرتُهُـمْ بالظَّـنِّ فـي النَّـاسِ فاسـدَةْ
أباحـوا لعِـرْضِ النَّـاسِ بالغِيبـةِ التـي   بتحريمِهـا قـد جـاءتِ الكُتْـبُ واردَةْ
فـلا تقتـدي[٢] بالدَّهْـرِ يومـاً بفعلِهِـمْ   فقد سـلكُوا طُرْقـاً عـن الخيـرِ باعـدَةْ
فـلا بُشِّـروا بالخيـرِ عَنَّـا فإنَّهُـمْ   شَـياطينُ إبليـسٍ أعانُـوا مصائِـدَهْ

وقال أيضاً رضي الله عنه: [من الرَّمل]

إنَّمـا النَّـاسُ بـلاءٌ ومِحَـنْ   وهمـومٌ وغُمـومٌ وفِتَـنْ
وعنـاءٌ وضنـاءٌ قُربُهُـمْ   وهـلاكٌ ليـسَ فيهِـمْ مؤتَمَـنْ
حسَّـنُوا ظاهرَهُـمْ كـي يخدَعُوا   ليـسَ فـي باطنِهِمْ شيءٌ حَسَـنْ
ليـسَ مـن خَالطَهـمْ فـي راحـةٍ   ضـاعَ منهُ الدِّينُ والمـالُ رَزُنْ[٣]

---

(١) في الأصل: «بالظلّ».

(٢) كذا في الأصل: «تقتدي» بإثبات الياء، والوجه حذفها، لكن ذلك يكسر الوزن، إلا إن أراد بها الإشباع، أو أجرى الفعل المعتل على الأصل، وجعل علامة جزمه السكون بدل حذف الياء، وهي لغة من لغات العرب، كقول قَيْس بنِ زهير العَبْسيّ:

أَلَـمْ يأتيـكَ والأنبـاءُ تَنْـمِي   بما لاقَـتْ لَبُـونُ بنِـي زِيـادِ

(٣) هكذا في الأصل، وقوله: «رزن»؛ أي: ثقُل وصار ذا وقار.
ولعلَّ المقصود: أنَّ هذا الشخص أضاع دينَه، بينما صار يقدِّس المال، ويكاد يعبده، وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى هذا المعنى في الحديث الذي رواه البزَّار في «البحر الزخَّار»، والطبراني في «المعجم الأوسط»، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ....»

فاحـــذَرَنْ عِشـــرتَهُمْ واتْـــرُكْ بها   واجتنِبْهُـــم ســـيَّما هـــذا الزَّمَـــنْ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من المتقارب]

تَجنَّـــبَ[١] أبنـــاءَ[٢] هـــذا الزَّمـــانِ   إذا رُمْـــتَ تَسْـــلَمُ مِـــنْ شَـــرِّهِمْ

فـــإنَّ الـــزَّمـــانَ بَقِـــيْ أهـــلُهُ   أعـــاذَ بنـــا اللهُ مِـــنْ مكرِهِـــمْ

وإن كان لا بُـــدَّ مِـــنْ عِشْـــرةٍ   فعاشِـــرْ تقيـــاً ومِـــنْ[٣] خيرِهِـــمْ

وقال أيضاً رضي الله عنه: [من الوافر]

يمازِحُني[٤] الـسَّـفيـهُ يـريـدُ مِنِّي   أكـونُ كـمِـثْـلِـهِ حـاشـا وكَـلَّا

فـلا تمـزَحْ بعقلِـكَ مـعْ سَـفيهٍ   وإن طلَـبَ المِـزاحَ احـذَرْ وقُـلْ لا

فـإنَّ المـزحَ مَذمُـومٌ فدَعْـهُ   تَنَـلْ عِـزّاً وإلا نِلْـتَ ذُلَّا

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من الوافر]

رأيـتُ الدَّهـرَ يُـزرِيْ بالأفَاضِـلْ   ويَرمِيهِـمْ مِـنَ الأعلـى لسَـافِلْ

ويَخْفِـضُ قَـدْرَ أربـابِ المعالـيْ   ويرفَـعُ فـي الأنـامِ لـكُلِّ جَاهِـلْ

بِـهِ الجُهَّـالُ فـي عِـزٍّ وجـاهٍ   فوَيْـحَ الدَّهـرِ يَرفَـعُ لـلأراذِلْ

كثيـرُ الغَـدرِ لا يُوفِـيْ بعهـدٍ   سـريعٌ عَكسُـهُ للمـرْءِ قاتِـلْ

---

(١) فعل أمر مجزوم، وأبدِلتِ السكون فتحةً لضرورة الوزن.

(٢) في الأصل: «أبنا»، دون همزة.

(٣) في الأصل: «من»، وزيادة الواو لضرورة الوزن.

(٤) في الأصل: «يمازجني»، والممازجة هي المخالطة والمعاشرة. لكنَّه هنا يتحدث عن المزاح، ويظهر ذلك جليّاً في البيتين اللذين بعد هذا البيت.

فبَيْنَا المرْءُ في عَيشٍ رَغيدٍ عَظيمِ الحَظِّ في أعلى المنازِلْ
إذا كأْسُ الحِمامِ عليهِ دارَتْ وأضحى مِنْ مكانِ العُلْوِ نازِلْ
فإنْ تَسمَعْ لِقولي[1] يا خليلِي فهذا الدَّهْرُ لا يَصفُوْ لعاقِلْ
فدَعْ ما فيهِ واخشَ مِنْ بَنيهِ كما تُخشى الثَّعابينُ القَواتِلْ
وعِشْ فَرْداً فإنَّ اللهَ فَرْدٌ تعالى أنْ يُشابِهَهُ مُماثِلْ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من مجزوء الرمل]

قُلْ لأهلِ المالِ نُصْحاً مَنْ بِدُنيا يفرحُونْ
ما إذا سحُّوا[2] بشيءٍ كَمْ بِشَيءٍ يَبْخلُونْ
إنَّهم يَرجونَ بِرّاً بعطا ما يَكْرَهُونْ
قُلْ لهمْ قَولاً بَلِيغاً محكماً حقُّ مكنونْ[3]
لن تنالُوا البِرَّ حتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونْ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من الطويل]

أرى النَّاسَ في لهوٍ عَظيمٍ وغفلةٍ وهمْ يعلموا[4] أنَّ المماتَ قَريبُ
وهُمْ معَ ذا يَتْفاخَرونَ[5] بزائلٍ ويَعصُونَ رَبَّ العرشِ وهْوَ رَقِيبُ

---

(١) في الأصل: «قولي»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.
(٢) في الأصل: «سمحوا»، ومعه ينكسر الوزن، والمثبت يحمل المعنى نفسه، ويستقيم به الوزن.
(٣) في الأصل: «حقّاً ومكنون»، والتصويب لضرورة الوزن، وهو جائز إن جُعل من النعت المنقطع.
(٤) كذا في الأصل، ولعلَّها «ولم يعلموا».
(٥) لا بدَّ من تسكين التّاء في «يتفاخرون» ليستقيم الوزن.

فكَمْ بينَ أيدِيهِمْ مِنَ الخوفِ في غَدٍ ... يكادُ له الطِّفلُ الرَّضيعُ يَشِيبُ
جِنانٌ وقَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ ومَوقِفٌ ... ونارٌ لها في المجرمينَ لَهِيبُ
فما حالُنا ذاكَ النَّهارَ فليتَنا ... إذا ما ارتكَبْنا للقَبيحِ نَتوبُ
عُبَيْدُكَ مِسكينٌ أتَاكَ مُؤمِّلاً ... وحاشا إلهِيْ مَنْ أتَاكَ يَخِيبُ
إذا أنتَ لم تَرْحَمْ ضَعيفاً فَمَنْ له ... سِوَاكَ رَحِيمٌ أو يُجيبُ مُجيبُ
وإنْ[1] لم تكُنْ للعبدِ في كُلِّ حالةٍ ... مُعيناً وإلا قَدْ عَلاه نَحِيبُ
فسَامِحْني يا ربَّاه[2] واغفِرْ خَطيئتي ... فإنِّي ذَليلٌ خَائِفٌ وغَرِيبُ

وقال أيضاً عفا عنه: [من الكامل]

إن كُنْتَ تَزعُمُ أنَّ عقلَكَ كامِلٌ[3] ... والحِلْمَ وَصفُكَ إن أتى لكَ سائِلُ
أو كنْتَ ذا خُلُقٍ رَضِيٍّ واسعٍ ... بينَ البَرِيَّةِ للأذيَّةِ حامِلُ
أو كنتَ تَحفظُ عهدَ مَنْ خالَلْتَهُ ... وتُريدُ أنَّ ثَناهُ نَحوكَ[4] واصِلُ
واصِلْ خليلَكَ ما التَّواصُلُ ممكنٌ ... فلأَنْتَ أو هُوَ عن قريبٍ رَاحِلُ
واطلُبْ رِضاهُ وكُنْ به متلطِّفاً ... واحمِلْ أذاه فكُلُّ شيءٍ زائِلُ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من الطَّويل]

لعَمرِي رأيتُ المرْءَ بعدَ زَوالِهِ ... حديثاً بِما قد كان يأتي ويَصْنَعُ

---

(١) في الأصل: «إذا»، ولا يستقيم معها الوزن.
(٢) في الأصل: «يا ربّ»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.
(٣) في الأصل: «كاملًا»، وهو خطأ؛ لأنَّه خبر «أنَّ».
(٤) في الأصل: «نحو»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

حَديـثُ[1] الفتـى لا بُـدَّ يُذكَـرُ بعدَه ... فـذِكـراهُ بالـحُسنى أجَـلُّ وأرفَـعُ

وقال أيضاً سامحه الله: [من الطويل]

عفـا اللهُ عمَّـنْ سـاءَنا بِلسـانِهِ ... فنحنُ بِما نَحْوِي مِنَ الفضلِ نَصفَحُ

فشِيمتُنا المعروفُ والحِلْمُ والرِّضا ... وكُلُّ إنـاءٍ بالـذي فيـهِ يَنضَـحُ

وقال أيضاً سامحه الله: [من البسيط]

صفـوُ المحبَّـةِ مَمْـزوجٌ بأكـدارِ ... والحُـبُّ حـالُ ذَويـهِ حـالُ ذِي النَّارِ

فـأيُّ حُـبٍّ صَفـا مـا شـابَهُ كَـدَرٌ ... ولـمْ يُعكَّـرْ بتبرِيـحٍ وأكْـدارِ

وأيُّ وَصـلٍ خَـلا لـي عـن مُقاطعـةٍ ... مـا كانَ ذاكَ بذِكْـري أو بتَـذْكاري

مـا رُمْـتُ حِبِّـيْ وخِلِّـيْ أن يُصافِيَنـي ... إلا طَـرَا كَـدَرٌ لا كانَ ذَا الطَّـارِي

الحِبُّ يَطلُبُ وصْلَ الحِـبِّ وهْوَ يَرى ... تَـرْكَ الوِصـالِ وهـذِيْ[2] سُـنَّةُ الباري

ضِـدَّانِ بينَهمـا ضـاعَ المحـبُّ كمـا ... ضـاعَ القتيـلُ بِـلا ذَنْـبٍ ولا ثـارِ[3]

مـاذا علـى الحِـبِّ لـو يُبْـدي مُواصلةً ... فالهجْـرُ عارٌ ومَا فـي الوَصْلِ مِـنْ عَارِ

كَـمْ ذا حبيبـي يُرينـي مِـنْ مجانَفَـةٍ[4] ... وليـسَ يَقبَـلُ شَـكْوايَ وأَعْـذارِيْ

كَـمْ ذَا يُعـذِّبُ قَلْبـي بالصُّـدودِ ولا ... يَرثـيْ لِحالـي ويُدْنِـيْ النَّـارَ في الـدَّارِ

---

(١) في الأصل: «فحيثُ»، وهو خطأ.

(٢) في الأصل: «أو هذي»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «ثاري»، وهو خطأ.

(٤) الجنَف: هو الميل والجور، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].

كَـمْ ذا أَبِيـتُ علـى جَمْرِ الغَضَـا ولَظى ... نـارِ الغَـرَامِ بأحشـائِيْ وأضْمـارِيْ
لا أسـتطيعُ أُراعِـيْ النَّجـمَ مِـنْ شَـفَقٍ ... أو لـو فَعَلْتُ لَفَـاضَ المدْمَـعُ الجارِيْ
علـى فِـراقِ حبيـبٍ كان يَأْلَفُنِـيْ ... وكانَ مِـنْ قُربِـهِ كالصَّاحِـبِ الجَـارِ
حتّـى أتانا صُـروفُ الـدَّهرِ فـرَّقَـنـا ... ما كنتُ أحسَـبُ ذا المقدورَ والجارِيْ
فمـا دنـا مُـذْ نـأى إلا نَـوَى ولَـوَى ... عنِّـيْ العِنَـانَ وخلَّـى القلـبَ فـي النَّار

وقال أيضاً رحمه الله: [من الطويل]

ألا هـل فتًى مِثلي كـئيـبٌ أُسـامِـرُهْ ... وهل مِنْ شَـجٍ في النَّاسِ مِثلِيْ أُعاشِرُهْ
وهـل مِـنْ محـبٍّ صـادقٍ فـي وِدادِهِ ... عليـه مِـنَ الوَجـدِ الشَّـديدِ أمايـرُهْ[1]
فأُخبِـرَه عـن حَالتـي لِيريحَنِـي ... ويخبِرَنـيْ عَمَّـا بِـهِ وأُذاكِـرُهْ
ونَذكُـرَ وَجْـداً بينَنـا كُلَّمـا مَضَـتْ ... أوائِلُـهُ عـادَتْ إلينـا أَواخِـرُهْ
فَمَـا راعَنِـيْ فـي الحـيِّ إلا ضِيـاؤُهُ ... ولا شَـاقَنِيْ للقتـلِ إلا مَناشِـرُهْ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من الطويل]

ألا هَـلْ فتًـى مِثلـي[2] محـبٌّ وصابِـرُ ... وصاحـبُ وَجـدٍ مـا لـه قَـطُّ آخِـرُ
وصاحـبُ حـزنٍ واشـتياقٍ وفُرقـةٍ ... وهـمٍّ وغَـمٍّ مـا لهـنَّ أواخِـرُ
وفـي[3] حُرقـةٍ لا تَنقضِـيْ وصَبابـةٍ ... ونـارٍ بهـا ذابَ الحشَـا والضَّمائِـرُ
وإنْ رُمْـتُ شَـرْحَ حالتـيْ وصَبابتـي ... فمـا حـالُ صَـبٍّ عـن محبِّـه سـائِرُ

---

(١) أي: أماراته.

(٢) في الأصل: «مثل»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «في»، وزيادة الواو لضرورة الوزن.

وما حـالُ مَن [قـد][١] فتَّتَ البُعـدُ قلبَه ... وأمسـى نحيـلاً مُدْنِفـاً وهْـوَ حائِـرُ
قضـى الدَّهـرُ بالتَّفريـقِ والبُعـدِ بينَنـا ... فلِلَّـهِ مِـنْ دهْـرٍ قضـى وهْـوَ جائِـرُ
ولله مِــنْ دَهْــرٍ رمانــيْ بفُرْقــةٍ ... فأمسـيتُ مَظلومـاً ومـا لِـيَ ناصِـرُ
يجرِّعُنــي كأسَ الفِـراقِ ومُـرَّهُ ... وكَـمْ شُـقَّ مِـن ذاكَ المَـرارِ مَرائِـرُ
فحالـيْ لَـهُ يُبكـيْ صديقِيْ وحاسِدِيْ ... ومَـنْ كان يلحانِـيْ غـدا وهْـو عـاذرُ
ولـو كانَ دهـرِيْ مُنصِفـاً لعشِـقْتُه[٢] ... ولكنَّــه دَهْــرٌ ظَلــومٌ وغــادِرُ[٣]
وأُبْعِـدْتُ عـن حـيٍّ الذيـنَ أحبُّهُـمْ ... فمِثلـيَ بيـنَ النَّـاسِ ليلـى وعامِـرُ
[فيـا][٤] دهرُ مـا لـيْ لا أراكَ مُصالِحِيْ ... ألسـت ترى [حالـي و][٥] ما أنت ناظر
فلِلّـه[٦] أشـكوْ لا إلـى الدَّهْـرِ حالتـيْ ... وإنِّـي وإنْ شَـطَّ المـزارُ لَصَابِـرُ

وقال سامحه الله: [من الطويل]

إذا غـابَ مَن أهـوى عن العيـنِ لَحظةً ... فهـا قلبـيَ العانـيْ تزيـدُ جُروحُـهُ
فيـا ليتَـه إذْ غـابَ عـادَ لمدنَـفٍ ... ومَـنَّ بِلُقيـاهُ لِيَبْـرَا جَريحُـهُ
فمِنْـهُ غَرامِـيْ زائـدٌ[٧] وصَبابتـي ... ومِـنْ هَجْـرِهِ بالدَّمْـعِ جَفني قَرِيحُـهُ

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن.
(٢) في الأصل: «لعِشتُه»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.
(٣) في الأصل: «وهو غادر»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.
(٤) زيادة يقتضيها الوزن.
(٥) زيادة يقتضيها الوزن.
(٦) في الأصل: «لله» دون فاء، وعليه ينكسر الوزن.
(٧) في الأصل: «زاد»، والتَّصويب لضرورة الوزن.

أظلُّ نَهاري مُستهاماً وتلتقِيْ ... معَ الليلِ رُوحِيْ في المنامِ [و]رُوحُهُ[1]

فيا ليتَ ذاكَ النَّومَ طالَ ودامَ لي ... لأَحظَى برُؤيا من نفاني ضريحُهُ[2]

إذا ما أَعَلَّ النَّاقدونَ ذَوو الهَوى ... غَراماً فوَجْدِيْ في الغَرامِ صحِيحُهُ

كَتَمْتُ الهوى عن كلِّ خالٍ وعاذلٍ ... فعنديْ مِنَ الأشواقِ مَا لا أُبيحُهُ

أقاسي غَراماً لسْتُ أقوى أطيقه[3] ... وأكتُمُ وَجْدي ثُمَّ دمعِيْ يُبيحُهُ

ولو أنَّني أفشَيْتُ سِرِّيْ وما حَوَى ... ضَمِيْرِيْ لأعياني وَجَلَّ صَريحُهُ

وإلا الْتقى في النَّاسِ مَنْ هُوَ مُنصِفِي ... وهَلْ يَشتكي العاني لمَنْ لا يُريحُهُ

فمَا حالتِي إلا كَصَبٍّ مُوَلَّعٍ ... عن الحيِّ ناءٍ قد تجنَّى مَلِيحُهُ

وباداه بالإعراضِ تِيْهاً لعُجْبِهِ ... وما رَقَّ لي يَوْماً ورَاقَ مدِيحُهُ

فما بالُ حِبِّي لا أَراه مُلائِمي ... على أنَّ حتَّى فيه بانَ وُضوحُهُ

أَوَدُّ بأنَّ النَّفسَ تَفْدِيه والحَشَا ... وإنْ رامَ أنِّي عبدُهُ فمُبيحُهُ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من الطَّويل]

عِظامِيْ من الهِجرانِ والبُعدِ ناحِلَةْ ... وأغصانُ صَبْرِيْ صارتِ الآنَ ذَابِلَةْ

ووَجْديْ وشَوقِيْ في الغَرامِ تَزايدا ... وأحوالُ أمرِيْ كلُّها الآنَ قائِلَةْ

وما ذاكَ إلَّا مِنْ جَفا مَنْ أُحِبُّهُ ... شريعةُ حِبِّي قال عندَه عاطِلَةْ

---

(١) زيادة الواو لضرورة الوزن.

(٢) في الأصل: «ظريحه» بالظاء، وهو خطأ. ورجلٌ ضَريح؛ أي: بعيد. والمقصد: أنَّ المحبوب بعيدٌ عنه، فهو يتمنَّى أن يطول نومُه؛ ليحظى برؤيته في المنام، إن لم يرَه حقيقةً.

(٣) في الأصل: «طيقه»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

وقدْ صحَّحوا وَجْدي وشَـرْعَ محبَّتِيْ وقَالـوا جَميعـاً إنَّهـا ليـس باطِلَـةْ
فيـا مُعرِضـاً عنِّي ويـا دائِـمَ الجَفـا ويـا مَـنْ رمـى قلبـيْ وأَدمَـى مقاتِلَـهْ
فمهــلاً رُوَيــداً ثُــمَّ لُطفـاً ورأفَـةً ورِفْقـاً بقلـبٍ ميِّـتٍ صِـرْتَ قاتِلَـهْ
ألا ليتَنِـيْ يومـاً أرى مَـنْ أُحِبُّـهُ ولـوْ أنَّ نفسـي فـي المقابِـرِ نازِلَـهْ
وتَنظُـرُ عينـيْ وجهَـهُ وجَمالَـهُ لترتـاحَ عَيْـنٌ بالمدامِـعِ سـائِلَةْ
وقـالَ عَـذُولي إنَّنِـيْ عنـكَ نائِبٌ فلا تَبتَئِسْ واصبِرْ سـأنظُرْ[١] شـمائِلَهْ
فقلـتُ وكَيـفَ الصَّبـرُ يـا نائبـاً غَوَى وفـي مذْهَبِـيْ أن النِّيابَـةَ باطِلَـةْ
ولكـنْ هَـداكَ اللهُ فاحمِـلْ رسـائِلِيْ إلـى أرضِ مَـنْ أهْواهُ وادخُـلْ منازِلَهْ
وكـنْ مُطرِقـاً لا ترفـعِ الطَّـرْفَ نحوَهُ ولا تَجْلِسَـنْ إلا بعيـداً مُقابِلَـهْ
وقـلْ مَعَنـا مِمَّـنْ هـواكَ رسـائِلٌ أيـا مالِـكَ العُشَّـاقِ فاقـرأْ رسـائِلَهْ
لعلَّـكَ أنْ تـرحَـمْ[٢] عليـك معذَّبَاً نَحيـلاً سَـقيماً هالـكاً لـنْ تُواصِلَـهْ
ضَعيفـاً نحيفـاً مُسـتَهاماً متيَّمـاً مُعَنَّـى كئيبـاً عَينُـهُ منـكَ جاهِلَـةْ
يقـولُ سَـلامٌ كلَّمـا هبَّـتِ الصَّبَـا عليكَ ومَا الأغصانُ فـي الرِّيحِ مائِلَةْ

وقال أيضاً سامحه الله: [من الطَّويل]

ألا [لا][٣] تلومونـي ورِقُّـوا لـحـالِـيَا وكُـفُّوا جميعـاً واسـمعُوا مَـا جَوابِيَا
جَـرَى لِيْ أمورٌ في الهَـوَى لا أُطيقُها فمِنْ بعضِ مَا قد صارَ قد صِرْتُ بَالِيا

---

(١) هذا الفعل حقُّه الرفع، وسُكِّن لضرورة الوزن.
(٢) هذا الفعل حقُّه النَّصب، وسُكِّن لضرورة الوزن.
(٣) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

وقدصُبَّفي قَلبِيْ لَظَى الشَّوقِ والجَوَى ... ولـو صُـبَّ فـي الأيـامِ عُـدْنَ ليالِيَـا

وعِنـديْ شُـهودٌ يَعرفـونَ صَبَابتـي ... عُـدُولٌ ثِقـاتٌ يُثبِتـون فعالِيَـا

نُحولِـيْ وأسـقامِيْ وفيـضُ مَدامِعِيْ ... وطُـولُ تباريحـيْ وتَغييـرُ حالِيـا

وهَمِّـيْ وغَمِّـيْ وانكسـارِيْ ولوعَتِيْ ... وطُـولُ سُـهادي خفيـةً مِـنْ مواليـا

وسُكرِيْ وصَحْوِيْ ثمَّ[1] طُولُ تهتُّكِيْ ... ورِقِّـيْ وتَمزيقِـيْ لِمَـنْ لا رثـى لِيَـا

[و]وَجْدي[2] وأشْجانِيْ وذُلِّي وحَسْرتِيْ ... وشَـوقِـيْ وأحْـزانِـيْ وتَـشتِيْـتُ بَالِيا

فهــذِيْ شُـهُودٌ ثُـمَّ عِنـدِيْ أَمائِـرٌ[3] ... بأنِّـيْ أنـا المظلـومُ فـي شَـرْحِ حالِيَـا

بِعـادِيْ وصَدِّيْ ثُمَّ طَـرْدِيْ عَنِ الحِمى ... وهَجْـرِيْ بـلا ذَنـبٍ جَنيْـتُ ولا لِيَـا

وحَجْبِـيْ ومَنْعِـيْ ثُـمَّ قُطْـعُ رَسـائِلِيْ ... وطُـوْلُ فِراقِـيْ كُلُّ هَـذا جَـرَى لِيَـا

[و]يـا[4] ليتَـه يَكْفـيْ ولكِـنْ أَصابَنِـيْ ... ثَـلاثٌ تُذِيْـبُ الرَّاسـياتِ العَوالِيَـا

صُـدودٌ وإعْـرَاضٌ وعُجْـبٌ مِـنَ الذي ... يَظُـنُّ بـأَنْ أَسْـلُوْ ومـا كُنْـتُ سَـالياً

فــإنْ كانَ قتْلِــيْ فــي شَــريعةِ حُبِّــهِ ... حَـلَالاً فَسْـهلٌ[5] أنَّ قتْلِـيْ حَـلا لِيَـا

وإنْ كانَ يَرضانِــيْ عُبَيْــداً بفضْلِــهِ ... أُقَبِّــلُ نَـعـلَيْــهِ فهــذا سُـؤالِيَا

وإن كانَ يَرضَــى أن أكُــونَ لأفْتَـدِيْ ... فرُوحِـيْ فِـدَاهُ ثُـمَّ عَمِّـيْ وخَالِيَـا

---

(١) في الأصل: «فم».

(٢) زيادة الواو لضرورة الوزن والمعنى.

(٣) أي: أمارات، جمع أمارة.

(٤) زيادة الواو لضرورة الوزن والمعنى.

(٥) في الأصل: «فسهلًا» وهو خطأ.

وإنْ كَان لا يَرضَى بَشِيءٍ مِـنَ الـذي ... ذَكَرْتُ فحَسْبِيْ أنْ يَرى[1] مَا جرى لِيَا

وقال أيضاً عفي عنه: [من الكامل]

هـلَّا أَتَيْـتَ مُسـائِلاً عَـنْ حَاليـا ... أو زُرْتَ صَبّـاً فيـكَ أصبَـحَ بالِيَـاً

ورَحِمْتَـه بتعطُّـفٍ وتلَطُّـفٍ ... مـا لـي رأيتُـكَ عـنْ مُحِبِّكَ نَائيـاً

كَـمْ ذَا تَمُـرُّ ولا أَرَاكَ مُجالِسِـيْ ... كَـمْ فـي هَـوَاكَ أُلَامُ مِـنْ عُذَّالِيَـا

إنِّـيْ أُحِبُّـكَ لا لفَاحِشَـةٍ ولـ ... ـكِنَّ الإلـهَ اختارَنِـيْ وبَلانِيَـا

كَـمْ ذا أُكابِـدُ فيـكَ مِـنْ أَلَـمِ الجَفَـا ... مَـا لـو عَلِمْـتَ بِـهِ رَثَيْـتَ لِحَالِيَـا

لا تَحْسَـبَنْ أنِّـيْ نَسـيتُكَ لَمحَـةً ... لا والـذي بالحُـبِّ فِيـكَ رَمانِيَـا

مـا كنـتُ [ذاكَ][2] بِمَنْ يدنِّـسُ عِرْضَهُ ... أو مَـنْ يحـبُّ فتًـى يـرى الفَحْشـا ليـا

لـو كُنْـتُ أعلَـمُ أنَّ عِنـدَكَ رِيبَـةً ... مـا كُنْـتُ فـي حُبِّـكَ صَبّـاً فانيـاً

كـمْ ذا أرى فـي النَّـاسِ بَـدْراً مُقْبِـلاً ... يأتـي المحـبَّ مُوافيـاً ومُؤاتِيَـاً

لكنَّهـمْ لَـمْ يُشْـبِهُوكَ وفُقْتَهُـمْ ... لُطْفَـاً وظَرْفـاً كاملَيـنَ غَوالِيَـاً

فلـذا وحَقِّـكَ مـذ نظرتُـكَ أصبَحَـتْ ... منِّـي العِظـامُ نَواحِـلاً وبَوالِيَـاً

ثـمَّ انجَبَلْـتُ علـى محبَّتِـكَ التـي ... أضْنَـتْ لِحالِـيْ ثُـمَّ شُـتِّتَ بالِيـا

فكأنَّنِـيْ لـم أُلْـفِ مثلَـكَ فـي الـوَرَى ... وكأنَّ مِثلَـكَ دائمـاً لـي ساليا[3]

وكأنَّنِـيْ إلَّا لِحُبِّـكَ لـم أكُـنْ ... وكأنَّ حُبَّـكَ لـمْ يكُـنْ إلَّا لِيَـا

---

(١) في الأصل: «ير»، دون ألف، وهو خطأ.

(٢) زيادة يقتضيها الوزن.

(٣) كذا في الأصل، والوجه فيه أن يكون: (سالٍ)؛ لأنَّه خبر (كأنّ)، لكن نصبه لضرورة الشعر، أو على لغة من ينصب الجزأين.

وقال أيضاً سامحه الله: [من الطَّويل]

زَعَمْتُم وفاءَ العهدِ منكُم زَعَمْتُمُ ... وواعدتُمُونيْ بالوِصالِ وخُنْتُمُ
وأيقظتُمونيْ بَعدَمَا كُنْتُ نائماً ... فلمَّا تركْتُ النَّومَ عَنِّيَ سِرْتُمُ
وأغريتُمُوني بالمسيرِ لحَيِّكُمْ ... فلمَّا وصلْتُ الحَيَّ عَنِّيْ حُجِبْتُمُ
وأعطيتُمُونيْ الأمنَ منكُمْ خَديعةً ... فسلَّمْتُكُمْ رُوحيْ وأنتُمْ غَدَرْتُمُ
تَملَّكْتُمونيْ عَنوةً مُذْ عَرَفْتُكُمْ ... وعذَّبْتُمُ قلبيْ فهَلَّا رَفَقْتُمُ
وحَكَّمْتُكُمْ بالعدلِ في الحبِّ والهَوَى ... فلمَّا تحمَّلتُمْ ظَلَمْتُمْ وجُرْتُمُ
وأَعْطيتُكُمْ رُوحيْ لأجلِ إراحتيْ[1] ... فأوقفْتُمُونيْ في لظًى وفَرَرْتُمُ
فحَالِيَ فيكُمْ مثلُ مَنْ يأتي في الدُّجى ... يَنوحُ ولا يَلقَى خَليلاً فيَرْحَمُ
فما هذهِ الأفعالُ مِنْكُمْ حَميدةٌ ... فيا ليتكم لَمَّا وَعَدْتُمْ وَفَيْتُمُ
وصلتُمْ لغَيْرِيْ راغبينَ بسرعةٍ ... ولَمَّا طلبْتُ الوَصْلَ منكُمْ قَطَعْتُمُ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من البسيط]

أنتُمْ مُنَايَ [و]وَجْدِيْ[2] دائماً بِكُمُ ... وناظِرِيْ وفؤاديْ سادَتِيْ لَكُمُ
أنتُمْ مُرادِيْ وما لِيْ عنكُمُ بَدَلٌ ... لا[3] أرتضي سادتيْ في النَّاسِ غيرَكُمُ
أنتُمْ سُروريْ وقد مَلَّكْتُكُمْ كَبِديْ ... ما بِعْتُكُمْ مُهجتِيْ إلا بَوَصْلِكُمُ
أنتُمْ حياتِيْ وقَصْدِيْ لا أُفارِقُكُمْ ... ما شِئْتُمُ فافعَلوا فيمَنْ يُحِبُّكُمُ

---

(١) في الأصل: «راحتي»، والتَّصويب لضرورة الوزن.

(٢) زيادة الواو لضرورة الوزن.

(٣) في الأصل: «ولا»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

الأمـرُ أمرُكُـمُ سَـمْعاً لِقَولِكُـمُ ... يـا سـادةً هَجَـرُوا رِفقـاً بعبدِكُـمُ
إن كان قَصدُكُـمُ رُوحي فقدْ سَـمَحَتْ ... نفسِـيْ بـذاكَ لأنَّ الـرُّوحَ مِلكُكُـمُ
إن كان يُرضِيكُـمُ قتلـيْ بـلا سـببٍ ... يـا سـادتي فاجعلُـوا قبْـرِي بحيِّكُـمُ
إن كان هجرُكُـمُ لـي فيـهِ بُـغيـتُكُـمْ ... قد جئـتُ مُستشـفِعاً مِنْ هجرِكُـمْ بِكُمُ
إن كان وَصلُكُـمُ يُرضيكُـمُ قَسَـمَاً ... فـذَاكَ عنـديْ عظيـمٌ جَـلَّ ذا القَسَـمُ
وحَـقِّ وَصلِكُـمُ إنِّـيْ بِكُـمْ دَنِـفٌ ... بـلْ ميِّـتٌ وحياتِـيْ إن وَصَلْتُكُـمُ
أليـس هجركُـمُ قـد زادنـي سَـقَمَاً ... فـاللهُ يُنصِفُنـي منكُـمْ بوصلِكُـمُ

وقال أيضاً سامحه الله: [من الكامل]

أمسـيتُ بَعدَكُـمُ تفيـضُ دُمُوعِـيْ ... مِـنْ بَعـدِ بُعدِكُـمُ تركْـتُ هُجُوعِـيْ
لَمَّـا عرفتُكُـمُ وزِدتُ محبَّـةً ... وسـكنتُمُ بجوانِحِـيْ وضُلُوعِـيْ
وتألَّفَـتْ منَّـا القُلـوبُ علـى الهَـوَى ... وحَـلَـلْتُـمُ بـمنـازلـي ورُبُوعِـيْ
وأبحتُكُـمْ رِقِّـي وقتلـيَ عامِـدَاً ... ووهبتُكُـمْ رُوحِـيْ بغيـرِ رجـوعِ
جازَيْتُمونـي بالوِصـالِ قطيعـةً ... شـتَّانَ بيـنَ صنيعِكُـمْ وصَنيعـي
وبَعُدْتُـمُ عنِّـيْ بـغيـرِ جِـنايـةٍ ... مِـنْ بعـد قُربِكُـمُ فـزادَ وُلُوعِـيْ
يـا مُعرِضَـاً عنِّـي ومُضمِـرَ قِتلتِـيْ ... كَـمْ بِـتُّ منـكَ بليلـةِ المَلْسـوعِ
لـوْ أنَّ لـيْ قَلبـاً يكـونُ مُطاوِعـاً ... لتركـتُ لكـنْ مـا[١] الفُـؤادُ مُطيعِـيْ
لـو كنـتُ ألقـى مالِـكاً أو شـافِعَاً ... لسـألتُ حُسـنَكَ مالِكِـي وشَـفِيعِي

---

(١) بعدها في الأصل: (في)، وهو خطأ مخلٌّ بالمعنى والوزن.

لـو كنـتَ تعلـمُ حالتـيْ لعذرتَنِـيْ زادَ الـغـرامُ بـقـلـبــيَ الموجُـوعِ

يـا مالكِـيْ إنِّـي أتيتُـكَ خاضـعـاً فـاجبُرْ لكسـرِ فـؤاديَ المَصْـدوعِ

وقال أيضاً سامحه الله: [من الكامل]

يـا سـادةً هَجَـرُوا [وأ]دمُـعُ[١] مقلتـيْ تَجـريْ علـى الخدَّيـنِ وهْيَ سـواكِبُ

ورمَـوَا فـؤاديْ بالبِعـادِ قطيعـةً والعقـلُ ثُـمَّ القلـبُ مَيْـتٌ ذَاهِـبُ

لـو أنَّكُـمْ أنصفتُـمُ لمحبِّكُـمْ لرحمتُـمُ مَـنْ فـي المحبـةِ ذَائِـبُ

ووقفـتُمُ عنـدَ الـوداعِ سُويعـةً كـي تنظُـرُوا حالِـيْ ومـا أنـا صائِـبُ

يـا راحليـنَ ونَازليـنَ بمُهجتـي ولهـمْ بقلبِـيْ مَشـرِقٌ ومغـارِبُ

رِقُّـوا لـصَـبٍّ مغـرَمٍ لا يَـنـثـنِـيْ عنكُـمْ ولو في الحشْرِ وهْوَ يُحاسَـبُ

وحياتِكُـمْ مـا مِلْـتُ عـن حُبِّـيْ لكُـمْ بـلْ حُبُّكُـمْ فـرضٌ علـيَّ وواجِـبُ

لا تحسـبُوا أنَّ البِعـادَ مغيِّـرِيْ حاشـا وكلَّا إنَّ وَجْـديَ غالِـبُ

أرواحُنـا مـن قبـلِ ذاكَ تعارَفَـتْ وتآلَفَـتْ فـي الحـبِّ وهْـيَ غَياهِـبُ

لَمَّـا رأتْـكَ نواظِـري فتذكَّـرَتْ تلـكَ المعاهـدَ والعهـودُ عجائِـبُ

وقال أيضاً سامحه الله: [من الطَّويل]

سَـقانيْ فَأَسْـكَرْنِي[٢] الفِـراقُ كأنَّمـا شَـرِبْتُ بـكأسٍ فيـه خَمْـرٌ تعتَّقَـا

فـلا كانَ يـومٌ سـارَ فيـه أحبَّتـيْ ولا كانَ ذاكَ اليـومُ بالنُّـور مُشـرِقَاً

---

(١) الواو والهمزة زيادة لضرورة الوزن، ولعلَّ الخطأ دخل على النَّاسخ من (واو الجماعة وألف التفريق في كلمة (هجروا) التي قبلها.

(٢) حقُّ الرَّاء هنا الفتحة؛ لأنَّ الفعل مبني على الفتح، لكنَّ الوزن يقتضي تسكينها.

لقد ذُبْتُ في ذاكَ النَّهارِ مِنَ البُكا ... وصارَ مِنَ الأشواقِ قلبِيْ مُحرَّقاً

ولَمَّا تودَّعْنا تيَقَّنتُ أنَّنيْ ... أموتُ ولولا الصَّبرُ كانَ محقَّقاً

رَجَعْتُ مِنَ التَّوديعِ في سوءِ حالةٍ ... وفي أبحُرِ الأحزانِ قد صِرْتُ مُغرَقاً

فمَنْ ذا يخلِّصْني[1] مِنَ البُعدِ والجَفا ... فقدْ كنتُ منفكَّاً فأصبحْتُ مُوثَقاً

فلا طيَّبَ اللهُ الفِراقَ بطيِّبٍ ... وعارَضَهُ بالقُربِ والوَصْلِ واللِّقا

وقال سامحه الله: [من البسيط]

ليتَ الغرامَ إذا ما قَدْ وَلِيْ رَفَقا ... وليتَ هذا الهَوَى للنَّاسِ ما خُلِقَا

كمْ مِنْ قلوبٍ به أضنَى وأسقَمَها ... فانظُرْ تَرَى مَنْ ترى[2] نَاجَاهُ قدْ صُعِقَا

لَمَّا تجلَّى على طُورِ المحبِّ غَدَا ... حتَّى تَراه مِنَ الأشواقِ مُحترِقاً

ذابَ المحِبُّ فلا جسْم[3] ولا جَلَدٌ ... ولا اصطِبارٌ ولا عقلٌ[4] بلِ انسحقَا

إن الغَرامَ على الأحبابِ ذو شَغَفٍ ... كمْ مِنْ محبٍّ يكُفُّ الدَّمْعَ فاستبَقَا

كمْ مِنْ قتيلٍ بلا ذَنْبٍ ولا سَبَبٍ ... كمْ من عَليلٍ بَراه الشَّوقُ فامتَحَقَا

ليسَ السِّهامُ سِهاماً في العِدا رُشِقَتْ ... إنَّ السِّهامَ غرامٌ في الحَشَا رُشِقَا

للهِ دَرُّ غَزالٍ حاكمٍ مَلِكٍ ... لا يَختَشي حاكماً إنْ للحَشَا سَرَقَا

يرمِيْ بلحظيه لا يُخطِيْ وتَألَفُهُ ... فانظُرْ تَرَ[5] عَجَباً هذا وما رَفَقا

---

(١) حقُّ الصَّاد هنا الضمّة؛ لأنَّ الفعل مرفوع، لكنَّ الوزن يقتضي تسكينها.

(٢) في الأصل: «تراه»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٣) في الأصل: «جسَد»، والتصَّويب لضرورة الوزن.

(٤) في الأصل: «عقلًا»، ويستقيم معه الوزن، لكنَّ فيه خطأً نحوياً.

(٥) يجب إشباع الفتحة هنا ليستقيم الوزن.

مـا شـاءَ فـي مهجتي يرمـي فـلا حَرَجٌ ... مَـنْ ذا يُعانِـدُ سُـلطاناً سـما ورَقَـى

وقال عفا الله عنه: [من البسيط]

زادَ الـغَـرامُ بـصَـبٍّ قَـطُّ مـا وَلِـعـا ... إلـى الوصـال ودَمْـعُ العيـنِ قـد هَمَعا

والـبُـعْـدُ زادَ ولا زادٌ وراحـلـةٌ[١] ... كيـفَ الوِصالُ ومـا ضِـدَّانِ يجتمعا[٢]

إنِّـي بُليتُ بأحبـابٍ فـمَـا رَفَـقُـوا ... هُـمْ خَلَّفُوني ومـا رقُّوا[٣] لِمَـنْ خضَعَا

وقـدْ أبَاحُـوا الهجـرِيْ مُـذْ بُلِيتُ بِهِـمْ ... يا ليـتَ شِـعْرِيَ مَـنْ أفتى ومَنْ شَـرَعا

هُـمْ عذَّبُونيْ ولامُـونيْ بِـلا سَبَـبٍ ... كيف اصطباري وحادي[٤] الهجْرِ قد شَرَعا[٥]

وقـد وقفْتُ لهـمْ أرجـو الوِصـالَ بِهِمْ ... لَمَّـا أشـارُوا لِنحْـوِيْ جِئتُهُـمْ طَمَعـاً

في الوَصْلِ فاحتَجَبُوا عنِّي ولَمْ يَصِلُوا ... فـقـطَّـعُـوا بَـجَـفـاهُـمْ مُهَجتيْ قِطَعاً

اللهُ يُنصِفُنيْ مِنهُـمْ لأنَّـهُـمُ ... صـادُوا الفـؤادَ بألفـاظٍ فَمَـا رَجَعـا

وأطلقُـوهُ ومَـا[٦] طـابَ الرُّجـوعُ لـه ... وكيـفَ يَرجِعُ مَنْ فـي حيِّهِـمْ[٧] هَجَعَا

اللهُ يَخلُـقُ لـي قلبـاً أَعيـشُ بِـهِ ... ولا يَـراه حبيبـيْ كيـفَ مَـا صَنَعـا

---

(١) في الأصل: «ولا راحلة»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) حقُّ هذا الفعل أن يكون مرفوعاً، والرفع يقتضي ثبوت النُّون.

(٣) في الأصل: «رفقوا»، والتَّصويب لضرورة الوزن.

(٤) في الأصل: «حاد»، والتَّصويب لضرورة الوزن والمعنى.

(٥) في الأصل لم يظهر إلا (ش)، والمعنى يستجيز أن يكون المحذوف (شرعا)؛ أي: حادي الهجر قد شرع في هجره.

(٦) في الأصل: «لما»، ولا يستقيم معها المعنى.

(٧) في الأصل: «لحيِّهم» بدل «في حيِّهم»، والتصويب لضرورة المعنى.

وقال سامحه الله: [من الكامل]

هــلَّا يَــرومُ العاذلــونَ رَواحــاً ... عَمَّــنْ قضانــا فــي الفِــراقِ وراحــا
هــلَّا رَثَــوَا يومــاً وكفُّــوا عذلَهُــمْ ... عَمَّــنْ تجاهَــرَ بالغــرام وبَاحــا
هــلَّا استراحوا مِــنْ صَنيــعِ فعالِهِــمْ ... فــي حــقِّ مَــنْ يَبكــي وهــامَ ونَاحــا
هــلَّا أراحــوا مُغرَمــاً مــن عذلِهِــمْ ... صلَّــوا وقلبــيْ قــد غــدا مُرتاحــاً
لــو أنصفُــوا فــي العَــذْلِ قالُــوا كُلُّهُــمْ ... كُفُّــوا المــلامَ وسامِحوا مَنْ ســاحا
ظنُّــوا بــأنْ أنســى ورامُــوا سَــلْوتي ... إنْ رُمْــتُ هــذا لا لَقِيْــتُ نَجاحــاً
زَعَمُــوا بــأنَّ القلــبَ يسْــلُو قاتِلــيْ ... إنْ رُمْــتُ سَــلْويْ إذْ لقِيْــتُ فَلاحــاً
عجبــاً لهُــمْ كيــف السُــلُوُّ وهاجِــرِيْ ... فــي ناظِــرِيْ بَــدْرٌ أضــاءَ صَبَاحــاً
قــد أشْــرَقَتْ مــن وجنتيــهِ أَهِلَّــةٌ ... جَهْــراً فصيَّــرَتِ المســاءَ صَبَاحــاً
مُــذْ غابَ عــن عينِيْ وأعــرَضَ عامِدَاً ... أبدَيْــتُ مِــنْ شــوقيْ إليــه نُواحــاً
يــا عاذليــنَ دَعُــوا المــلامَ أو اعذِلُــوا ... فالعقــلُ ثُــمَّ القلــبُ هــامَ وراحــا

وقال أيضاً سامحه الله: [من الكامل]

رام العــواذلُ صَــرْفَ أســودِ ناظِــرِيْ ... عَمَّــنْ أحَــبَّ وليــس ذَاكَ يَهُــونُ
عــارٌ علــيَّ فإنَّنــي عاهدْتُــهُ ... أنْ لا أُحِــبَّ سِــواهُ كيــفَ أَخُــونُ
إنْ كنــتُ أبقــى عَــنْ هــواه مسـلِّياً ... لا ذُقْــتُ وَصْــلاً كيــفَ ذاكَ يَكُــونُ
وبحبِّــهِ وغرامِــهِ ووِدادِهِ ... قلبــي تَتيَّــمَ والغــرامُ فُنــونُ
واهــاً علــى جَلَــدِيْ وقلَّــةِ حيلتيْ ... مــا للفتــى غيــرُ[1] البُــكا وحَنيــنُ

---

(١) في الأصل: «عنه»، وهو خطأ.

أهـواه طفـلاً قبـل نَـمِّ عِـذارِه[١] وبسـالفٍ[٢] يُزْهيـهِ وهْـوَ جَنِيـنُ

بـلْ قبـلُ كانَ كأنَّ رُوحِـيْ رُوحُـهُ عرفَتْـهُ قـدْ مَـا سِـرُّ ذاكَ مَصُـونُ

إنِّـي أَصُـونُ عـنِ الوُشـاةِ غَرامَـه مـع أنَّ مـا قالُـوه ليـسَ يَشِـيُنُ

مِـنْ شـأنِهِ مـا شـأنُهُ هـذا اسـمُهُ يُتلَـى لنـا مُـذْ أُنْزِلَـتْ ياسِـينُ

فالشِّـينُ فـي لامِ العِـذارِ ونُونِـهِ والعارِضَيْـنِ ولَحظِـه المَسـنُونُ[٣]

لـو يَعلَـمُ الوَاشِـيْ بـأنَّ غَرامَـهُ هُـوَ عنـدِيَ المفـرُوضُ والمَسـنُونُ[٤]

مـا لامَ مِـن أمسـى وأصبـحَ مُغرَمـاً وبحبِّـه وجَمالِـهِ مَفتُـونُ

يـا عاذِلِـيْ دَعْنِـيْ وكُـفَّ مَلامـةً فالعقـلُ واهٍ والفـؤادُ رَهِيـنُ

لـو ذُقْـتَ ما قَـدْ ذُقْتُ كنْـتَ عذرتَنِيْ وعلِمْـتَ أنَّـكَ للضَّـلالِ قَرِيـنُ

لا عَـذْلَ ينفعُنـي وليـسَ يَصدُّنِـيْ عمَّـنْ كَلِفْـتُ ولـو يَزيـدُ شُـجُونُ

يـا عـاذلاً قـد رامَ أسـلُو مُهجتـي وحشاشَـتِيْ هـلْ مِثـلُ ذاكَ يَكـونُ

إن أنـتَ رُمْـتَ لِـذاكَ مالَكَ مِـنْ نُهًى أو أنَّـه حقـاً عَـرَاكَ جُنـونُ

---

(١) يُقال: (نَمنَمَت الرِّيحُ التُّراب)؛ أي: خَطَّته وتركت عليه أثرًا شِبه الكتابة. ونمَّ عِذار الفتى؛ أي: بدأ الشَّعرُ يَنبتُ في خديه.

(٢) في الأصل: «سالف»، والتصويب لضرورة الوزن، والسالفة: هي خصلة الشَّعر المرسَلة على الخدّ، وتُجمع على سوالف.

(٣) «المسنون»، الأصل فيها أن تكون مجرورة لأنها نعت لـ(لحظِه)، فيكون في هذا البيت إقواء؛ إذ القصيدة مرفوعة، لكنَّه جعلَ الكلمة من (النعت المقطوع).

(٤) (مسنون) في البيت السابق، تعني (مشحوذ)، مِن سننتُ السيفَ والسِّكين، أمَّا في هذا البيت فهي من السنَّة التي هي قسيمة الفرض.

فاقلِلْ[1] عِتابَكَ واترُكَنِّيْ واسترِح ... واقصِرْ لِعَذْلِكَ أَيُّها المغبُونُ
إنِّي رضيتُ بحالتِيْ وصَبابتِي ... واهاً على صبرٍ وليسَ مُعينُ[2]
واهاً لخالِ القلبِ[3] ظلَّ يَلومُني ... والدَّمعُ يَجري في الخدودِ مَعِينُ
إنِّي لأَكتُمُ حبَّه عن لائمي ... وأصونُه في القلبِ وهْوَ كَمِينُ
ولربَّما غلَبَ الغرامُ مع الهوى ... فأبحتُ سراً في الحشا مكنونُ

وقال أيضاً رحمه الله: [من الطويل]

لقد لامنيْ العُذَّالُ فيمن أحبُّه ... وقالوا مقالاً وهو لا شكَّ كاذِبُ
ألا إنَّ مَن تَهواه لا حسنَ زائدٌ ... لديه وهُمْ عنديْ جميعاً كواذِبُ
فقلتُ لهم كُفُّوا الملامَ فإنَّ منْ ... كَلِفْتُ بِهِ منه تغارُ الكواكبُ
وفي مذهبيْ أنْ ليسَ في الحُسنِ مثلُهُ ... وإنِّي لهُ في مذهَبِ الحبِّ ذَاهبُ
فتَقليدُه حسبيْ وعِشْقِيهِ مذهبِيْ ... وللنَّاسِ فيما يعشقونَ مَذاهبُ

وقال عفا الله عنه: [من الطويل]

ألا إنَّ نفسِيْ أصلُ داها طبيبُها ... ودونَ مُناها خالَ قسراً رقيبُها
فمِنْ سُوءِ حظِّيْ حُبُّ مَنْ لا يُحِبُّنيْ ... وشوقيْ لمَنْ بالهجْرِ كَبْدِيْ يُذيْبُها
فيا عجبيْ مِنْ ميلِ نفسيْ لحُبِّ مَنْ ... يَرَى أنَّ هَجْري والصُّدودَ نصيبُها

---

(١) همزة القطع تُوصل هنا لضرورة الوزن.

(٢) أي ليس هناك من يخفف عنِّي تلك الهموم والأحزان.

(٣) في الأصل: «ولخال القلب»، والتصويب لضرورة الوزن والمعنى.

أعاتبُها في حبِّه ثم تَنثني وكم لُمتُها[١] لكن مُناها طَبيبُها
وقد جادَلَتْنيْ بالتموُّهِ وارتَضَتْ بهِ حُجَّةً والعينُ منها صَبيبُها
وقالتْ وقد مالتْ مع الغيِّ والصِّبا هَوى كُلِّ نفسٍ أينَ حلَّ[٢] حبيبُها

وقال رضي الله عنه: [من الوافر]

ألا إنِّي لِمَنْ أهوى أُحِبُّ وأَنحُو نَحوَه أبداً وأَصبُو
وأَرضى أن أكونَ له عُبَيداً ذَليلاً خادماً فهواه طِبُّ
وقد أبدَى العَواذِلُ ليْ سَلاماً قَطِيعاً مُرْجِفاً وعليَّ صَعْبُ
وقالُوا ليس مَن تَهوى مَليحاً وزادُوا في الكَلامِ وذاكَ كِذْبُ
فقلْ [لهمُ][٣] جهلتُمْ أم ذَهِلْتُمْ أمَا قالُوا مَليحُكَ مَنْ تُحِبُّ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أَبَرُّ إذا أقسَمْتُ يومَاً بأنَّنِيْ أَهيمُ بِمَنْ أهوى على سائرِ الملا
بروحِيَ أفديهِ وسمعِيْ وناظِرِيْ فتعذيبُ قلبِيْ في محبَّتِهِ حلا
رضِيتُ بذُلِّيْ في هَواهُ ولَوْعَتِيْ فمَا فِيَّ عَظْمٌ مِنْ محبَّتِهِ خَلَا
أرى العاذِلَ الخالِيْ يرُومُ لسَلْوَتِيْ وكيفَ وقلبيْ في المحبةِ ما سَلَا
هَوَى النَّاسِ في هندٍ وسلمى وزينبٍ وقلبيْ هوى ظَبْياً يميلُ إلى الفَلَا
يَميلُ كغصنِ البَانِ لكنَّ خَصْرَهُ رقيقٌ فهَلْ غصْنٌ حكَاهُ إذا انجَلى

---

(١) في الأصل: «تمتها» وهو خطأ.

(٢) في الأصل: «أيرحل»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن.

مَليكُ جمالٍ[١] صار بالحُسنِ مالِكِيْ فكُنْ شافِعِيْ يا مَنْ عليَّ له الوَلا

وقال سامحه الله: [من الوافر]

فؤاديْ قد تعذَّبَ مُذْ هَواكَا[٢] ونارِيْ زادَها لهباً هَواكا

ودمعِيْ مُرسَلٌ مِنْ فوقِ خَدِّيْ وقلبِيْ لا يَميلُ إلى سِواكَا

فكَمْ أرسلْتَ لي بالخَطِّ سَهْماً وما أرسلتَ لي يوماً سِواكا[٣]

لعلِّي أنْ أُمِرَّ عليه فُمِّي[٤] فيحلوْ[٥] إذْ[٦] مررتَ عليه فاكا

فلِيْ مِنْ فِيكَ شَهْدٌ مُستطابٌ ورِيقُكَ للزُّلالِ العَذْبِ حَاكا

فأثوابُ الجمالِ عليكَ دَارَتْ بلا نَسْجٍ تَبارَكَ مَنْ كَساكا

فليتَكَ أنْ تجودَ بِيَومِ وَصلٍ وليتِي[٧] أنْ أكونَ رِداً كَساكا

---

(١) في الأصل: «بالجمال»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) الصواب أن يقال: (هوِيك)، مِن هوِيَ يهوَى؛ أي: أحبّ، أمَّا هوَى يهوي، فتعني السقوط.

(٣) «سواك» هنا تعني: عودَ أراك.

(٤) في الأصل: «على فَمِي» وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

و(الفَمُ) بفتح الفاء، والميم المخفَّفة، ولكنْ أورد المرتضى الزبيدي في «تاج العروس» نقلاً عن «التَّهذيب»: (قال الفَرَّاءُ: قَبَّلْتُها فِي فُمِّهَا) بالضم والتشديد.

وعليه يستقيم وزن البيت، بعد تعديل كلمة (على)، إلى (عليه).

ومعنى البيت: أنَّه سيجعلُ هذا السِّواك في فمه ليجدَ فيه حلاوةَ فم المحبوب، وهذا المعنى مأخوذ من قول بشار بن برد:

يا أطيبَ النَّاسِ رِيقاً غيرَ مختبرٍ إلا شهادةَ أطرافِ المساويكِ

(٥) في الأصل: «فيجلو».

(٦) في الأصل: «إذا»، والتصويب لضرورة الوزن.

(٧) في الأصل: «وليتني»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

وخَدِّيْ ليتَه أرضٌ تَطاها ... إذا ما سِرْتَ كَيلا أن تُشاكا
بنعلَيْكَ المِلاحِ تمرُّ فيها ... فتكسُوها جَمالاً مِنْ سَناكا
وتُحيِيني فإنِّيْ صِرْتُ مَيْتاً ... بلا موتٍ ولكنْ مِنْ جَفاكا
أمُرُّ على الدِّيارِ لكيْ أراكا ... وأسألُ عنكَ شوقاً مَنْ رآكا
أراكَ هجَرْتَنِي مِنْ غيرِ ذَنْبٍ ... جَنيتُ ولا أتيتُ فَمَنْ نَآكا
فكَمْ أعرَضْتَ عَنِّي يا حبيبي ... فمَنْ هَذا الذي عَنِّيْ ثَناكا

وقال رحمه الله: [من الطويل]

رشيقُ قِوامٍ ناعِسُ الطَّرْفِ نافِرُ ... لهُ الطَّرْفُ مكحولٌ وخَدٌّ مودَّدُ
يَصيدُ بلَحْظِ الطَّرْفِ مَنْ جَاءَ نَحوَه ... ويَقتُلُ كُلَّ النَّاسِ عَمْداً ويُشْرِدُ
عَجِبْتُ لِظَبْيٍ صائدٍ بلِحاظِهِ ... أُسُودَ الوَغَى أنَّ الهوَى فيهِ يُحْمَدُ

وقال رحمه الله: [من الطويل]

يُعاتِبُ مَنْ في النَّاسِ يُدعَى بعبدِهِ ... ويَقتُلُ مَنْ بالقتلِ يرضَى بعَمْدِهِ
ويَشْهَرُ ليْ سيفاً ويمزَحُ ضَاحكاً ... فيا ليتَ سيفَ اللَّحظِ تمَّ بغِمدِهِ
فلِلهِ مِنْ ظَبيٍ نَجودٍ[1] وشارِدٍ ... يُجازيْ جميلاً قدْ صنعْتُ بِضدِّهِ
يُبالِغُ في ذَمِّيْ وأمدَحُ فِعلَهُ ... فشكراً لِمَنْ جاز[اه][2] يوماً بصَدِّهِ

وقال سامحه الله: [من الكامل]

---

(١) أي ظبي سريعٌ ماضٍ. انظر: «تاج العروس» مادة: (نجد).

(٢) في الأصل: «جار»، والتصويب لضرورة الوزن والمعنى.

لمــا رأيتُــكَ مقبِــلاً متبسِّــماً والحســنُ عمُّــك والبهــا والسُّــؤْدَدُ
والمسـكُ خالُـكَ فـاحَ عِطـراً نَشـرُهُ والــورْدُ خَــدُّكَ جمــرُهُ يتــوقَّــدُ
قلــتُ ارتجــالاً بيــتَ شِــعرٍ مفــرَدٍ أنــتَ المــرادُ وفــي المحاسـنِ مُفـرَدُ
يــا مفــرَداً فــي حســنِهِ وجمالِــهِ إنــي وحقِّــكَ فــي هــواكَ موحِّــدُ[1]

وقال أيضاً: [من الكامل]

قَسَــماً بمَــنْ أهــواهُ عمــرِيْ دائمــاً وبِمَــنْ بــهِ وَلِــعَ الفــؤادُ مِــنَ الصِّبــا
لا مِلْــتُ عــن حبِّــي لمُتْلِــفِ مُهجَتِيْ بلِّــغْ إليــه تحيتــي ريــحَ الصَّبــا
واقــرَ السَّــلامَ لمالكــيْ ولشــافِعِيْ مَــنْ فيــه عقلــي بالمحبَّــةِ قــد صبَــا

وقال أيضاً: [من الكامل]

قســماً بمكــةَ والمدينــةِ والحَجَــرْ وبطَــرْفِ ظَبْــيٍ نافــرٍ قلبِــيْ سَــحَرْ
لا زِلْــتُ فيــه بمــغرَمٍ ومتيَّــمٍ يــا ليتَــه لــو زارنــيْ ليــلاً سَــمرْ[2]
قســماً بــأحمــدَ إنَّــهُ لــو زارَنِــيْ فــي وسْــطِ بســتانٍ وروْضٍ وشَــجَرْ
لبقيْــتُ ســلطانَاً بحضــرةِ مــالِكِــيْ فــي الخُلْــدِ فرْحانــاً عَذُولــيْ في سَقَرْ
لكنَّــه قــد صــامَ عــن وصْلِــيْ وجــا ليــسَ مِــنْ امْبرِّ امْ صيــامْ في امْ سَـفَرْ[3]

---

(١) في الأصل: «موجد»، والتصويب ليناسب الشطر الأول، فقد ذكر أنَّ المحبوب مفرَدٌ في جماله، فناسب أن يكونَ المحبُّ (موحِّداً) لجمال محبوبه لا يرى غير جمالِه.

(٢) سمَرَ؛ أي: سهر، ومنه قوله تعالى: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

(٣) هذا الشطر اقتباس من حديث النبي صلى عليه وسلم الذي رواه الإمام أحمد عن كعْبِ بنِ عاصمٍ الأشعرِيّ: (لَيْسَ مِنَ امْ بِرِّ، امْ صِيَامُ، فِي امْ سَفَرِ). =

وقال أيضاً: [من الكامل]

قسَماً بيوسفَ ثُمَّ يونُسَ والقمَرْ ... وبلحْظِ [ظبْيٍ](١) صادَ قلبِيْ ونَفَرْ

وبوردِ خدَّيهِ وعنبَرِ خالِهِ ... وبكحلِ عينيهِ التي فيها حَوَرْ

وبصُبْحِ غُرَّتِهِ ونَمْلِ عِذارِهِ ... وبحُسْنِ صورتِهِ التي فاقَتْ صُوَرْ

وبطِيبِ نكهتِهِ وريقةِ ثَغرِهِ ... وبحُسنِ طَلْعتِهِ التي تَحْكِي القَمَرْ

وبلَونِ وَجنتِهِ ورِقِّ قَوامِهِ ... وبحُسنِ مِشيتِهِ التي فيها خَطَرْ

وبحُسْنِ قامتِهِ وطِيبِ كَلامِهِ ... وبصَوتِ لفظِ سلامِهِ لَمَّا حَضَرْ(٢)

لا زالَ قلبِيْ مغرَمَاً بجمالِهِ ... ما دُمْتُ حيَّاً إنْ يواصِلْ أو هَجَرْ

ما عشتُ لا أسلُوه يَوْماً ساعةً ... لا عاشَ منْ يسلُوْ ولا نَالَ الوَطَرْ

وقال سامحه الله: [من الكامل]

قسَمَاً بِكُمْ وبوصلِكُمْ ولقاكُمُ ... وبقربِكُمْ وبعفوِكُمْ ورضاكُمُ

وبحسنِكُمْ وبلَحْظِكُمْ وبطَرْفِكُمْ ... وبقدِّكُمْ وبوصلِكُمْ وحلاكُمُ

لا مِلْتُ يوماً عنكُمُ أبداً وإنْ ... رُمْتُ السُّلُوَّ فلا بَقِيتُ أراكُمُ

يا سادةً ملكُوا الفؤادَ وما رَثَوا ... يَوماً لصَبٍّ جَارَ(٣) فيهِ هَواكُمُ

= وهي لغة من لغات العرب، قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٠٥): هذه لغة لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التعريف ميماً، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ خاطب بها هذا الأشعري كذلك لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعري هذا نطق بها على ما أَلِفَ من لغته، فحملها عنه الراوي عنه، وأدَّاها باللفظ الذي سمعها به، وهذا الثاني أَوجَهُ عندي، والله أعلم.

(١) زيادة يقتضيها المعنى والوزن.

(٢) في الأصل: «حظر» بالظاء، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «قد جار»، والتصويب لضرورة الوزن.

يـا سـادتِيْ مـا كانَ ذنْبِـيْ عندَكُـمْ ... حتَّـى أَطَلْتُـمْ بُعدَكُـمْ وجفاكُـمُ
مـا كانَ منِّـيْ يـا أحبـةَ ناظـرِيْ ... حتَّـى هَجَرْتُـمْ سـادتي مُضناكُـمُ
رِفقـاً بقلبـي وارفُقُـوا لصبابَتِـيْ ... وارثُـوا لحالـي صِـرْتُ مـن قَتْلاكُـمُ
واعفُـوا وجُـودُوا[1] بالرِّضـا وتعَطَّفُوا ... وتـلـطَّـفُـوا وتـرفَّـقُـوا بـوَلاكُمُ
حِنُّـوا ورِقُّـوا واصفَحُـوا وتكرَّمُـوا ... بالوَصْـلِ يـا مَـنْ لا أُحِـبُّ سِـواكُمُ

وقال أيضاً رحمه الله: [من البسيط]

هـذا كتـابٌ مِـنَ المشـتاقِ يُخبِرُكُـمْ ... بـأنَّ دمـعَ الفتـى مـا زالَ طُوفانـاً
هـذا الكِتـابُ أتاكُـمْ مُخبِـراً لَكُـمُ ... حـالَ[2] الذي مُذْ نَأى[3] مـا زالَ وَلهاناً
فاسـتخبِرُوا الكُتْبَ إنَّ الكُتْبَ تُخبرُكُمْ ... بحـالِ مَـنْ بَعدَكُـمْ مـا زالَ حَيرانـاً
وسَـائِلُوا[4] حامليهـا كيـفَ قـد ترَكُـوا ... حـالَ المُعنَّـى ومَـنْ مِـنْ بَعدِكُـمْ هَانـا
وسـائِلُوا[5] العِيـسَ عنِّي كيـف تُنبِئُكُمْ ... بِمـا جَـرى لـيْ فلَيْـتَ البُعـدَ لا كَانـا
وسـائلوا[6] سـادَتِيْ عنِّـيْ النَّسـيمَ بِمـا ... لقِيْـتُ مِـنْ بَعدِكُـمْ هَمَّـاً وأحزانـاً
وسائِلُوا[7] النَّجمَ عنِّيْ كي يَقُولَ لَكُمْ ... هذَا الذي في الدُّجى كم باتَ سَهرانَاً

(١) في الأصل: «وجرِّدوا»، وهو خطأ.
(٢) في الأصل: «بحال»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.
(٣) في الأصل: «نأ»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.
(٤) في الأصل: «سلوا»، والتَّصويب لضرورة الوزن.
(٥) في الأصل: «سلوا»، والتَّصويب لضرورة الوزن.
(٦) في الأصل: «اسألوا»، والتَّصويب لضرورة الوزن.
(٧) في الأصل: «سلوا»، والتَّصويب لضرورة الوزن.

فكَمْ جرَى ليْ مِنَ[١] الأشْواقِ بَعدَكُمُ ... يا سادةً أطلقُوا في القلبِ نِيراناً

هلَّا رَحِمْتُمْ قَتيلاً في محبَّتِكُمْ ... يا مَنْ لنا قَتَلُوا عَمْداً وعُدْواناً

إني وحقِّكُمُ بالحالِ أُخبِرُكُمْ ... مُذْ ما بُليتُ بِكُمْ ما زِلتُ سَكراناً

وقال سامحه الله: [من الطويل]

إلى أرضِ مَنْ أهْوى بَعَثْتُ كِتابِيْ ... وأَبدَيْتُ أشواقيْ وطُولَ عِتابِيْ

وقلتُ لَهُ والدَّمعُ كانَ مِدادَهُ ... أيا مَالِكَ العُشَّاقِ رُدَّ خِطابِيْ

ألا لَيتَ شِعْرِيْ أيُّ ذنبٍ جَنيتُهُ ... فبِاللهِ يا مَولايَ رُدَّ جَوابِيْ

وماذَا جَرى مِنِّيْ وكيفَ قضيَّتِيْ ... فإنِّي مِنَ[٢] الإعراضِ زادَ حِسابِيْ

أُحِبُّكَ قلْ ليْ كيفَ حتَّى تَركْتَنِيْ ... أرانيْ مِنَ[٣] الهِجرانِ غابَ صَوابِيْ

أذَنْبٌ جَرى مِنِّيْ فأرجُوكَ شافِعِيْ ... أمِ الحبَّ لي ذَنْباً ترى لعذَابِيْ

أمِ الصَّدُّ والهِجرانُ تَرضاهُ مالِكِيْ ... بلا سَبَبٍ حتَّى خَلَعْتُ ثيابِيْ

أمِ اليومَ حَجْبِيْ قد تَراهُ بِجائِزٍ ... ألا لَيتَ شِعرِيْ كَمْ يَطولُ حِجابِيْ

هَجَرْتُ منامِيْ مُذْ هَجَرْتُ متيَّماً ... كذَاكَ طَعامِيْ ثُمَّ طِيبَ شَرابِيْ

فهذا كتابيْ قد أتَاكَ مخبِّراً ... بحاليْ وقَصْدِيْ [في][٤] جوابِ كتابِيْ

وقال سامحه الله: [من البسيط]

---

(١) في الأصل: «منه»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «منه»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «منه»، وهو خطأ.

(٤) زيادة لضرورة الوزن.

إنَّـا كتبَنْـا إلـى مَـنْ كان ناسِـيَنا ... لئِـنْ نَسـيِتَ فمـا كُنَّـا بناسِـينا

وإن صَـدَدْتَ فمـا صَـدٌّ يُغيِّرُنـا ... وإنْ نَأَيْـتَ فمـا كُنَّـا بِنَائِينـا

وإن هَجَـرْتَ فليسَ الهجرُ يُسخِطُنا ... وإن جَفَـوْتَ فمـا كُنَّـا بجافِينـا

وإن نَقَضْـتَ عهـوداً ليسَ نَنقُضُهـا ... وإن سَـلَوْتَ فمـا كُنَّـا بِسـالينا

وإن غَضِبْـتَ فتلقـى عِندَنَـا شَـغَفَاً ... وإن بَغُضْـتَ فتلقانـا مُحبِّينـا

وإن تَرَكْـتَ سَـلاماً إذْ[1] مَـرَرْتَ فَسَلْ ... مَـنْ كان حاضِرَنـا[2] عَمَّـا جَرَى فِينا

وقال رحمه الله: [من الطَّويل]

كَتبْـتُ كتابـي بالدُّمُـوعِ الهَوامِـعِ ... وأودَعتُـه سِـرِّيْ وكُلَّ مَواجِعِـيْ

وأرسـلتُه للحَـيِّ فـي الرِّيـحِ إنَّهـا ... رسـولٌ أميـنٌ حافـظٌ للودائِـعِ

ومـا زالَ أهـلُ الحُبِّ فـي كلِّ مَوطِنٍ ... تُراسـلُها بالشَّـوقِ لا بالبَضائِـعِ

مسـاكينُ أهلُ الحُـبِّ ذابَـتْ قلوبُهُمْ ... وقـدْ نَحِلَـتْ منهـمْ جميعُ الأضالِعِ

رعـى اللهُ أيـامَ اللِّقـا مـا تذارَفَـتْ ... عيـونٌ ومـا جـادَتْ بفَيـضِ المدامعِ

وحيَّـا[3] ليالِيْ الوَصْلِ مـا هَبَّتِ الصَّبا ... سُـحَيراً ومـا دَامـوا بِطِيـبِ المدامـعِ

أيـا جِيـرةً غابُـوا عـنِ العينِ لا الحَشَـا ... فهَـلْ تَسـمحوا[4] بالوصلِ يَومَـاً لوالِعِ

وهَلْ يُحتظى في العمرِ منكُمْ بلَحظةٍ ... فيُمسي صحيحَ الجسمِ راحَ[5] المطالِعِ

---

(١) في الأصل: «إذا»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «حاظرنا»، وهناك عدة مواضع أخرى كُتبت فيها الضاد ظاءً.

(٣) في الأصل: «وحيا الله».

(٤) هذا الفعل حقُّه الرَّفع بثبوت النُّون.

(٥) الراح: جمع راحة.

عليكَ سَلامُ اللهِ ما فارَقَ امرؤٌ ... خَليلاً وما لَذَّ الهوى في المسامِعِ

وقال سامحه الله [من الطويل]

فيا ليتَنِي كنْتُ الكتابَ الذي أتَى ... لديكُمْ لعلِّيْ بالوِصالِ أَطِيبُ

فإنَّ السَّقامَ الآنَ أتلَفَ بَهجَتِيْ ... وقلبِيْ منَ الهِجرانِ كادَ[1] يَذُوبُ

جعَلْتُ كتابِيْ نائِبِيْ يا أحبَّتِيْ ... وكُلُّ كتابٍ للمحبِّ يَنُوبُ

فبُشرى كتابٍ حَلَّ في أرضِ قُربِكُمْ ... فقُرْبُكُمُ للعاشقينَ طَبيبُ

وقال عفا الله عنه: [من الوافر]

سلامٌ لا يُعادِلُهُ سَلامُ ... على[2] منَ الحشَا منه كِلامُ

سَلامٌ رَقْمُهُ دَمعِيْ ودَمِّي[3] ... وشوقي فيهِ مَحصُورٌ[4] تمامُ

سَلامٌ لا يَزولُ مَدى اللياليْ ... يَزيدُ ثَناؤُه ما زادَ عامُ

سَلامٌ خَتْمُهُ مِسْكٌ وعِطْرٌ ... وكافورٌ فَلا زالَ الِختامُ

سَلامٌ مِنْ مُحِبٍّ ذابَ شَوقاً ... سَلامٌ في سَلامٍ والسَّلامُ

وقال أيضاً: [من المتقارب]

سلامِيْ إليكُمْ قليلٌ[5] وما ... بَعَثْتُمْ إليَّ سلامٌ قليلْ

---

(١) في الأصل: «كان»، وهو خطأ.

(٢) في الأصل: «وعلى»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) الصحيح في «دمي» أن تكون الميم مسهَّلة، لكنَّ الوزن يقتضي تضعيف الميم.

(٤) في الأصل: «وشوقي محصورٌ فيه»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٥) في الأصل: «سلامٌ قليل»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

رَسُولِيْ إليكُمْ نسيمُ الصَّبا وقلبِيْ لديكُمْ أسيرٌ ذَليلْ
فماذا التجافيْ وماذا الجَفَا وماذا التجنِّي وما لي خَليلْ
سِواكُمْ هَواكُمْ ضنَى مُهجَتِيْ وقلبِيْ كسيرٌ وجسمِيْ نَحيلْ
فرِقُّوا لصَبٍّ بِكُمْ وَالعٍ وداوُوا مُحبّاً سَقيماً عليلْ
ولا تهجُرُوه ففِي قلبِهِ مِنَ الهَجْرِ نارٌ تزيدُ الشَّعيلْ
وقدْ صارَ مُضنًى وفي لَوعَةٍ وما زالَ يبكيْ بدمعٍ يَسيلْ
ويَسألُ عنكُمْ نسيمَ الصَّبا وريحَ الشَّمالِ وخاد[1] الدَّليلْ
عساكُمْ تجودوا[2] بوصلٍ لِمَنْ مِنَ الهجر ملقًى طريحاً قَتيلْ

وقال سامحه الله: [من الطَّويل]

سلامٌ منَ المُضنَى الذي ما سَلاكُمُ ولا قَصدُهُ في الدَّهْرِ إلا لِقاكُمُ
سَلامٌ عليكُمْ في سَلامٍ مُضاعَفٍ سَلامُ محِبٍّ قَصدُهُ أنْ يراكُمُ
سَلامُ محبٍّ مَا لَهُ مَنْ يُعينُهُ ولا مالَ يَوماً عَنكُمُ[3] لسواكُمُ
سَلامُ مَشُوقٍ مستهامٍ متيَّمٍ معنًّى كئيبٍ هالِكٍ مِنْ جَفاكُمُ
سَلامُ سَقيمٍ ناحلٍ ذي صَبابةٍ ضعيفٍ نَحيفٍ ذَائقٍ مِنْ نَواكُمُ
بَعَثْتُ سَلامِيْ نَحوكُمْ وتحيَّتِيْ أُسلِّيْ بها نفسِيْ وأرجُو رِضاكُمُ

---

(١) كذا في الأصل: و«خاد» مفرد الخوادي، وهي الإبل أو الخيل المسرعة، فيكون المعنى أنَّه يسأل عن أحبابه الراحلةَ التي يمتطيها الدَّليل، وجعلَها مسرعةً لأنَّها مشتاقةٌ إلى رؤية الأحباب.

(٢) هذا الفعل حقُّه أن يكون مرفوعاً بثبوت النُّون.

(٣) في الأصل: «عنكم يوماً» بتقديم «عنكم»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

فلَـوْ شـاهدَتْ عيناكُـمُ حـالَ مُدنَـفٍ ... لكُنْتُـمْ عَذَرْتُـمْ مُغرَمـاً فـي هواكُـمُ
يئـنُّ مِـنَ الهِجـرانِ والبُعـدِ والجَفـا ... ويَبكِـيْ بدمْـعٍ هَاطِـلٍ مـنْ[1] قِلاكُـمُ
أُصبِّـرُ قلبـيْ عنكُـمُ يـا أحبَّتِـيْ ... وكيـفَ يُطيـقُ الصَّبْـرَ مَـنْ لا سَـلاكُمُ
خَيالُكُـمُ فـي العَيـنِ مـا زالَ حَاضِـراً ... وإنْ غِبتُـمُ عنِّـيْ فقلبِـيْ حِذاكُـمُ
جفـا جَفْـنُ عينِـيْ فيكُـمُ لـذَّةَ الكَـرَى ... فـلا العيـشُ يَهنـا لـيْ إذا لـمْ أراكُـمُ[2]
أرومُ اللِّقـا والبُعْـدُ يَمنَـعُ دُونَكُـمْ ... فهيهـاتَ عينِـيْ عمرُهـا أنْ تَراكُـمُ
وهَيهـاتَ قلبِيْ أنْ يَـرَى طِيْبَ وَصْلِكُمْ ... وهَيهـاتَ نَفْسِـيْ أنْ تَـذوقَ شِـفاكُمُ
وهَيهـاتَ أنَّ الصَّـبَّ يَحظـى بِقُرْبِكُـمْ ... وأنتُـمْ غَضابـى يـا غَضابى[3] عسـاكُمُ
تَرِقُّـوا[4] لِمَـنْ بالوَصْـلِ ظَـلَّ مولَّعـاً ... إذا لـم تـزوروا أحسـنَ اللهْ[5] عَزاكُـمُ
عليكُـمْ سَـلامُ اللـه يـا سَـادةً جَفَـوا ... غريبـاً كئيبـاً طامِعَـاً فـي لِقاكُـمُ

وقال عفا الله عنه: [من الطَّويل]

سـلامٌ مِـنَ المحـزونِ مَـنْ طَرْفُـهُ بَكَى ... علـى فُرقـةِ الأحبـابِ دَمْعـاً وما شَـكا
أفاضَ منَ الهِجرانِ دَمْعاً على الثَّرَى ... وحَـرَّكَـهُ الـوَجْـدُ الـشَّـديـدُ فحرَّكَا
سَـقاهُ مـن الهِجـرانِ سـاقِيه شَـرْبَةً ... فصـارَ بهـا مُضْنًـى طَريحـاً ومُهلَـكاً

---

(١) في الأصل: «منه»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.
(٢) كذا في الأصل، والوجه: (لم أركمْ) بحذف الألف للجزم، لكن جاز فيه الرفع على لغة لبعض العرب.
(٣) غضابى؛ أي: غاضبون. بضمّ الغين وفتحها، مثل: (سكارى).
(٤) كذا في الأصل، والوجه: (ترقُّون)؛ لأنَّ الفعل مرفوع.
(٥) يُسكَّنُ لفظ الجلالة لضرورة الوزن.

توالَى [بِهِ][1] الألمُ المُضِرُّ لحالِهِ ... بِمُهجَتِهِ شَوقٌ ووَجْدٌ تحرَّكَا

وقد مَضَتِ الأحَبابُ عنْهُ ووَدَّعَتْ ... تَقطَّعَ فيه الصَّبْرُ منْهُ وفَكَّكَا

ونَاحَ على الزَّمَنِ القديمِ صَبابةً ... فنَاحَ حَمامُ الأَيْكِ لَمَّا لَه شَكَا

وخالَطَه الوَجْدُ الشَّديدُ ولَوعَةٌ ... وتابَعَه الحُزْنُ المُضِرُّ وأدرَكَا

فكَمْ مرةٍ أبدى الخُضُوعَ وذِلَّةً ... إلى مَنْ لَهُ في العالمينَ تَمَلَّكَا

فمَا رَقَّ يوماً للكئيبِ ولا أَتَى ... يُسائِلُهُ عن حالِهِ مُذْ تَهَتَّكَا

فمَزَّقَ أثوابِ الجمالِ منَ القِلى ... وأصبَحَ مَنْ يَهواهُ للوَصْلِ مُمْسِكَاً

فيا أسَفَ المهمومِ مِنْ زادِ مَا ... بِهِ علَى قَتْلِهِ هَجْرٌ وبُعْدٌ تَشارَكا

لقد زادَ منْهُ الوَجْدُ والشَّوقُ للحِمَى ... ولكنَّ بُعْدَ الحيِّ للصَّبِّ أهلَكا

إذا هبَّتِ الرِّيحُ الشَّمالُ تحرَّكَتْ ... مَواجِعُهُ وازدادَ وَجْداً مُدارَكاً

ويَكتُبُ للرِّيحِ الشَّمالِ رسائلاً ... ويُوْدِعُها السِّرَّ العَزيزَ وما حكى

ووَدَّعَها المحزونُ لَمَّا توجَّهَتْ ... سِواها [إذا][2] ما أحدَثَ الحيُّ سالِكَاً

ولو كانَ ذا عزمٍ لسَارَ لسيرِها ... ولكنَّهُ قد ذَابَ شَوقًا وأسبَكَا

سألتُكِ يا رِيحَ الجَنوبِ تحمَّلِيْ ... سَلامِيْ وما ألْقَى مِنَ الوَجْدِ والبُكا

وقُولِيْ لِمَنْ أَهواهُ إنِّيْ متيَّمٌ ... ولو كانَ ذا عزمٍ أتاكَ وأدرَكَا

فباللهِ لا تَنسَ المحِبَّ بزَوْرَةٍ ... ولو كانَ في طيفِ المنامِ تبرُّكَا

إذا زُرْتَ مشتاقاً[3] إليكَ رَحِمْتَهُ ... وأصبحَ ذا حَوْلٍ وإنْ كانَ هَالِكَاً

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن.

(٢) زيادة يقتضيها الوزن.

(٣) في الأصل: «مشتاق»، وهو خطأ.

عليكَ سَلامُ اللهِ يا نورَ ناظِرِيْ ... ولا زِلْتُ مَملوكاً ولا زِلْتَ مَالِكاً

وقال سامحه الله: [من الرَّجز]

[أ][(١)]يا كِتَاباً كُلُّ ما فِيهِ ارتَقَمْ ... أذْهَبْتَ عنِّي كُلَّ داءٍ وسَقَمْ

هلْ أنتَ راقٍ لي فإنِّي أختَشيْ ... منَّ[(٢)] غَزالٍ صادَ قلبِيْ وانهَزَمْ

ليسَ اصطبارٌ في هَواهُ نافعاً[(٣)] ... واللهِ واللهِ يَميناً وقَسَمْ

منهُ التَّجافِيْ قد تبدَّىْ جَهرَةً ... وما رآني باكياً إلا ابتَسَمْ

قدْ كرَّرَ الألفاظَ بالوَصْلِ بِلا ... ولا أتَى في الدَّهْرِ يومَاً بِنَعَمْ

لا يَختَشي مِمَّا جَرى مِنْ صَدِّهِ ... وليسَ يَرْعى ما عليهِ مِنْ ذِمَمْ

لهُ سَلامِيْ إن جَفانِيْ أو عفا ... إني لَعَبْدٌ فاعلٌ مهما رَسَمْ

وقال سامحه الله: [من المتقارب]

أيا مَنْ تجنَّوا علينا جِهاراً ... أمَا ترحمونا[(٤)] فإنا حَيَارَى

مِنَ البُعْدِ مِنْكُمْ رأينا سَقامَاً ... ومِمَّا عَرانا تَرانا سُكارى

فبِاللهِ بِاللهِ رِقُّوا لنا ... وجُوداً علينَا فإنَّا أُسارى

ودَاوُوا جِراحاً لكُمْ في الحَشَا ... فأنتُمْ رَمَيْتُمْ على القَلْبِ نَاراً

فَما حالُ صَبٍّ بِكُمْ وَالعٍ ... يَوَدُّ بأنْ لَو لَكُمْ كانَ جَاراً

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن.

(٢) في الأصل: «منه»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٣) في الأصل: «بنافعٍ» وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٤) في الأصل: «ترحموا»، والتَّصويب لضرورة الإعراب والوزن.

وقــدْ جــاءَ يشــكُو لكُــمْ حالَــهُ لأنَّ الحبيــبَ علــى الصَّــبِّ جَــارا

وقال أيضاً: [من البسيط]

عوَّدْتُمُونــا البَشاشَــةْ[1] عِنْــدَ لُقيانــا فلا أرى وَجْهَكُــمْ ذا اليــومَ غَضبانــاً

فهَــلْ أتــى لَكُــمُ الوَاشِــيْ بِمَفْسَــدةٍ أو قــالَ عنِّــي بأنِّــي رُمْــتُ سُــلوانَاً

مــا كانَ ذاكَ ولا هــذا وقــد نَقَلَــتْ عنِّــي العَــواذلُ شــيئاً لــم يَكُــنْ كانــا

وحــقِّ عيــشٍ تقضَّــى فــي رُبُوعِكُــمُ وطِيْــبِ وَصلِيْ بكــمْ ما كُنْــتُ خَوَّاناً

وقال سامحه الله: [من الوافر]

لقــد أوحشْــتَنا مُــذْ غِبْــتَ عنَّــا وصِرْنــا بَعــدَ بُعــدِكَ حائرينــا

وذُقْنــا بَعْــدَ قُرْبِــكَ والتَّدانِــيْ فِراقــاً طَعْمُــهُ مُــرٌّ عَلينــا

وذُبْنــا مُــذْ فَقَدْنَــا جَمْــعَ شَــملٍ تَرانــا بَعــدَ عِــزٍّ خَاضِعينــا

وصِرْنَــا كالِخــلال لِمَــا اعترانــا مِــنَ الهِجــرانِ لا نَلقــى مُعينــاً

ولــو أنَّــا اســتَطَعْنا أنْ نَراكُــمْ لَجِئْنــا للدِّيــارِ مُســلِّمينا

خَفُــوا[2] الرَّحمــنَ فينــا يــا غَضابــى وعُــودُونــا وكُــونــوا مُــؤمنيــا

فإنَّــا نَســتحقُّ العَــوْدَ مِنْكُــمْ فمــا قَــدْ صــارَ صِرْنــا مُدنَفينــا

لئِــنْ كُنْتُــمْ سُــرِرْتُمْ مُــذْ بَعُدْتُــمْ فقلبــيْ لا يَــزالُ بِكُــمْ حَزينــاً

فليــسَ العيــدُ عنــدِيْ غيــرَ يــومٍ أراكُــمْ مُقبلِيــنَ[3] وضَاحكينــا

---

(١) التسكين ضرورةٌ في هذه الكلمة لينضبط وزن البيت.

(٢) كذا في الأصل، والوجه أن يقال: «خافُوا».

(٣) في الأصل: «مقبلينا» مع ألف الإطلاق، وهو خطأ.

فعـامُ الوَصْلِ منكُـمْ مثـلُ يَـومٍ ... ويَـومُ الهَجْـرِ مِنكُـمْ ذو سِـنينا
رعـى اللهُ الكريـمُ بِكُـمْ زَمانـاً ... رضِيتُـمْ فيـه أحيانـاً عَلينـا

وقال عفا الله عنه: [من الكامل]

يـا يوسُـفاً فيـكَ الفـؤادُ تحيَّـرَا ... يـا يُوسُـفاً دمـعُ العُيـونِ تحـدَّرَا
يـا يوسُـفاً ذابَ الفـؤادُ مِـنَ الجَفَـا ... يـا يوسُـفاً عنِّـيْ لقـدْ غـابَ الكَـرى
يـا يوسُـفاً صبـرِيْ وحقِّـكَ ضائِـعٌ ... يـا يوسُـفاً قـلَّ الصُّـدودُ فمـا جَـرى
يـا يوسُـفاً كـمْ ذُقْـتُ بعـدَكَ حَسْـرَةً ... يـا يوسُـفاً لـو كنْـتَ تعلـمُ لـو تَـرَى
يـا يوسُـفاً لعذَرْتَنـيْ ورَحِمْتَنـيْ ... يـا يوسُـفاً بالوَصـلِ عَجِّـلْ وانظُـرا
يـا يوسُـفاً قلبِيْ الكَسيرُ مـن الجَوَى ... يـا يوسُـفاً صِلْنـي بحقِّـكَ واعـذِرَا
يـا يوسُـفاً لَمَّـا انثنيـتَ تكَسُّـرَا ... يـا يوسُـفاً قلبِـيْ لـذاك تكَسَّـرَا
يـا يوسُـفاً لَمَّـا رأيتُـكَ مُقبـلاً ... يـا يوسُـفاً قـد صِـرْتُ فيـكَ مُحيَّـراً
يـا يوسُـفاً هُجِّـرْتَ غُصنـاً مائِسـاً ... يـا يوسُـفاً أشْـبهْتَ بَـدْراً نيِّـراً
يـا يوسُـفاً أشـبهْتَ نَجماً في السَّـما ... يـا يوسُـفاً أشـبَهْتَ بـدْرَاً أسـفراً
يـا يوسُـفاً قلبـيْ وخـدُّكَ جمـرةٌ ... يـا يوسُـفاً منهـا الفـؤادُ تسـعَّرا
يـا يوسُـفاً كـم قـدْ حَوَيْـتَ محاسِـناً ... يـا يوسُـفاً منـك الظَّـلامُ تنـوَّرا
يـا يوسُـفاً فـي فِيـكَ رَاحٌ قَرْقَـفٌ ... يـا يوسُـفاً كـمْ عاشـقٍ قـدْ أَسـكَرَا
يـا يوسـفاً حُـزْتَ الـدَّلالَ بأسـره ... يـا يوسـفاً فيـك الجمـالُ تصـوَّرَا
يـا يوسُـفاً كلُّ المِـلاحِ مَلَكْتَهُـمْ ... يـا يوسُـفاً قـد حِـرْتُ فيـكَ تفكُّـرَا
يـا يوسُـفاً مالِـيْ بوصفِـكَ طَاقـةٌ ... يـا يوسُـفاً شَـوقِيْ لديـكَ تقـرَّرَا

يـا يوسُـفاً أرجـو أراكَ حقيقـةً   يـا يوسُـفاً فاجعَـلْ جَوابِـيْ أن تُـرَى
يا يوسُفاً قلْ لي اللقاءُ [متى][(١)] يكُنْ[(٢)]   يـا يـوسُـفـاً رُدَّ الـجُـوابَ مُـبـشِّـراً
يـا يوسُـفاً عِذْنـيْ وصِلْنـي واعطِفَنْ   يـا يوسُـفاً زِدْنـي بحقِّـكَ واعـذِرا

وقال عفا الله عنه: [من الرَّمَل]

حسـبيَ اللهُ تعالـى وكَفَـى   مَـنْ تجنَّـى وتثنَّـى مُصطَفَـى
مُنيتِـيْ محبـوبُ قلبِـيْ ناظِـرِيْ   بُغيتِـيْ بَـدْرُ السَّـما منـهُ اختَفَـى
فاتِـرُ الأجفـانِ ظَبْـيٌ نافِـرٌ   يألَـفُ الهِجـرانَ لـي مـا أَلِفَـا
تخجَـلُ الأغصـانُ إنْ مـالَ وقَـدْ   حـازَ لُطفَـاً وكمَـالاً وُصِفـا
رِيقُـهُ كالشَّـهدِ إلا أنَّـهُ   قد غـدا فـي الوَصْـفِ يَحكي قَرْقَفَا
مِـنْ بَنِـي الأعـرابِ رِيـمٌ فاتِـكٌ   ناعِـسُ الطَّـرْفِ غَـزالاً أَهيَفَـاً
غـابَ فِكْـرِيْ مُـذْ تجنَّـى ورَنَـا   قـلَّ صبـرِيْ مُـذْ لِوَعْـدِي أخْلَفَـا
يُخلِـفُ العُشَّـاقَ فـي الوَعْـدِ ولَـمْ   تَلْـقَ عنـهُ فـي البَرايـا خَلَفَـاً
حُسْـنُهُ صـافٍ ولكـنْ مُـذْ جَفَـا   وتجنَّـى قـطُّ عيشِـيْ مـا صَفَـا
ليتَـه لـو جـاءَ طَيـفاً زائِـرٌ[(٣)]   أو عسـى لـو مَـرَّ يَومـاً وَقَفـا
ليَـرَى مـا قـدْ جَـرَى لِـيْ أو يَـرَى   ذِلَّتـيْ ربـعُ اصطبـارِيْ قـد عَفَـا
كـم أُنـادِيْ فـي فـؤادِيْ حُرقَـةً   مَـنْ يعـادِيْ مُنيتِـيْ يـا مُصطَفَـى

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن.
(٢) الصحيح أن يقال: (يكون)؛ لأنَّ الفعل حقُّه الرَّفع.
(٣) أي: ليتَه يمرُّ بي، أو يأتيني طَيفُه في المنام ليُسعدني.

صِلْ مُعنًّى مُغرَماً يا سيِّدِيْ ... إنَّنِيْ قدْ مِتُّ مِنْ طُولِ الجَفا
مالِكِيْ أنتَ وحقِّ المُصطفى ... شافِعِيْ في الوَصْلِ حسبِيْ وكفى

وقال أيضاً: [من مجزوء الرجز]

أبطَأْتَ عنِّيْ سيِّدِيْ ... عَنْ ناظري مَنْ أغفَلَكْ
أفنيتُ جسمِيْ في الهَوى ... وليسَ ذاكَ[1] يَحِلُّ لَكْ
إن كنتَ ترعى ما مضَى ... فارحَمْ بوَصْلٍ مَنْ هَلَكْ
كَمْ ذا التجنِّيْ ليتَما ... قدْ صارَ ليْ ما صارَ لَكْ
أُعْطِيتَ حُسْناً فائِقاً ... فأنتَ بَدْرٌ في مَلَكْ
لكَ الفِدا نَفْسِيْ ومَا ... قدْ كانَ مِنْ مِلْكي فَلَكْ[2]
لَمَّا أَتيْتَ مُقبِلاً ... بحَسَنٍ قد كمَّلَكْ
وأنتَ تمشِيْ مُعْجَباً ... وكيفَ لا والحُسْنُ لَكْ
ترمِيْ بلَحْظٍ قاتلٍ ... ذاكَ الذي قدْ جَمَّلَكْ
فقلتُ شَوقَاً سيِّديْ ... هلْ أنتَ بدْرٌ أم فَلَكْ
يا غُصْنَ بانٍ مائسٍ ... لِزَوْرَتِيْ ما آنَ لَكْ
يا لَيِّنَ الأعطافِ يا ... ظَبْيَ الفَلا مَنْ جَفَّلَكْ
عنِّيْ فصِلْنِيْ سيِّدِيْ ... فإنَّ قلبِيْ قد هَلَكْ

---

(١) في الأصل «ذا»، وعليه يكون الشطر من وزنٍ آخر.

(٢) أي: ملَّكْتُكَ ما أملِك.

هــلْ لــكَ وَصْلِــيْ[١] سـاعةً تُحيِــي بِهــا مَــنْ أمَّلَــكْ
هَجْــرِيْ حَــرامٌ كُلُّــهُ وحَــقِّ ربــيْ كَمَّلــكْ[٢]
يــا عاذِلــيْ إنْ لُمْتَنِــيْ فليــسَ قلبــيْ يصفُــوْ لَــكْ
فامــضِ ودعْنِــيْ هالِــكاً لا تُهلِكَــنَّ مَــنْ هَلَــكْ
ليــسَ المحــبُّ صاغيــاً لــو كانَ يَصغَــى مــا سَــلَكْ

وقال سامحه الله: [من مجزوء الكامل]

جُدْ [لـي][٣] بوَصْلِكَ يـا حَبِيبْ جَهْـراً علـى غَضَـبِ الرَّقِيـبْ
واســمَحْ بوَعــدٍ يــا وفــيّ إنِّــي عُبَيْــدُكَ يــا حَبيــبْ
لِــمْ ذا التَّجنِّــيْ والجَفَــا والقَلْــبُ مِنِّــيْ فــي لَهِيْــبْ
واللهِ إنَّــــكَ حــاضــــرٌ[٤] عــنْ مقلتــيَّ [و][٥] لا تَغيــبْ
فالجِسْــمُ مِنِّــيَ نَاحِــلٌ والدَّمْــعُ مِــنْ عينــيْ صَبِيــبْ
فســألْتُ[٦] ربِّــيْ راجيــاً جَمعــاً ووَصْــلاً عــن قَرِيْــبْ
يــا باخِــلاً بِوصالِــهِ[٧] ارحَــمْ معنَّــاكَ اللَّبيــبْ

---

(١) في الأصل: «لوصلي»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «كلمك».

(٣) زيادة يقتضيها الوزن.

(٤) في الأصل: «حاظرٌ» بالظَّاء، وهو متكرِّر في مواطن عديدة.

(٥) زيادة يقتضيها الوزن.

(٦) في الأصل: «سألتُ» دون فاء، والوزن يقتضي زيادتها.

(٧) في الأصل: «بوصلِهِ»، والتَّصويب لضرورة الوزن.

مـا شِـئْتَ فافعَـلْ إنَّنِـيْ ... أرضـى وِصَالَـكَ لـي نَصِيـبْ
كَـمْ مِـنْ سَـقامٍ حَـلَّ بـيْ ... وأنـتَ لـي نِعْـمَ الطَّبِيـبْ
فقُمَـنْ[1] سَـرِيعاً دَاوِنـيْ ... بالمُصطفـى طـهَ الحَبِيـبْ
فـالله الله[2] فـلا ... تُعْـرِضْ عـن المُضنَـى الغريبْ

وقال أيضاً: [من المضارع]

تبـدَّى لـي حَبِيبِـيْ ... وأبـدى لـيْ سَـنَاهُ
وأرخـى الشَّـعْرَ سِـتْراً ... لـخَـشيـةٍ أن أَرَاهُ
وأظهـرَ لـي صُـدُوداً ... بِـلا ذَنْـبٍ رَآهُ
وصـيَّـرَني ذَلِيـلاً ... غَرِيبـاً فـي حِمَـاهُ
لـهُ حُسْـنٌ بَدِيـعٌ ... تعالـى مَـنْ كَسـاهُ
لـهُ قَـدٌّ رَشِيـقٌ ... بِـهِ العُشَّـاقُ تاهـوا[3]
لـه خصـرٌ رَقِيـقٌ ... فمـا أحْلَـى حَـلاهُ
لـه وجـهٌ مُنيـرٌ ... كبَـدْرٍ فـي سَـماهُ
لـه طَـرْفٌ كَحِيـلٌ ... بِـلا كُحْـلٍ حَـواهُ
لـهُ خَـدٌّ كَـوَرْدٍ ... هَنيئـاً مَـنْ جَنـاهُ
بَـهِـيَّـاً ذا كمـالٍ ... كَرِيـحِ المسـكِ فَـاهُ

---

(١) في الأصل: «فقُمْ»، والتصويب لضرورة الوزن، ولا تأباه الصناعة النحوية.

(٢) تُقطع همزة لفظ الجلالة لضرورة الوزن.

(٣) في الأصل: «تاه»، وهو خطأ.

لقــد أضحــى كَغُصْــنٍ يَمِـيــلُ بِـــهِ هَـــواهُ
فَمــا حَالِـيْ فإنِّــي قَـتـيــلٌ فـــي هَـــواهُ
لقــدْ أصبحــتُ مُضْنًى[1] سَقـيـمــاً مِــنْ جَفــاهُ
فهــا أنــا عبــدُ رِقٍّ عســى يَرضــى عَســاهُ
ووَجْـــدِي فـيـــه صِــدْقٌ وذُلِّــيْ لَــو رآهُ
لَـــمَا أبــدى صُــدوداً فـــآهٍ ثُــمَّ آهُ
فتســـليمِي عَلَيــهِ فَمَـــا أبغِــي سِــواهُ
ورِضوانِــيْ لَدَيْــهِ فمَــا أحْلَــى لِقــاهُ

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من المضارع]

غـــزا قلبِـــيْ غـــزالٌ كَحِيــلُ الطَّــرْفِ نَعْســانْ
وألقـــى فـــي فُـــؤادِيْ مِــنَ الهِجــرانِ نِيــرانْ
غَضُـــوبٌ لا يُبالـــيْ ولا يَرْثِـــي لِوَلهـــانْ
شَـــرُودٌ لا يُدانـــي غَـــزالاً ظَـــلَّ عَطشـــانْ
رَشِـــيقـــاً ذَا قِـــوامٍ لَـــهُ خَصــرٌ كَرَيحـــانْ
وخَـــدٌّ فيـــهِ وَرْدٌ ورَوْضٌ وَسْــطَ بُســتانْ
وثَغـــرٌ فيـــه شَـــهْدٌ وياقـــوتٌ ومَرجـــانْ
فقلبِـــيْ مـــذ هَـــواهُ طَــوالَ الدَّهْــرِ سَــكْرَانْ

(١) في الأصل: كلمة «مضنى» مكرَّرة في الشطر الثاني وهو خطأ.

فكَمْ يَظْلِمْ[1] لِحاليْ ... وأرضَى وهْوَ غَضْبانْ
وكم يُبْدِيْ دَلالاً ... مَليحِيْ شاهْ يا جان

وقال سامحه الله: [من المضارع]

سبى عقلِيْ مَلِيحٌ ... مِنَ الغِزلانِ أَغيَدْ
نَفُورٌ ذَا دلالٍ ... كحبلِ الطَّرْفِ أسَوَدْ
له شَاماتُ حُسْنٍ ... بوَجْهٍ صافيَ الخَدّ
لهُ لَحْظٌ كَسَيفٍ ... صَقيلٍ ماضِيَ الحَدّ
له قَدٌّ كرُمحٍ فكمْ ... مِثْلِيْ لقد قَدّ
لهُ رِيحٌ كعِطْرٍ ... وكافورٌ ومَا وَرْدْ
له ثَغْرٌ كخاتَمْ[2] ... بهِ شَهْدٌ ومشْهَدْ
إذا ما مَاسَ يَوماً ... يكادُ الخصْرُ يُعْقَدْ
فكمْ حُسْنٍ حَواهُ ... بقَدٍّ ثمَّ أحمدْ

وقال عفا الله عنه:

إنَّ مَنْ أهْواهْ ... دائماً غضبانْ
زائدُ الأوصافْ ... للورى فتَّانْ
حُسنُه صافي ... طَرْفُه نعسانْ
عُنْقُه وافي ... يُشبه الغِزلانْ

---

(١) تُسكَّن لضرورة الوزن.
(٢) تُسكَّن لضرورة الوزن.

شَعْرُهُ مَسبولْ جَفنُه مَكحولْ
عاشِقُهْ مقتولْ دائماً وَلهانْ
سِنُّه بِلَّورْ رِيحُه كافُورْ
عاشِقُهْ مقهورْ في بِلًى وهَوانْ
خدُّه نعمانْ خصرُهُ رَيحانْ
عاشِقُهْ سَكرانْ دائمَ الأزمانْ
حُبُّه مسنونْ في الحَشا مَكنونْ
عاشِقُهْ مجنونْ دائماً سَكرانْ
وَجهُهُ المصباحْ رِيقُه كالرَّاحْ
عاشِقُهْ قد باحْ مِنْ جَفا الأجفان
آهِ لو كَلَّمْ مغرماً كلَّمْ
ليتَه سلَّمْ ذا المليحُ الجانْ
دائماً مُعرِضْ[1] قلبُه مُغرِضْ
هَجرُهُ يُمرِضْ بُعدُه نِيرانْ

وقال عفا الله عنه: [من المضارع]

يا مليحْ يا جانْ يا غُصَينَ البانْ
أنتَ لي فتَّانْ يا رشيقَ القَدّْ

(١) في الأصل: «معرضاً»، وهو خطأ.

شَــعــــرُك المسـبولْ رِيــقُـــكَ المـــعسولْ
جَفنُــكَ المَكْحُــولْ قــدَّ قـلـبــيْ قَــدّْ
سِــنُّـــكَ الضَّاحــكْ لَـحـظُـــكَ السَّــافِكْ
شَـعـــرُكَ الـحـــالِكْ قـــد غـــدا أســودْ
يــا غــزالْ عَطشــانْ طَــرْفُـــكَ الـــنَّعسانْ
أطْلَــقَ الـــنِّيــرانْ فــي الحشَــا والكَبْــدْ
أنـــتَ لــي محبــوبْ غــايـــةُ الـمــطلوبْ
إنَّـــنــي مــغْـــلُوبْ كَــمْ تُطيــلُ الصَّــدّْ
إنَّـــنـــــي هــالِـــكْ فــي الهــوى سَــالِكْ
لـيـــتَ يـــا مالِــكْ تــرتــضـيـنـــيْ عبْــدْ
زُورَنــــيْ(١) أَحْــيـــا ســيـــدَ الأحــيـــا
بـــالنَّبــيْ هـيَّـــا واسْمَــحَـــنْ بالوَعْــدْ
أنـــتَ يـــا بَـــدْرِيْ آهِ لـــو تَـــدْرِيْ
أدمُــعِـــيْ تَـــجريْ فـــوقَ صحــنِ الخَــدّْ
رِيقُــكَ الأطـيَـــبْ ثَـغــــرُكَ الأعْـــذَبْ(٢)
لُبْسُـــكَ المُــذهبْ هـــدَّ عَـزْمــي هَــدّْ
حُـسْنُــكَ الـفــتَّانْ كَـــمْ سبَــى إنســانْ

---

(١) في الأصل: «زُوروني»، وهو خطأ؛ لضرورة الوزن.

(٢) في الأصل: «العذب»، وهو خطأ.

إنَّـنِــــيْ وَلــهــانْ مُـذْ[١] أطلـتَ الصَّـدْ
شـكْـــوايَ للخَالِـقْ أَنَّـنِــــيْ عـاشِــقْ
فــي الهــوى صـادقْ عـــارفٌ بـالـــوَجْدْ

وقال سامحه الله: [من مجزوء الرَّمل]

أيُّهــا المُعْـرِضُ عنَّــا مــا جـرى مـا كان منـا
كلُّ شَـيءٍ منـكَ سَـهلٌ غيــرُ إعْراضِـكَ عنَّــا
مَـنْ يُطيـقُ الهجـرَ حتَّـى غِبْتَ [يا محبوبُ][٢] عنَّا
مِنْـكَ يـا محبـوبُ قلبِـيْ فـي فـؤادِ القلـبِ غنَّـى
غِبْــتَ عنَّــا فافتُضِحْنـا وسَــكِـرْنـــا وجُـــنِنَّا
مــا لِمَــنْ يَهــواكَ عَقْــلٌ إنَّ مَــنْ يَهــواكَ جُنَّــا
كيـفَ حالِـيْ فـي هَـوى مَـنْ قد سـبى إنسـاً وجِنَّا
ليتَــه لــو زارَ صبَّــاً مُغرمــاً والليــلُ جَنَّــا
كانَ يُحيِـي مَيْـتَ هَجْـرٍ مِـنْ جَفـاه صـارَ مُضنـى
صــارَ مَيْتـاً فــي هَـــواهُ مِـنْ هَـواهُ الصَّـبُّ أضنى
ذابَ مِــنْ صَــدٍّ وبُعــدٍ قلــبُ مُضنــاهُ المعنَّــى
آهِ منْــه مِــنْ[٣] جَفــاهُ مِــنْ هَــواه مــا تهنَّــا

---

(١) في الأصل: «مِنْ».

(٢) زيادة يقتضيها الوزن.

(٣) في الأصل: «ومن».

يتمنَّـى الوَصْـلَ لكـنْ ليـسَ يُـدرِكْ(١) مـا تمنَّـى
ليـتَ شِـعرِيْ يـا حبيبـي مَـنْ لهـذا الهَجْـرِ سَـنَّا
مَـنْ يُجيـرُ الصَّـبَّ مِمَّـنْ لَحظُـهُ للقتـلِ سُـنَّا
يـا لَقومـيْ سَـاعِدوني إنَّنـيْ قـد صِـرْتُ مُضْنى
طالمـا حَلْقـي كمَرْعَـى مِـنْ غَـزالٍ قـدْ تجنَّـى
ذاكَ لـوْ يرضَـى بوصْـلٍ لأزالَ الـهـمَّ عنـا

وقال سامحه الله: [من مجزوء الرَّجز]

[أ](٢)يا خليلاً [قد](٣) سَلَا إنْ كـان قـلبـي قـد سَلَا
وحـقِّ مَـن أهـوى فـلا أسـلوْ ولـوْ زادَ الصُّـدُودْ
[و]كيف(٤) أسلُو مُهجتي ونـاظِـريْ ومُنْيـتـيْ
يـا لهَفـي يـا حسْـرَتِيْ إنْ لَـمْ يُواصِـلْ ويَجـودْ
لقـدْ رمانـي بالسِّـهامْ وطـارَ عنِّـي كالحَمـامْ
و[قد] مـلا كأسَ الحِمامْ وقـال لي أنـتَ المَصُودْ
ومَـرَّ بـدْراً أشـرقا ومُهجتـيْ قـد سَـرَقا
يـا حبَّـذا لـو نَطَقـا وقـالَ لا تخشَ الحَسـودْ

---

(١) التسكين لضرورة الوزن.

(٢) زيادة يقتضيها الوزن.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن.

(٤) في الأصل: «كيف»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

بِـهِ غَرامِـيْ قَـدْ حَـلا وليـسَ لـي عَظـمٌ خَـلا
مِـنْ حُبِّكُـمْ فكَـمْ جَـلا عنِّـي هُمومـاً ونُكـودْ
يمـرُّ بـي مُسـلِّمَاً وثَـغـرُهُ مبـتسماً[(١)]
أقـولُ شَـوقاً عندمـا يَمـرُّ يـا تُـرى يَعـودْ
إنْ للعـواذِلْ كَلَّمـا واللهِ قلبِـيْ كَلَمـا
أذُوبُ خَوفاً كُـلَّمـا يَصُدُّ مِـنْ خَوفِ الصُّدودْ
دعـوى فـؤادِيْ للصَّبـا ومـالَ مِـنْ عنـدِ الصِّبـا
بـاللهِ يـا رِيـحَ الـصَّبـا سَلِّمْ على الظَّبْيِ[(٢)] الشَّرودْ
وقـلْ لـهُ المضْنـى عَليلْ ومَـا شَـفى مِنكُـمْ غَليـلْ
وجِسـمُه[(٣)] أمسـى نحيل ودمعُـه فـوقَ الخُـدودْ
فكَـمْ صُـدودٍ وجَفـا وليـس فـي وَجْـدِيْ خَفَا
ليـسَ الحبيـبُ مُنصفـاً يـا أسـفا لَـمْ لِـيْ شُـهُودْ

وقال عفا الله عنه: [من مجزوء الرَّجز]

أحالَنِـيْ فأنـا مُحـالْ وقالَ لـيْ وَصْلِـيْ مُحالْ
فقلتُ ما هَـذا حَـلالْ أ]مـا ترى جِسمِيْ خِلالْ
أجابَنِـيْ إصبِـرْ[(٤)] علـى هَجْـرِي فعُجْبـي قـد علَا

---

(١) الصحيح أن يقول: «مبتسمٌ».
(٢) وهنا أيضاً كُتبتْ الضاد ظاءً.
(٣) في الأصل: «جسمٌ».
(٤) تُقطع همزة الوصل لضرورة الوزن.

وطِيبُ وَصْليْ قد غَلا ... فسَلِّ نفسَكْ[١] بالمُحالْ

فقلْتُ مالي مِنْ غِنَى ... عنْكَ فقلبِيْ في غِنَى

فارحَمْ مُحبّاً قدْ عَنى ... مَعناكَ يا هذا الجَمالْ

فقالَ كَمْ تُبديْ اعتذاراً ... لستُ أقبلُ اعتذارْ[٢]

وحقِّ طَرْفي والعِذارْ ... لا [لنْ][٣] ترى مِنِّيْ وَصالْ

فقلتُ ما مِنِّي جرى ... أليس دمعيْ قدْ جرى

فكَمْ عَسى وكمْ جرى ... أقولُ يا مولى الموالْ[٤]

وكمْ بَدا مني جُنونْ ... وما أرى قَلباً حَنونْ

يا مُنيتيْ ماذا يَكونْ ... وكيف حالي واحتيالْ[٥]

وكم جرى منِّي عُيونْ ... مِنْ أماقٍ وعُيونْ

يا سيِّدي هذا يهونْ ... إن كنتَ ترضى في فعالْ

فقال لا تخشَ عَذُولْ ... فما لنا عنْكَ[٦] عُدُولْ

[و]للسوى[٧] فهل عدول ... تشهدْ وتُثبتْ[٨] ذا المقالْ

---

(١) تسكَّن لضرورة الوزن.

(٢) في الأصل: «اعتذاراً».

(٣) زيادة لضرورة الوزن.

(٤) في الأصل: «الموالي».

(٥) في الأصل: «احتيالي».

(٦) في الأصل: «عندك»، وهو خطأ، فالمقصد هنا أنَّه ليس لنا ميلٌ إلى غيرك.

(٧) زيادة الواو لضرورة الوزن.

(٨) هذا الفعل والذي قبله حقُّهما الرفع، وسُكِّنا لضرورة الوزن.

فقلتُ واللهِ نَعَمْ عندِيْ وخادٌ[1] والنَّعَمْ
ومَنْ حَباكَ ذي[2] النِّعَمْ وبالمِلاحةْ والدَّلالْ
دمعِيْ وشَوقِيْ والكَرَى وكَونُ نَفسِي بالكِرا
أكْرَيتُها لكي تَرَى وجْهاً شَبيهاً بالِهلالْ
كذاكَ وَجْديْ والنَّوى أمَرُّ مِنْ ضَرْبِ النَّوى
يا مَنْ لِقَتْلِيْ قد نَوى اقتُلْ فقدْ طابَ القِتالْ
أمرِيْ إليكُمْ مُسْلَمُ وأنا مُحِبٌّ مُسلِمُ
إنِّيْ عليكَ[3] مُسلِّمُ إنْ رُمْتَ هَجْراً أو وِصالْ
يا مُنيتِيْ هَجَرْتَنِيْ مِنْ غيرِ ذَنبٍ قدْ جَرَى
يا ليتَ شِعْرِيْ ما الذي قد صارَ مِنِّي يا تُرى
أما عَلِمْتَ لَوْعتِي وذِلَّتِيْ بينَ الوَرَى
أمَا رأيتَ حالتِيْ وحَسْرَتِيْ أمَا تَرَى
أنتَ الذيْ ظَلَمْتَنِي ومنكَ دَمعِيْ قد جَرَى
وزاد شَوقِيْ والجَوى دَمْعي جَرى مِمَّا جَرَى

وقال أيضاً: [من الرَّمل]

أيها المُعْرِضُ عنَّا أَفْتِنا هلْ يَجوزُ الهجْرُ مِمَّنْ أُفْتِنا

---

(١) من (الوخد)، وهو السير السريع.

(٢) في الأصل: «بذي»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٣) في الأصل: «عليكم»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

أمْ حَـرامٌ سـيدِيْ [ذا][1] دُلَّنـا ... مـا سَـألْنـاهُ حَقيقـاً بَيِّنـاً

وتصفَّـحْ سيِّدِيْ كُتْـبَ الهَـوى ... وتأمَّـلْ قبـلَ أن تُفتِـيْ[2] لَنـا

ولْتُراجِـعْ مَـنْ دَرى مُشْـكِلَها ... واختَبِـرْ مِمَّـنْ رأى ذِلَّتَنـا

إنْ عَرَفْتَ الحقَّ فافْتِ واحْكُمَن ... كيـفَ مـا شئتَ أنـا العبدُ أنـا

إنْ تُـرِدْ قَتْلِـيْ فأهـلاً سـيديْ ... أو تَـرُمْ وَصْلِـيْ فبُلِّغْـتَ المنـى

وقال أيضاً: [من الرَّمل]

أيُّها العاشِقُ فينـا لُـذْ بِنـا ... لا تَخَـفْ يـا مدنَفـاً مِـنْ هجرنا

لا تَخَـفْ يـا صادقـاً فـي حُبِّـهِ ... ليـسَ هَجْـرُ المـرءِ مِـنْ شِيمتِنا

قد تصفَّحْنا الكتابَ[3] في الهوى ... فـرأيْـنـا الـهَـجْـرَ قـد حَـلَّ لَنا

جائـزاً مِـنْ مُدمـعٍ فـي حبِّـه ... كاذِبـاً أو قولِـهِ فـي حُبِّنـا

وحرامـاً منكَـراً أو صَادقـاً ... ذاكَ بُشْـراهُ بغالـيْ[4] وَصْلِنـا

خُـذْ جَوابـاً أيُّهـا السَّـائلُ لِـي ... قـدْ أجبْنـاكَ جَـواباً بيِّنـاً

وقال رحمه الله: [من الوافر]

مـاذا تقـولُ السَّـادةُ العلمـاءُ ... أهـلُ الثَّنـا والمَجـدِ والنُّبـلاءُ

فيمَنْ يُحِبُّ البَدرَ والشَّمسَ التي ... قـد زانَهـا الإشـراقُ والأَضـواءُ

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن.

(٢) في الأصل: «تفت»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «الكتب»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٤) في الأصل: «بغال» دون ياء.

وغَـدا بِهَجْـرِ البـدرِ مُصفـرّاً إلى ... أن زاره الحُسَّـادُ والأعـداءُ
أيجـوزُ هـذا أمْ حَـرامٌ سـادتِي ... رُدُّوا الجـوابَ فأنتُـمُ النُّجبـاءُ

وقال سامحه الله مجيباً: [من الوافر]

هَجْـرُ الفتـى فـوقَ الثَّـلاثِ مُحـرَّمٌ ... لا سيَّـمـا إنْ كـانَ فيـه ضَنـاءُ
ووِصالُـهُ للصَّـبِّ حِـلٌّ جَائزٌ ... لاسيَّما إنْ كان فيـهِ شِـفاءُ
والشَّـرطُ لا يُنسـى وذَلـكَ(١) عِفَّةٌ ... ودِيـانـةٌ وصـيـانةٌ وحيـاءُ

وسُئل سامحه الله: [من الكامل]

مـا قولُكُـمْ يـا مَـن بـه زَالَ العَنا(٢) ... عـنْ سـائِلٍ بعـدَ المشـقَّةِ والضَّنَـى
فيمَـنْ بُلِـيْ(٣) بمحبَّـةٍ وتـعـشُّـقٍ ... في حُسْـنِ حِـبٍّ يـا لَـه مـا أَحسَـنَا
أُعطـيْ لـه مـالاً لأجـلِ وِصالِـه ... فأبـى الحبيـبُ وِصالَـه يـا مَـن سنا
لـزِمَ الوِسـادَ ولـم يَـزَلْ متوسِّـداً ... مِـنْ هَجـرِ حِـبٍّ فـي قُليـبٍ سُـكِّنَا
مـاذا عليـهِ بالصُّـدودِ وبالجَفـا ... وبقتلِـهِ ظُلمـاً بـلا ذَنْـبٍ جَنَـى
أو هـل عليـه بالصُّـدودِ خَطيئـةٌ ... مِـنْ غيـر جُـرْمٍ للصُّـدودِ أباحَنـا
رُدُّوا لنـا هـذا الجـوابَ مفصَّـلاً ... يـا مَـنْ حَـوى فضـلاً كـذا وتفنَّنـا
يُعطيكُـمُ الرَّحمـنُ كلَّ مؤمَّـلٍ ... ويزيدُكُـمْ مـن فضلِـهِ فـوقَ المُنـى

---

(١) في الأصل: «وذاك»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «العناء» بالمدّ، وهو خطأ لضرورة الوزن والقافية.

(٣) تُسكَّن لضرورة الوزن.

وقال عفا الله عنه: [من الكامل]

يا سَائلاً يشكو المحبَّةَ والضَّنى ... ويَرُومُ وصلَ الحِبِّ كي يلقى المُنى

الحُبُّ داءٌ والغرامُ مرارةٌ ... يا راحةَ الخالِينَ من ذاكَ العنا

إني لأحسُدُ كُلَّ خالٍ تاركٍ ... مُرَّ الغرامِ وليس يَدري ما هنا

إن كنتَ تَحفظُ للشُّروطِ تَلقَّها ... من عفةٍ وصِيانةٍ وتديُّناً

فيكونُ إذْ[1] ذاك الصُّدودُ مُحرَّماً ... لا يَنبغِي مِنْ غُصْنِ بانٍ[2] المنحَنى

وعليهِ إنْ رام العِيادَ خطيَّةٌ ... بصدودِهِ عمَّنْ بِهِ قد فُتِّنا

أو لا فلا ذنبٌ عليهِ إذا جَفَا ... ويُباحُ هجرُ الصَّبِّ إن عيباً جنى

والوصلُ قِسمانِ الجُلوسُ بعفَّةٍ ... مِنْ غيرِ ما فُحشٍ وعيبٍ والخَنا[3]

هذا على المحبوبِ وَصْلٌ واجبٌ ... من غيرِ بَذلٍ للدَّراهمِ تَفْتِنَا

والآخرُ المعكوسُ فاترُكْ واسترِحْ ... واخشَ الإلهَ[4] وسَلْهُ[5] أن لا تُفتَنا

إني وَضَعْتُ لذا[6] المقامِ رسالةً ... وأتيتُ فيها بالشُّروط وبالمُنى

راجعْ لها تَظفَرْ بشيءٍ باهرٍ ... للعاشقينَ و[7] للصبابة والضنا

---

(١) في الأصل: «إذا»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «باني»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «خنا»، والتصويب لضرورة الوزن.

(٤) في الأصل: «إلهاً»، والتَّصويب لضرورة الوزن.

(٥) في الأصل: «واسأله»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٦) في الأصل: «لذاك»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٧) في الأصل: «أو»، وعليه ينكسر الوزن.

والعبدُ مَرْعــيٌّ عُـبيـدٌ عـاجـزٌ … في الحُبِّ منسوبٌ لأحمدَ[1] قد عنى

لكنَّـه يرجـوُ النَّجـاةَ[2] وراحـةً … مـن بعـدِ هـذا والمسـرَّةَ والهنـا

بمحمـدٍ خيـرِ البريـةِ كلِّهـا … صلـى عليـه اللهُ مـا طَـرْفٌ رنـا

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من الكامل]

للهِ أشكـو فُـرقـةَ الإخـوانِ … أهـلِ الصَّفـا والحِلـمِ والعِرفـانِ

أشـكُو التَّباعُـدُ والتَّقاطُـعَ والجَفـا … ومَوَاجعـاً أصبحـتُ منهـا فانـي

أشـكُو التَّشـتُّتَ والتفـرُّقَ بينَنـا … ومدامعـاً تنهـلُّ [مـن][3] أجفانـي[4]

مـن فُرقـةِ الأحبـابِ قـد زادَ الجَـوى … والقلـبُ فيـه لواعِـجُ النِّيـرانِ

مـن فُرقـةِ الأحبـابِ صِـرْتُ مولَّهـاً … حتَّـى أُرى فـي النَّـاسِ كالسَّـكرانِ

يـا دهـرُ أنـتَ ظلَمْتَنِـيْ ورميتَنِـي … بفراقِهـم أشـكوكَ للرَّحمـنِ

يـا دهـرُ لـو أنصفـتَ مـا فرَّقتَنـا … مـن بعـدِ جمـعِ الشـملِ بالخِـلَّانِ

يـا دهـرُ أنـتَ بَليتَنـي[5] ببعادِهـم … يَبـلاكَ[6] ربِّـي مثلمـا أبلانـي[7]

يـا دهـرُ عجَّلـتَ الفِـراقَ فليـت لـو … أنـصـفـتَـنَـا يَـومـاً مـن الأزمـانِ

---

(١) في الأصل: «لأحمدا»، وهو خطأ.

(٢) في الأصل: «النَّجا»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(٤) في الأصل: «الأجفان»، والتصويب لضرورة الوزن.

(٥) كذا في الأصل، والصواب أن يقال: «بلوتني».

(٦) كذا في الأصل، والصَّواب أن يقال: «يبلوك».

(٧) في الأصل: «بلاني»، والتصويب لضرورة الوزن.

يـا دهـرُ إنِّـيْ مـن أليـمِ فراقِهـم ... فـي غايـةِ الأشـواقِ والأحـزانِ

يـا دهـرُ إنَّ النَّـومَ ليـس يلَـذُّ لـي ... مـن بعـدِ فُرقتِهـمْ لقلبِـي العانـي[١]

يـا دهـرُ إنَّ الصبـرَ لسـتُ أُطيـقُـهُ ... كيـفَ اصطبـاري والحبيـبُ[٢] جَفاني

يـا دهـرُ كيـف الحـالُ إن طـالَ الجَفا ... مـا حـالُ مَيْـتٍ صـارَ فـي الأكفـانِ

يـا دهـرُ مَـنْ لـي بالوِصـالِ لحيِّهـمْ ... حتَّـى أكـونَ بـهِ مـن السُّـكانِ

وقال أيضاً: [من البسيط]

وقـدْ غرقـتُ ببحـرٍ لا قـرارَ لَـهُ ... ضـدَّانِ قـدْ جُمِعا مِـنَ اَغْرب اَشياءِ[٣]

رُوحـي فـداءٌ لِمَـنْ هِجرانُـه تَلَفِـيْ ... ومَـنْ مَسـاكنُه[٤] جَـوَّى[٥] سُـويدائي

ومَـنْ مَحاسـنُهُ الأضـدادَ قـد جَمَعـتْ ... فالمـاءُ والنَّـارُ فـي خِدَّيـهِ للرائـي

قال أيضاً: [من الطَّويل]

يُهيِّجنـي أبْـداً[٦] إليـكَ هـواءُ ... ويُقلقُنـي أمْـداً[٧] عليـكَ نَـواءُ

---

(١) في الأصل: «لقلب العان».

(٢) في الأصل: «نحيبٌ»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «ضدَّانِ قدْ جُمِعا مِنَ أغْرب الأشياءِ»، وهو غير موزون، والتّصويب لينضبطَ الوزن. ولا بدَّ مع هذا التغيير، من وصل همزة (اغرب)، و(اشياء). ولا يستقيم الوزن إلا بهذا.

(٤) في الأصل: «ساكنه» وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٥) جَوَّا، وبَرَّا: كلمتان من العامّي الفصيح، وتعنيان الدَّاخل والخارج. يُروى في الأثر: (إن لكلِّ امرئٍ جَوانيَّاً وبرَّانيَّاً، فمن أصلح جَوانيَّه أصلح اللهُ برَّانيَّه). والجوَّاني والبرَّاني هنا: السرُّ والعلانية، ولعلَّ منها تسمية (الجوَى)، وهو كلُّ داءٍ يأخذُ في الباطن.

(٦) يجب تسكين الباء هنا لضرورة الوزن.

(٧) يجب تسكين الميم هنا لضرورة الوزن.

وتنعشُني ذِكراكَ إنْ كنتُ ميِّتاً ... وتُؤنسُني لُقياكَ وهْيَ دواءُ
أراكُمْ ألِفتُمْ للبقاءِ تجنِّياً ... وبُعدُكُمُ صَعبٌ عليَّ ودَاءُ
وقاطعتُمُ المشتاقَ مُضْنَى غرامِكُمْ ... وهيَّجتُمُ الأشواقَ وهْيَ عَناءُ
وأحرقتُمُ قلبِيْ بتعذيبِ مُهجَتِي ... وأذهبتُمُ لُبِّي وذَاكَ بَلاءُ
وسائلُ أشواقِيْ إليكُمْ تأوُّهي ... وبحرُ غَرامِيْ بالدُّموعِ دماءُ
فآهٍ من الهِجرانِ منكُمْ تعسُّفاً ... ففي القلبِ منه لَوعةٌ وجَواءُ
وآهاً لصبري بعدَكُمْ وتجلُّدي[1] ... حياتي وموتي بعد ذاكَ سَواءُ
وواهاً[2] لِذكراكُمْ إذا ما ذَكرتُكُمْ ... ومِنْ بُعدِ أرضٍ بيننا وسماءُ
عليكُمْ سَلامُ اللهِ ما حرَّكَ الهوى ... محبّاً وما جَنَّ الحبيبَ حَياءُ

وقال عفا الله عنه: [من الطويل]

أيا من حلا لي ثغرُهُ ورحيقُهُ ... رويدكَ إن القلبَ زاد حريقُهُ
ويا من تجنَّى بالدَّلالِ ومُتلفِيْ ... ومَن لَحظُهُ سيفٌ يَلوحُ بَريقُهُ
ويا من حكاه الغصنُ وهو وَريقُهُ ... ووردٌ [و][3]شَهدٌ وجنتاهُ ورِيقُه
تُعلَّقُ آمالي بذاكَ وتَنثني ... وهلْ يَنثنيْ عمَّنْ يحبُّ مَشوقُهُ
وصيَّرتَ لي ذنباً ولم أكُ مُذنباً ... وحمَّلتَني بالهجرِ ما لا أُطيقُهُ
وقاطعْتَنِي عَمْداً بغيرِ جنايةٍ ... وما هكذا يَجفو الصَّديقَ صديقُهُ

---

(١) في الأصل: «تجلُّده»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «واهٍ»، وهو خطأ.

(٣) زيادة لينضبط الوزن.

وهيَّجتَني شوقاً ولكنْ مَلِلتَني ... وهيَّمتَني والوصلُ ناءٍ طريقُهُ
صبرْتُ ومُرُّ الصبرِ فتَّتَ مُهجتيْ ... وإن كنتَ في شكٍّ فسَلْ مَنْ يذوقُهُ
تسلَّيتُ بالآثارِ عنك توهُّماً ... وياليتَ لو واليتَ مَنْ زاد شَوقُهُ
فيا سُوءَ حظِّيْ سوف أبكي تحسُّراً ... فبَعدَكَ طَرفي لا يَرى مَنْ يَروقُهُ
فيا هلْ تُرى يوماً تَجودُ تعطُّفاً ... كما هيَّجَ[1] المشتاقَ وصلاً صديقُهُ
علي أنني لا أطلبُ الوصلَ للهَوى ... ولكنَّه أَجْري إليكَ أسوقُهُ
عليكَ سلامُ اللهِ يا مُعرِضاً نأى ... ويا من إلى لُقياهُ قلبي مَشوقُهُ

وقال رضي الله عنه: [من الكامل]

أبداً فؤادِيْ بالغرامِ مَشوقُ ... وإلى الهوى والمُرهَفاتِ مَسوقُ
أَبداً أُعذَّبُ بالتجني عامداً ... مِنْ ميلِ غصنٍ قدُّهُ ممشوقُ
في حبِّه وغرامِهِ ودلالِهِ ... وجمالِهِ قد لذَّ لي التَّمزيقُ
ورحيقُ لمياهُ[2] يلَذُّ لعاشقٍ ... معْ أن هذاكَ الرَّحيقَ حريقُ
وبوجنتيهِ الوردُ في جمرِ الغَضا ... وبعارضَيهِ شقائقٌ وشَقيقُ
وسهامُ عينيه وناظرُ قدِّهِ ... للناظرينَ وراشقٌ ورَشيقُ
يا حبَّذا رشأٌ بُلِيْ كصَبابتِي ... ومنَ العجائبِ عاشقٌ معشوقُ
قد ذاقَ ما قد ذُقْتُ لكنْ حُبُّهُ ... لحبيبِهِ مِنْ حُبِّهِ مسروقُ

---

(١) في الأصل: «يهيّج»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) اللَّمى: وهو سمرة في الشفةِ تضرِبُ إلى السَّواد. وهي صفةٌ مستحسنةٌ في الجمال. يقالُ للرجل منها: ألمى، وللمرأة: لمياء.

أنّـى يَميـلُ وكـمْ يَميـلُ تجنّيـاً ... أنَّـى يَـروقُ وإنَّنـي[1] لَرفيـقُ

أو هـلْ أَراهُ مُواصِلِـيْ أو مُنصِفِـيْ ... أو ذا مُحـالٌ مـا إليـهِ طَرِيـقُ

لـو كان يُنصَـفُ كان يَعشَـقُ نَفسَـهُ ... إذ صـار فَـرْداً مـا لديـهِ شَـقِيقُ

وقال أيضاً: [من الطويل]

فـآهٍ مِـنَ الحُـبِّ الـذي لا وَراءَه ... مَزيـدٌ ولا مِثْلِـيْ بِـهِ أَحَـدٌ يُبلَـى

وواهـاً[2] مـن الهِجـرانِ مِمَّـنْ أُحِبُّـهُ ... ومَـنْ أنـا فـي نـارِ الغـرامِ بِـهِ مُقلَـى

وقال عفا الله عنه: [من مجزوء الكامل المرفَّل]

إن القلـوبَ لـدى المحبَّـةِ ... لا تُسـاويْ وزنَ حبَّـةْ

كـم [مـن][3] مليـكٍ مالـكٍ[4] ... يلقَـى الأسـيرَ لمـن أحبَّـهْ

[وا][5] حمـةً للعاشـقينَ ... المغرميـنَ مـعَ الأحبَّـةْ

وقال أيضاً: [من الكامل]

يـا دهـرُ إنِّـي قـد وهبـتُ مبشِّـريْ ... بِوصالِهِـمْ رُوحـيْ كـذا وجَنانـي

يـا دهـرُ هـذا حُكْـمُ ربٍّ قـادرٍ ... سـبحانَهُ مـا جـارَ فـي الإنسـانِ

سـبحانَهُ كَتَـبَ الفِـراقَ علـى الـوَرَى ... نرجُـوهُ يَجمعُنـا بغيـرِ تـوانٍ[6]

---

(١) في الأصل: «إنّي»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «واه»، وهو خطأ.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن.

(٤) في الأصل: «مالك به» وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٥) زيادة يقتضيها الوزن.

(٦) في الأصل: «منه»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

حتَّى نشاهدَ مَنْ نحبُّ ونشتكيْ ... ما قد لقيناهُ من الهِجرانِ

أوَّاهُ مِنْ شوقيْ لِمَن هو بُغيتيْ ... يا ليتَه في العمرِ لو وافاني

أصبحتُ أبعثُ في النَّسيمِ رسائليْ ... وأقولُ شَوقاً والغَرامُ عَراني

يا أيُّها الرِّيحُ الجَنوبُ تحمَّلِيْ ... شَوقيْ وما أُخفيه من أَشجانيْ

واقرِي السَّلامَ أحبَّتِي فلعلَّهمْ ... أن يَسمحوا بالوَصلِ للوَلهانِ

أو يَعطِفُوا أو يُسعِفُوا أو يَرحمُوا ... مَنْ صار مقتولاً بغيرِ سِنانِ

يا سادةً أخذُوا الفؤادَ وخلَّفوا ... جِسميْ أسيرَ الهمِّ والأحزانِ

رِيحُ الشَّمالِ أتى إليَّ مخبِّراً ... عن حالِكُمْ وبهجرِكُمْ أنباني

وأشاعَ عنكُمْ بالبِعادِ وقولُهُ ... وحياتِكُمْ يا سادتيْ أبْكانِيْ

وذكرْتُ أيامَ الوِصالِ ونحنُ مِنْ ... فَرْطِ السُّرورِ بفرحةٍ وأمانِ

يا عينِيْ لا تبكِي الدُّموعَ فرُبَّما ... مِنْ بعدِ بُعدِهُمُ يكونُ تدانٍ(١)

إنِّي لأحمدُ بلْ وأشكُرُ مالكِيْ ... مَنْ لستُ أنساهُ ولا يَنساني

ثُمَّ الصَّلاةُ على الذي هو شافِعِيْ ... ما غنَّتِ الوَرقا على الأغصانِ

وقال عفا الله عنه: [من المتقارب]

ألا إنَّ قلبيْ معَ الظَّاعنينا ... حزينٌ فمَنْ ذا يُعزِّيْ الحزينا

ومن ذا يُسلِّي كيئباً يرى ... بأنَّ الفؤادَ معَ الراحلينا

فيا راحلينَ قِفُوا ساعةً ... ورِقُّوا لحاليَ يا سائرينا

---

(١) في الأصل: «تداني».

وداوُوا سَقاماً لكُمْ في الحَشا فقد صِرْتُ مَيْتاً مِنَ الهالكينا

وعينيْ تَسيلُ على وَجنتيْ تُبَكِّيْ عليكُمْ سنيناً سنيناً

فيا حاديَ النُّوقِ يا ظَالماً فإنِّي ضعيفٌ من العاجزينا

ولا تُسْرِعِ السَّيرَ يا حادياً فإنيْ ضعيفٌ من العاجزينا[١]

تمهَّلْ رُويداً عسى ناظرِيْ يرى أيَّ أرضٍ [غدَوا][٢] سالِكينا

لئِنْ غُيِّبُوا اليومَ عن ناظرِيْ ففي القلبِ صارُوا مِنَ السَّاكنينا

فيا أهلَ نجدٍ أتى أرضَكُمْ هلالٌ يزورُ معَ الزَّائرينا

فقُومُوا لرؤياهُ يا فوزَكُمْ فليتِي[٣] أكونُ مِنَ النَّاظرينا

سَقامِيْ ضَنايَ وقد عاقَنيْ عنِ الوصلِ يا فَرحةَ الشَّامتينا

رمانِيْ[٤] زمانيْ فيا حسرتي ويا حَرَّ قلبيْ على الظَّاعنينا

ويا طُولَ نَوحيْ ويا فرحتِيْ عسى اللهُ يَكتُبُ في الصَّالحينا

وقال عفا الله عنه: [من الخفيف]

ليتَ في الدَّهرِ لو حَظِيتُ بيومٍ فيه أخلُو مَنَ[٥] الهوى والغَرامِ

خالِيَ القلبِ مِنْ تنازُعِ وَجْدٍ وصُدودٍ وحُرقةٍ وهُيامِ

---

(١) هذا الشطر مكرَّرٌ من البيت الذي قبله.

(٢) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «فليتني»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٤) في الأصل: «ورماني» وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٥) في الأصل: «ورماني» وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

كـي يُـراحَ الفـؤادُ مـن طُـولِ شَـوقٍ ... قـد سـقاه الهـوى بـكأسِ الحِمـامِ

وقال أيضاً: [من الطَّويل]

بروحـيَ مَـنْ لـيْ فـي لِقـاهُ وَلائِـمُ ... وكَـمْ فـي هـواهُ لـيْ[١] عَـذولٌ ولائِـمُ

عـلـى وجـنـتيهِ وردتَـاهُ[٢] وخالُه ... كمِسْكٍ لطيفِ الوصفِ والثَّغْرُ باسِـمُ

بديـعُ التثنِّـيْ مرسَـلٌ فـوقَ خَـدِّهِ ... عِـذارُ هـوى العَـذْرا لديـهِ مُـلازِمُ

ومـن عَجَـبٍ أنِّـيْ حَفِظْـتُ وِدادَهُ ... وذلـكَ[٣] عنـديْ فـي المحبَّـةِ لازِمُ

وبينـيْ وبيـنَ الوصـلِ منـه تَبايـنٌ ... وبينـيْ وبيـنَ الفَصْـلِ منـه تَـلازُمُ

وقال سامحه الله: [من الطَّويل]

صبـوتُ وكَمْ أصبُو إلى وَصْلِ أهيَفٍ ... رشـيقِ قِـوامٍ سـاحرِ الطَّـرْفِ أَغْيـدا

لطيـفِ المعانـيْ حـازَ كُلَّ مَلاحـةٍ ... ظَريفِ المغانيْ كاملِ الحُسـنِ مُفردا

ولكـنْ قسـا قَلبـاً ولانَ معاطِفـاً ... وفـي وجنتيـه الـوردُ والنَّـارُ والنَّدى

هـلالٌ إذا مـا لاحَ غُصـنٌ إذا انثنـى ... نسـيمٌ إذا مـا راحَ بـدرٌ إذا بـدا

غَـزالٌ ولكـنْ مِـنْ بنـي الإنسِ نَشـأةً ... ولكنَّـه يهـوى النُّفـورَ مشـرَّداً

يَـرى الهجـرَ والإعراضَ غيرَ سـجيَّةٍ ... وتعذيـبَ مَـنْ يَهـواه نَدْبـاً مؤكَّـداً

ومذهبُـه أن لا يـرِقَّ لعاشِـقٍ ... يَـرى قتلَـه حَتْمـاً حَـلالاً تعمُّـداً

ومَـنْ مثلُـه يَهـوى فأمـرٌ مقـدَّرٌ ... ومَـنْ يدفعُ المقـدورَ إن جـاء أوغدا

(١) في الأصل: «وكم لي في هواه..» وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «وردتيه»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «ذاك»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

بُلِيتُ بِهِ لكنْ بغيرِ إرادةٍ فدمعِيْ طَلِيقٌ والفؤادُ تقيَّدا
أراه بِلا ذنبٍ بُعذِّبُ مُهجتِيْ ويُؤلِمُ قلبِيْ بالصُّدودِ وبالصَّدى[١]
ومن عَجَبٍ أنْ ليس يرثِيْ لحالَتِيْ وحالِيْ له يَرثِيْ العواذلُ والعِدا
وما دَأْبُه إلا التَّذلُّلُ والجَفا وطُولُ التَّجنِّي والتَّثنِّيْ على المَدى
ودَأْبِيَ أنْ أُبْدِيْ خُضوعِيْ وذِلَّتِيْ إلى مَنْ تجلَّى بالدَّلالِ مُعوَّداً
إذا قلتُ ما هذا التذلُّلُ قالَ لي لكلِّ امرِئٍ مِنْ دهرِهِ ما تَعَوَّدا

وقال سامحه الله: [من الطَّويل]

ألا فاجتنِبْ سِحْرَ العُيونِ وحاذِرَنْ لِحاظَ الظِّبا[٢] فالموتُ فيها مَراشِقُهْ
وزِدْ قَدَراً مِنْ ناعِسِ الطَّرْفِ أهيَفٍ إذا مالَ مالتْ[٣] بالتَّصابِيْ عَواشِقُهْ
ولا سيَّما متبرِّجاً[٤] في جمالِهِ يَتيهُ دَلالاً والتَّجنِّيْ طرائِقُهْ
إذا لاحَ غارَ البدرُ أو مَالَ وانثنى تَخاجَلَ غُصنُ البانِ واصفرَّ وارِقُهْ
حكى الكوكبَ الدُّرِّيَّ والشَّمسَ إنْ بَدا مِنَ الجانبِ الغربيِّ تبدو مشارِقُهْ
يُرى دائماً للنيِّرينِ مُقارِناً وحُبُّ التعالِيْ والتَّسامِيْ خلائِقُهْ
تَزيدُ دَلالاً كلَّما زِدْتَ صَبوةً وصدّاً إذا ما خالَ أنَّكَ عاشِقُهْ

---

(١) الصَّدى هو العطش، أي أنَّ قلبه تألَّم لصدود المحبوب عنه، ومنعه الوصال.

(٢) في الأصل: «الضِّبا»، وهو خطأ، وقد تكرَّر مثل هذا الخطأ في مواطن عديدة، يكتب المؤلف فيه الظاء ضاداً، وهذا يُثبت أنَّ الناسخ كان لا يميز كثيراً بين الظاء والضاد.

(٣) في الأصل: «مال»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٤) يجب تسكين الباء من (متبرِّجاً) لضرورة الوزن.

يُريكَ التَّداني وهْو للبُعدِ طالِبٌ ... ومِنْ دونِهِ يَستعذبُ الموتَ ذائِقُهْ
فيا لكَ مِنْ بَدْرٍ بَعيدٍ محلُّهُ ... وعاشِقُهُ مِنْ شدَّةِ الشوقِ لاحِقُهْ

وهل مَطْمَعٌ في الوَصلِ للبدرِ في السَّما[1] ... وذا البدرُ لكنْ لاح في القلبِ بارِقُهْ
تراهُ قريباً منكَ والبُعدُ دُونَهُ ... وكم دونَهُ مِنْ مرهَقَاتٍ تُسابِقُهْ
على أنَّه[2] لو جادَ يوماً بموعدٍ ... فموعدُهُ تَرْوٌ[3] وجَمٌّ عوائِقُهْ
فإنْ أنتَ لمْ تعصِ الهوى في ... اتِّباعِهِ وإلا رَمَتْ بكَ المنايا عَلائِقُهْ
فآهٍ[4] لساعاتٍ تَولَّيْنَ بعدَما ... بِها كان مَنْ أهواه حُمْرٌ شقائِقُهْ
وواهاً لأوقاتٍ بها كان دائباً ... يُرافِقُني حِبِّي بها وأُرافِقُهْ
ويا طِيبَ لَيْلاتٍ بها كنْتُ[5] آمناً ... يُعانِقُني بدرُ الدُّجى وأعانِقُهْ
ويأبى الهوى الفتَّانُ إلا صَبابةً ... وإنِّي لَصَبٌّ طَاهراتٌ خلائِقُهْ

وقال أيضاً سامحه الله: [من الطَّويل]

يقولونَ لي لِمْ لا نَراكَ مولَّعاً ... بكلِّ مليحٍ ساحرِ الطَّرْفِ أغيدا
عهِدْناكَ تَصبو للمِلاحِ[6] ولُطفِهِمْ ... وتَعشَقُ إعطافاً وخَدّاً مورَّداً

---

(١) في الأصل: «السَّماء»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.
(٢) في الأصل: «أن»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.
(٣) كذا في الأصل، ولم أهتدِ إلى تصويبه، أو معرفة المقصود منه، إلا إن كان المقصود هنا هو (التروِّي)؛ أي أنَّه يتروَّى ويُبطِئ في إنجاز مواعيده.
(٤) في الأصل: «فآه به»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.
(٥) في الأصل: «كنت بها»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.
(٦) في الأصل: «للملاحا»، وهو خطأ.

وذا وَلَـعٌ بالخـالِ والقَـدِّ واللَّمـى وتَطـرَبُ إن غنَّـى الحبيبُ وأَنشَـدا
ونحـنُ نـراكَ الآنَ للـكلِّ[1] سـالياً طَليـقَ غـرامٍ كنـتَ فيـهِ مقيَّـداً
فقلـتُ لهـم والخـالُ يشـهدُ أنَّنِـي خَتَمْـتُ رسـالاتِ الغـرامِ بأحمـدا

وقال أيضاً عفا الله عنه: [من البسيط]

هـذا فـؤادُكَ نَهْـبٌ بيـنَ أهـواءِ وذاكَ رأيُـكَ شُـورى بيـنَ آراءِ
هَـواكَ بيـنَ النَّـوى والقُـربِ مقتَسَـمٌ داءٌ لَعَـمْـرُكَ واويـلاهُ مِـنْ داءِ
مـا يسـتقرُّ بـأرضٍ أو يسـيرُ إلـى أُخـرى كشـخصٍ قريـبٍ عَزمُـه نـاءِ
يَومـاً بِرَضْـوى ويَومـاً بالعُذَيـبِ ويـو مـاً بـالعَقيـقِ ويَـومـاً بالخُلَيصاءِ
وتـارةً يَنتحـي نَـجْـداً ومـكَّـةَ أو أرضَ العـراقِ وطـوراً[2] قصـرَ تَيمـاءِ
وتـارةً قصـدُهُ بُصـرى وكاظِمَـةٌ أو سـفحُ رامـةَ أو حـيٌّ بجَرْعـاءِ
ضيَّعـتَ عُمـرَكَ فـي مِصـرٍ وجِيْزتِهـا فهـلْ تُفيـقُ بِبَلـخٍ أو بصنعـاءِ
أو أنـتَ ذُو وَلَـهٍ قـدْ شـفَّهُ شَـفَقٌ مِـنْ فـرطِ [ميـلِ] محبَّتِـه لميَّـاءِ[3]

---

(١) في الأصل: «لكل»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «طور»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: من فرط محبَّته في الميّاء، ولعلَّ المقصود بميَّاء: (مَيّ)، وكأنَّه يشير بهذا إلى (ميّ) محبوبة ذي الرُّمَّة، التي قال فيها أشعاراً كثيرة، كقوله:

أَلَا يا اسْلَمِي يـا دَارَ ميَّ علـى البِلَى ولا زالَ مُنْهَـلًّا بِجَرْعائِـك القَطْرُ

والتي جعلَها منسكاً لا بدَّ للحاجِّ من المرور؛ كي يتمَّ حجه حين قال:

تَمَـامُ الحَـجِّ أن تَقِـفَ المطَايا علـى خَرْقـاءَ واضِعَـةَ اللِّثَـامِ

إنْ[١] كانَ ذاكَ فداءٌ لا دواءَ لَهُ ... وكلُّ داءٍ شديدٍ بعضُه[٢] دائي

لكنَّ ليْ أسوةً في الأمرِ مشترَكٌ[٣] ... والحبُّ بَلوى ولا بَلوى كبلوائي

أشكو إلى اللهِ من نارينِ واحدةٍ ... في وجنتيهِ وأخرى بينَ أحشائي

وقال رضي الله عنه: [من الطويل]

بروحيَ مَنْ فيهِ أَهِيمُ صَبابةً ... ومَنْ لَذَّ ليْ التَّمزيقُ في حبِّهِ قَسْراً

ومَنْ قد سبى عقلي وأَتْلَفَ مهجتي ... وصيَّرنيْ عَبْداً كأَنْ لم يكُنْ حُرَّاً

وعذَّبَ قلبيْ بالتجنِّيْ تجنُّباً ... فليْ مُقلةٌ سهراً ولي كَبِدٌ حَرَّى

وكنتُ خَلِيَّ البالِ لا أعرفُ الهَوَى ... ولا أبتغيْ في الحُبِّ هِنْداً ولا بُشرى

ولا راقَني حُسْنٌ ولا شَاقَنيْ هَوًى ... إلى شَفَةٍ لَمْيا ولا وَجْنةٍ حَمْرا

إلى أن رمانيْ من قِسِيِّ حَواجبٍ ... بسهمِ لِحاظٍ منه أورثني جمَراً

ولَمَّا بِهِ قَسراً بُليت صَبابةً ... سَكِرْتُ ولم أشربْ رحيقاً ولاخمراً

فهِمْتُ بِهِ لَمَّا فَهِمْتُ بِهِ الهوى ... ومن حُسْنِهِ حُلْواً[٤] أراه إذاً مَرَّا

ولا لذةٌ للقلبِ تَحكي وِصالَهُ ... ولكنَّه القاسي أرى هَجرَهُ مُرَّاً

يعلِّقُ آمالي غُروراً ولا يَفِيْ ... وكَمْ غَرَّ والأوصافُ فِيهِ هي الغِرَّا

(١) في الأصل: «إذا»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «وكلُّ داءٍ فبعضُه»، والتَّصويب لينضبط الوزن.

(٣) معنى البيت: أنَّ هناك مَن وقعَ في ما وقعتُ به من ألم الهجران؛ ففي الأمر اشتركٌ مع غيري؛ ممَّا يخفِّفُ عنّي آلامَه.

(٤) في الأصل: «حلوة»، والتَّصويب لضرورة الوزن والمعنى.

قريبٌ بعيدٌ ليِّنٌ قاسِي[1] أهيَفٌ ... نَفورٌ أَلوفٌ بالدَّلالِ سَما قَدْرا[2]

مَليكٌ ومملوكٌ غزالٌ تَهابُهُ ... أُسودٌ وكَمْ أبدَتْ لواحِظُهُ سِحْراً

تجمَّعَتِ الأضدادُ فيهِ غَرابةً ... فطُرَّتُهُ[3] الظَّلما[4] وطَلْعَتُه الزَّهرا[5]

إذا لاحَ مِنْ بُعْدٍ فإنِّي أخالُهُ ... هِلالاً وإن شاهدْتُ[6] أَلفَيْتُهُ بَدْراً

وما فيهِ ما أشكُوهُ إلا دَلالُهُ ... يُهيِّجُني وَجْداً وينعشُنِي ذِكْراً

بُلِيْتُ بذُلِّيْ في هوًى متعززٍ ... يرى قيصراً عبداً وخادمَه كِسرى

تَسَرْبَلَ عِزّاً من بديعِ محاسنٍ ... وقد زاد قلبي في محبَّتِهِ كَسْراً

لهُ المَيلُ طبعٌ والتجنِّيْ سجيَّةٌ ... ومِنْ صدِّهِ قد صارَ مذهبُهُ الهَجْرا

أرى قلبه القاسي مع السخط والرضى ... ولو رام عطفاً لا تساعده الأخرى

علي قدر ما عندي من الحب عنده ... صدوداً وإعراضاً أكابده دهرا

فيا رب إن لم تقسم الحب بيننا ... سواءين فاجعل لي على حبه صبرا

وقال سامحه الله: [من الطويل]

إليكَ حبيبيْ دائماً أتشَوَّقُ ... ويأخُذُني وَجدِيْ عليكَ وأَقْلَقُ

وتنعشنِيْ ذِكراكَ لو كنتُ ميِّتاً ... وتُطرِبُني رؤياكَ لولا التحرُّقُ

---

(١) الياء هنا لا تلفظ لضرورة الوزن.

(٢) في الأصل: «قدر»، وهو خطأ.

(٣) طُرَّةُ الشعرِ والثوبِ؛ أي: طرَفُه.

(٤) في الأصل: «الظلماء»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٥) يقصد في هذا البيت: أنَّ شعر المحبوب أسود فاحم كالليل، ووجهه أبيض كالصبح.

(٦) في الأصل: «شاهدته»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

ولـولا هَـواكَ العذبَ ما شـاقَنِيْ صَبا ... ولا قَـرَّتِ العينـانِ لـولا التَّعلُّـقُ
فلا مِثـلَ طعمِ الحُـبِّ والحِـبُّ دانياً ... ولا مِثـلَ طِيـبِ الوَصلِ لـولا التفرُّقُ
إذا المـرءُ لم يَعشَـقْ عَفيفـاً ولا يُرى ... محبَّـاً فـذاك المـرءُ صَلْـدٌ وأحمـقُ
عَشِـقْتُ ولكـنْ بالعفـافِ مـع التُّقى ... وهِمْـتُ ولكـنْ بالسـكونِ الموفـقُ
وأطلَقْـتُ لكنْ دمـعَ عينِيْ مسلسَـلاً ... وطَلَّقْـتُ لكـنْ كلَّ شـيءٍ يُعلَّـقُ
ومـا العِشْـقُ إلا هكـذا ليـس غيـرُه ... وإلا فتَـرْكُ الحـبِّ أعلـى وأوثَـقُ
فجانِـبْ طِبـاعَ البُهْـمِ يا مـدَّعِ الهوى ... فـإنَّ مقـامَ الحُـبِّ أعلـى وأوثَـقُ
أبـــى اللهُ والـعـشَّـــاقُ إلا تعفُّفــاً ... ولا خيـرَ فيمـنْ لا يعِـفُّ ويعشَـقُ

وقال عفا الله عنه: [من الطَّويل]

عدِمْتُ اصطباري فـي هواكُمْ فهاكُمُ ... فـؤاديْ وروحـيْ ثُـمَّ نفسِـيْ فِداكُـمُ
وأمَّـا انتحالِـيْ فـي هَواكُـمْ فظَاهِـرٌ ... ولكنَّنِـيْ أرجـو الشِّـفا بِلقاكُـمُ
دَعانـي الهـوى شَـوْقاً إليكُمْ بسـرعَةٍ ... ويـا ليتَـه لَمَّـا دعانـي دعاكُـمُ
أَجبْـتُ لداعِـي الحُبِّ مِنْ غيـرِ مُهلةٍ ... وأعرضْتُـمُ بالعُجْـبِ لِمَّـا أتاكُـمُ
فهـا مُقلتِـيْ تبكِـيْ الدُّمـوعَ لهجرِكُمْ ... وفـي قصدِهـا تبكـيْ إلـى أن تراكُـمُ
لسـانِيَ لـم ينطِـقْ بغيـرِ حديثِكُـمْ ... وعينِـيَ لـم تنظُـرْ لغيـرٍ سِـواكُمُ
غرامِـيْ صَحيـحٌ فيكُـمُ ليـسَ كاذبـاً ... ولسـتُ بنـاسٍ حفـظَ عهـدِ وَلاكُـمُ
حلفْـتُ يمينِـيْ لا تَسـلَّيتُ عنكُـمُ ... ولا مِلْـتُ عـن حُبِّـيْ لكُـمْ وهَواكُـمُ

وقال عفا الله عنه: [من الطَّويل]

عذابِي بقربِ الوصلِ من حُبِّكُمْ غدا ... ولا تُشمِتا بالهجرِ منكُمْ بِنا عدا
فما في الحشا رِقٌّ[1] سِواكُمْ لمغرَمٍ ... ولا في الهوى يَهوى سِواكُمْ وما عدا
فؤاديْ تَقيَّدْ[2] في هواكُمْ ولم يَمِلْ ... لغيرِكُمُ في الدَّهرِ يَوماً وما عدا
فما حقُّهُ صَدٌّ وبُعْدٌ وفُرقةٌ ... لقد جُرْتُمُ في العبد مَهلاً بمن عدا

وقال عفا الله عنه: [من الكامل]

بكلامِكُمْ تتراوحُ الأرواحُ ... وبنورِكُمْ يتوقَّدُ المصباحُ
وبذكرِكُمْ تأتيْ النُّفوسَ مسرَّةٌ ... وبحبِّكُمْ يأتيْ القلوبَ سماحُ
وبراحِكُمْ وبرَوحِكُمْ وبريحِكُمْ ... وبعِطرِكُمْ تتعطَّرُ الأرواحُ[3]
وبحسنِكُمْ وبلَحظِكُمْ وبقربِكُمْ ... وبوصلِكُمْ أرواحُنا تَرتاحُ
وببُعدِكُمْ وبهجرِكُمْ وبعُجْبِكُمْ ... وبصدِّكُمْ تتفتَّتُ الأرواحُ
وبِكُمْ شُغفنا لا بغيرِ جمالِكُمْ ... ولحسنِكُمْ ألوانُنا تَلتاحُ
نحنُ العبيدُ وأنتمُ ساداتُنا ... مَنْ قال قولي ما عليه جُناحُ

وقال سامحه الله: [من الطَّويل]

عيونيْ[4] من الهِجرانِ بالدَّمعِ هامعةْ ... وأرضُ اصطباريْ صارتِ الآنَ مائعةْ

---

(١) في الأصل: «رقّاً»، وهو خطأ.

(٢) تُسكَّن الدَّال هنا لضرورة الوزن.

(٣) أرواح هنا جمع ريح، أمَّا بعد بيتين، فهي جمع روح.

(٤) في الأصل: «عيني»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

فلو كان دمعي إذْ جرى من نواظِرِيْ يَسيلُ على بلْدٍ[١] لأسقى مزارِعَهْ
ولو سال في وادٍ عميقٍ إذا جرى لفاضَ كفيضِ النِّيلِ والأرضُ واسعَةْ
أنا امْسيتُ[٢] في بُعدٍ عن الحيِّ والحِمى وجنبِيْ[٣] لذيذُ النَّومِ حُرْمٌ مضاجِعَهْ
وجسميْ من الآلامِ قد صار في الضَّنى يئنُّ فيُبكيْ كُلَّ مَنْ كان سامعَهْ
وقد قلَّ صبريْ والسَّقامُ أضرَّني ونفسِيْ بذُلِّ البُعدِ في النَّاس ضائعةْ
ودهريْ من التَّفريقِ والبُعدِ قد أسا عليَّ وإنَّ النَّارَ في القلبِ طالِعَةْ
سنقوى لأنَّ الحيَّ عني وماؤُه بعيدٌ كبُعدِ الأرضِ من فوقِ سابعةْ
نسيمُ الصَّبا هبَّ على النَّارِ في الحشا فحركتِ البَلوى وزادتْ مواجِعَهْ
فلو أنَّ طيرَ الجوِّ لاقاه حرُّها لكانتْ طيورُ الجوِّ في الأرضِ واقعةْ
ولكنَّنيْ أرجوْ من اللهِ تنطقي وتنسي لنا الأيامَ بالوصلِ جامعةْ

وقال أيضاً: [من الطَّويل]

لقد زانَ مَن يهواهُ قلبي ذَوائِبُ بِها في دَلالٍ والقلوبُ ذَوائبُ
إذا ما بَدَتْ أبدَتْ بلابِلَ جَمَّةً ومِنْ سالِفَيهِ والعِذارِ عَجائِبُ
وكَمْ فيهِ مِنْ معنًى يَدِقُّ لَطافةً وبينَ المحاجِرْ[٤] والعَقيقِ غَرائِبُ
ظَلامٌ وصُبحٌ شَعرُهُ وجَبينُهُ وسَيفٌ وقَوسٌ لَحظُهُ والحَواجِبُ

---

(١) لا بد من تسكين باء (بلد) ليستقيم الوزن. ولو قال: (وادٍ) لاستقام الوزن وصحَّ المعنى.

(٢) وُصِلت همزة (أمسيت) لضرورة الوزن.

(٣) في الأصل: «جنبني»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٤) يجب تسكين راء (المحاجر)، لضرورة الوزن.

لئِنْ كان حُبُّ النَّاسِ نَدْباً وسنَّةً فحُبِّيْ له فرَضٌ عليَّ وواجِبُ
وإن غابَ عنِّيْ فهْوَ في القلبِ حاضِرٌ ألا فاعجَبُوا مِنْ حاضِرٍ وهْوَ غَائِبُ
فسَقياً لأيامٍ مضَتْ بوِصالِهِ وإنَّ الوِصالَ العَيشُ لولا العواقبُ

وقال أيضاً رحمه الله تقريضاً على كتاب الله بعض فضلاء الأشراف السيد محمد الحجازي في علم العروض: [من الطَّويل]

لك الحمدُ حمْداً تَقتضيهِ الفضائِلُ ولا بَرِحَتْ تنموْ إليه الفَواضِلُ
وصلَّى على خيرِ النبيينَ أحمدا خُلاصةِ عبدٍ شرَّفتْهُ الرَّسائِلُ
وبعدُ فإنِّي قد تنزَّه ناظرِيْ بسَقْيِ عروضٍ حُسنُ معناهُ شَامِلُ
فألفَيْتُ سِفْراً روضةً ذاتَ بَهجَةٍ بِها مِنْ ينابيعِ القَريضِ[1] جَدائِلُ
وبَحراً لآلِيْهِ الجُمانُ يتيمةً ثمينةُ نقدٍ حُسنُها متكامِلُ
عرائِسُ أبكارٌ تحلَّتْ محاسِناً تجلَّتْ[2] وجلَّت أن يَراها العَواذِلُ
فوردُ[3] محيَّاها نَدِيٌّ لعاشِقٍ وبَرْدُ لَماها سُكْرُ مَنْ هو ثَامِلُ
وناظِرُ معناها يَهيمُ بلُطفِها وناظِرُ مقناها[4] به الدَّوحُ شاكِلُ[5]

---

(١) في الأصل: «قريظ»، وهو خطأ، وهذا موضعٌ آخر خلط فيه الناسخ بين الضادِ والظاء.

(٢) في الأصل: «تجلب»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «فور»، وهو خطأ.

(٤) من (قنوان)، جمع قنو: وهي عذوق النخل، وهنا يقصد أغصان الأشجار بشكلٍ عامٍّ.

(٥) الشُّكْلةُ: هي حُمْرةٌ يُخالطُها بَياضٌ. قالَ الكِسائِيُّ: أَشْكَلَ النَّخْلُ، إِذَا طَابَ رُطَبُهُ وَأَدْرَكَ. وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ شَاكَلَ التَّمْرَ فِي حَلَاوَتِهِ وَرُطُوبَتِهِ وَحُمْرَتِه.
ولعلَّ المقصود هنا أنَّ عذوقَ النخل وأغصان الأشجار تداخلت فيها ألوان الأوراق والثمار.

شَـــريفةُ أصـــلٍ بانتســـابٍ لســـيِّدٍ بَديعــةُ شــكلٍ زيَّنتْهــا الأنامِــلُ

حُســـينِيَّةٌ حَسَـــنِيَّةٌ عَلَوِيَّـــةٌ مهذَّبُهـا فـي ذي الصناعـةِ كامـلُ

خليــلٌ نبيــلٌ ســيبويهِ محاســنٍ وحسَّــانُ نَظـمٍ زيَّنتْـهُ الشَّــمائِلُ

بســيطُ إبــاءٍ بالنَّــدى متقــارِبٌ مَديـدٌ لـه البَـاعُ الطَّويـلُ المطـاوِلُ

ومنســرِحُ العِرفــانِ جَوهــرُ فكــرِهِ وأوفــرُ أفضــالٍ ووافٍ وكامِــلُ

فــلا غَــرْوَ أنَّ السِّــفْرَ[1] تــاه مفاخِــراً وفـاه علـى مَـنْ قـد مضـى وهـو قائِلُ

(وإنِّــي وإنْ كنــتُ الأخيــرَ زمانُــهُ لآتٍ بمــا لــمْ تَسـتَطِعْهُ الأوائِـلُ)[2]

فخُذْهــا هَــداكَ اللهُ مَرْعيــةً وصُــنْ وضُــنَّ[3] بِهــا إلا لِخِــلٍّ يُواصِــلُ

قال الناظم رحمه الله قد أحببتُ أن أذكرَ هنا بعضَ ذيلٍ من الأشعار الرفيقة، والمعاني الدَّقيقة، في غاية اللُّطف، ونهايةِ[4] الظَّرف، منها: [من الطَّويل]

وقائلــةٍ أنفقْــتَ عُمْــرَكَ مُســرِفاً علــى مُســرِفٍ فــي تِيهِــهِ ودَلالِــهِ

فقلْــتُ لهــا كُفِّــيْ عــن اللَّــومِ إنَّنــيْ شُــغِلْتُ بِــهِ عــن هَجــرِهِ ووِصالِــهِ

غيره: [من الطَّويل]

تقرَّبْــتَ لــيْ بالــوُدِّ حتَّــى مَلَكْتَنِيْ وصيَّرْتَنِــيْ عَبْــداً أســيرَ هَــواكا[5]

---

(١) في الأصل: «ذا السفر»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) هذا البيت لأبي العلاء المعرِّي، ضمَّنه الشاعر قصيدتَه.

(٣) وهنا موضع آخر كُتبت فيه الضادُ ظاءً في الأصل.

(٤) في الأصل: «غاية».

(٥) في الأصل: «أهواكا»، وهو خطأ.

وِمِـنْ بَعـدِ ذا أعرضْتَ مِنْ غيرِ مُوجِبٍ وخَـصَّـصْـتـنـيْ بـعــدَ الوفا بجفاكا

غيره [من الكامل]

وإذا شـكَوْتُ إليـكَ نـارَ صبابتِيْ عنِّـي فصَـدٌّ وُدَّ مَـنْ لا تعلـمُ[١]

إن كنـتَ لا تـدريْ فتلـك مُصـيـبةٌ أو[٢] كنـتَ تـدريْ فالمصيبـةُ أعظَـمُ

غيره: [من الطويل]

علـى ما الجَفـا يـا مَـنْ كَلِفْـتُ بحُبِّهِ أَتُتْلِفُنِـي بالهجـرِ منْـكَ وبالقَطـعِ

لئِـنْ كان أضحى فوقَ خَدَّيكَ روضةٌ فإنِّـيْ علـى خـدِّيْ غَديـرٌ مِـنَ الدَّمعِ

غيره: [من الطَّويل]

ولَـمَّـا بـدا لي أنَّـــه غـيــرُ زائريْ وليسَ هَواهُ عن [فؤادي][٣] بُمنجلي

تمـنَّـيـتُ أن يَـهـوى ويُـجفَى لعلَّه يَذوقُ مَراراتِ[٤] الهوى فيَرِقُّ لي

غيره: [من الطَّويل]

نظـرتُ إليـهِ نظـرَةً فتحيَّـرَتْ دقائـقُ فِكـرِيْ فـي بديـعِ صِفاتِـهِ

فأوحـى إليـه الوَهْـمُ أنِّـيْ أُحبُّـهُ فأثَّـر ذاكَ الوَهـمُ فـي وَجَنَاتِـهِ

---

(١) أي: إذا شكوت إليك ما ألقى من ألم الجوى، فأنت تصدُّ عنّي وتعاملني في المحبةَ معاملةَ مَن لا تعرفه.

وكلمة (ودَّ) هنا جاءت حالاً، يعني: فجوابُك (صدٌّ) حالةَ كونِ (ودّك) ودَّ شخصٍ لا يعرفني.

(٢) في الأصل: «وإن»، والتغيير لضرورة الوزن.

(٣) في الأصل: «عني»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٤) في الأصل: «مرارة»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

غيره: [من البسيط]

لله خـالٌ علـى خَـدِّ الحبيـبِ لَـهُ ... في العاشـقينَ كما شـاءَ الهَوى عَبَثُ
ورَّثْتُـهُ حبَّـةَ القلـبِ القتيـلِ بِـهِ ... وكان عهـديَ أنَّ الخـالَ لا يَـرِثُ

غيره: [من الوافر]

يكـونُ الخـالُ فـي خـدٍّ قبيـحٍ ... فـيكسُـوه الـمـحبَّةَ والجَمـالا
فكيـفَ يُـلامُ مشـغوفٌ علـى مـن ... يَراهـا كُلَّهـا فـي الخَـدِّ خـالا[1]

غيره: [من مجزوء الرَّمل]

يـا مُقيمـا[2] بفـؤادي ... إن صبْـرِيْ عنـكَ زَالا
فاجتنِـبْ حُرمـةَ قتلـيْ ... واتَّـقِ اللهَ تعـالى

غيره: [من الخفيف]

وَعَـدَتْ أن تـزورَ ليـلاً فألْـوَتْ ... وأتَـتْ فـي النَّهـارِ تَسـحَبُ ذَيـلاً
قلْـتُ هلّا صدقْـتِ في الوعـدِ قالتْ ... كيـفَ صدَّقْتَ أن ترى الشـمسَ ليلاً

غيره: [من الكامل]

شـهِدَتْ جُفـونُ معذِّبـيْ بملالـةٍ ... مِـنِّـيْ وأنَّ وِدادَه تَكـليفُ
لكنَّنـيْ لـمْ أنـأَ عنـهُ لأنَّـهُ ... خبـرٌ رواه الجَفـنُ وهْـوَ ضَعيـفُ

غيره: [من الكامل]

شـهِدَتْ لواحظُـهُ بأنِّـي ظالمٌ ... وأتـى بخَـطِّ عِـذارِهِ تَـذكارا

---

(١) في الأصل: «جالا»، وهو خطأ.

(٢) في الأصل: «مقسماً»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

يـا قاضـي العِشـقِ ابتـدِئْ بقضيتِـيْ[١] الخَـطُّ زُورٌ والشُّـهودُ سُـكارى

غيره: [من الطويل]

وقالـوا يَصيـرُ الشَّـعرُ فـي المـاءِ حيَّـةً إذا الشَّـمْسُ لاقتْـه فمـا خِلْتُـه صِدْقـاً

فلمَّـا[٢] التقـى صُدغـاهُ فـي مـاءِ خَدِّهِ وقـد لسـعا قـلـبـيْ تـيـقَّـنْـتُـهُ حـقَّـاً

غيره: [من السَّريع]

ألَّـفَ فيـه الحُسْـنُ أضـدادَهُ فالعـارِضُ الجنَّـةُ والخَـدُّ نـارْ

قـد كنـتُ أهـوى خـدَّهُ سـارِجاً[٣] فكيـف حالـي بعـدَ رَقْـمِ العِـذارْ

غيره: [من الخفيف]

أيُّهـا العـاذلُ الغبـيُّ تأمَّـلْ فـي عِـذارٍ فـي وصفِـهِ القلـبُ ذائِبْ

وتـعـجَّـبْ لـطُـرَّةٍ وجبيـنٍ إنَّ فـي الليـلِ والنَّهـارِ عجائِـبْ

غيره: [من الطَّويل]

تـعذَّرَ مَـنْ أهـواهُ لَـمَّـا بَـدا لَـهُ عِـذارٌ علـى الخَدَّينِ عـزَّ علـى الوَرَى

فنِلْتُ مراديْ[٤] منه فاعجَبْ لباخِلٍ[٥] تـيـسَّـرَ مـنـهُ الـوَصـلُ لَـمَّـا تعذرَّا

غيره: [من الطَّويل]

تسلسَـلَ فـوقَ الخَـدِّ أُسُّ عِـذارِهِ فهِمْـتُ اشـتياقاً[٦] نحوَ ذاك التَّسلسُـلِ

---

(١) في الأصل: «في قضيتي»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «فما»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

(٣) خدٌّ سارج؛ أي: واضحٌ كالسِّراج، وذلك قبل أن ينبُتَ الشعرُ فيه.

(٤) في الأصل: «مرادٌ»، وهو خطأ.

(٥) الباخل: هو البخيل، وفي الأصل: (لناخلٍ)، وهو خطأ.

(٦) في الأصل: «استياقا»، وهو خطأ.

وقبَّلْتُ فاه قال[١] لي وَردُ خدِّهِ   تنقَّلْ فلَذَّاتُ الهوى في التَّنقُّلِ

غيره: [من الطَّويل]

على وجنتيهِ جَنَّةٌ ذاتُ بَهجةٍ   تَرى لعيونِ النَّاسِ فيها تزاحُماً
حَمَى[٢] وردَ خدَّيْهِ حُماةُ عِذارِهِ   فيا حُسنَ ريحانِ العِذارِ هُما هُما

غيره: [من الكامل]

يا ذا الذي خَطَّ العِذارُ بخدِّهِ   خَطَّينِ هاجا لَوعةً وبِلابلاً[٣]
ما كنتُ أحسَبُ أنَّ لحظَكَ صارِمٌ   حتَّى رأيتُ مِنَ العِذارِ حمائلاً

غيره: [من الكامل]

بخلَتْ لواحظُ مَنْ رأينا مُقبلاً   برموزِها ورُموزِهِنَّ سَلامُ
فقَدَرْتُ نرجِسَ مقلتيهِ لأنَّهُ   يَخشى العِذارَ لأنَّه نَمَّامُ

غيره: [من الطَّويل]

ومِنْ عَجَبٍ أن يَحفظُوكَ بخادِمٍ   وفي الحُسْنِ ما يُغنيكَ عنهُ وأكثرُ
عِذارُكَ رَيحانٌ وخالُكَ عَنبرٌ   وخَدُّكَ مَرجانٌ وثَغرُكَ جَوهر

غيره: [من المتقارب]

تَكلَّفَ بدرُ السَّما إذْ حَكَى   مُحيَّاكَ لوْ لم يَشِنْهُ الكَلَفْ
وقام بعُذرِكَ[٤] فيك العِذارُ   فأجرى دُموعِيَ لَمَّا وَقَفْ

---

(١) في الأصل: «وقال»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.
(٢) في الأصل: «حُميًّا»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن والمعنى.
(٣) في الأصل: «بلالا»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن والمعنى.
(٤) في الأصل: «بعذر»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

غيره مما فيه تشبيه عشره بعشرة، مع اللف والنشر والمرتب[١]:

غيره: [من البسيط]

فــرعٌ جَبيــنٌ مُحيّــاً قامــةٌ كَـفَــلٌ صُدْغٌ فَــمٌ وَجَنــاتٌ ناظِــرٌ[٢] شَــعَرُ

ليــلٌ هِــلالٌ صبــاحٌ بانــةٌ كَثَــبٌ آسٍ أقــاحٍ شَــقيقٌ نرجِــسٌ زَهَــرُ

غيره: [من الخفيف]

قــدْ جفانــيْ فرُمْــتُ أدعــو عليــهِ ثــمَّ تَوقَّفْــتُ وناديْــتُ واهِــل

لا شــفى اللهُ طَرْفَــهُ مــن سَــقامٍ وأرانــيْ العِــذارَ فــي الخَــدِّ سـائلْ

غيره: [من مجزوء الكامل المرفَّل]

بأبــي عَريســاً شــاقنيْ تَصبــو لطَلْعتِــهِ النُّفــوسُ

لــولا اخضــرارُ عِــذارِهِ لــمْ أدرِ أيُّهُمــا العَــروسُ

غيره: [من الخفيف]

وهــلالٍ فــي الأفــقِ قــد لاح غَرْبــاً وتــبــدَّى لأعــيُــنِ النُّظَّــارِ

كسِــوارٍ أو دُمْلُــجٍ أو كَطَــوقٍ أو كصُــدْغٍ أو حاجــبٍ أو عِــذارِ

غيره: [من الكامل]

مــا زالَ يحلِــفُ لــيْ بــكُلِّ أليَّــةٍ أنْ لا يــزالَ مـدى الزَّمـانِ مصاحِبِـيْ

لَمَّــا جفــا نَبــتَ العِــذارُ بخــدِّهِ فتعجَّبُــوا لِســوادِ وجــهِ الــكاذِبِ

---

(١) كتبتْ هذه العبارة في الأصل بشكل شطرين على أنَّها بيتُ شعر، وهو خطأٌ؛ إذْ هي ليستْ شعراً، بل تقديمٌ للأبيات التي تليها.

(٢) في الأصل: «ناظري»، وهو خطأ.

غيره [من الطَّويل]

شَـرَطْتُ عليهـمْ عند تسـليمِ مُهجتيْ وعنـدَ انتهـاءِ البَيـعِ يومـاً يُواصلـوا
فلمَّا طلبْتُ الوصلَ بالشَّرطِ أعرضُوا وقالُـوا يصِـحُّ البيـعُ والشَّـرطُ باطِلُ

غيره: [من مجزوء الرَّجز]

قُتِلـتُ فـي الحُـبِّ إلـى أن رقَّ [لـي](١) مـن قَتلا
وقـال ذا الحـولَ أزُرْ مـا زار لا حـولَ ولا

غيره: [من المنسرح]

أسـقَمني حُبَّ مَـنْ هَوِيـتُ فقَدْ صِرْتُ مـنْ حُبِّهِ(٢) في الهَوَى آيَةْ
يا غايةً في الجمالِ صورَّه اللهُ(٣) أمَـا لـهـذا الـصُّـدودِ مِـنْ غَايَةْ
تركتَنِـيْ بالسَّـقامِ مُشـتهراً أشـهرَ فـي العالميـنَ مِـنْ رايَـةْ

غيره: [من الكامل]

إنِّـي لأَحسـدُ ناظـرِيَّ عليـكا حتَّـى أغُـضُّ إذا نَظَـرْتُ إليـكا
وأراكَ تخطِـرُ فـي شَـمائِلِكَ التـي هـيَ فتنتِـيْ فأغـارُ منـكَ عليـكا

غيره: [من الخفيف]

كلَّمـا قلـتُ قـدْ فقَـدْتُ غَرامـيْ دَلَّ قلبـيْ عليـكَ حُسْـنُ دلالِـكْ
لـكَ واللهِ يـا أخـا البَـدرِ وجـهٌ عمَّـه بالجمـالِ عنبـرُ خالِـكْ

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن.

(٢) في الأصل: «صرتُ محبيه»، والتَّصويب لضرورة الوزن والمعنى.

(٣) كذا في الأصل، وهو مختل الوزن.

غيره: [من البسيط]

تجـدِّدُ الشَّـمسُ شـوقيْ كلَّمـا طلَعَتْ ... إلـى محيَّـاكَ يـا سـمعِيْ ويـا بَصَـرِيْ
وكلَّ يـومٍ تَـقـضَّــى لا أراكَ بِــهِ ... فلسـتُ[1] مُحتسِـباً مـا فيه مِـنْ عُمُري

غيره: [من الكامل]

حلَّـتْ عقـاربُ صُدْغِـهِ فـي خـدِّهِ ... قمـراً فجـلَّ[2] بهـا [عـن][3] التَّشـبيهِ
ولقــدْ عهِدْنــاهُ يحُــلُّ ببُرجِهــا ... ومــنَ العجائـبِ كيـفَ حلَّـتْ فيـهِ

غيره: [من الكامل]

سـاقيْ المُـدامِ دعِ المُـدامَ فـكلُّ مـا ... في الكأسِ مِنْ وَصْفِ المدامةِ فيكَا
فِعْــلُ المُــدامِ ولونُهــا ومَذاقُهــا ... فــي مقلتيــكَ ووَجنتَيــكَ وفِيــكا

غيره: [من الطَّويل]

وتفَّاحــةٍ مــن كَـفِّ ظبـيٍ أخذتُهـا ... جَفاهـا مِـنَ الغُصنِ الـذي مثـلُ قَدِّهِ
لهـا لِيْـنُ عِطفَيـهِ وطِيـبُ نَسيمِهِ ... وطَعْــمُ ثنايــاهُ وحُمْــرةُ خَــدِّهِ

غيره: [من الطَّويل]

وتفَّاحـةٍ مـن سَوسَـنٍ صُنْـعُ نِصفِهـا ... ومــن جُلَّنــارٍ نِصفُهــا أو شَــقائِقِ
كأنَّ الكَـرى قـد ضَمَّ مِنْ فَـرْطِ حُرقةٍ ... بِهـا خَـدَّ معشـوقٍ إلـى خَـدِّ عَاشِـقِ

---

(١) في الأصل: «قلت»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن والمعنى.
(٢) في الأصل: «فحلَّ»، وهو خطأ.
(٣) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

وقال أيضاً: [من الطّويل]

ألا زِدْ غَراماً بالحبيبِ ودَارِهِ ... وإنْ لحَّ(١) واشٍ فاحتملْهُ ودارِهِ

وإن قَدَحَ اللُّوامُ فيكَ بلومِهِمْ ... زِنادَ الهوى يوماً فأورَى فَوارِهِ

وذي أهيفٍ فيهِ يَقُومُ لعاذِلي ... بِعُذْريْ إذا ما لامَ لامُ عِذارِه(٢)

ووجهٍ يُضاهي البدرَ عندَ كمالِهِ ... بعيدِ المدى مِن نَقصِهِ وسِرارِهِ

فلا بدرَ إلا ما بدا مِن جيوبِهِ ... ولا غصنَ إلا ما انثنى في إزارِهِ

غيره: [من الطَّويل]

ألا أيُّها الصابيْ وتابعُ نفسِهِ ... ويغرَقُ في اللَّذاتِ وهْوَ سَميرُها

تنبَّهْ فنفسٌ(٣) تَشتهي ما يَضرُّها ... كنفسِ مريضٍ تَشتهيْ ما يَضيرُها

غيره: [من الطَّويل]

إذا احتفَّ بالإنسانِ شيطانُه(٤) الذي ... عليهِ بتسليطِ الإلهِ مُسلَّطُ

فهيهاتَ ينجو من مكائدِ مكرِهِ ... فكُنْ حَذِراً مِمَّا بِهِ يتسلَّطُ

غيره: [من الوافر]

أناديهِ وأنصحُهُ وأرجُو ... وأدعُوهُ إلى سُبُلِ الرَّشادِ

فقيلَ ليَ استرِحْ واترُكْ وقصِّرْ ... فلستَ بِمُصلحٍ أهلَ الفسادِ

---

(١) (لحَّ)؛ أي: التصق، ومنه قولُهم: (هو ابنُ عمِّي لحّاً).

(٢) في الأصل: «عاذره»، والتصويب لضرورة الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «فنفسك»، والتصويب لضرورة الوزن.

(٤) في الأصل: «شياطينه»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن والمعنى.

لقد أسمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي[1]

غيره: [من الطَّويل]

زهدْتُ بني الدُّنيا لقلَّةِ وُدِّهِمْ ... وكَثرةِ ما فيهمْ من الزُّورِ والمَلَقْ

يغُرُّونَ مَن وافَوْا بقولٍ مزخرفٍ ... ومَن كان في مصرٍ فقد شاهقَ الملَقْ

غيره: [من المجتث]

أبناءَ مِصرَ اجتنبْهُمْ ... لا تركنَّنَ إليهِمْ

لهم خِداعٌ ومَكرٌ ... لو اطَّلعْتَ عليهِمْ

وقال أيضاً: [من الطويل]

ألا حبَّذا مقياسُ مصرَ وحبَّذا ... هواءٌ وماءٌ باردٌ ومبرَّدا

لياليهِ أيامٌ وأيامُه صفا ... وموردُه الصافيْ يَزولُ به الصَّدى

وروضتُه الغرَّا عليها محاسنٌ ... كنقطةِ خالٍ وَسْطَ خطٍّ تورَّدا

يحُفُّ بها بَحْرانِ مِنْ ماء كوثرٍ ... ولكنَّ طيرَ الأُنسِ بالرَّوضِ غرَّدا

وقال أيضاً: [من الطَّويل]

ومِنْ عَجَبٍ أنِّيْ مُقيمٌ ببلدةٍ ... مناقبُ أهلِ العلمِ فيها نواقِصُ

وإنَّ جهاتِ الخيرِ ليستْ لفاضِلٍ ... ولكنَّها تُعطى لِمَنْ هو ناقصُ

وقال أيضاً: [من الطَّويل]

أَبِيتُ نَجيًّا للهمومِ كأنَّني ... أخاصمُ أقواماً ذوي جَدَلٍ لُدَّا

---

(١) في الأصل: «تُنادِ»، دون ياء. وهذا البيت مضمَّن في هذه المقطوعة.

وحكامُنا لا خيرَ فيهمْ فيُنصفوا ... نَعَمْ للذي لِلمالِ عدَّ لهمْ عَدًّا[١]

وقال أيضاً: [من الطَّويل]

إذا كانتِ الأخبارُ نقلَ تواتُرٍ ... فبالجزمِ خُذْها لا سَباكَ وَصيفُ

سوى أهلِ مِصرَ إنَّ غالبَ نقلِهِمْ ... تواتُرُه بينَ الأنامِ ضعيفُ

قال أيضاً: [من الخفيف]

اشتغلْ بالعُلومِ وابحثْ[٢] مليًّا ... قائماً قاعداً معَ الأخيارِ

واطلبِ الحقَّ أينَ كانَ وصابِرْ ... مخلصاً سائلاً أولي الأبصارِ

وإذا لم تَرَ الهلالَ فسلِّمْ ... لأناسٍ رأَوه بالبصارِ[٣]

غيره: [من الطَّويل]

وما هذهِ الدُّنيا بدارِ إقامةٍ ... ولكنَّها دارُ التزوُّدِ للقبرِ

تزوَّدْ بها مِنْ قبلِ تُمسيْ مسافراً ... فإنَّ محطَّ الدَّارِ في أوَّلِ الحَشْرِ

غيره: [من الطويل]

رأيتُ ملوكَ الأرضِ والنَّاسِ تعتنيْ ... بذكْراهُمُ فلْهُمْ[٤] تواريخُ تُسْطَرُ

مخلَّدةً أفعالَهُمْ في صحائفٍ ... بأيديْ البرايا دائِمَ الدَّهرِ تُنشَرُ

---

(١) الشطر في الأصل: «نعم للذي لهم للمال عدّا»، ووزنُه ومعناه غير مستقيم.

(٢) في الأصل: «وباحث»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٣) البيت فيه تقديم وتأخير، والمعنى المقصود هنا: وإذا لم تبصر الهلال فسلِّم واعترف بقوة الإبصار لمن رأوه.

(٤) يجب تسكين اللام هنا لضرورة الوزن.

وكلُّ امرئٍ ذكراه ما هُوَ صانعٌ ... ومَنْ كان ذا خيرٍ فبالخيرِ يُذكَرُ
وحيثُ الفتى لا بدَّ يُذكَرُ بعدَهُ ... فذكراه بالحُسنى أجَلُّ وأفخَرُ
ولا سيَّما مَنْ كانَ للنَّاسِ مالكاً ... فحُقَّ لهُ للمجدِ والمدحِ يُؤثِرُ

غيره: [من مجزوء الكامل]

أبناءَ جنسِكَ فاجتنِبْ ... واترُكْ لعلَّكَ تستريحْ
ما دُمتَ غيرَ مخالِطٍ ... لهُمُ فإنَّكَ مستريحْ
ولأنتَ[1] إن لم تنتصِحْ ... فلسوفَ تُشتَمُ بالصَّريحْ
وتقولُ عمَّا قلتَهُ ... هوَ ذا هو القولُ الصَّحيحْ

وله أيضاً في بيوت القهوة: [من الطَّويل]

بيوتَ الملاهيْ فاجتَنِبْها فإنَّها ... غَدَتْ غالباً مأوًى لكلِّ الأسافلِ
ولا سيَّما ما كانَ بيتاً لقهوةٍ ... بِمَجمعِهِ اجتمعتْ جميعُ الأراذلِ
على الرَّقصِ والطُّنبورِ والمُرْدِ والخَنَا ... ومختلِفِ الأقوالِ مِنْ كلِّ قائلِ
يدنِّسُ عِرضَ المرءِ مأوى بيوتِها ... كتدنيسِ ثوبٍ أبيضٍ بالمزابِلِ
مَعيبٌ على ذي الفضل يَدخُلُ قَهوةً ... دُخولُ القهاويْ مزريٌّ بالأفاضلِ

غيره: [من الكامل]

يا جانياً مِنْ غيرِ موقعِ ريبةٍ ... هلا اتَّقيتَ اللهَ يا ذا الجاني
ظُلماً جَنيتُ وما ارْعَوَيْتُ تعمُّداً ... حتَّى غدوتُ بهجرِكُمْ كالفاني

---

(١) في الأصل: «أنت»، والتَّصويب لضرورة الوزن.

إن كان أذنَبْنَـا فـفـيـكُـــمْ رأفَـــةٌ ... فبها المعانـــي مــا يـــزار الهانـــي[1]

يومـيــن كالعاميــنِ غِبْتُــمْ عــن فتًــى ... عـن حـبِّ لُطفِـكَ مالَـه مـن ثانـي

رفقــاً بمجــروحِ الفــؤادِ متيمــاً ... أضحــى لبعــدِكَ زائــدَ الأشــجانِ

إن كنتُ في نُصحِيْ أغظتُكَ فاعذرَنْ ... إنِّــي عَضضْــتُ أنامِلِــيْ وبَنانــي

ولقـــد أتيتُـــكَ تائبـــاً مســـتغفِراً ... مِمَّـــا جَنيْـــتُ وإنَّ مِثْلِـــيَ جانـــي

وقال سامحه الله: [من الكامل]

الحــبُّ قيَّــدَ مُهجتــيْ وحَشــائي ... ولهيــبُ حَرِّ الشَّــوقِ فـي أعضائـي

والحــبُّ أضنانِــيْ فأســهَرَ مُقلَتِــيْ ... ومدامعــي تنهَــلُّ مِــنْ عينائــي

والقلــبُ فــي نــارِ الصَّبابــةِ مُغــرَمٌ ... هــلْ مَــنْ يســاعدُني علــى بلوائــي

لـولا التصبُّـرُ ذابَ قــلـبِــيْ إنَّــنِــيْ ... قد زادت اَمْراضـيْ[2] وعـزَّ[3] دوائـي

إن لــمْ تَــرَ عينــيْ جَمــالَ أحبَّتِــيْ ... يــا طــولَ أشــواقِيْ وطُــولَ عَنائــي

أصبحْــتُ فــي بحــرِ الغَــرامِ بِلَوْعــةٍ ... هــلْ مــن يبشِّــرُنيْ بيــومِ لقائــي

يا سـيِّدِيْ مــاذا الصُّــدودُ ومَــا الجَفا ... إنِّــيْ وحقِّــكَ فــي الوِصــالِ دَوائــي

---

(١) في الأصل: «فعسى بها العاني ما يزار العاني»، وهو مختلٌّ وزناً ومعنًى. والتصويب لضرورة الوزن والمعنى. ولعلَّ معنى البيت المقصود: أنَّنا نعترف بذنبنا وتقصيرنا، ولكنَّنا نطمعُ بعفوكم وزيارتكم، فالمعاني يصبح هانئَ البال طالما أنكم تزورونه. و(ما) هنا مصدرية ليست نافية.

(٢) توصَل الهمزة هنا لضرورة الوزن.

(٣) في الأصل: «ثمَّ عزَّ»، والتصويب لضرورة الوزن.

مِنْ طُولِ هَجرِكَ[١] خِلْتُ أَنِّي ميِّتٌ[٢] ... فـالله يَـرحَـمُ مـيِّـتَ الأحـيـاءِ

قـد صابنِـيْ سُـقْمٌ وهَـمٌّ فالجَفـا ... قـد ضـرَّ حالِـيْ ثُـمَّ زادَ بكائـي

لـولا اصطبـاري مـا أَطَقْتُ فِراقَكُـمْ ... فوِصَالُكُـمْ[٣] لـيْ بُغيتـيْ ومُنائـي

هيهاتَ قـلـبـي أن يـكـونَ لـي اللـقـا ... إن لم يكُنْ [لي][٤] الوصل من مولائي

علـى الأحبـابِ مِنِّـيْ كلَّ وقـتٍ ... سـلامٌ مـا بَـدا نُـورُ الضيـاءِ[٥]

غيره: [من الكامل]

ماسَـتْ غُصـونُ البـانِ مـن أنفاسِـهِ ... وغـدتْ بأليَـنَ مِـن لطيـفِ[٦] مِساسِـه

فانظُـرْ ظِبـاءَ البَـرِّ لَمَّـا خِلْنَـه ... كيـفَ انثنيـنَ ولـم يُطِقْـنَ لباسِـهِ

وانظُـرْ إلـى زهـرِ الربيـعِ فقد كُسِـيْ ... كُلَّ المحاسـنِ مـن خيـوطِ لباسِـهِ

والليـلُ مـذْ مـا اسـودَّ يوماً مـا حكى ... بسـوادِهِ شـعراً أقـامِ براسِـهِ

مـن خـدِّهِ الـوَردُ اسـتعارَ لحسـنِهِ ... وكـذا النَّسـيمُ أُعيـرَ مـن أنفاسِـهِ

ليـس المهنـدُ حاكيـاً لِلحاظِـهِ ... والرُّمـحُ لا يحكـي اعتـدالَ قياسِـهِ

يا حبَّذاكَ الحُسْـنُ في غسَـقِ الدُّجى ... للهِ مـا أحـلاهُ عنـدَ نُعاسِـهِ

---

(١) في الأصل: «هجركم»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن.

(٢) في الأصل: «ميتاً»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «فوصلكم»، وهو خطأٌ مخلٌّ بالوزن.

(٤) في الأصل: «يكون»، وهو خطأ؛ لأنَّ الفعل مجزوم. وزياد (لي) لضرورة الوزن.

(٥) القصيدة من البحر الكامل، وهذا البيت من البحر الوافر، فلعلَّه بيتٌ مفردٌ وألحقه الناسخ بالقصيدة التي قبله لتطابق حرف الروي.

(٦) في الأصل: «لطف»، وهو خطأ مخل بالوزن.

وقال أيضاً: [من الوافر]

رأيــتُ الجاهليــنَ بحــال مِصرٍ ... يقــولونَ انَّهــا[1] أمُّ البــلادِ

وظنُّوهــا هِــيَ الدُّنيــا صحيــحٌ ... هــيَ الدُّنيــا دناءتُهــا تنــادي

بيــوتُ رِباعِهــا ضِيْــقٌ ولكــنْ ... مؤسَّســةٌ علــى أرضِ الفســادِ

وأهلُوهــا لقــد فُتنــوا بلهــوٍ ... وزادوا فـي الغـرورِ وفـي التمـادي

فــإنْ رُمــتَ النَّجــاةَ فــلا تخالــطْ ... ســوى أهــلِ الديانــةِ والرَّشــادِ

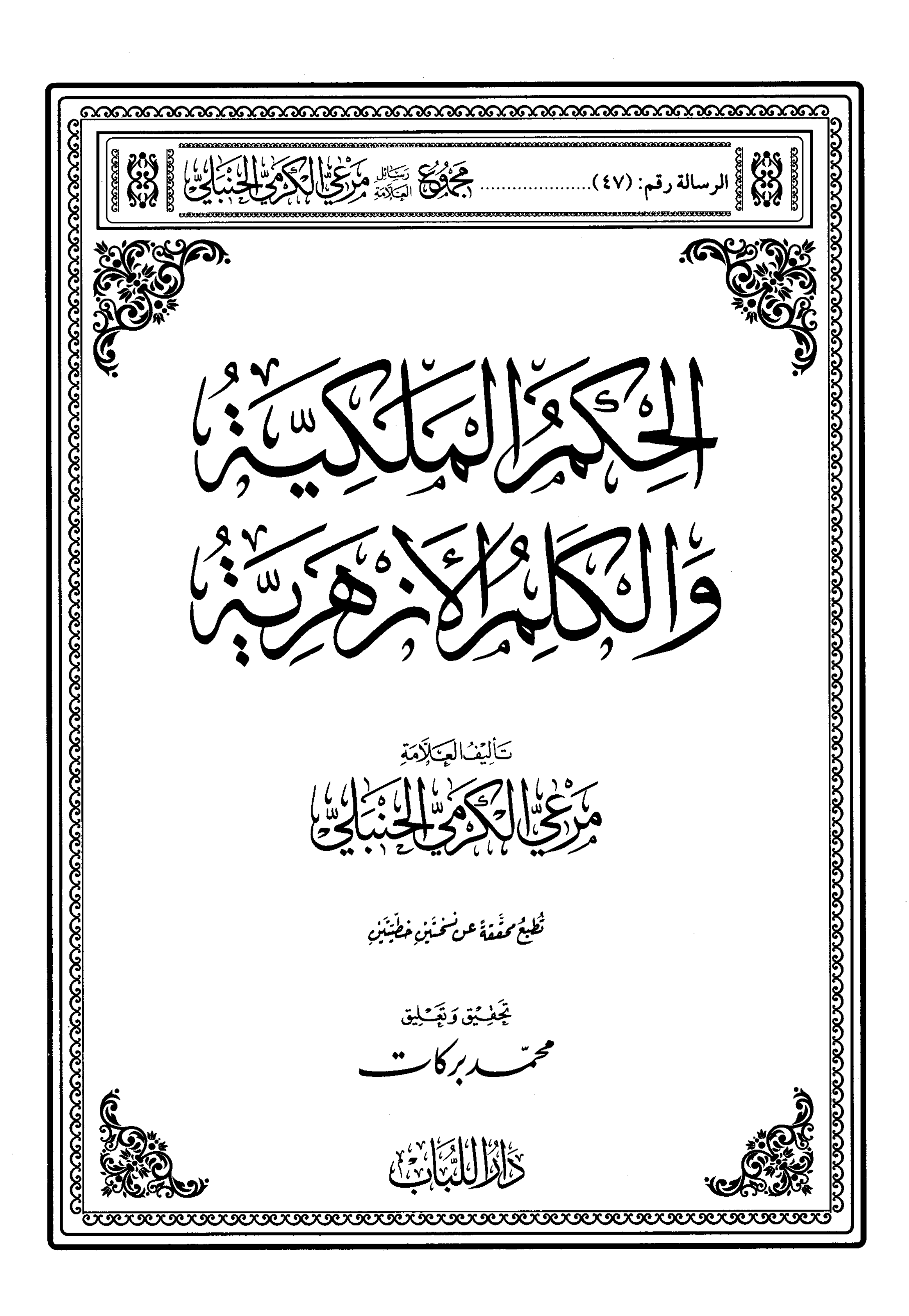
وإن خالطْــتَ لا دنيــا ودينــاً ... وتخســرُ بعــد ذلــكَ فــي المعــادِ

فهــاك نصيحتــي تربَــحْ وتــنــجَــحْ ... وكنْ مـا عشـتَ مـن أهـلِ السَّـدادِ[2]

* * *

(١) تُوصلُ الهمزة هنا لضرورة الوزن.

(٢) جاء في خاتمة الأصل الخطي: «تم الديوان المبارك بحمد الله وحسنِ توفيقِه في عاشر من جمادى الثانية سنة ١٢٨٧ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً».



مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي .... الرسالة رقم: (٤٧)

الحكم الملكية والكلم الأزهرية

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

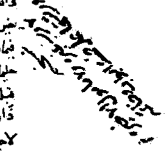
تطبع محققة عن نسختين خطيتين

تحقيق وتعليق

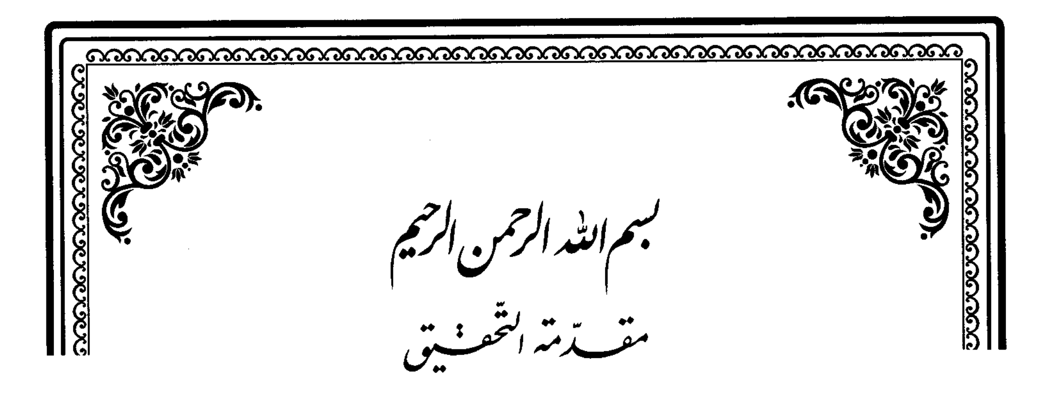
محمد بركات

دار اللباب

مكتبة باريس الوطنية (ب)



مكتبة الأوقاف المركزية بمصر (ز)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّد المرسلينَ محمدٍ وعلى آلهِ وصحبه أجمعينَ.

وبعد:

فإنَّ كتابَ «الحِكم المَلكيَّة والكَلِم الأزهريَّة» للعلَّامةِ مَرْعيِّ بنِ يوسفَ الكرميِّ كتابٌ لطيفُ الحجمِ، لطيفُ المعنى، فيه جمعٌ وافرٌ من الحِكم المفيدةِ والبدائع الفريدةِ، من أقوال الحكماء وألفاظ العلماء، ونصائح أولي الألباب.

وهو يندرجُ في كتبِ الأدب، في المصنَّفات التي تُعرفُ بـ«المحاضرات»، والمقصود فيها أن تُوردَ أقوالُ وعباراتُ الحكماءِ والأدباء والعلماء تحتَ أبوابٍ وتراجمَ معينةٍ، وتكون مناسبةً لذلكَ المعنى المترجَم له، مثال: «ربيع الأَبرار» للزَّمخشريِّ، و«محاضرات الأدباء» للرَّاغبِ الأصبهاني، و«نثر الدُّر في المحاضرات» للآبي.

والعلَّامة مرعي الكرميُّ صَنَع صَنِيعَهم واقتبسَ منهم، وأَوْرد هذه الحِكم والعباراتِ تحت خمسةِ أبوابٍ:

الباب الأول: فيما يتعلَّق بالملوك.

الباب الثاني: فيما يتعلَّق بالوزراء.

الباب الثالث: فيما يتعلَّق بالحُجّاب.

الباب الرابع: فيما يتعلَّق بمن يعاشر الملوك أو يلي لهم عملاً.

الباب الخامس: في ذكر كلمات متفرقة متضمِّنة لحِكمٍ شتَّى.

وخَتَم بذكر طائفةٍ من أقوالِ الإمام الشافعيِّ رحمه الله.

وقد سمَّى الكتابَ «الحكمَ الملكية» لما اشتمل على حِكَمٍ تُفيدُ الملوكَ والوزراءَ والحُجَّابَ ومَنْ حولهم، وأما قولُه «الكَلِم الأزهريَّة» ففيهِ إشارةٌ إلى مكانِ تصنيفِ الكتابِ، وهو الجامعُ الأزهرُ، حيث أشارَ إليه أكثرَ من مرَّة في مصنفاتهِ المختلفةِ، أو أرادَ هذا الكلامَ بالأزهرِ المشرقِ، والله أعلم.

هـذا، وكان كتابُ «نَثر الدُّر في المحاضرات» للوزيرِ منصورِ بن الحُسينِ الآبي (٤٢١هـ) هو المصدرُ الأولُ الذي اقتبسَ منه المصنفُ جُلَّ هذه الحِكم والأقوالِ، ويليهِ في ذلك كتابُ «المستطرَف في كل فنٍّ مستطرف» للأبشيهي (٨٥٠هـ)، ومِن بعدهِ كتابُ «التَّذكرةِ الحَمْدُونيَّة» لابن حَمدون (٥٦٢هـ)، ويليها غيرُها من كتب الأدب.

ومن مصادرهِ أيضاً كتبُ السياسةِ الشرعيةِ، مثل: «سراج الملوك» للطَّرْطُوشيِّ (٥٢٠هـ)، و«تسهيل النَّظرِ وتعجيل الظفر» للماوردي (٤٥٠هـ).

ولما كانَ الكتابُ يَجْمعُ ما يزيدُ على (٥٠٠) قولٍ وحكمةٍ، كان لِزاماً علينا توثيقُ هذه النقولِ وعزوِها إلى مصادرِها التي يُظنُّ أنه نقلَ منها.

وهذا الكلامُ المسبوكُ، وهذه الحِكمُ لما كانت مختصرةَ الألفاظ، أوجبَ علينا ضبطُها بالحركاتِ ليسهُلَ على القارئ قراءتُها، ولم أقف على شرحِ الغريبِ فيها، خشيةَ إطالةِ الكتاب، والقارئُ الفَهِمُ في غنًى عنها.

وقـد رقَّمـتُ هـذه النقولَ رجاءَ معرفـةِ بدايةِ كلِّ نقلٍ، مما يُسـهلُ علـى القارئ الرجوعَ والمطالعة.

هذا وقد اعتمدتُ في تحقيقِ هذا الكتابِ على أصلَين خطَّيين: الأول: وهو نسخةُ المكتبةِ المركزيَّةِ للمخطوطاتِ الإسلاميةِ التابعةِ لوزارة الأوقاف بمصر، والعائدة لمكتبة الجامع الأحمدي، وقد رمزت لها بـ(ز)، وهي نسخةٌ متقدمةٌ كُتبت في حياةِ المؤلفِ.

الثاني: وهو نسخة المكتبة الوطنية بباريس، وقد رمزنا لها بـ(ب).

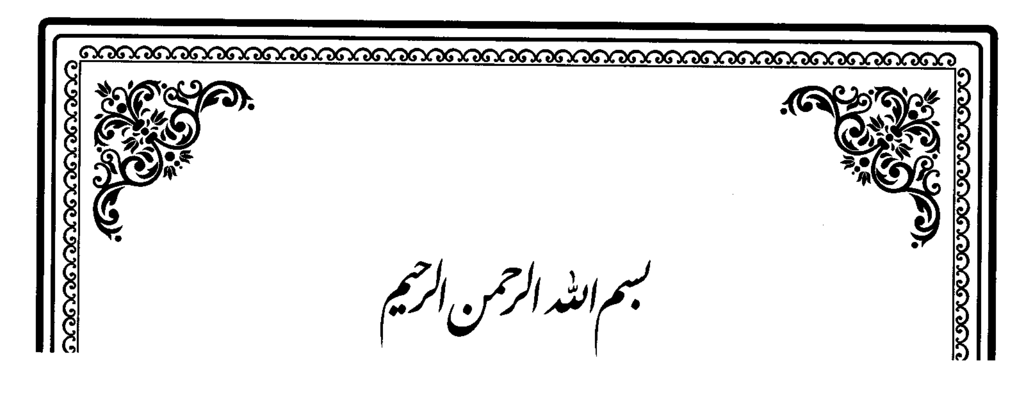
ولـم أرَ تغييـرَ عبـارةِ المصنـفِ لتوافـقَ بعـضَ المصـادر، وإنْ كانـت أَجلـى وأوضـح، وآثـرتُ إبقاءَ عبـارةِ المصنفِ كما هـي، اللهمَّ إلا أنْ يكونَ خطـأٌ فأُصوِّبهُ مـن المصدر.

وفـي الختـامِ أسـألُ اللهَ تعالـى حسـنَ القَبـول، والعفـوَ عمـا وقع مـن زَلل أو خطـأ، إنَّـه تعالـى سـميعٌ مجيبُ الدعـاءِ، وصلَّـى الله على سـيدِنا محمَّـد وعلى آلهِ وصحبهِ وسـلَّم.

المحقق

***





قالَ العبْدُ الفقِيرُ إلى اللهِ تَعالى مَرعِيُّ بنُ يوسُفَ الحنبَلِيُّ المقدِسيُّ:

الحمْدُ للهِ مالكِ الملكِ والملُوكِ[1]، ومَولى الملِكِ والمَمْلُوكِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى مَن أُوتي جوامِعَ الكلِمِ، وبدائعَ الحِكَمِ، واللفْظَ المسبُوكَ، وعَلى آلهِ وأصحَابهِ الذِينَ أوضَحُوا سبُلَ الهُدَى والسُّلُوكِ، وسَدُّوا بابَ الرَّدى والشُّكوكِ.

أما بَعدُ:

فقَدْ أَحببْتُ أنْ أجمَعَ فرائدَ دُررٍ، وفوائدَ غُررٍ، مِنْ كلامِ الحُكَماءِ، وألفاظِ العُلماءِ، وأقوالِ العُقلاءِ، ونصائحِ النُّبلاءِ، تشتَمِلُ عَلَى غرائبِ العجَائِب، وعجَائبِ الغرائبِ، تحْتَ كُلِّ كلمَةٍ حِكمَةٌ، ومعَ كلِّ ذرَّةٍ دُرَّةٌ، يلَذُّ بمعَانِيها مُعانِيها، ويطمَئنُّ بما فيها مُوافِيْها، فهيَ نَصيحَةُ الملوكِ، وتحفَةُ المملُوكِ، وسمَّيتُها:

«الحِكَمَ الملَكِيَّةَ والكَلِمَ الأزْهرِيَّةَ»

واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى هوَ المسؤولُ، في التَّوفيقِ للعَملِ بما نقُولُ، فإنَّهُ خيرُ مَطلوبٍ ومَأمولٍ، ولا ربَّ غيرُه، ولا مأمولَ إلا خيرُه، ورتَّبتُها على خمسةِ أبوابٍ وخاتمةٍ[2].

***

---

(١) في (ب): «مالك الملوك».

(٢) قوله: «ولا رب» إلى هاهنا زيادة من هامش (ز)، وأشار عليها بعلامة (صح)، وأنها في (نسخة).

البابُ الأوَّلُ
فيما يتعلَّقُ بالمُلُوكِ

يُسنُّ لكُلِّ ملِكٍ أنْ يكُونَ قويّاً بلا عُنفٍ، ليِّناً بلا ضَعفٍ، حَليماً مُتأنِّياً، مُتفطِّناً، عَفِيفاً، صَدوقَ اللهجَةِ، بصِيراً بأحكامِ الوُلاةِ والحُكَّامِ قبلَهُ، لا يُؤتَى مِن غَفلةٍ، ولا يُخدَعُ لغِرَّةٍ، عالماً بلُغاتِ أهلِ وِلايتِهِ، لا يهزُلُ، ذا رأيٍ ومَشورَةٍ، لكَلامِهِ لِينٌ إذا قرَّبَ، وهيبةٌ إذا أوعَدَ، ووفاءٌ إذا وعَدَ، لا جبَّاراً ولا عَسُوفاً، صاحِبَ تدبيرٍ وسِياسَةٍ.

١ـ قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ رحمَهُ اللهُ: سِياسَةُ النَّاسِ أشدُّ مِن سَياسَةِ الدَّوابِّ[١].

٢ـ وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المبارَكِ: ما أتَى فسادُ العامَّةِ إلا مِن قِبلِ الخاصَّةِ. قيلَ لهُ[٢]: وكيفَ ذلكَ رحِمكَ اللهُ؟

فقالَ: إنَّ أُمةَ محمَّدٍ ﷺ عَلى طبقَاتٍ خمسٍ:

فالطبقَةُ الأُولى: الزُّهَّادُ.

والثَّانيةُ: العُلماءُ.

والثالثَةُ: الغُزاةُ.

والرابعَةُ: التجَّارُ.

والخامسَةُ: الوُلاةُ.

فأمَّا الزهَّادُ فهُمْ مُلوكُ هذهِ الأُمةِ.

---

(١) انظر: «آداب الشافعي ومناقبه» للرازي (ص ٢٠٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٩٨)، وجعل الذهبي هذا القول من الألفاظ التي قد لا تثبت للشافعي.

(٢) لفظ: «له» سقط من (ز).

وأما العُلماءُ فهُمْ ورثَةُ الأنبِياءِ.

وأمَّا الغُزاةُ فهُمْ أسيافُ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وأما التُّجارُ فهُمُ الأُمناءُ.

وأما الوُلاةُ فهمُ الرُّعاةُ.

فإذا كانَ الزاهِدُ طامِعاً فالتائبُ بمَنْ يقتَدِي؟! وإذا كانَ العالمُ راغِبَاً، فالجاهِلُ بمَنْ يهتَدِي؟! وإذا كانَ الغازِي مُرائياً فمتَى يظفَرُ بالعدوِّ؟! وإذا كانَ التاجِرُ خَائناً فعَلامَ يؤتمَنُ الخوَنةُ؟! وإذا كانَ الراعِي ذئباً فالشَّاةُ مَنْ يحفَظُها؟! [1].

٣ـ قالَ الشَّعبيُّ: قدِمَ زيادٌ أميرُ العِراقِ الكُوفةَ، فدنَوتُ منَ المنبرِ لأسمَعَ كلامَهُ، فقالَ: أيُّها الناسُ! إنَّا قدْ سُسْنا وسَاسنا السَّائسونَ، وجرَّبْنا، وجرَّبَنا المجرِّبُونَ، فوجَدْنا هَذا الأمرَ لا يُصلحُهُ إلا شدَّةٌ مِن غيرِ عُنفٍ، ولِينٌ مِن غيرِ ضعفٍ، وإني لا أَعِدُكُم خَيْراً ولا شَراً إلا وفَّيتُ بهِ، فإذا تعلَّقتُمْ عليَّ بكِذبةٍ فلا وِلايةَ لي عَليكُمْ، وإني آمركُمْ بما آمُرُ بِهِ نفسِي وأهلِي، فمَن حالَ دونَ أمرِي ضَربْتُ عنُقَهُ[2]، ولسْتُ مُحتَجِباً عَن طالِبِ حاجَةٍ منكُمْ ولو أتاني طارِقاً بلَيلٍ، ولا حابسَاً عطاءً ولا رِزقاً عَن مُستحقِّهِ[3].

٤ـ قيلَ لأبي مُسلِمٍ الخُراسَانيِّ: ما كانَ سبَبُ خُروجِ الدَّولةِ عَن بني أُميَّةَ؟ قالَ: لأنهُمْ بَعَّدُوا أولياءَهُم ثِقةً بهِمْ، وأدنَوا أعداءَهُم تألُّفاً لهُمْ، فلَمْ يصِرِ العدوُّ بالدنُوِّ صدِيقاً، وصارَ الصدِيقُ بالبِعادِ عَدُوّاً[4].

---

(١) انظر: «نثر الدر» للآبي (٤/ ١٢٧).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٥/ ١٥)، و«الجليس الصالح» (١/ ٥٤٥).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٥/ ٨).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٥/ ٤٩)، و«البصائر والذخائر» (٥/ ١٣٢).

٥ـ وسئلَ بعضُهُمْ: بمَ يدُومُ الملْكُ؟ فقال: بحُسْنِ السِّياسةِ والعَدلِ، فإنَّ المُلكَ يدُومُ معَ الكُفرِ، ولا يدُومُ معَ الظلمِ[١]، وإنَّ اللهَ يُقيمُ الدولةَ العادِلةَ وإنْ كانَتْ كافرَةً، ولا يُقيمُ الظالمَةَ وإنْ كانتْ مُسلمَةً[٢].

٦ـ وسئلَ بعضُهم: أيُّ شيءٍ أرفَعُ لِذكرِ الملوكِ؟ قالَ: تدبيرُهمْ أمرَ البِلادِ بعَدلٍ، ومنعُهمْ إيَّاها بعِزٍ. قيلَ: فما الذِي علَى الملوكِ لرعِيَّتِهِمْ؟ وما الذِي علَى الرعيَّةِ لملوكِهِمْ؟ قالَ: علَى الملوكِ لرعيتِهِمْ العدلُ والمُحاماةُ، وعلَى الرعيَّةِ لملوكِهِمْ الشُّكرُ والنصِيحةُ[٣].

٧ـ وقالُوا: عدلُ السُّلطانِ أنفَعُ للرعيةِ مِن خِصبِ الزَّمَانِ[٤].

٨ـ وإذا لمْ يُعمِرِ الملِكُ مُلكَهُ بالإنصافِ خرَّبَ مُلكَهُ بالعِصيانِ[٥].

٩ـ سألَ الإسكَندَرُ حُكماءَ أهلِ بابلَ: أيُّما أبلَغُ عندَكُمْ الشَّجاعةُ أو العدلُ؟ قالوا: إذا استَعمَلنا العدلَ استَغنَينا عنِ الشجَاعةِ[٦].

١٠ـ وكتَبَ بعضُ عمَّالِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يشكُو إلَيهِ خَرابَ مدينةٍ، ويطلُبُ منهُ مالاً يرُمُّها بهِ، فكتَبَ إليهِ عُمرُ: قرَأنا كتابَكَ، فإذا قرأتَ كِتابي

---

(١) انظر في معناه: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ١٤٠)، و«مفيد العلوم» (ص ٤٥٠)، و«الإعجاز والإيجاز» للثعالبي (ص ٧٢)، و«ربيع الأبرار» (٣/ ٣١٢).

(٢) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٢٤٧)، و«مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٤٦).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٨)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ١٧٦).

(٤) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٥٨)، و«الكامل» (١/ ٢١٤)، «نثر الدر» (٤/ ١٧٣).

(٥) انظر: «الشكوى والعتاب» لابن قتيبة (ص ١٠٥)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ١٩٢).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٧/ ٢١)، و«درر السلوك في سياسة الملوك» للماوردي (ص ٩٣ ـ ٩٤)، و«التذكرة الحمدونية» (٣/ ١٧٥).

فحصِّنْ مَدينَتي بالعدْلِ، ونَقِّ طُرُقها منَ الظلمِ، فإنهُ مَرَمَّتُها، والسَّلامُ[١].

١١ـ وقالَ كِسرَى: لا يبلُغُني أنَّ اللهَ أحبَّ شَيئاً إلا أحبَبْتُهُ واستَعمَلتُهُ، وقدْ أُنبِئتُ أنَّ اللهَ يحِبُّ العدلَ في عِبادِهِ، ويُبغِضُ الجَورَ مِن بعضِهمْ علَى بعضٍ، فويلٌ للظالمِ مِن سَيفِي وسَطوتي، ومَن ظَهَرَ منهُ العدلُ مِن عمَّالي فليتَّكِئ مِنْ مجلِسِي حيثُ شاءَ، وليتَمنَّ عليَّ ما شاءَ[٢].

١٢ـ وقالَ يزُيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيرةَ لأبي جعفرٍ المنصُورِ: يا أميرَ المؤمِنِينَ! إنَّ سُلطانَكُمْ حَديثٌ، وإمارَتكُمْ جَديدَةٌ، فأذِيقُوا الناسَ حَلاوةَ عَدلِها، وجنِّبُوهم مَرارَةَ جَورِها[٣].

١٣ـ وكانَ بعضُ الملُوكِ يوصِي عمَّالَهُ فيقُولُ: سُوسُوا النَّاسَ بالمعدَلَةِ، واحملُوهُمْ عَلى النَّصفَةِ، واحذَرُوا أنْ تُلبِسُونا جُلودَهُمْ، أو تُطعِمُونا لحومَهُمْ، أو تَسقُونا دِماءَهمْ[٤].

١٤ـ وقيلَ: ينبَغِي للسُّلطانِ أنْ يكُونَ عالِماً بأمُورِ عُمالِهِ، فإنَّ المسِيءَ يَخافُ جَبرُوتَهُ قبلَ أنْ تنزِلَ[٥] بهِ عقُوبَتهُ، والمحسِنُ يستَبشِرُ بعمَلِهِ قبلَ أنْ يأتيَهُ مَعروفُهُ، وينبَغِي للسلطَانِ أنْ تعرِفَهُ رعيتُهُ بالأناةِ، وأنْ لا يعجَلَ بالعقابِ ولا بالثوابِ، فإنْ ذلكَ أدوَمُ لخوفِ الخائفِ ورجاءِ الراجِي[٦].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥/ ٣٠٥)، و«مرآة الزمان» (١٠/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «الشكوى والعتاب» للثعالبي (ص ١٠٥)، و«ربيع الأبرار» للزمخشري (٣/ ٣٣٨)، و«المستطرف» (ص ١١٣)، وقد نسبوه للإسكندر.

(٣) انظر: «الكامل في الأدب» (١/ ١٩٦)، و«نثر الدر» (٤/ ١٧٢).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٩)، و«التذكرة الحمدونية» (٣/ ١٧٦).

(٥) في (ب): «تنزله».

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٩).

١٥ـ ونُقلَ أنَّ ناصرَ الدولَةِ سخِطَ عَلى كاتبٍ لهُ، وأمرَهُ بلُزومِ بيتِهِ، فاستُؤمِرَ في إسقَاطِ جِرايتِهِ، فقالَ: إنَّ الملوكَ يؤدِّبونَ بالهِجرانِ، ولا يعاقِبونَ بالحِرمانِ(١).

١٦ـ وقالَ مُعاويةُ رضِيَ اللهُ عنهُ: أَولى الناسِ بالعفوِ أقدَرهُمْ عَلى العقُوبةِ، وأنقَصُ الناسِ عَقلاً مَن ظلَمَ مَنْ دُونَهُ(٢).

١٧ـ وقالَ الحجَّاجُ: العفوُ عنِ المُقرِّ لا عنِ المُصِرِّ، فمَنْ سَقُمتْ سرِيرَتهُ صحَّتْ عُقوبتُهُ، ومَن وضَعهُ ذَنبُهُ رفعَهُ صُلبُهُ(٣).

١٨ـ وقالُوا: يجِبُ عَلى الملِكِ أنْ يعمَلَ بثلاثِ خِصالٍ: تأخِيرُ العُقوبَةِ في سُلطانِ الغضَبِ، وتعجِيلُ مكافَأةِ المحسِنِ، والعمَلُ بالأناةِ فيما يحدُثُ، فإن لَهُ في تأخيرِ العُقوبَةِ إمكانَ العفوِ، وفي تعجِيلِ المكافأةِ بالإحسَانِ المسارعَةَ في الطاعَةِ، وفي الأناةِ انفِسَاحَ الرأيِ واتِّضاحَ الصوابِ(٤)، فقَدْ أصابَ مُتأمِّلٌ أو كادَ، وأخطَأَ مُستعجِلٌ أو كادَ(٥).

١٩ـ وفي الحديثِ: «إذا تأنَّيتَ أصبْتَ أو كِدتَ تُصيبُ، وإذا استعْجَلْتَ أخْطأتَ أو كدْتَ تخطِئُ»(٦).

---

(١) انظر: «الإعجاز والإيجاز» (ص ٩٣)، و«خاص الخاص» (ص ٥٢).

(٢) انظر: «الإعجاز والإيجاز» (ص١٥٣)، و«سراج الملوك» (١٥٣).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٥/ ٢١)، و«الإعجاز والإيجاز» (ص ٧٦).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٥/ ١٧١).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٧)، و«الكامل» (١/ ٧٥).

(٦) أخرجه البيهقي في «السنن» (٢٠٢٧١) من طريق سعيد بن سماك بن حرب، عن أبيه عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده واهٍ، سعيد بن سماك قال أبو حاتم الرازي: متروك. وسماك بن حرب مضطرب في روايته عن عكرمة.

٢٠ـ وفي لفظٍ: «الأناةُ منَ اللهِ، والعجَلَةُ منَ الشيطانِ»[١].

٢١ـ وقيلَ لابنِ عبَّاسٍ: إنَّ الناسَ قدْ فسَدُوا، ولا يُصلِحُهمْ إلا الشرُّ.

فقَالَ: باللهِ الذِي لا إلهَ إلا هوَ، لَلجَورُ أشبُّ للشرِّ، وللعدْلُ أطفَأُ للشرِّ، وفي العدلِ كِفايةٌ، وإليهِ انتهَتِ السياسةُ[٢].

٢٢ـ بلغَ بعضَ الملُوكِ حُسنُ سِياسةِ مَلكٍ فكتَبَ إليهِ: قدْ بلغْتَ مِن حُسنِ السِّياسةِ مَبلَغاً لَمْ يبلُغهُ مِلكٌ في زمانِكَ، فأفِدْني الذِي بلَّغكَهُ.

فكتَبَ إليهِ: لَمْ أهزُلْ في أمرٍ ولا نهيٍ، ولا وعدٍ ولا وعِيدٍ، وأودعْتُ القُلوبَ هيبَةً لم يَشُبْها مقتٌ، ووُداً لمْ يشُبهُ كذِبٌ، وعمَّمتُ بالقُوتِ، ومنَعتُ الفُضولَ[٣].

٢٣ـ وقالُوا: خَيرُ الملُوكِ مَن ملَكَ جهلَهَ بتجمُّلِهِ، وخُرْقَهُ برِفقِهِ، وعجَلتَهُ بأناتِهِ، وعُقوبتَهُ بعفْوِهِ، وعاجلَهُ بمراقَبَةِ آجلِهِ، وآمنَ رعيَّتَهُ بعدلِهِ، وسدَّ ثُغورَهُمْ بهيبَتِهِ، وجبَرَ فاقتَهُمْ بجُودِهِ، يعلَمُ وكأنَّهُ لا يعلَمُ، ويحسِمُ الداءَ مِن حيثُ استبهَمَ[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٠٢)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٤٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي. وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس بن سهل، وضعفه من قبل حفظه. اهـ. وفي «تحفة الأشراف» (٤/ ١٢٩): قال الترمذي: حسن غريب واستنكره ابن عدي.

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٣).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٧).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٦).

٢٤ـ وأحزَمُ[١] الملوكِ مَن ملَكَ جِدُّهُ هزلَهُ، وقهَرَ رأيُهُ هواهُ، وعبَّرَ عَن ضميرِهِ فعلُهُ، ولَمْ يخدَعهُ رِضاهُ عَن حظِّهِ، ولا غضبُهُ عَن كيدِهِ[٢].

٢٥ـ وقالُوا: ينبَغِي للملِكِ أنْ يتفقَّدَ أمرَ خاصَّتِهِ في كلِّ يومٍ، وأمرَ عامَّتِهِ في كُلِّ شهرٍ، وأمرَ سُلطانِهِ في كُلِّ ساعَةٍ[٣]، ولهُ مِنَ النَّاسِ بعدَ الفَحصِ الظاهِرُ، واللهُ يتوَلَّى السرائرَ.

٢٦ـ قالَ بعضُ الملُوكِ في خُطبةٍ لهُ: إنَّما نملِكُ الأجسَادَ لا النيَّاتِ، ونحكُمُ بالعدلِ لا بالرِّضَى، ونفحَصُ عَنِ الأعمَالِ لا عنِ السَّرائرِ[٤].

٢٧ـ وقالَ[٥] أحمدُ بنُ بكْرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ[٦]: إني لعِندَ سُليمانَ بنِ عبدِ الملِكِ إذ دخَلَ عليهِ أعرابيٌّ فقالَ لهُ سُليمانُ: تكلَّمْ يا أعرَابيُّ!.

فقالَ: يا أَمِيرَ المؤمنينَ! إني مُكلِّمُكَ بكلامٍ فاحتَمِلهُ إنْ كرِهتَهُ، فإنَّ وراءَهُ ما تحِبُّ إن قبِلتَهُ.

---

(١) في (ب): «أجزم».

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٣)، و«المجتنى» لابن دريد (ص ٤٩)، و«أمالي القالي» (٢/ ١٧٩)، و«الجليس الصالح» (ص ٦٥).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٠)، و«البصائر والذخائر» (٨/ ١٦٤)، و«ربيع الأبرار» (٥/ ١٦٥).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٠)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٦١)، و«البصائر والذخائر» (٢/ ١٨٤)، و«العقد الفريد» (١/ ٢٤)، و«تسهيل النظر» للماوردي (ص ٢٨٥)، و«الشكوى والعتاب» للثعالبي(ص ١٠٧)، و«ربيع الأبرار» (٣/ ٣٨٩).

(٥) هذا الخبر لم يرد في النسخة (ب).

(٦) كذا عند المصنف، والذي في «المحاسن والمساوئ» للبيهقي: عتيق بن عبد الله بن الزبير، وفي «تاريخ دمشق» (٦٨/ ١٧٥): «العتبي». وفي «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ١٨)، و«تاريخ دمشق» (٦٨/ ١٧٤): «عوف بن أبي جميلة ومؤرج».

فقالَ سُليمانُ: واللهِ يا أعرابيُّ! إنا لنجُودُ بسعَةِ الاحتِمالِ عَلى مَن لا نرجُو نُصحَهُ، ولا نأمَنُ غشَّهُ.

فقالَ: يا أمِيرَ المؤمِنينَ! أما إذا أمِنتُ بادِرةَ غضَبِكَ فسأطلِقْ لسَاني بما خرِسَتِ الألسُنُ بِهِ عَن عِظَتِكَ تأدِيةً لحقِّ اللهِ، وحقِّ إمامَتِكَ.

يا أميرَ المؤمِنينَ! إنكَ قدِ اكتنَفَكَ رجالٌ أسَاؤوا الاختِيارَ بأنفُسِهِمْ فابتَاعُوا دُنياكَ بدِينِهِمْ، ورِضاكَ بسخَطِ ربهِمْ، خافُوكَ في اللهِ ولمْ يخافُوا اللهَ فيكَ، حربٌ للآخرَةِ وسِلمٌ للدُّنيا، فلا تأمَنهُمْ عَلى ما ائتمَنَكَ اللهُ علَيهِ، فإنهُمْ لم ينَالُوا الأمانَةَ وأنتَ نِلتَها، وأنتَ مَسؤولٌ عما اجْترحُوا، وليسُوا بمسْؤولِينَ عمَّا اجترَحتَ، فلا تُصلِحْ دُنياهُمْ بفسَادِ دِينِكَ وآخِرَتكَ، فإنَّ أعظَمَ الناسِ غُبناً بائعُ آخِرتِهِ بدُنيا غيرِهِ[1].

قالَ: فبكَى سُليمانُ بُكاءً شَدِيداً[2].

وقالُوا: لا سُلطانَ إلا برِجالٍ، ولا رِجالَ إلا بمالٍ، ولا مالَ إلا بعمَارَةٍ، ولا عمارَةَ إلا بعدْلٍ[3].

٢٨ـ وكانَ أبو جعفَرٍ المنصُورُ يقولُ: مَنْ قلَّ مالُهُ قلَّ رِجالُهُ، ومَن قلَّ رِجالُهُ قوِيَ عَليهِ عدُوُّهُ، ومَن قوِيَ عَليهِ عدوُّهُ تضَعضَعَ مُلكُهُ، ومَنْ تَضعْضَعَ مُلكُهُ استُبِيحَ حِماهُ[4].

---

(١) انظر: «عيون الأخبار» (٢/ ٣٦٤)، و«العقد الفريد» (٣/ ١١٠)، والبيهقي في «المحاسن والمساوئ» (ص ١٥٤)، و«سراج الملوك» (ص ٢٥)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٨/ ١٧٤)، و«المجالسة» (٢/ ١٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» (١/ ٢٦٢).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٠)، و«عيون الأخبار» (١/ ٦٣)، و«الإعجاز والإيجاز» (ص ٦٢).

(٤) انظر: «تاريخ اليعقوبي» (١/ ٢٦٧).

٢٩ـ وكانَ زيـادٌ يقولُ: أحسِـنُوا إلـى أهلِ الخَـراجِ، فإنكُمْ لا تَزالُونَ سِـماناً ما سَمِنوا[١].

٣٠ـ وقالَ محمَّدُ بنُ كعْبٍ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ: لا تُعمِلَنَّ سجنَكَ فيما يُكْتَفَى فيهِ بلسَانِكَ، ولا تُعمِلَنَّ سَوْطَكَ فيما يُكتَفَى فيهِ بسِجنِكَ، ولا تعمِلَنَّ سيفَكَ فيما يُكتَفَى فيهِ بسَوطِكَ[٢].

٣١ـ وقالَ الزُّهريُّ: سمِعتُ رَجُلاً يقولُ لهشَامِ بنِ عبدِ الملِكِ: يا أمِيرَ المؤمِنينَ! لا تعِدَنَّ عِدةً لا تثِقُ مِن نفسِكَ بإنجازِها، ولا يغرَّنكَ المرتقَى السَّهلُ إذا كانَ المنحدَرُ وَعِراً، واعلَمْ أنَّ للأعمَالِ جَزاءً فاتَّقِ العواقِبَ، وأنَّ للأمُورِ[٣] بَغتَاتٍ، فكُنْ عَلى حَذرٍ.

٣٢ـ وقالَ أفلاطُونُ: الملكُ كالنَّهرِ الأعظَمِ تستمِدُّ منهُ الأنهارُ الصِّغارُ، فإنْ عذُبَ عذُبَتْ، وإنْ ملحَ ملِحَتْ[٤].

٣٣ـ وفي المثلِ: النَّاسُ عَلى دِينِ مُلوكِهِمْ[٥].

٣٤ـ قالَ أهلُ التارِيخِ: كانَ الناسُ في زمَنِ الحجَّاجِ إذا أصبَحُوا يتساءَلُونَ إذا

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٥/ ٦)، و«عيون الأخبار» (١/ ٦٣)، و«تسهيل النظر» (ص ١٦١)، و«ربيع الأبرار» (١/ ١٧٠)، و«سراج الملوك» (ص١٢٣).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٩).

(٣) في (ز) و(ب): «أن الأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن الأمور». والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٤٧)، و«البصائر والذخائر» (٤/ ١٤٥)، و«ربيع الأبرار» (٥/ ٢٧٢)، و«روضة العقلاء» (ص٢٧٣)، و«العقد الفريد» (١/ ٥٧).

(٤) انظر: «تسهيل النظر» (ص ٤٥)، و«التذكرة الحمدونية» (١/ ٣٠٧)، و«عيون الأنباء» (١/ ٨٢).

(٥) انظر: «التمثيل والمحاضرة» (ص ١٣١)، و«الفخري» (ص ٢٢).

تلاقَوا: مَن قُتِلَ البارحَةَ؟ ومَن صُلِبَ؟ ومَن جُلِدَ؟ ومَن قُطِعَ؟ وما أشبَهَ ذلِكَ[١].

٣٥ـ وكانَ الولِيدُ صاحِبَ ضِياعٍ ومَصانِعَ، فكانَ الناسُ يتسَاءلُونَ في زمانِهِ عَنِ الدُّنيا، والمصانعِ والضِّياعِ، وشقِّ الأنهارِ، وغرسِ الأشجَارِ[٢].

٣٦ـ ولما وليَ سُليمانُ بنُ عبدِ الملِكِ وكانَ صاحِبَ طعَامٍ ونِكاحٍ، فكانَ النَّاسُ يتسَاءلُونَ ويتحَدَّثُونَ بالأطعِمةِ اللَّذِيذَةِ، والثِّيابِ الرفيعَةِ، ويتغالَونَ في المناكِحِ، والسَّرارِي، ويعمُرُونَ مجالِسَهُمْ بذِكرِ ذلِكَ[٣].

٣٧ـ ولما وليَ عمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ كانَ النَّاسُ يتسَاءلُونَ: كَمْ تحفَظُ مِنَ القرآنِ؟ ومتى تختِمُ؟ وكَم وِردُكَ كلَّ ليلَةٍ؟ وكَم تصُومُ منَ الشَّهرِ؟ وما أشبَهَ ذلِكَ[٤].

٣٨ـ فعلَى الملِكِ تحرِّي فِعْل الخَيرِ فإنهُ ينفَعُهُ، والحرصُ علَى العدلِ فإنَّ وُلاتهُ تتبَعُهُ، ويأمُرُ مَن يذكرُهُ بذلِكَ، ويوقظُهُ لما هنالِكَ.

٣٨ـ كانَ بعضُ الملوكِ قدْ كتَبَ ثلاثَ رقاعٍ، وقالَ لوزيرِهِ: إذا رأيتَني غضبَانَ فادفَعْ إليَّ رقعَةً بعدَ رقعَةٍ.

وكانَ في الأُولى: أنتَ لستَ بإلهٍ، وإنكَ ستمُوتُ، وترجِعُ إلى الترابِ.

وفي الثانيةِ: ارحَمْ مَن في الأرضِ يرحمْكَ مَن في السمَاءِ.

وفي الثالثةِ: اقضِ بينَ الناسِ بحُكمِ اللهِ، فإنهُ لا يصلِحُهمْ إلا ذلكَ[٥].

---

(١) انظر: «سراج الملوك» (ص ٤٦)، و«حسن السلوك» (ص ٦٨)، و«المستطرف» (ص ١١٥).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: «تسهيل النظر» (ص ٧٣)، و«سراج الملوك» (ص ٧١)، و«أدب الدنيا والدين» (ص ٢٥٨)، و«ربيع الأبرار» (٢/ ٢٢٥)، و«المستطرف» (ص ١٠٣).

٣٩ـ كانَ لكِسرى أنوشِروانَ معلِّمٌ حسَنُ التأدِيبِ يُعلمُهُ حتى فاقَ في العُلومِ، فضرَبهُ المعلِّمُ يوماً مِن غيرِ ذنبٍ فأوجعَهُ، فحقَدَ كِسرى علَيهِ، فلمَّا وليَ الملكَ قالَ للمُعلمِ: ما حمَلكَ عَلى ضَربي يومَ كذا ظُلْماً وعُدوَاناً؟ فقالَ لهُ: لما رأيتُكَ ترغَبُ في العلمِ رجَوتُ لكَ المُلكَ بعدَ أبيكَ، فأحببتُ أنْ أُذيقَكَ طعمَ الظلمِ لئلَّا تظلِمَ، فعجِبَ كِسرى مِن ذلكَ[1].

وكانَ أحمدُ بنُ طُولونَ أميرُ مِصرَ مُتحلِّياً بالعدلِ معَ تجبُّرِهِ وسفكِهِ للدِّماءِ[2]، جاءَهُ بعضُ العقلاءِ يشكُو لهُ مِن والٍ غصَبَ لهُ ضَيعةً فقالَ: أصلَحَ اللهُ الأميرَ، أأذكُرُ لكَ حاجَتي أم أذكُرُ لكَ فيها مَثلاً؟

فقالَ: بلِ اضرِبِ المثَلَ.

فقالَ: إنَّ الطفلَ الصغِيرَ إذا نابهُ أمرٌ يكرَههُ فإنهُ يفزَعُ إلى أُمهِ إذ لا يعرِفُ غيرَها، وظنّاً منهُ أنْ لا ناصِرَ لهُ سِواها، فإذا ترعرَعَ واشتَدَّ كانَ فِرارُهُ إلى أبيهِ [لعلمِهِ أنهُ أقوَى مِن أمِّهِ][3]، فإذا بلَغَ وصارَ رجلاً وحدَثَ بهِ أمرٌ شكاهُ إلى الوالي لعِلمِهِ أنهُ أقوَى مِن أبيهِ، فإذا زادَ عقلُهُ شَكا إلى السلطانِ لعلمِهِ أنهُ أقوَى ممَّنْ ظَلَمَهُ سواهُ، فإنْ علِمَ أنَّ السلطانَ لمْ يُنصِفهُ، شكَا إلى اللهِ تَعالى لعِلمِهِ أنهُ أقْوَى منَ السُّلطانِ، وقدْ نزلَتْ بي نازِلةٌ، وليسَ فوقَكَ أحدٌ أقوَى منكَ إلا اللهُ تَعالى، فإنْ أنصَفْتَني وإلا رفعتُ أمرَها إلى اللهِ تَعَالى في الموسمِ، فإنني متوجهٌ إلى بيتِهِ وحرمِهِ.

فقالَ: بلْ ننصِفُكَ، وكتَبَ إلى واليهِ بردِّ ضيعَتِهِ إليهِ[4].

---

(١) انظر: «المستطرف» (ص ١١٦).

(٢) انظر: «التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٠٠).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من (ب).

(٤) انظر: «سراج الملوك» (ص ١١٦)، و«المستطرف» (ص ١١٣)، وقد نسب الخبر إلى المنصور، =

٤٠ ـ وحُكيَ أنَّ ولدَهَ العباسَ[١] استَدْعى مُغنيَّةً، فلقِيَها بعضُ الصالحِينَ ومعَها غُلامٌ يحمِلُ عودَها، فكسَرهُ ذلكَ الصالحُ، فدخَلَ العباسُ إلى أبيهِ وأخبرَهُ بذلكَ، فأمرَ بإحضارِهِ وقالَ لهُ: أنتَ الذِي كسرْتَ العودُ؟

قالَ: نعَمْ.

قالَ: هوَ لابنِي.

قالَ: نعَمْ، هوَ لابنِكَ العبَّاسِ.

قالَ: فما أكرَمتَهُ لي؟

قالَ: أكرِمُهُ لكَ بمعصِيةِ اللهِ تَعالى؟ واللهُ سبحانَهُ يقولُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، والنبيُّ ﷺ يقولُ: «لا طاعَةَ لمخلُوقٍ في معصِيةِ الخالِقِ»؟!.

فأطرَقَ أحمدُ بنُ طولُونَ رأسَهُ ثمَّ قالَ لهُ: كلُّ منكَرٍ رأيتَهُ فغيِّرهُ وأنا مِنْ ورائكَ[٢].

٤١ ـ وحُكيَ[٣] أنَّ سلطانَ دمَشقَ طلَبَ لها محتسِباً، فذُكرَ لهُ رجلٌ مِن أهلِ العلمِ، فأمرَ بإحضارِهِ وقالَ لهُ: قدْ ولَّيتُكَ أمرَ الحِسبةِ عَلى الناسِ بالأمرِ بالمعرُوفِ والنهيِ عنِ المنكَرِ.

فقالَ للسُّلطانِ: إنْ كانَ الأمرُ كذلكَ فقُمْ عَن هذا الفراشِ، وارفَعْ هذا المَسْنَدَ، فإنهُما حريرٌ، واخلَعْ هذا الخاتمَ فإنهُ ذهَبٌ، وقدَ قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ

= بدل: أحمد بن طولون.

(١) أي: العباس بن أحمد بن طولون.

(٢) انظر: «التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٠١).

(٣) هذا الخبر لم يرد في (ب).

فـي الذهـبِ والحريـرِ: «حرامـانِ عَلـى ذُكـورِ أُمَّتي حـلٌّ لإناثِهـا»[١].

قالَ: فنهَضَ السُّلطانُ عَن فراشِهِ، وأمرَ برفعِ مَسْنَدِهِ، وخلَعَ الخاتمَ مِن أصبُعِهِ، وقالَ: قدْ ضمَمتُ إليكَ النظَرَ في الشرِطَةِ.

قالوا: فما رأى الناسُ مُحتَسِباً أهيبَ منهُ[٢].

٤٢ـ وقفَ يهودِيٌّ لعبدِ الملكِ بنِ مَروانَ يشكُو ظُلامةً فقالَ: يا أميرَ المؤمِنينَ! إنا نجِدُ في التوراةِ أنَّ الملكَ لا يكُونُ شَرِيكاً في ظُلمِ أحدٍ حتَّى يُرفعَ إليهِ ذلكَ الظُّلمُ، فإذا رُفعَ إليهِ فلَم يُزِلهُ فقَد شارَكَهُ في الظُّلمِ والجَورِ.

فلمَّا سمِعَ عبدُ الملكِ كلامَهُ فزِعَ وبعَثَ في الحالِ إلى مَن ظلمَهُ فعزَلَهُ، وأخذَ لليهودِيِّ حقَّهُ منهُ[٣].

٤٣ـ قيلَ لبعضِ الحكَماءِ: أيُّ الأمُورِ أعجَلُ عُقوبةً، وأسرَعُ صُرعةً لصاحِبِها؟

قالَ: ظُلمُ مَن لا ناصِرَ لهُ إلا اللهُ تَعالى، ومجاورَةُ النِّعمِ بالتَّقصِيرِ، واستِطالَةُ الغنيِّ عَلى الفقِيرِ[٤].

٤٤ـ روى ابنُ ماجَهْ قالَ: لما قدِمَ جَعفَرُ منَ الحبشَةِ قالَ لهُ رسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٥٧)، وابن ماجه (٣٥٩٥)، وأحمد (٧٥٠) من حديث علي بن أبي طالب، وأحمد (١٩٥٠٢)، والترمذي (١٧٢٠) من حديث أبي موسى الأشعري، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة» (ص ٨)، و«معالم القربة في طلب الحسبة» (ص ١٣).

(٣) انظر: «المستطرف» (١/ ١١٢).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٠)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ٨٥).

«ما أعجَبُ شيءٍ رأيتَهُ؟» قالَ: رأيتُ امرأةً عَلى رأسِها مِكتَلٌ مِن طعامٍ، فمرَّ فارسٌ فأذرَاهُ، فقعَدَتْ تجمَعُ طعامَها، ثم التفتَتْ إليهِ فقالَتْ لهُ: ويلٌ لكَ يومَ يضَعُ الملكُ كرسِيَّهُ فيؤخَذُ للمظلومِ منَ الظالمِ.

فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ تصدِيقاً لقولِها: «لا قُدِّسَتْ أُمةٌ لا يَأخُذُ ضعِيفُها حقَّهُ مِن شَدِيدِها»[1].

٤٥ـ وقالَ زيادٌ: مِلاكُ السُّلطانِ الشدَّةُ عَلى المريبِ، واللِّينُ للمحْسِنِ، والوفاءُ بالعهدِ، وصِدقُ الحديثِ[2].

***

---

(١) أخرجه بهذه السياقة: البزار (٤٤٦٤)، والطبراني في «الأوسط» (٥٢٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٢٠٣) من حديث بريدة. وفي إسناده عطاء بن السائب اختلط ولم يتبين سماع منصور بن أبي الأسود منه قبل الاختلاط أو بعده، قال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٥/ ٣٧٧): لم يحتج بما رواه عن عطاء.

وأخرج المرفوع منه بغير هذه القصة: ابن ماجه (٢٤٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري. وصحح إسناده البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٦٨).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٥/ ١٢).

البابُ الثَّاني

فيما يتعَلَّقُ بالوزَراءِ

الوزِيرُ: هوَ المُؤازِرُ، سمِّيَ بذلكَ لأنهُ يَحمِلُ عنِ السلطانِ أَوزارَهُ، أي: أثقالَهُ.

٤٦ـ وفي الحديثِ: «مَنْ وليَ منكُمْ عَملاً فأرادَ اللهُ بِهِ خَيراً جعَلَ لهُ وزِيراً صالِحاً، إنْ نسِيَ ذكَّرهُ، وإنْ ذكَرَ أعانَهُ»[١].

٤٧ـ قالَ العلمَاءُ وطوائفُ العُقلاءِ: صَلاحُ الدُّنيا بصَلاحِ الملُوكِ، وصلاحُ الملُوكِ بصَلاحِ الوزَراءِ، ولا يصلُحُ الملكُ إلا لأهلِهِ، ولا تصلُحُ الوزارَةُ إلا لمستَحِقِّها[٢].

٤٨ـ وقالُوا: خيرُ الوزَراءِ أصلَحُهم للرعيَّةِ، وأصدَقُهمْ نيةً في النصِيحةِ، وأشدُّهمْ ذباً عنِ المملكَةِ، وأشدُّهمْ بصِيرَةً في الطاعةِ[٣].

٤٩ـ وأفضَلُ عُدَدِ الملُوكِ صَلاحُ الوزرَاءِ الأكِفَّاءِ[٤].

٥٠ـ ليسَ شيءٌ للمُلوكِ أولَى بالفرحِ والسرُورِ في مُلكِها مِن سيرةٍ حسنَةٍ يَسِيرونَها، وسُنةٍ صالحَةٍ يُجرُونها، ووزيرٍ صالحٍ يُؤيدُّونَ بهِ، فإذا طرَقتِ الحوادِثُ، ودهمَتِ العظائمُ، كانَ للمُلكِ عُدَّةً وذُخراً، وللرعيَّةِ كافِياً محتَاطاً، ومِن ورائها ذابَّاً ناصِراً[٥].

---

(١) أخرجه النسائي (٤٢٠٤)، والبزار (٢٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٢٤٠)، والقضاعي في «الشهاب» (٥٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٠١٧) وفي «السنن» (٢٠٣١٩) من حديث عائشة. وصححه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٨).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

٥١ـ مَثَلُ الملِكِ الصالحِ إذا كانَ وزِيرُهُ فاسِداً مَثَلُ الماءِ الصافي العَذْبِ الذِي فيهِ التَّماسِيحُ[1] لا يستطِيعُ الإنسانُ ـ وإنْ كانَ سابِحاً ـ دُخولَهُ حذَراً عَلى نفسِهِ.

٥٢ـ إذا لـم يرجِـعِ الملِـكُ إلا إلـى رأيِ وزيرِهِ، فالوزيـرُ هوَ الملِـكُ، والملِكُ سُـوقَةٌ مُسخَّرٌ[2].

٥٣ـ الاستِسْلامُ للوزيرِ هوَ العزلُ الخفِيُّ[3].

٥٤ـ إذا لمْ يُشرِفِ الملِكُ عَلى أمورِ وزيرِهِ، فليعْلَمْ أنَّ أغشَّ الناسِ لهُ وزِيرُهُ[4].

الوزارَةُ مَرتبةٌ جَليلَةٌ، وصِفةٌ جمِيلَةٌ، شهِدَ بفَضْلِها الحسُّ والمعقُولُ، وحُمِدَ أمرُها في التاريخِ والمنقُولِ، وبها تُشدُّ قواعِدُ الممالِكِ الإسلاميَّةِ، وتُسدُّ مكائدُ الشَّياطينِ الغويَّةُ.

٥٥ـ أشرَفُ مَنازِلِ الآدمِيينَ النبوَّةُ ثمَّ الخِلافةُ ثمَّ الوزارَةُ[5].

٥٦ـ مثَلُ السلطانِ كالدَّارِ والوزيرُ بابُها، فمَنْ أتى الدَّارَ مِن بابِها ولجَ، ومَن أتاها مِن غَيرِ بابِها انزعَجَ[6].

٥٧ـ مثَلُ السلطانِ أيضاً مثلُ الطبيبِ، ومَثَلُ الرعيَّةِ كمثلِ المرضَى، ومثَلُ الوزيرِ كمثلِ السفِيرِ الذِي بينَ المرضَى والأطباءِ، فإذا كذَبَ السفيرُ بطَلَ التدبيرُ[7].

---

(١) في (ز): «التمساح». والمثبت موافق لما في «نثر الدر» (٤/ ١٧٩).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

(٥) انظر: «سراج الملوك» (ص ٧٠)، و«المستطرف» (ص١٠٣).

(٦) انظر: «سراج الملوك» (ص ٧١)، و«المستطرف» (ص ١٠٣).

(٧) انظر: «سراج الملوك» (ص ٧٠)، و«المستطرف» (ص ١٠٣).

البابُ الثالثُ

فيما يتعلَّقُ بالحجَابِ

٥٨ـ قالُوا: لا شيءَ أضيَعُ للمملكَةِ وأهلَكُ للرعيَّةِ مِن شدَّةِ الحجَابِ(١).

٥٩ـ وقيلَ: إذا سهُلَ الحِجابُ أحجمَتِ الرعيَّةُ عنِ الظلمِ، وإذا عظُمَ الحجَابُ هجمَتِ الرعيَّةُ عَلى الظلمِ(٢).

٦٠ـ وكانَتِ الفُرسُ تقولُ: لا شيءَ أضيَعُ للمملكَةِ مِن شدَّةِ حِجابِ الملكِ، ولا شيءَ أهيَبُ للرعيَّةِ وأكفُّ لهمْ عنِ الظلمِ مِن سُهولَتهِ(٣).

٦١ـ وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يوماً لحاجبِهِ: مَن بالبابِ؟ فقالَ: رجُلٌ يزعُمُ أنهُ ابنُ بلالٍ مُؤذِّنِ رسولِ اللهِ ﷺ، فأذِنَ لهُ، فلمَّا دخَلَ قالَ: حدَّثني أبي قالَ: سمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَن ولِيَ شيئاً مِن أمورِ المسلمِينَ ثمَّ احتجَبَ عنهُمْ، حجبَهُ اللهُ عنهُ يومَ القِيامَةِ». فقالَ عُمرُ لحاجبِهِ: الزَمْ بيتَكَ. فمَا رُئيَ بعدَ ذلكَ عَلى بابِهِ حاجبٌ(٤).

٦٢ـ وفي الحديثِ عنِ النبيِّ ﷺ: «ما مِن إمامٍ أو والٍ يغلِقُ بابَهُ دُونَ ذوي الخُلَّةِ

---

(١) انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٥٧)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ١٩٧)، و«المستطرف» (ص ١٠٤).

(٢) انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٥٧)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ١٩٧)، و«المستطرف» (ص ١٠٤).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٥٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ١٩٨)، و«المستطرف» (ص ١٠٤).

والحديث أخرجه ابن الجعد (٢٣٠٩)، وأحمد (٢٢٠٧٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣١٦) من حديث معاذ بن جبل بنحوه. وقال المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٢٤): إسناده جيد.

والحاجَةِ والمَسْكَنةِ، إلا أغلَقَ اللهُ أبوابَ السماءِ دُونَ خَلَّتِهِ وحاجَتِهِ ومَسكَنَتِهِ»(١).

٦٣ـ وكانَ خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسْريُّ يقولُ لحاجبِهِ: إذا أخذتُ مجلِسِي فلا تَحْجِبنَّ عَنِّي أحداً، فإنَّ الوالي لا يحتجِبُ إلا لثلاثٍ: إمَّا لرِيبَةٍ يخافُ منها أن تظهَرَ، أو لبُخلٍ فيهِ فيخَافُ أنْ يُسألَ، أو عيبٍ كراهَةَ أنْ يطَّلعَ عليهِ أحدٌ(٢).

٦٤ـ وأنشَدُوا في ذمِّ الحجَابِ وظُلمِ الحُجَّابِ:

ولقَـدْ رَأَيْـتُ ببَـابِ دَارِكَ جَـفْوَةً فيْهَا لحُسْـنِ صَنِيْعِـكَ التَّكْدِيـرُ(٣)
مـا بـالُ دَارِكَ حِيْـنَ تُدْخَـلُ جنَّةً وببَـابِ دَارِكَ مُنْـكَرٌ ونكِيْـرُ!

٦٥ـ وأنشَدُوا:

إذا جِئْـتُ ألْقَـى عِنْـدَ بَابِـكَ حَاجِباً مُحَيَّـاهُ مِـنْ فَـرْطِ الجَهَالَـةِ حَالِـكُ
ومِـنْ عَجَـبٍ مَغْنَـاكَ(٤) جَنَّـةُ قَاصِدٍ وحَاجِبُهَـا مِـنْ دُوْنِ رُضْـوانَ مَالِـكُ

٦٦ـ لما ماتَ أحمَدُ بنُ طولونَ أميرُ مصرَ راَهُ بعضُ الصوفيَّةِ بعدَ موتِهِ في المنامِ بحالةٍ حسنةٍ، فسألَهُ عَنْ حالِهِ؟ فقالَ: عدِلَ بي عنِ النارِ إلى الجنةِ بسبَبِ إنصافِ المظلُومِ، وسماعِ كلامِي لهُ، وما في الآخرَةِ أشدُّ عَلى رؤساءِ الدُّنيا منَ الحُجَّابِ لملتمِسِ الإنصَافِ(٥).

***

(١) أخرجه أحمد (٢٤٠٠٩/ ٨٢)، والترمذي (١٣٣٢) من حديث عمرو بن مرة الحضرمي وقال: حديث غريب. اهـ وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) انظر: «المستطرف» (ص ١٠٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) في (ز) و(ب): «التدبير»، والمثبت من «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٢٠١)، و«المستطرف» (ص ١٠٤).

(٤) في (ز) و(ب): «محياك»، والمثبت من «المستطرف» (ص ١٠٥).

(٥) انظر: «مرآة الزمان» (١٦/ ٨٠).

البابُ الرابعُ

فيما يتعلَّقُ بمَنْ يُعاشِرُ المُلوكَ أو يَلِي لهُمْ عَمَلاً

٦٧ـ قالَ أبو مسلِمٍ وزيرُ السفَّاحِ: خاطَرَ بنفسِهِ مَن ركِبَ البحْرَ، وأشدُّ منهُ مخاطرَةً مَن داخَلَ الملُوكَ[١].

٦٨ـ وقالَ عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ وزيرُ المأمُونِ: مَن داخَلَ الملوكَ فليَدخُلْ أعمَى، وليخرُجْ أخرسَ[٢].

٦٩ـ وكتبَ السفَّاحُ لبعضِ عمَّالِهِ: قدْ كثُرَ شاكُوكَ، وقلَّ شاكِروكَ، فإمَّا اعتدَلتَ وإمَّا عُزلتَ[٣].

٧٠ـ وقيلَ: العاقِلُ مَن طلَبَ السلامَةَ مِن عمَلِ السُّلطانِ، فإنَّهُ إن عفَّ جنَى عليه العفَافُ عَداوةَ الخاصَّةِ، وإنْ بسَطَ جنَى عليهِ البَسطُ ألسِنةَ العامَّةِ[٤].

٧١ـ وقالَ سعيدُ بنُ حمَيدٍ[٥]: عمَلُ السلطانِ كالحمَّامِ، مَن فيهِ يريدُ الخُروجَ منهُ، ومَن هوَ خارِجٌ يريدُ الدخُولَ فيهِ[٦].

---

(١) انظر: «سراج الملوك» (ص ١١٩)، و«المستطرف» (ص ١٠١)، ولم ينسباه إلى أبي مسلم، وأيضاً: «بذل النصائح الشرعية» (٢/ ٤٧٦) وقد نسبه لأبي مسلم، و«الإعجاز والإيجاز» (ص ٩٧)، و«بذل النصائح» (٢/ ٤٨٠)، و«مطالع البدور ومنازل السرور» (ص ٢٠١)، وقد نسب لأبي سلمة الخلال وزير الخلال.

(٢) انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٣٥) ولم ينسبه لأحد.

(٣) انظر: «الاقتضاب» (١/ ١٩٥)، و«العقد الفريد» (٤/ ٣٠٢)، و«محاضرات الأدباء» (١/ ٢٢٣) و«ربيع الأبرار» (٣/ ٣٨٨) ونسبوه لجعفر بن يحيى، وهو البرمكي وزير أبي العباس السفاح.

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٩)، و«محاضرات الأدباء» (١/ ٢٣٨).

(٥) في (ب): «أحمد».

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٩)، «والبصائر والذخائر» (٥/ ٣٦)، و«ربيع الأبرار» (٥/ ١٦٥).

٧٢ـ وكانَ مَسروقُ بنُ الأجدَعِ ينهَى عَن عمَلِ السُّلطانِ، فدعَاهُ زِيادٌ وولَّاهُ، فقيلَ لهُ في ذلِكَ، فقالَ: اجتمَعَ عليَّ زيادٌ وشُرَيحٌ والشَّيطانُ، فكانُوا ثلاثةً وكنْتُ واحِداً فغلبُوني(١).

٧٣ـ وقيلَ: السُّلطانُ إنْ أرضيْتَهُ أتعبَكَ، وإنْ أغضبْتَهُ أعطبَكَ(٢).

٧٤ـ وقالَ بعضُهمْ: شدةُ الانقِباضِ منَ السلطانِ تُورثُ التُّهمةَ، وسهُولةُ الانبساطِ إليهِ تُورثُ الملالَةَ(٣).

٧٥ـ وينبَغِي لصاحِبِ السلطانِ أنْ يستعِدَّ لجوابِ عُذْرِ ما لمْ يجنِهِ، وأنْ يكُونَ آنسَ ما يكُونُ بِهِ أوحَشَ ما يكونُ منهُ، فإذا سلمَتِ الحالُ عندَهُ فلا يأمَنُ ملالتَهُ(٤).

٧٦ـ وقالُوا: خاطَرَ بنفسِهِ مَن ركِبَ البحرَ عندَ هيَجانِهِ، وأعظَمُ منهُ خَطراً مَن صحِبَ السُّلطانَ(٥).

٧٧ـ وقالَ مُعاويةُ لرجُلٍ مِن قريشٍ: إيَّاكَ والسُّلطانَ فإنهُ يغضَبُ غضَبَ الصبيِّ، ويرضَى رضَى الصبيِّ، ويبطِشُ بطْشَ الأسدِ(٦).

٧٨ـ وقيلَ لبعضِ الأدباءِ: لمَ لا تصحَبُ السلطانَ عَلى ما فيكَ منَ الأدَبِ؟

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٠).

(٢) في (ز) و(ب): «عطبك»، والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٧٠).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٦)، و«سراج الملوك» (ص ١٢١)، و«محاضرات الأدباء» (١/ ٢٣٩).

(٤) في (ز): «ملامته»، وانظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٥) سلف برقم (٦٧).

(٦) انظر: «سراج الملوك» (ص ١١٩)، و«المستطرف» (ص ١٠١)، و«نثر الدر» (٢/ ١٤٠)، و«عيون الأخبار» (١/ ٣٩٨)، و«العقد الفريد» (١/ ٥٠)، و«محاضرات الأدباء» (١/ ٢٣٨).

قالَ: لأني رأيتُهُ يعطِي العشرةَ آلافٍ في غيرِ شيءٍ، ويرمِي منَ السُّورِ في غيرِ شيءٍ، ولا أدرِي أيَّ الرجُلَينِ أكونُ[1].

٧٩ـ وقالَ عمرُو بنُ هندٍ: الملُوكُ يَشتِمُونَ بالأفعالِ لا بالأقوالِ، ويُسفِّهونَ بالأيدِي لا بالألسنَةِ[2].

٨٠ـ وقالَ الربيعُ حاجِبُ المنصُورِ: موائدُ الملُوكِ للشرَفِ لا للعلَفِ[3].

٨١ـ وأنشَدُوا:

ومُصَاحِبُ السُّلْطَانِ مِثْلُ سَفِيْنَةٍ … في البَحْرِ تُجْهِدُ نَفْسَها مِنْ خَوْفِهِ
إنْ أَدْخَلَتْ مِنْ مَائِهِ في جَوْفِها … دَخَلَتْ ومَا في جَوْفِهَا في جوفِهِ[4]

٨٢ ـ قالَ بعضُهُمْ: إذا كنتَ معَ السُّلطانِ، فكُنْ حذِراً منهُ عندَ تقريبِهِ إيَّاكَ، أمِيناً لهُ إذا ائتمنَكَ، واشكُرْ لهُ، ولا تكلِّفهُ الشُّكرَ لكَ، وتُعلِّمُهُ وكأنَّكَ تتعلَّمُ منهُ، وتؤدِّبهُ وكأنهُ يؤدِّبكَ، وأشِرْ عليهِ وكأنَّكَ تستَشِيرُهُ، وكُن بصِيراً بهواهُ، مُؤثِراً لنفعِهِ، ذَلِيلاً إنْ ضامَكَ، راضِياً إنْ أعطَاكَ، قانِعَاً إنْ حرمَكَ[5]، وإلا فابعِدْ منهُ كلَّ البعدِ[6].

٨٣ـ وقيلَ: لا يَقدِرُ على صُحبةِ السلطانِ والملوكِ إلا مَن يستقِلُّ بما حمَّلُوهُ[7]،

(١) انظر: «سراج الملوك» (ص ١١٩)، و«المستطرف» (ص ١٠١).

(٢) انظر: «الإعجاز والإيجاز» (ص ٧١)، و«التذكرة الحمدونية» (٣١٣).

(٣) انظر: «الإعجاز والإيجاز» (ص ٩٧)، وفيه: للشبع. بدل: للعلف.

(٤) انظر: «المستطرف» (ص ١٠٢)، باختلاف بعض الألفاظ.

(٥) في (ز): «أحرمك».

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٠).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧١)، و«عيون الأخبار» (١/ ٧٣)، وفيهما ولا يستثقل ما حملوه.

ولا يغترُّ بهمْ إذا رضُوا عنهُ، ولا يتغيَّرُ لهمْ إذا سَخِطُوا عليهِ، ولا يطغَى إذا سلَّطُوهُ، ولا يبطَرُ إذا أكرمُوهُ.

٨٤ـ وقالوا: مثلُ صاحِبِ السُّلطانِ مثلُ راكبِ الأسدِ تهابُهُ النـاسُ، وهوَ لمركبِـهِ[١] أهيَبُ.

٨٥ـ وقالَ بعضُهمْ: إذا زادَكَ السلطانُ تأنِيسَاً وإكراماً، فزِدْهُ إجلالاً وإعْظاماً، وإذا جعلَكَ أخاً فاجعلْهُ أباً، فإنْ زادَكَ فزِدهُ، وافعَلْ معَهُ فِعلَ العبدِ معَ سيِّدِهِ[٢].

٨٦ـ وقالَ سهلُ بنُ هارُونَ: ينبَغِي للنديمِ أنْ يكُونَ كأنما خُلقَ مِن قلبِ الملكِ، يتصرَّفُ بشهواتِهِ، ويتقلَّبُ بإرادتِهِ، إذا جدَّ جدَّ، وإذا تطلَّقَ تطلَّقَ، لا يملُّ المعاشرَةَ، ولا يسأمُ المسامرَةَ، إذا نَشِي[٣] تحفَّظَ، وإذا صحَا تيقَّظَ، ويكونُ كاتماً لسرِّهِ، ناشِراً لبرِّهِ.

٨٧ـ وقالَ بعضُهمْ: إذا أَجَلَّكَ السلطانُ[٤] بحيثُ يسمَعُ منكَ ويثِقُ بكَ، فإيَّاكَ والدخُولَ بينَهُ وبينَ بِطانَتِهِ، فإنكَ لا تدرِي متَّى يتغيرُ عليكَ، فيكُونونَ عَوناً عليكَ، وإيَّاكَ أنْ تُعادِيَ مَن إذا شاءَ طرَحَ ثيابَهُ ودخَلَ على المَلكِ[٥].

٨٨ـ وقالَ بعضُهمْ لابنِهِ:

اصحَبِ السُّلطانَ بشدَّةِ التوقِّي، كما تصحَبُ السبُعَ الضارِيَ، والفيلَ المُغتَلِمَ، والأفعَى القاتلَةَ.

---

(١) في (ب): «لمركوبه». والمثبت من (ز)، وهو الموافق لما في «نثر الدر» (٤/ ١٧١).

(٢) انظر: «سراج الملوك» (ص ١٢٠)، و«زهر الآداب» (٣/ ٧٢٩)، و«المستطرف» (ص ١٠١).

(٣) في «نثر الدر» (٤/ ١٧٠)، و«البصائر والذخائر» (٤/ ١٤٢): «انتشى».

(٤) الذي في «سراج الملوك» (ص ١٢١)، و«المستطرف» (ص ١٠١): «أحلك السلطان من نفسه».

(٥) الذي في «سراج الملوك» (ص ١٢١)، و«المستطرف» (ص ١٠١): «ويدخل مع الملك في ثيابه فعل».

واصحَبِ الصدِيقَ بلينِ الجانبِ والتواضُعِ.

واصحَبِ العدوَّ بالإعذارِ[١] إليهِ، والحجَّةِ فيما بينَكَ وبينَهُ.

واصحَبِ العامَّةَ بالبرِّ والبِشرِ واللُّطفِ باللِّسانِ[٢].

٨٩ـ وقالَ بعضُ الفلاسِفةِ: إذا قربَّكَ السُّلطانُ فكُنْ منهُ عَلى حدِّ السِّنانِ، وإنِ استرسَلَ إليكَ فلا تأمَنِ انقلابَهُ علَيكَ، وارفُقْ بهِ رِفقَكَ بالصَّبيِّ، وكلِّمهُ بما يشتَهِي[٣].

٩٠ـ وقالَ يحيَى بنُ خالِدٍ: إذا صحِبتَ السُّلطانَ فدارِهِ مُداراةَ المرأةِ العاقِلةِ في صحبَةِ الزوجِ الأحمَقِ، فإنها لا تدَعُ التصنُّعَ لهُ في حالٍ[٤].

٩١ـ وقالَ حسَّانُ بنُ ربيعٍ الحِميرِيُّ: لا تثِقنَّ بالملكِ فإنهُ مَلُولٌ، ولا بالمرأةِ فإنَّها خَؤونٌة[٥]، ولا بالدابَّةِ فإنها شَرودٌ.

٩٢ـ وقالَ بعضُهمْ: اصحَبِ السلطانَ بإعمالِ ثلاثٍ: الحذَرِ، ورفضِ الدالَّةِ، والاجتِهادِ في النُّصحِ، واصحبْهُ بثلاثٍ: بالرِّضَا، والصبرِ، والصدقِ[٦].

٩٣ـ وقالَ بعضُهمْ: إذا جارَيْتَ عندَ السلطانِ كُفئاً مِن أكِفَّائكَ، فلتكُنْ مجاراتُكَ إياهُ بالحجَّةِ، وإن عظمكَ[٧]، وبالرفعِ وإنْ أخرَقَ بكَ، واحذَرْ أنْ

---

(١) في (ز): «بالاعتذار».

(٢) هذا الخبر لم يرد في (ب). وانظر: «الإمتاع والمؤانسة» (ص ١٩٩)، و«الصداقة والصديق» (ص ٢٧٧).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٢).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٢)، و«سراج الملوك» (ص ١٢٢)، و«المستطرف» (ص ١٠١).

(٥) كذا في النسخ عندنا، والذي في «الإعجاز والإيجاز» (ص٧٢)، و«ربيع الأبرار» (٥/ ١٨٤)، و«المستطرف» (ص ١٠٢): «خؤون».

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٧)، و«التذكرة الحمدونية» (١/ ٣٨٣).

(٧) في «نثر الدر» (٤/ ١٧٧): «عضهك».

يستلِجَّكَ فتغضَبَ، فإنَّ الغضَبَ يُعمِي عنِ الفرصَةِ، ويقطَعُ عنِ الحجَّةِ، ويُظهِرُ عليكَ الخصمَ، واحترِسْ أنْ يعرِفكَ السُّلطانُ باثنتينِ: بكثرةِ مدحِ الناسِ عندَهُ، وبكثرَةِ ذمِّهِمْ، وعليكَ بالقصدِ والتحرُّزِ، فإنهُ إنْ يعرِفكَ بهِ كُنتَ لعدوِّكَ أضرَّ ولصديقِكَ أنفعَ، ولا تثِقْ بالسلطانِ بالدَّالةِ وإنْ كانَ أخاكَ، ولا بالحجَّةِ وإنْ وثقْتَ أنها لكَ، ولا بالنصِيحةِ وإنْ كانَتْ لهُ دونَكَ[1].

٩٤ـ وقالَ بعضُهمْ: اصحَبِ الملُوكَ بالهيبَةِ لهُمْ والوقارِ، ولا تترُكِ الهيبَةَ وإنْ طالَ أُنسهُمْ بكَ تزدَدْ غمّاً[2].

٩٥ـ وإذا ابتُليتَ بالدُّخولِ عَلى السُّلطانِ معَ الناسِ فأخَذُوا في الثناءِ عليكَ، فعلَيكَ بالدُّعاءِ، ولا تكثِرْ منَ الدُّعاءِ فإنَّ ذلِكَ شَبيهٌ بالوحشَةِ[3].

٩٦ـ وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: قالَ لي أبي: يا بنيَّ! إني أرَى أمِيرَ المؤمِنينَ يَستخلِيكَ ويستَشِيرُكَ، ويُقدِّمُكَ علَى الأكابرِ مِن أصحابِ محمَّدٍ ﷺ، وإني أُوصِيكَ بثلاثِ خِصالٍ: لا تُفشِينَّ لهُ سرّاً، ولا تجرينَّ[4] عليهِ كذِباً، ولا تغتابَنَّ عندَهُ أحداً.

قالَ الشعبيُّ: قلتُ لابنِ عبَّاسٍ: كلُّ واحدَةٍ منهُنَّ خيرٌ مِن ألفٍ.

فقالَ: إي واللهِ، وعشرَةِ آلافٍ.

***

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) انظر: «المجتنى» (ص ٣٣)، و«سراج الملوك» (ص ١٢١)، و«المستطرف» (ص ١٠١).

(٣) انظر: «سراج الملوك» (ص ١٢٠)، و«المستطرف» (ص ١٠١)، وفيهما: «في الثناء عليه».

(٤) في (ز) و(ب): «تجربن»، والمثبت من «سراج الملوك» (ص ١٢٠)، و«المستطرف» (ص ١٠١).

البابُ الخامسُ

في ذكْرِ كلماتٍ مُتفرقَةٍ مُتضمِّنةٍ لحِكَمٍ شتَّى

٩٧ـ قالَ بعضُ الحكَماءِ: إنَّ قلوبَ الرعيَّةِ خَزائنُ الملكِ، فما أودعَهُ وجدَهُ فيها[١].

٩٨ـ صِنفانِ مُتباينانِ إذا صلَحَ أحَدُهما صلَحَ الآخرُ: السُّلطانُ والرعيَّةُ[٢].

٩٩ـ صِنفانِ لو صَلَحا صلَحَ جميعُ الناسِ: الفُقهاءُ والأُمراءُ[٣].

١٠٠ـ ظُلْمُ الرعيَّةِ استِجلابُ البليَّةِ[٤].

١٠١ـ إذا قنَعَ الملكُ بإفسادِ دينِهِ، لمْ تقنَعْ رعيَّتُهُ إلا بإزالَةِ مُلكِهِ[٥].

١٠٢ـ اذكُرْ عندَ الظلمِ عدلَ اللهِ فيكَ، وعندَ العَدْلِ[٦] قُدرةَ اللهِ علَيكَ.

١٠٣ـ خيرُ الملُوكِ مَن حمَلَ نفسَهُ علَى خيرِ الآدابِ، ثمَّ حمَلَ رعيَّتَهُ علَى الاقتِداءِ بهِ.

١٠٤ـ أعجَزُ الملوكِ أضعفُهمْ عَن إصلاحِ بِطانتِهِ وحاشِيتِهِ.

١٠٥ـ إذا اضطُرَّ الملِكُ إلى الكذِبِ فليهرُبْ عَن مُلْكِهِ.

---

(١) انظر: «تسهيل النظر» (ص ٢٨٤)، و«سراج الملوك» (ص ١١٨)، و«عيون الأخبار» (١/ ٦٤)، و«نثر الدر» (٤/ ١٦٩).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٩).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٩).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٣).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٣).

(٦) كذا في النسخ، والذي في المصادر: القدرة. انظر: «سراج الملوك» (١٥١)، و«نثر الدر» (٣/ ١٠٤)، و«المستطرف» (ص ١١٦).

١٠٦ ـ إذا رغِبَ الملِكُ عنِ العدلِ في رعيتِهِ رغبَتْ رعيَّتُهُ عَن طاعَتِهِ.

١٠٧ ـ إذا لَمْ يرجِعِ الملِكُ إلا إلى رأيِ وزيرِهِ، فالوزِيرُ هوَ الملِكُ، والملكُ سُوقةٌ مسخَّرٌ[١].

١٠٨ ـ الاستِسلامُ للوزِيرِ هوَ العَزلُ الخفِيُّ.

١٠٩ ـ إذا لمْ يُشرفِ الملِكُ عَلى أُمورِهِ فليَعلَمْ أنَّ أغشَّ الناسِ لهُ وزِيرُهُ[٢].

١١٠ ـ مَن لمْ يُصلِحْ نفسَهُ مِنَ الملوكِ عسُرَ عليهِ إصلاحُ رعيَّتِهِ، وكيفَ يعرِفُ رُشدَ غيرِهِ مَن يعْمَى عَن داءِ نفسِهِ.

١١١ ـ لا تخَفْ صولَةَ الأُمراءِ معَ صَداقةِ الوُزراءِ.

١١٢ ـ طالَ حُزنُ مَن غضِبَ عَلى الملوكِ، وهوَ لا يقدِرُ عَلى الانتِقَامِ منهُمْ.

١١٣ ـ صحبةُ السلطانِ بلا أدَبٍ كرُكوبِ البرِيةِ بغيرِ ماءٍ.

١١٤ ـ اثنانِ ينبَغِي للملِكِ أنْ يحذَرَهما: الزمانُ والأشرارُ[٣].

١١٥ ـ إذا امتُهِنَتْ خاصّةُ الملِكِ فالملِكُ[٤] هوَ الممتَهَنُ.

١١٦ ـ الملكُ لا يُصْلحُهُ إلا الطاعةُ، والرَّعيةُ لا يُصْلِحُها إلا العدْلُ[٥].

١١٧ ـ أعجَبُ الأشياءِ مَلِكٌ يطلُبُ نصيحَةَ رعيَّتِهِ معَ ظُلمِهِ لهُمْ[٦].

---

(١) الفقرات من (١٠٣) وحتى (١٠٧) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٢) الفقرات من (١٠٧) و(١٠٩) سلفت عند المصنف بالأرقام (٥٢) (٥٣) (٥٤)، وانظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

(٣) الفقرات من (١١٠) وحتى (١١٤) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٤) سقط من (ب) والمثبت من (ز)، و«نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

١١٨ـ إذا لم يُثِبْ[١] الملِكُ عَلى النصِيحَةِ غشَّتهُ الرعِيَّةُ.

١١٩ـ لا ينبَغِي للملِكِ أنْ يكُونَ سَفِيهاً ومنهُ يُلتمَسُ الحِلمُ، ولا جَائراً ومنهُ يُلتمَسُ العدلُ[٢].

١٢٠ـ لا شيءَ أذهَبُ للدَّولَةِ مِن توليَةِ الأشرارِ[٣].

١٢١ـ موتُ الملِكِ الجائرِ خِصبٌ شامِلٌ[٤].

١٢٢ـ لا قحْطَ أشدُّ مِن جَورِ السُّلطانِ[٥].

١٢٣ـ مَن طالَ عُدوانُهُ زالَ سُلطانُهُ[٦].

١٢٤ـ إذا ضيَّعَتِ الملوكُ سَننَ أديَانها فلتعْلَمْ أنَّها تهدِمُ أساسَ مُلكِها[٧].

١٢٥ـ إذا تفرَّغَ الملِكُ للَهوِهِ تفرَّغَتِ رعيَّتُهُ لإفسَادِ مُلكِهِ[٨].

١٢٦ـ إذا وقفَتِ الرعيَّةُ عَلى سرائرِ الملوكِ هانَ عَليها أمرُها[٩].

١٢٧ـ أقوَى الملوكِ في الدُّنيا أعلَمُهم بضَعفِهِ في الآخِرةِ[١٠].

---

(١) في (ز) و(ب): «لم يثبت»، والتصويب من «نثر الدر» (٤/ ١٧٦).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٦).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٦) انظر: «سراج الملوك» (١٢٢)، و«ربيع الأبرار» (٣/ ٣١١)، و«المستطرف» (ص ١١٦).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٦).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

(٩) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

(١٠) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٤).

١٢٨ـ لا أحدَ أمرُّ عَيشاً، وأكثرُ نَصَباً، وأطوَلُ فِكرةً مِنَ الملِكِ العادِلِ، العارِفِ بالعواقِبِ، الموقِنِ بالمعَادِ[١].

١٢٩ـ ينبَغِي للمَلِكِ أنْ يأنَفَ مِن أنْ يكُونَ في رعيَّتِهِ مَن هوَ أفضَلُ منهُ، كما يأنَفُ أنْ يكُونَ فيهِمْ مَن هوَ أنفَذُ أمرَاً منهُ[٢].

١٣٠ـ لا ينبَغِي للملِكِ أنْ يغضَبَ لأنَّ القُدرَةَ مِن وراءِ حاجتِهِ، ولا يكذِبَ فإنهُ لا يقدِرُ أحدٌ عَلى استِكراهِهِ عَلى غيرِ ما يُريدُ، ولا يبخَلَ لأنهُ لا يخافُ الفقْرَ، ولا يحْقِدَ لأنَّ خطرَهُ قدْ جلَّ عنِ المجازاة[٣].

١٣١ـ رأسُ السِّياسةِ إنجازُ الوعدِ والوعِيدِ، ومكافأةُ المحسِنِ والمسِيءِ، والوفاءُ في الجدِّ والهزْلِ، والتيقُّظُ للأخبَارِ في القُربِ والبُعدِ[٤].

١٣٢ـ ليجْتَهدِ السُّلطانُ في أن يجعَلَ طاعَةَ العامَّةِ[٥] والخاصَّةِ طاعَةَ محبَّةٍ لا طاعَةَ رهبَةٍ، فإذا أطاعُوهُ محبَّةً حرَسُوهُ، وإذا أطاعُوهُ رهبَةً احتاجَ إلى الاحتِراسِ منهُمْ.

١٣٣ـ العدْلُ يُعزُّ السُّلطانَ ويرفعُهُ، والجَورُ يُذلُّهُ ويضَعُهُ:

فلَمْ أرَ مِثْلَ العَدْلِ للمَرْءِ رِفْعَةً ... ولمْ أرَ مِثْلَ الجَوْرِ للمَرْءِ واضِعَا[٦]

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٤)، وليس فيه: «العادل».

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٥).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٧٢).

(٤) انظر: «السياسة» للوزير المغربي (ص ٤٧).

(٥) سقط من (ز)، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «السياسة» للوزير المغربي (ص ٤٦).

(٦) انظر: «ربيع الأبرار» (٢/ ٣١٢).

١٣٤ـ مَن عمِلَ بالعَدلِ فيمَنْ دُونَهُ رُزِقَ العدْلَ ممَّنْ فوقَهُ(١).

١٣٥ـ مَن كذَبَ السُّلطانَ فقَدْ خانَهُ(٢).

١٣٦ـ مَن أذاعَ سِرهُ فقَدْ خاطَرَ بنفسِهِ(٣).

١٣٧ـ مَن صَحِبَ السُّلطانَ لَمْ يزَلْ مَرعُوباً(٤).

١٣٨ـ مَن تشاغَلَ بالسُّلطانِ لَمْ يتفرَّغْ للإخوانِ(٥).

١٣٩ـ مَن رُجيَ الفَرجُ لدَيهِ صُرِفَتْ أعناقُ الرجالِ إليهِ(٦).

١٤٠ـ مَن ساسَهُ الإكْرامُ لَمْ يصبِرْ عَلى المذلَّةِ(٧).

١٤١ـ مَن طلَبَ ما عندَ السُّلطانِ بالغِلظةِ لَمْ يزدَدْ منهُ إلا بُعداً(٨).

١٤٢ـ مَن سلَّ سيفَ البَغيِ قُتلَ بهِ(٩).

١٤٣ـ مَن طلَبَ العزَّ بلا ذُلٍّ ذلَّ مِن حَيثُ يطلُبُ العزَّ(١٠).

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٩).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٦).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٦).

(٤) في (ز): «مرفوعاً»، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «نثر الدر» (٤/ ١٦٦).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٣).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٩).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٩).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

(٩) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

(١٠) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٧).

١٤٤ ـ مَن خافَ غيرَ اللهِ فهوَ واثقٌ بغيرِ اللهِ[١].

١٤٥ ـ مَن توقَّى سلِمَ، ومَن تهوَّرَ ندِمَ[٢].

١٤٦ ـ مَن حُرِمَ العقْلَ، فلا خيرَ لهُ ولا للناسِ في حياتِهِ، ومَن حُرِمَ الجُودَ، فلا خيرَ لهُ ولا للنَّاسِ في سُلطانِهِ، ومَن حُرِمَ الفهمَ فلا خيرَ لهُ ولا للناسِ في قضائِهِ.

١٤٧ ـ مَن عتَبَ على الدَّهرِ طالَتْ مَعْتبَتُهُ.

١٤٨ ـ مَن قنعَ بما هوَ فيهِ قرَّتْ عينُهُ.

١٤٩ ـ مَن ردَّ الكَرامةَ نصَبَ شرَكاً للعدَاوةِ.

١٥٠ ـ مَن بَخِلَ بدينِهِ عظُمَ ربحُهُ.

١٥١ ـ مَن قاهَرَ الحقَّ قُهِرَ.

١٥٢ ـ مَن طلَبَ باللهِ أدرَكَ.

١٥٣ ـ مَنْ لم تُؤدِّبْهُ المواعِظُ أدَّبتهُ الحوادِثُ.

١٥٤ ـ مَنْ لم يحتَمِلْ زلَلَ صديقِهِ عاشَ بلا صَدِيقٍ[٣].

١٥٥ ـ مَن رغِبَ عَنِ الإخوانِ خسِرَ عَلى الزمانِ[٤].

١٥٦ ـ مَن صحِبَ الحُكماءَ ظفرَ بحسْنِ الثناءِ[٥].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٧)، وفيه: فهو غير واثق بالله.

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

(٣) الفقرات من (١٤٦) وحتى (١٥٤) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٦٨).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٢)، وفيه: «جسر» بدل: «خسر».

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٧).

١٥٧ ـ إذا خالَطتَ فخالِطْ حسَنَ الخُلقِ، فإنهُ لا يدعُو إلا إلى خَيرٍ، ولا تخالِطْ سيِّيءَ الخلُقِ فإنهُ لا يدْعُو إلا إلى شرٍّ[(١)].

١٥٨ ـ لولا الإغضاءُ والنِّسيَانُ ما تعَاشَرَ النَّاسُ لكَثرةِ الأضغَانِ[(٢)].

١٥٩ ـ مَن رضِيَ بصُحبَةِ مَن لا خيرَ فيهِ، لمْ يرْضَ بصُحبَةِ مَن فيهِ خَيرٌ.

١٦٠ ـ من استَثقَلَ أنْ يُقالَ لهُ الحقُّ، كانَ العمَلُ بهِ علَيهِ أثقَلَ.

١٦١ ـ مَن قادَهُ الزَّمانُ إلى صداقَةِ عدُوِّهِ فليُكثِرْ تيقُّظَهُ[(٣)].

١٦٢ ـ مَن جانَبَ هواهُ صحَّ رأيُهُ[(٤)].

١٦٣ ـ مَن لمْ يجلِسْ في شبِيبَتِهِ إلا حيثُ يَهوَى جلَسَ في كِبَرِهِ حيثُ لا يهْوَى[(٥)].

١٦٤ ـ مَن لمْ يركَبِ المصائبَ لمْ ينَلِ الرَّغائبَ[(٦)].

١٦٥ ـ مَن لَاحَى الرِّجالَ ذهبَتْ كَرامتُهُ[(٧)].

١٦٦ ـ مَن كتَمَ الأطبَّاءَ مرضَهُ فقَدْ غشَّ نفسَهُ[(٨)].

١٦٧ ـ مَن أكثَرَ مِن المزاحِ استُخِفَّ بهِ، ومَن أكثرَ منَ الضحِكِ اجتُرِئَ عليهِ[(٩)].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٣).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٩).

(٣) الفقرات (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٦٨).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٧).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٨).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٨).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

(٩) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

١٦٨ـ احذَرْ فلَتاتِ المزاحِ وصرَعَاتِ البغيِ[١].

١٦٩ـ مَن أكثَرَ مِن شيءٍ عرِفَ بِهِ[٢].

١٧٠ـ مَن طلَبَ العلمَ بالنُّجومِ تزندَقَ، ومَن طلَبَ المالَ بالكيمياءِ أفلسَ[٣].

١٧١ـ مَن فسدَتْ بِطانتُهُ كانَ كمَنْ غصَّ بالماءِ، فإنهُ لو غصَّ بغيرِهِ لساغَ بهِ غصَّتُهُ.

١٧٢ـ مَن اتَّبعَ غيَّ النَّاسِ كانَ أغْوَى.

١٧٣ـ مَن لقِيَ الناسَ بما يكْرهُونَ قالُوا فيهِ ما لا يعلَمُونَ.

١٧٤ـ مَن خلَّطَ خُلِّطَ لهُ[٤].

١٧٥ـ مَن شفَى غيظَهُ لمْ يذكُرْ في النَّاسِ فضلَهُ.

١٧٦ـ مَن كظَمَ غيظَهُ فقَدْ حلُمَ، ومَن حلُمَ فقَدْ صبرَ، ومَن صبرَ فازَ بالظفرِ.

١٧٧ـ مَن طلبَ الدُّنيا بعمَلِ الآخرَةِ خَسِرهما، ومَن طلَبِ الآخرةَ بعمَلِ الدُّنيا ربِحَهُما.

١٧٨ـ مَن طالَ صمتُهُ اجتلَبَ منَ الهيبَةِ ما ينفَعُهُ، ومنَ الوحشَةِ ما لا يضرُّهُ.

١٧٩ـ قيلَ لحكِيمٍ: مَن أنعَمُ النَّاسِ عَيشاً؟ فقالَ: مَن كفِيَ أمرَ دُنياهُ ولمْ يهتَمَّ بأمرِ آخِرَتهِ.

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

(٤) الفقرات (١٧٢) وحتى (١٧٥) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٥٧).

١٨٠ـ مَن زادَ عقلُهُ نقَصَ حظُّهُ، وما جعَلَ اللهُ لأحدٍ عَقلاً وافِراً إلا احتُسِبَ عليهِ مِن رزقِهِ[١].

١٨١ـ دخَلَ شقَّةُ بنُ ضَمْرةَ عَلَى المنذِرِ بنِ ماءِ السَّماءِ فاستحقَرَهُ لصغَرِ خِلقتِهِ، فقالَ لهُ: تسمَعَ بالمُعيدِيِّ خيرٌ مِن أنْ تَراهُ. فصَارَ مَثلاً، فقالَ لهُ شقةُ: أبيتَ اللَّعنَ، إنَّ الرجالَ ليسُوا بُجزرٍ يُرادُ منهُمُ الأجسَامُ، وإنما المرءُ بأصغَريهِ: قلبِهِ ولِسَانِهِ. فصَارَ مثلاً، وأعجَبَ المنذِرَ ما رآهُ مِن عقلِهِ[٢].

١٨٢ـ مَن طلَبَ مَوضِعاً لسرِّهِ فقَدْ أفشاهُ[٣].

١٨٣ـ مَن قرَّبَ السِّفْلَةَ واطَّرحَ ذوِي الأحسَابِ والمُروءاتِ استحَقَّ الخُذلانَ[٤].

١٨٤ـ مَن حسَدَ مَن دونَهُ قلَّ عُذرُهُ، ومَن حسَدَ مَن فوقَهُ أتعَبَ نفسَهُ[٥].

١٨٥ـ مَن ربَّاهُ الهَوانُ أَطْربَتْهُ الكَرامةُ[٦].

١٨٦ـ مَن لمْ يصُنْ نفسَهُ لمْ يصُنْ أهلَهُ.

١٨٧ـ مَن أدخَلَ نفسَهُ في عظائمِ الأمُورِ بغيرِ نظرٍ، أوشَكَ ألا يخْرُجَ مِنها.

١٨٨ـ مَن كانَتِ الدُّنيا همَّهُ كثُرَ في القيامَةِ غمُّهُ[٧].

---

(١) الفقرات (١٧٦) وحتى (١٨١)، انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٥٨).

(٢) هذه الفقرة لم ترد في (ب)، وانظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٦٢٢)، و«التذكرة الحمدونية» (٧/ ١٢٥).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٨).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٨).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٩)، وفيه: «بدنه» بدل: «نفسه».

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٩)، وفيه: «أبطرته» بدل: «أطربته».

(٧) الفقرات: (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٥٩).

١٨٩ـ مَن طالَ أملُهُ ساءَ عملُهُ[١].

١٩٠ـ مَن ضاقَ خُلُقهُ ملَّهُ أهلُهُ.

١٩١ـ مَن ركِبَ العجلَةَ لمْ يأمَنِ الكَبْوَةَ.

١٩٢ـ مَنْ لمْ يثِقْ لمْ يوثَقْ بهِ[٢].

١٩٣ـ مَن ملَكَ شهوَتهُ صانَ قَدْرَهُ[٣].

١٩٤ـ مَن أحبَّ مَن لا يعرِفُهُ فإنما يمازِحُ نفسَهُ[٤].

١٩٥ـ قيلَ لبعضِهمْ: مَنِ الكامِلُ؟ قالَ: مَن لمْ يأمَنِ الدَّوائرَ، ولمْ ينسَ العاقِبةَ، ولمْ يغترَّ بالشبيبَةِ[٥].

١٩٦ـ مَن أصبَحَ لا يحتاجُ إلى حضُورِ بابِ سلطانٍ[٦] لحاجَةٍ، أو طَبيبٍ لضُرٍّ، أو صديقٍ لمسألَةٍ، فقَدْ عظُمَتْ عندَهُ النعمَةُ.

١٩٧ـ مَن ذا الذِي اتبَعَ الهوَى فلَمْ يعطَبْ، وجاوَرَ النِّساءَ فلَمْ يُفتَنْ، وطَلَبَ إلى اللئامِ فلَمْ يهُنْ، وواصَلَ الأشْرارَ فلَمْ ينـدَمْ، وصحِبَ السُّلطانَ فدامَتْ سَلامتُهُ[٧]؟!

---

(١) انظر: «سحر البلاغة» للثعالبي (ص ٢٠١).

(٢) الفقرات (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٦٠).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٩).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٠).

(٦) في (ز): «السلطان» وسقط منه لفظ: «الحاجة»، والمثبت من (ب)، والذي في «نثر الدر» (٤/ ١٦٠): «إلى حضور بين السلطان لحاجة».

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦١).

١٩٨ـ مَن سمِعَ كلِمةً يكرَهُها فسكَتَ عَنها، انقطَعَ عنهُ ما كرِهَ[١]، وإنْ أجابَ عَنها سمِعَ أكثَرَ مما كرِهَ، وما أحسَنَ ما قيلَ[٢]:

وتَجْـزَعُ نَفْسُ المَـرْءِ مِنْ وَقْعِ شـتْمَةٍ　　وتُشْـتَمُ ألْفـاً بَعْدَهـا ثـمَّ تَصْبِـرُ

١٩٩ـ مَن نالَ[٣] استَطالَ.

٢٠٠ـ قالَ حاتمٌ لابنِهِ عدِيٍّ: يا بُنيَّ! إني رأيْتُ الشرَّ يترُكُكَ إنْ ترَكْتَهُ[٤].

٢٠١ـ مَن عرفَ نفسَهُ لَمْ يذمُمْ أحَداً، ومَن عرَفَ الناسَ لَمْ يمدَحْ أحَداً.

٢٠٢ـ مَن أطاعَ الهوَى ندِمَ، ومَن خالفَ النَّفسَ سلِمَ.

٢٠٣ـ منِ اتبَعَ هواهُ أضلَّهُ[٥].

٢٠٤ـ مَن نظرَ بعينِ الهوَى حارَ، ومَن حكَمَ بحُكمِ الهوى جارَ[٦].

٢٠٥ـ جاهِدْ هواكَ كما تجاهِدُ عِداكَ[٧].

٢٠٦ـ مَن خالفَ النَّفسَ سلِمَ[٨].

---

(١) في (ز): «انقطع عنه أكثر ما كره»، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «نثر الدر» (٤/ ١٦١).

(٢) قوله: «وما أحسن ما قيل» لم يرد في (ز).

(٣) في (ب) و(ز): «قال». والتصويب من «نثر الدر» (٤/ ١٦٢)، و«المجتنى» (ص ٣٢)، و«الإمتاع والمؤانسة» (ص ٢٦٠).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٣).

(٥) الفقرات (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٦١).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٣).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥١).

(٨) هذه الفقرة زيادة من (ب). ولم أقف عليها في المصادر التي بين يدي.

٢٠٧ـ مَن لم تؤدِّبهُ الكَرامَةُ قوَّمتْهُ الإهانَةُ(١).

٢٠٨ـ مَن حبسَ الدَّراهِمَ كانَ لها، ومَن أنفَقَها كانَتْ لَهُ(٢).

٢٠٩ـ مَن لانَتْ كلمَتُهُ وجبَتْ محبَّتُهُ.

٢١٠ـ مَن تواضَعَ للعلْمَ نبَّلَهُ، ومَن تعزَّزَ عَليهِ ذلّه.

٢١١ـ مَن قالَ: لا أدرِي وهوَ يتعلَّمُ، كانَ أفضَلَ ممَّنْ يدرِي وهوَ يتعظَّمُ.

٢١٢ـ مَنِ انتحَلَ منَ العلمِ الغايَةَ، لمْ يُعرَف لجهلِهِ نهايَةٌ.

٢١٣ـ مَن أحسَنَ الاستِماعَ(٣) استعجَلَ بالانتِفاعِ.

٢١٤ـ مَن جاعَ باعَ.

٢١٥ـ مَن جادَ سادَ(٤).

٢١٦ـ مَن خانَ هانَ.

٢١٧ـ مَن حَبَّ طَبَّ.

٢١٨ـ مَن أحبَّكَ نهاكَ، ومَنْ أبغضَكَ أغراكَ(٥).

٢١٩ـ مَنِ اعترَفَ بالجَرِيرَةِ استحقَّ العفوَ(٦).

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦١).

(٣) الفقرات (٢١٠) وحتى (٢١٦) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

(٤) في (ز) و(ب): «الاستماع»، والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

(٥) الفقرات (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) انظرها في «نثر الدر» (٤/ ١٦٣)، وفي (ب) جاء الفقرتان (٢١٧) و(٢١٨) بعد الفقرة (٢٢١).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

٢٢٠ـ مَن أحسَنَ الاعتذَارَ استَوجَبَ الاغتِفارَ[١].

٢٢١ـ مَن كَثُرَ لغطَهُ كثُرَ سقَطُهُ[٢].

٢٢٢ـ مَن سكَتَ فسلِمَ كانَ كمَنْ قالَ فغنِمَ[٣].

٢٢٣ـ مَن يقُلِ الخيرَ يغنَمْ، مَن يكرَهِ الشرَّ يعصَمْ[٤].

٢٢٤ـ مَن لمْ يملِكْ لسانَهُ يندَمْ[٥].

٢٢٥ـ مَن أطلَقَ لسانَهُ أهدَرَ دمَهُ[٦].

٢٢٦ـ اسكُتْ تربَحْ ما عندَكَ، وشاوِرْ تربَحْ ما عندَ غَيرِكَ[٧].

٢٢٧ـ لو كانَ الحدِيثُ مِن فضَّةٍ لكَانَ السُّكوتُ مِن ذهَبٍ[٨].

٢٢٨ـ اختصَمَ رجُلانِ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ في النُّطقِ والصَّمْتِ، أيُّهُما أفضَلُ؟ فقالَ: بماذا أبينُ لكُما؟ فقالا: بالكَلامِ. فقالَ: إذَنْ الفضْلُ لهُ[٩].

٢٢٩ـ قيلَ لبعضِهِمْ: السكُوتُ أفضَلُ أمِ النُّطقُ؟ فقالَ: السُّكوتُ حتَّى يُحتاجَ إليهِ[١٠].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٣).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٣).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٣).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٧).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٢).

(٨) انظر: «الزهد» لأحمد (٢٧٢)، و«الزهد» لابن أبي عاصم (٣٣).

(٩) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١١).

(١٠) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١١).

٢٣٠ـ مَنْ تفكَّرَ أبصَرَ.

٢٣١ـ مَنْ كانَتْ لهُ فكرَةٌ فلَهُ في كلِّ شيءٍ عِبرةٌ.

٢٣٢ـ منِ انتهَزَ الفُرصَةَ أمِنَ الغُصَّةَ.

٢٣٣ـ مَن كسَاهُ الحياءُ ثوبَهُ، حجَبَ عنِ العيونِ عَيبَهُ(١).

٢٣٤ـ مَن قلَّ حَياؤه كبُرَ ذنبُهُ.

٢٣٥ـ مَن خبُثَ عُنصرُهُ ساءَ محضَرُهُ.

٢٣٦ـ مَن أدمَنَ قرْعَ البابِ ولَجَ.

٢٣٧ـ مَن أخَذَ في أمورِهِ بالاحتِياطِ، سلِمَ منَ الاختِلاطِ.

٢٣٨ـ مَن امتنَّ بمعروفِهِ أفسدَهُ.

٢٣٩ـ مَن لانَ عُودُهُ كثرَتْ أغصَانُهُ.

٢٤٠ـ مَن حسُنَ خُلقهُ كثُرَتْ إخْوانُهُ.

٢٤١ـ مَن كفَّ شرَّهُ فاصنَعْ بهِ ما سرَّهُ.

٢٤٢ـ مَن كفَّ ضيرَهُ فقَدْ بذَلَ خيرَهُ.

٢٤٣ـ مَن حصَّنَ سِرَّهُ كانَ الحِيازُ في يدِهِ(٢).

٢٤٤ـ مَن استَغْنى برأيِهِ فقَدْ خاطَرَ.

٢٤٥ـ مَن لمْ يُشاوِرْ ندِمَ.

٢٤٦ـ مَن عرفَ الأيامَ لمْ يغفَلْ عنِ الاستِعدادِ لها(٣).

---

(١) الفقرات (٢٣١) وحتى (٢٣٤) هي في «نثر الدر» (٤/ ١٦٢).

(٢) الفقرات (٢٣٥) ـ (٢٤٤) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٣).

(٣) الفقرات (٢٤٥) ـ (٢٤٧) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

٢٤٧ـ مَن زرَعَ شرّاً حصدَهُ، ومَن قدَّمَ خيراً وجدَهُ.

٢٤٨ـ مَنْ لَمْ يُصلِحهُ الخيرُ أصلحَهُ الشَّرُّ.

٢٤٩ـ مَن تعلَّلَ بالمُنَى أفلَسَ(١).

٢٥٠ـ مَن عالجَ الشَّوقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَ(٢).

٢٥١ـ مَن طمِعَ ذلَّ(٣)، ومَن عزَّ بمالِهِ قلَّ.

٢٥٢ـ مَن تقلَّبتْ بِهِ الأحوالُ علِمَ مكائدَ الرِّجالِ(٤).

٢٥٣ـ مَن قاسَى الأُمورَ عرَفَ المستُورَ(٥).

٢٥٤ـ مَن أمِنَ مكائدَ الأعداءِ لَمْ يُعدَّ في العُقلاءِ(٦).

٢٥٥ـ مَن تأدَّبَ صَغِيراً انتفَعَ كَبيراً(٧).

٢٥٦ـ مَن أدَّبَ ولدَهُ أرغَمَ حاسِدَهُ(٨).

٢٥٧ـ مَن سألَ فوقَ قدرِهِ استحَقَّ الحِرمانَ.

٢٥٨ـ مَن شتَمَ حَلِيماً رجَعَ ذَمِيماً.

---

(١) الفقرات (٢٤٨)ـ(٢٥٠) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٣).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤). ولم أقف على تمامه.

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤)، وفيه: «علم جواهر الرجال».

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٦).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٨).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

٢٥٩ـ مَن كفرَ النِّعمَةَ مُنعَ الزيادَةَ[١].

٢٦٠ـ مَن أحبَّ أنْ يَصرِمَ أخاهُ فليُقرِضهُ ثمَّ يتقاضَاهُ.

٢٦١ـ مَن أحبَّكَ لشيءٍ زالَ حُبُّهُ لزوالِهِ.

٢٦٢ـ مَن عرَفَ حقَّ أخِيهِ دامَ إخاؤهُ.

٢٦٣ـ مَن بسَطَ بالخَيرِ لسانَهُ انبسَطَتْ في القلُوبِ محبَّتُهُ.

٢٦٤ـ مَن تكبَّرَ عَلى الناسِ ورَجا أنْ يكُونَ لهُ صديقٌ فقَدْ غرَّ نفسَهُ.

٢٦٥ـ مَن كثُرَ خَيرُهُ كثُرَ زائرُهُ.

٢٦٦ـ مَن مَنعَ برَّهُ قلَّ أنصارُهُ.

٢٦٧ـ مَن بدَّلَ حُلوَ كَلامِهِ بمُرِّ فِعالِهِ، فذلِكَ هوَ العدُوُّ[٢].

٢٦٨ـ مَن قصَّرَ عَنِ الفُضُولِ نالَ مِن دهرِهِ كلَّ مأمُولٍ.

٢٦٩ـ مَن فكَّرَ في أمرِهِ نهَجَ لهُ طريقَ رُشدِهِ.

٢٧٠ـ ومَن سلَّ سيفَ البغيِ قُتلَ بهِ[٣].

٢٧١ـ مَن حفرَ لأخيهِ جُبّاً وقَعَ فيهِ مُنكبّاً[٤].

٢٧٢ـ مَن لمْ يُبالِ بالشِّكايةِ فقَدِ اعترَفَ بالدَّناءةِ.

٢٧٣ـ مَن رجَعَ في هِبتِهِ فقَدِ استحكَمَ اللؤمَ[٥].

---

(١) الفقرات (٢٥٨)ـ(٢٦٠) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٤).

(٢) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٥): من بذل حلو كلامه ومرَّ فعاله......إلخ.

(٣) هذه الفقرة زيادة من (ب). والفقرات (٢٦١)ـ(٢٧١) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

(٤) انظر: «سراج الملوك» (ص ٢٨)، و«التذكرة الحمدونية» (١/ ٢٧٣)، و«المستطرف» (ص ٩٠).

(٥) الفقرتان (٢٧٣) (٢٧٤) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

٢٧٤ـ مَن أظهَرَ شُكرَكَ فيما لَمْ تأتِ إلَيهِ فاحذَرْ أنْ يُكفِّرَكَ فيما أسدَيتَ إليهِ[١].

٢٧٥ـ مَن مدحَكَ بما ليسَ فيكَ فلا تأمَنْ بَهتَهُ[٢] لكَ بما ليسَ فيكَ[٣].

٢٧٦ـ قيلَ لبعضِهِمْ: كيفَ أُسلِّمُ عَلى الإخوانِ؟ فقالَ: لا تبلُغْ بِهِمُ النِّفاقَ، ولا تُقصِّرْ بِهِمْ عنِ الاستحقَاقِ[٤].

٢٧٧ـ مَن جهِلَ قدْرَ نفسِهِ، فهوَ بقدْرِ الناسِ أجهَلُ[٥].

٢٧٨ـ مَن خافَ شيئاً اتَّقاهُ.

٢٧٩ـ ومَن أحبَّ شَيئاً أكثَرَ مِن ذِكرِهِ.

٢٨٠ـ مَن زوَّجَ كريمَتَهُ مِن سفِيهٍ فقَدْ عقَّها[٦].

٢٨١ـ مَن زوَّجَ حُرمتَهُ فليزوِّجْها عاقِلاً، فإن أحبَّها أكرمَها، وإنْ أبغضَها أنصَفَها[٧].

٢٨٢ـ مَن سعَى بالنميمَةِ حذِرَهُ الغريبُ، ومقَتهُ القَريبُ[٨].

٢٨٣ـ مَن لمْ ينتفِعْ بهِ أحدٌ لمْ يُعظِّمْهُ أحدٌ، ومَن لمْ يُعظِّمْهُ أحدٌ استخَفَّ بهِ كلُّ أحدٍ، ومَنِ استخَفَّ بهِ كلُّ أحدٍ لقِيَ الذُّلَّ عِياناً.

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٧).

(٢) في (ز): «ذمه».

(٣) قوله: «بما ليس فيك» في الموضع الثاني لم يرد في (ب). وانظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٧).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٣).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

(٦) الفقرات (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٧).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٩).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٧).

٢٨٤ ـ مَن كثُرَ ذامُّهُ اضْطُرَّ إلى مدحِ نفسِهِ[١].

٢٨٥ ـ مَن عاملَ الناسَ فلَمْ يظلِمهُمْ، وحدَّثهُمْ فلَمْ يكذِبهُمْ، ووعدَهَمْ فلَمْ يُخلفْهُمْ، فقَد حرُمَتْ غيبتُهُ، وكمُلَتْ مُروءَتهُ، وظهرَتْ عَدالَتُهُ، ووجبَتْ أُخوَّتهُ[٢].

٢٨٦ ـ مَن كانَ فيهِ ثلاثٌ كمُلَ عقلُهُ: مَن عرَفَ نفسَهُ، وملَكَ لسانَهُ، وقنَعَ بما رزقَهُ ربُّهُ[٣].

٢٨٧ ـ سِرُّكَ دمُكَ فلا تَخْزُنَهُ[٤] في غيرِ أَوْداجِكَ.

٢٨٨ ـ اجعَلْ سرَّكَ في واحدٍ، ومَشُورتكَ في ألفٍ[٥].

٢٨٩ ـ مِن العجَبِ أنْ يُفشِيَ الإنسانُ سرَّهُ ويستكتِمَ غيرَهُ[٦].

٢٩٠ ـ مَن ارتادَ لسرِّهِ مَوضِعاً فقَدْ أذاعَهُ[٧].

٢٩١ ـ أصبَرُ الناسِ مَن صبَرَ عَلى كِتمَانِ سرِّهِ، فلَمْ يُبدِهِ لصدِيقٍ فيُوشِكُ أنْ يكُونَ عَدواً فيذِيعَهُ[٨].

٢٩٢ ـ إيَّاكَ وصدْرَ المجلِسِ وإنْ صدَّركَ صاحِبُهُ.

---

(١) الفقرتان (٢٨٤) (٢٨٥) في «نثر الدر» (٤/ ١٦٦).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٥).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦١).

(٤) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٤): «فلا تجرينه».

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٢).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٧).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٢).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٥).

٢٩٣ـ إيَّاكَ وعزَّةَ الغضَبِ، فإنها تُصيرُكَ إلى ذِلَّةِ الاعتِذارِ[١].

٢٩٤ـ دعِ الاعتِذارَ، فإنهُ يخالطُهُ الكذِبُ.

٢٩٥ـ إذا غضِبَ الكَريمُ فألِنْ لهُ الكَلامَ، وإذا غضِبَ اللئيمُ فخُذْ لهُ العَصَا[٢].

٢٩٦ـ قالَ ابنُ دُريدٍ:

واللَّـــوْمُ للـــــحُرِّ مُـقِـيْـــــمٌ رَادِعٌ   والعَبْـــدُ لا يَرْدَعُـــهُ إلا العَصَـــا[٣]

٢٩٧ـ غَضبُ العاقِلِ في فعلِهِ، وغضَبُ الجاهِلِ في قولِهِ.

٢٩٨ـ لا تطلُبِ الحاجَةَ إلى كذُوبٍ فإنهُ يقرِّبُها وإنْ كانَتْ بعيدَةً، ويُباعِدُها وهيَ قريبَةٌ، ولا إلى أحمقَ فإنهُ يُريدُ أنْ ينفعَكَ فيضرُّكَ[٤].

٢٩٩ـ لا تُدخِلْ في مشورَتِكَ بخِيلاً فيقصِّرَ بعقلِكَ، ولا جبَاناً فيخوِّفَكَ ما لا يُخافُ، ولا حَريصاً فيعِدَكَ ما لا يُرْجَى[٥].

٣٠٠ـ لا تصرِفْ حاجتَكَ إلى مَنْ مَعيشَتُهُ مِن رُؤوسِ المكاييلِ وألسِنَةِ الموازينِ.

٣٠١ـ احذَرْ صولَةَ الكريمِ إذا جاعَ، واللَّئيمِ إذا شبعَ.

٣٠٢ـ احذَرْ مَن تأمَنُ، فإنَّكَ ممَّنْ تخافُ علَى حذَرٍ[٦].

---

(١) الفقرتان (٢٩٣) (٢٩٤) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٤).

(٢) الفقرتان (٢٩٥) (٢٩٦) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٣).

(٣) هذه الفقرة لم ترد في (ب)، والبيت في المقصورة لابن دريد، وانظر: «أمالي المرزوقي» (ص ٥٨).

(٤) الفقرتان (٢٩٨) (٢٩٩) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٣).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٨).

(٦) الفقرات (٣٠١) ـ (٣٠٣) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٤).

٣٠٣ـ كانَ بعضُهمْ يقُولُ: اللَّهمَّ احفَظني مِن أصدِقائي، فسُئلَ عَن ذلِكَ؟ فقالَ: إنِّي أحفَظُ نفسِي مِن أعدائي[1].

٣٠٤ـ إيَّاكَ وكثرَةَ الإخْوانِ، فإنهُ لا يُؤذِيكَ إلا مَن يعرِفُكَ[2].

٣٠٥ـ كُنْ للعدوِّ المُكاتمِ أشَدَّ حَذراً منكَ للعدُوِّ المبارزِ[3].

٣٠٦ـ عَدُوُّكَ إمَّا مُعْلِنٌ أو مُكَاتِمٌ وكُلٌّ بأنْ تخْشَاهُ أو تَتَّقِي قَمِنْ
وزِدْ حَذَراً ممَّنْ تَرَاهُ مُكَاتِماً فلَيْسَ الَّذي يَرْمِيْكَ جَهْراً كَمَنْ كَمِنْ[4]

٣٠٧ـ استَشِرْ عدوَّكَ تعرِفْ مِقدارَ عَداوتِهِ[5].

٣٠٨ـ سُئلَ الإسكندَرُ: ما أكبرُ ما شيَّدتَ بهِ مُلكَكَ؟ فقالَ: ابتِداري إلى اصطِناعِ الرجالِ والإحسَانُ إليهِمْ[6].

٣٠٩ـ إذا غشَّكَ صدِيقُكَ فاجعلْهُ معَ عدوِّكَ[7].

٣١٠ـ سئلَ بعضُ الحكماءِ: أيَّ الناسِ أحقُّ أنْ يُتَّقى؟ قالَ: العدوُّ القويُّ، والصدِيقُ المخادِعُ، والسُّلطانُ الغَشُومُ[8].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٠).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٦).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٨).

(٤) أوردهما الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٢٢/ ١٠٧)، ونسبهما لأبي الفتح البستي، وانظر: «الضوء اللامع» (٩/ ٢١٩).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٣).

(٦) ما بين معكوفتين من هامش (ز)، وانظر: «المحاسن والأضداد» للجاحظ (ص ٨٨).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٦).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٦).

٣١١ ـ قيلَ لبعضِهِمْ: أخوكَ أحبُّ إليكَ أمْ صَدِيقُكَ؟ قال: إنما أحِبُّ أخِي إذا كانَ صَدِيقاً[١].

٣١٢ ـ اجعَلْ عمُرَكَ كنفَقةٍ دُفعَتْ إلَيكَ، فكَمَا لا تحِبُّ أنْ يذهَبَ ما تُنفِقَ ضَيَاعاً، فكَذا لا تحِبُّ أنْ يذهَبَ عمُرُكَ ضَياعاً[٢].

٣١٣ ـ جلسَ بعضُ الزهَّادِ إلى تاجرٍ يَشترِي منهُ شَيئاً، فمرَّ بهِ رجُلٌ يعرِفهُ فقالَ للتاجِرِ: هذا فُلانٌ الزاهِدُ فأرخِصْ ما تبيعُهُ، فغضِبَ الزاهِدُ وقامَ، وقالَ: إنما جِئنا لنَشْترِي بدَراهِمِنا لا بمَذاهِبِنا[٣].

٣١٤ ـ كُنْ في الحِرصِ عَلى تفقُّدِ عيبِكَ كعدوِّكَ[٤].

٣١٥ ـ عليكَ بسُوءِ الظنِّ، فإنْ أصابَ فالحزمُ، وإنْ أخطأَ فالسَّلامةُ[٥].

٣١٦ ـ لا يَغْلِبنَّ عليكُمْ سوءُ الظنِّ فيدعُكُمْ ومالَكُمْ صَديقٌ[٦].

٣١٧ ـ قيلَ لبعضِهِمْ: أسأتَ الظنَّ، فقالَ: إنَّ الدُّنيا لما امتلأتْ بالمكارِهِ وجَبَ عَلى العاقلِ أنْ يملأَها حَذَراً[٧].

٣١٨ ـ قيلَ لصُوفيٍّ: ما صِناعتُكَ؟ قالَ: حسنُ الظنِّ باللهِ، وسوءُ الظنِّ بالناسِ[٨].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٨).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٤).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٦).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٥).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٥).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٦).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٢).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٣).

٣١٩ـ رِضى الناسِ غَايةٌ لا تُدرَكُ.

٣٢٠ـ رأى رجُلٌ ابنَهُ يُماكِسُ في ابتِياعٍ لحمٍ فقالَ: يا بُنيَّ ساهِلْ، فما تُضيِّعُهُ مِن عِرْضِكَ أكثَرُ مما تنالُهُ مِن غَرضِكَ.

٣٢١ـ لا تَصْحَبْ غنيّاً؛ فإنَّكَ إنْ ساوَيْتَه في الإنفاقِ أضرَّكَ، وإنْ تفضَّلَ عَليكَ استذلَّكَ[١].

٣٢٢ـ قالَ سُفيانُ: ما وضَعَ أحدٌ يدَهُ في قَصْعَةِ غيرِهِ إلا ذلَّ لهُ[٢].

٣٢٣ـ إذا سألتَ كرِيماً حاجَةً فدعْهُ يتفكَّرُ، فإنهُ لا يُفكِّرُ إلا في خَيرٍ، وإذا سألْتَ لئيْماً حاجةً فعاجِلهُ ولا تدَعهُ يتفكَّرُ[٣] فيتَغيرُ.

٣٢٤ـ لا تَستصْغِرْ أمرَ عدوِّكَ إذا حاربتَهُ، لأنكَ إنْ ظَفِرتَ بهِ لمْ تُحمَدْ، وإنْ ظَفِرَ بكَ لمْ تُعذَرْ[٤].

٣٢٥ـ احذَرْ كلَّ الحذرِ أنْ يخدعَكَ الشَّيطانُ فيُمثِّلَ لكَ التَّواني في صُورةِ التوكُّلِ، ويُريكَ الهُوَيْنا بالإحالَةِ عَلى القَدرِ، فإنَّ اللهَ أمرَنا بالتوكُّلِ عندَ انقِطاعِ الحِيَلِ، وبالتسلِيمِ للقضَاءِ بعدَ الإعذارِ، فقالَ تَعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقالَ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥][٥].

٣٢٦ـ منِ اجتهَدَ رأيَهُ، وشاوَرَ صدِيقهُ، واستخَارَ ربَّهُ، فقَدْ قضَى الذِي عَليهِ[٦].

---

(١) الفقرات (٣٢٠) ـ (٣٢٢) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٦).

(٣) من قوله: «فإنه لا يكفر» إلى هاهنا، سقط من (ب)، وانظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٦).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٦).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٥).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٦٦).

٣٢٧ـ لا يصرِفُ القضَاءَ إلا خالِقُ القضَاءِ[١].

٣٢٨ـ إذا نزَلَ بكَ مَكروهٌ فانظُرْ؛ فإنْ كانَ لهُ حِيلةٌ فلا تعجَزْ، وإنْ كانَ مما لا حِيلةَ فيهِ فلا تجزَعْ[٢].

٣٢٩ـ مَن جَزِعَ عَلى ما خَرجَ مِن يدَيهِ فليَجزَعْ عَلى ما لا يصِلُ إليهِ[٣].

٣٣٠ـ سمِعَ حَكيمٌ رجُلاً يدعُو لآخرَ ويقولُ: لا أراكَ اللهُ مَكرُوهاً، فقالَ: يا هَذا! دعوتَ لهُ بالموتِ، فإنَّ مَن عاشَ لا بدَّ لهُ في الدُّنيا مِن مكرُوهٍ.

٣٣١ـ ما مِن مُصيبَةٍ إلا ومعَها أعظَمُ مِنها، إنْ جَزِعَ فالوِزرُ، وإنْ صبرَ فالأجرُ[٤].

٣٣٢ـ قيلَ لبعضِهمْ بعدَما أُخذَ مالُهُ: أما تُفكِّرُ في ذهابِ نِعمتِكَ؟ فقالَ: لا بدَّ منَ الزوالِ، فلأنْ تزوْلَ نِعمَتي وأبقَى خيرٌ مِن أنْ أزُولَ عَنها وتبْقَى[٥].

٣٣٤ـ عزَّى رجُلٌ رجُلاً فقالَ: لا أراكَ اللهُ بعدَ هذِهِ المصيبَةِ ما يُنسِيكَها[٦].

٣٣٥ـ وعزَّى رجلٌ الرَّشِيدَ فقالَ: يا أميرَ المؤمِنِينَ! كانَ لكَ الأجرُ لا بكَ، وكانَ العزاءُ لكَ لا عنْكَ[٧]، ولَنْ يقضِيَ اللهُ إلا ما يريدُ[٨].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٩).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٧).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٩).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٣).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٨).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٦).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٦).

(٨) قوله: «ولن يقضي الله إلا ما يريد» جاء في (ز) بعد الفقرة (٣٣٧).

٣٣٦ـ السعيدُ مَن وُعِظَ بغيرِه، والشقِيُّ مَنِ اتَّعظَ بهِ غيرُهُ، ولَنْ يقضِيَ اللهُ إلا ما يريدُ[١].

٣٣٧ـ لا تسبَّ الغَوْغاءَ؛ فإنهُمْ يُطفِئونَ الحرِيقَ، ويُخرِجُونَ الغَرِيقَ، ويسدُّونَ البُثوقَ[٢].

٣٣٨ـ المروءَةُ التامَّةُ مُباينَةُ العامَّةِ.

٣٣٩ـ وذُكِرَتِ العامَّةُ للأوزاعِيِّ، فقالَ: هيَ كالبحرِ، إذا هاجَ لمْ يُسَكِّنهُ إلا اللهُ تَعالى[٣].

٣٤٠ـ العامةُ هُم الذِينَ إذا اجتَمعُوا غَلَبوا، وإذا تفرَّقُوا لم يُعرَفوا[٤].

٣٤١ـ وسئلَ عليٌّ عنِ العامَّةِ فقالَ: هُم همَجٌ رَعاعٌ، أتباعُ كلِّ ناعِقٍ[٥].

٣٤٢ـ مِن أخلاقِ العامَّةِ أنها تُسوِّدُ غيرَ السيِّدِ، وتُفضِّلُ غيرَ الفاضِلِ، وتُقوِّلُ بعلْمٍ غيرَ العالمِ، وهم أتباعُ ما سبَقَ إليهِمْ مِن غيرِ تمييزٍ بينَ الفضْلِ والنُّقصَانِ، ولا معرفَةِ الحقِّ منَ الباطِلِ، لا تراهُمْ إلا راقِلينَ[٦] إلى قائدِ دبٍّ أو قِردٍ، أو ضارِبِ دُفٍّ

---

(١) هذه الفقرة زيادة من (ز)، وانظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٢).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٦).

(٣) الفقرتان (٣٣٨) (٣٣٩) في «نثر الدر» (٤/ ١١٤).

(٤) انظر: «العزلة» للخطابي (ص ٨٠).

(٥) انظر: «جامع بيان العلم» (١٤٩)، و«تنبيه الغافلين» (ص ٤٣٢)، وفيهما: «الناس ثلاثة، وقال: وسائر الناس همج رعاع....».

(٦) في (ز): «رافلين» ولعلها: «راقلين» كما هو مثبت، ففي «مروج الذهب» (١/ ٣٦٣): «مرقِلين». والمعنى: مسرعين.

أو لهوٍ أو لعِبٍ، أو مُستَمِعينَ إلى قاصٍّ كذابٍ، أو مجتَمِعينَ عندَ مَضروبٍ، أو وقوفاً عندَ مَصلوبٍ[1].

٣٤٣ـ العاداتُ قاهِراتٌ، فمَنِ اعتادَ شَيئاً في سرِّهِ فضحَهُ في علانيتِهِ[2].

ـ الاعتِبارُ يفيدُ الرشادِ[3].

٣٤٤ ـ كفاكَ أدَباً[4] لنفسِكَ ما كرِهْتَ مِن غيرِكَ.

٣٤٥ ـ الصاحِبُ كالرُّقعةِ في الثوبِ، فالتَمِسهُ مُشاكِلاً[5].

٣٤٦ ـ أمتعُ الجُلساءِ الذِي إذا عجَّبتَهُ[6] عجِبَ، وإذا فكَّهتَهُ طرِبَ، وإذا أمسَكتَ تحدَّثَ.

٣٤٧ ـ إذا كانَ لكَ صديقٌ فلَمْ تحمَدْ[7] إخاءَهُ ومودَّتهُ، فلا تُظهِرْ ذلكَ للنَّاسِ، فإنما هوَ بمنزِلةِ السَّيفِ الكليلِ في منزِلِ الرجُلِ، يُرهِبُ بِهِ عدوَّهُ، ولا يعلَمُ العدوُّ أقاطعٌ هوَ أمْ كلِيلٌ.

٣٤٨ ـ لا ترضَ قولَ أحدٍ حتَّى ترضَى فعلَهُ، ولا ترضَ فعلَهُ حتَّى ترضَى عقلَهُ، ولا ترضَ عقلَهُ حتَّى ترضَى حياءَهُ، فإنَّ ابنَ آدمَ مَطبُوعٌ عَلَى كرمٍ ولؤمٍ، فإنْ قوِيَ الحياءُ قوِيَ الكرَمُ، وإذا ضعُفَ الحياءُ قويَ اللؤمُ.

---

(١) الفقرات (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) لم ترد في (ب)، وهي مثبتة من هامش (ز).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٦).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٧).

(٤) في (ب) و(ز): «أدب». والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٣٧).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٦).

(٦) في (ز): «أعجبته». والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٢٦).

(٧) في (ب) و(ز): «تحمل». والتصويب من «نثر الدر» (٤/ ١٤٦).

٣٤٩ـ تعلَّمِ العلمَ فإنهُ زينٌ للغنيِّ وعونٌ للفقيرِ.

٣٥٠ـ تعلَّمِ العلمَ وإنْ لمْ تنَلْ بهِ حظاً، فلأنْ يذُمَّ الزمانُ لكَ أحسَنُ مِن أنْ يذُمَّ بكَ[1].

٣٥١ـ لا تشتَغِلْ بالرزقِ المضمُونِ عَنِ العلْمِ المفروضِ[2].

٣٥٢ـ قالَ بعضُهُمْ لمؤدِّبِ ولدِهِ: فقِّهْهُمْ في الحلالِ والحرامِ، فإنهُ حارسٌ مِن أنْ يَظلِمُوا، ومانعٌ مِن أنْ يُظلَمُوا[3].

٣٥٣ـ قالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: إذا أرادَ اللهَ بعبدٍ خَيراً زهَّدهُ في الدُّنيا، وفقَّههُ في الدينِ، وبصَّرهُ عُيوبَهُ.

٣٥٤ـ وقالَ مالكُ بنُ دِينارٍ: مَن طلَبَ العِلمَ لنفسِهِ فالقليلُ يكفِي، ومَن طلبَهُ للنَّاسِ فحَوائجُ الناسِ كثِيرةٌ[4].

٣٥٥ـ ليسَ شيءٌ أعزَّ منَ العلمِ.

٣٥٦ـ الملوكُ حُكَّامٌ عَلى الناسِ، والعُلماءُ حُكامٌ عَلى الملُوكِ[5].

٣٥٧ـ تَزيَّ بزيِّ الكُتَّابِ، فإنَّ فيهِمْ أدبَ الملُوكِ وتَواضُعَ السُّوقَةِ[6].

٣٥٨ـ أقِمِ الرغبَةِ إليكَ مَقامَ الحُرمةِ مِنكَ، وعظِّمْ نفسَكَ عنِ التَّعظيمِ، وتطَّولْ ولا تتطَاوَلْ[7].

---

(١) الفقرات (٣٤٩) (٣٥٠) (٥١) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٧).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٠).

(٣) قوله: «ومانع من أن يظلموا» ليس في (ز). وانظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٢).

(٤) الفقرتان (٣٥٤) (٣٥٥) في «نثر الدر» (٤/ ١٢٨).

(٥) الفقرتان (٣٥٦) (٣٥٧) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٠).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٧).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٨).

٣٥٩ ـ عامِلِ الأحرارَ بالكَرامةِ المحضَةِ، والأوسَاطَ بالرَّغبةِ والرهبَةِ، والسِّفلَ بالهَوانِ[١].

٣٦٠ ـ قالَ الشافعِيُّ: ما رفعْتُ أحداً فوقَ مَنزلتِهِ[٢] إلا حطَّ مِنِّي بقدرِ ما رفعْتُ منهُ.

٣٦١ ـ قيلَ لعبدِ اللهِ بنِ المبارَكِ: ما التواضُعُ؟ قالَ: التكبُّرُ عَلى المتكبِّرينَ[٣].

٣٦٢ ـ سمِعَ بعضُهُمْ إنسَاناً يتكلَّمُ بما لا يَعْنِيهِ فقالَ لهُ: يا هَذا إنما تُملِي عَلى حافِظَيكَ، وتكتُبُ إلى ربِّكَ، فانظُرْ عَلى مَن تملِي وإلى مَن تكتَبَ[٤].

٣٦٣ ـ ابذُلْ لصدِيقِكَ دمَكَ ومالَكَ، ولمعرفتِكَ رِفدَكَ ومحضرَكَ، وللعامَّةِ بِشرَكَ وتحيَّتَكَ، ولعدوِّكَ عَدلَكَ وإنصافَكَ، واضن[٥] بدينِكَ وعِرضِكَ عَن كلِّ أحدٍ.

٣٦٤ ـ جالسِ الألِبَّاءَ أعداءً كانُوا أو أصدِقاءَ، فإنَّ العقْلَ يقَعُ عَلى العقلِ.

٣٦٥ ـ كُن بحِيلتِكَ أوثَقَ مِنكَ بشدَّتكَ، وبحذَرِكَ أفرَحَ منكَ بنجدَتكَ، فإنَّ الحربَ حربُ المتهوِّرِ وغَنيمَةُ المتحذِّرِ[٦].

٣٦٦ ـ مَن سألَكَ لمْ يكرِمْ وجهَهُ عَن مسألتِكَ، فأكرِمْ أنتَ وجهَكَ عَن ردِّهِ[٧].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٨).

(٢) في (ز): «منزله». وانظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٧).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٧).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤٨).

(٥) في (ز) و(ب): «واظنن». والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٤٩).

(٦) الفقرتان (٣٦٥) (٣٦٦) في «نثر الدر» (٤/ ١٤٩)

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٠).

٣٦٧ـ اكفُفْ عَلى[1] النساءِ مِن أبصارِهنَّ بحِجابكَ إيَّاهنَّ، فإنَّ شدَّةَ الحِجابِ خيرٌ لكَ منَ الارتِيابِ.

٣٦٨ـ ليسَ خُروجُهنَّ بأشدَّ مِن دُخولِ مَن لا يُوثَقُ بهِ عَلَيهنَّ.

٣٦٩ـ لا تُطِلِ الجلُوسَ معَ النِّساءِ فتمَلَّهنَّ ويملَلْنَكَ، واستبْقِ مِن نفسِكَ بقيَّةً[2].

٣٧٠ـ عاشِرُوا النساءَ بأمورٍ ثلاثَةٍ: ألزمُوهُنَّ البُيوتَ، واتَّهمُوهنَّ عَلى الأسرارِ، واطوُوا عنهُنَّ الأحادِيثَ[3].

٣٧١ـ المرأةُ إذا أحبَّتكَ آذتْكَ، وإذا أبغَضَتكَ[4] خانَتكَ، فحبُّها أذىً، وبغضُها داءٌ بلا دواءٍ.

٣٧٢ـ شاوَرَ رجُلٌ حَكِيماً في التزوُّجِ[5]، فقالَ لهُ: إياكَ والجمَالَ، وأنشَدَ:

ولَـنْ تُصـادِفَ مَرْعـىً مُمْرِعـاً أبَـدَاً … إلا وَجَـدْتَ بـهِ آثـارَ مَأكُـوْلِ

٣٧٣ـ قالَ رجُلٌ: ما دخَلَ دارِي شرٌّ قطُّ، فقالَ حكيمٌ: فمِنْ أينَ دخلَتِ امرأتُكَ؟ المرأةُ كالنعلِ يلْبَسُها الرجُلُ إذا شاءَ لا إذا شاءَتْ[6].

٣٧٤ـ إنَّ رأيَـكَ لا يتَّسِـعُ لـكُلِّ شـيءٍ ففرِّغهُ للمهـمِّ مِن أمـورِكَ، وإنَّ مالَكَ لا يُغنـي النـاسَ كلَّهُـمْ فاخصُصْ بـهِ أهـلَ الحـقِّ، وإنَّ كرامتَـكَ لا تُطِيقُ العامَّـةَ فتوخَّ

---

(١) في (ز): «عن»، والمثبت من (ب) و«نثر الدر» (٤/ ١٥٠).

(٢) الفقرتان (٣٦٩) (٣٧٠) في «نثر الدر» (٤/ ١٥٠).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٣).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٦).

(٥) في (ب) و(ز): «بغضتك»، والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١١٤)

(٦) في (ز) و(ب): «التزويج»، والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١١٥).

بهـا أهـلَ الفضـلِ، وإنَّ ليلَـكَ ونهـارَكَ لا يسـتَوعِبانِ حَوائجَكَ، فأحسِـنْ قسـمتَكَ بيـنَ عمَلِـكَ ودَعتِكَ(١).

٣٧٥ـ اصحَبْ مَن يذكُرُ إحسانَكَ إليهِ، وينسَى أيادِيهِ إليكَ(٢).

٣٧٦ـ لا تُعيِّرْ أخاكَ، واحمَدِ الذِي عافاكَ(٣).

٣٧٧ـ لا ترغَبْ في ولايةِ القضَاءِ، فإنَّ فرحةَ الولايَةِ لا تفِي بتَرحةِ العزْلِ(٤).

٣٧٨ـ لا تزهَدَنَّ في معروفٍ، فإنَّ الدَّهرَ ذو صُروفٍ، والزَّمانُ ذو ألوانٍ، ومَن يركَنْ للزَّمانِ يرَ الهوانَ.

٣٧٩ـ اطبَعِ الطِّينَ ما دامَ رَطباً، واغرِسِ العُودَ ما دامَ لَدِناً(٥).

٣٨٠ـ سوءُ العادَةِ كمِينٌ لا يُؤمَنُ.

٣٨١ـ العادَةُ طَبيعَةٌ ثانيةٌ.

٣٨٢ـ التجَنِّي رائدُ القَطيعَةِ.

٣٨٣ـ لا يصلُحُ اللَّئيمُ لأحَدٍ، ولا يستَقِيمُ إلا مَن فَرَقٍ أو حاجَةٍ(٦).

٣٨٤ـ خفِ اللهَ حتَّى كأنَّكَ لمْ تُطعهُ، وارجُ اللهَ كأنَّكَ لمْ تعصِهِ(٧).

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥١)، و«الجليس الصالح» (ص ٦٩٨)، و«التذكرة الحمدونية» (١/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥١).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٥).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٢).

(٥) الفقرتان (٣٧٩) (٣٨٠) في «نثر الدر» (٤/ ١٥٣).

(٦) الفقرات (٣٨١) ـ (٣٨٤) في «نثر الدر» (٤/ ١٣٨).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٣).

٣٨٥ـ صُن عقلَكَ بالحلمِ، ومُروءَتكَ بالعفَافِ.

٣٨٦ـ عوِّدْ نفسَكَ السَّماحَ، وتخيَّرْ لها مِن كلِّ خُلقٍ أحسنَهُ، فإنَّ الخيرَ عادةٌ، والشرَّ لجَاجةٌ.

٣٨٧ـ مَن يُسلِفِ المعرُوفَ يكُنْ رِبحُهُ الحمدُ[١].

٣٨٨ـ احتمِلْ مَن دلَّ عليكَ، واقبَلْ ممَّنِ اعتذَرَ إليكَ[٢].

٣٨٩ـ لا كثيرَ معَ إسرافٍ، ولا ذنبَ معَ اعترافٍ[٣].

٣٩٠ـ لا تفرَحْ بالرجاءِ فإنَّهُ غُرورٌ، ولا تتعجَّلِ الغمَّ بالخوفِ فإنَّهُ شكٌّ.

٣٩١ـ حاسِبْ نفسَكَ تسعَدْ وتسلَمْ.

٣٩٢ـ لَنْ يخل أحدٌ مِن ذمٍّ، فاجهَدْ أنْ تخلُو مِن ذمِّ الأخيَارِ[٤].

٣٩٣ـ اغتنِمِ العمَلَ ما دامَتْ نفسُكَ سلِيمةً، واجعَلْ كلَّ ساعةٍ تشغَلُها لآخرَتِكَ غنِيمةً[٥].

٣٩٤ـ أنعَمُ الناسِ عَيشاً مَن تحلَّى بالعفَافِ، ورضِيَ بالكفافِ، وتجاوزَ ما يخافُ إلى ما لا يخافُ.

٣٩٥ـ التواضُعُ نعمةٌ لا يفطَنُ لها الحاسِدُ.

---

(١) الفقرات (٣٨٦) ـ (٣٨٨) في «نثر الدر» (٤/ ١٥٤).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٥).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٩).

(٤) الفقرات (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) في «نثر الدر» (٤/ ١٥٤).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٥٥).

٣٩٦ـ خيرُ العيشِ ما لا يُطغِيكَ ولا يُلهِيكَ[1].

٣٩٧ـ كفَى بالبَخِيلِ عاراً أنَّ اسمَهُ لم يقَعْ في حمدٍ قطُّ، وكفَى بالجوادِ مجْداً أنَّ اسمَهُ لمْ يقَعْ في ذمٍّ قطُّ[2].

٣٩٨ـ انظُرْ ما عندَكَ فلا تضعْهُ إلا في حقِّهِ، وما ليسَ عندَكَ فلا تأخُذهُ إلا بحقِّهِ.

٣٩٩ـ اسعَ في طلَبِ رِضا الأحرارِ، فإنَّ رضَا اللِّئامِ غيرُ مَوجُودٍ[3].

٤٠٠ـ ليسَ للأحرارِ ثمَنٌ إلا الكرامَةَ، فأكرِمُوا الأحرارَ تملكُوهُمْ.

٤٠١ـ لا يغلِبنَّ جهلُ غيرِكَ بكَ علمَكَ بنفسِكَ، فكَمْ مِن أقوامٍ فتنَهُمْ حسنُ الثناءِ[4].

٤٠٢ـ عجَباً لمنْ قيلَ فيهِ الخيرُ وليسَ فيهِ كيفَ يفرَحُ، عجَباً لمنْ قيلَ فيهِ الشرُّ وهوَ فيهِ كيفَ يغضَبُ[5]!.

٤٠٣ـ اطلُبِ الحاجةَ إلى إخوانِكَ قبلَ تأكِيدِ مودَّتهِمْ لكَ، فإنكَ إذا طلبْتَها ممَّنْ قدْ[6] وثِقَ بكَ اتكَلَ علَى الدَّالةِ.

٤٠٤ـ لا تسألِ الحَوائجَ غيرَ أهْلِها، ولا تسألها في غَيرِ حيْنِها، ولا تسألْ ما لسْتَ مُستحِقَّاً فتكُونَ للحِرمانِ مُستوجِباً.

---

(١) الفقرات (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) في «نثر الدر» (٤/ ١٣٥).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٥/ ١١)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ١١٧).

(٣) الفقرتان (٣٩٩) (٤٠٠) في «نثر الدر» (٤/ ١٥٥).

(٤) الفقرتان (٤٠١) (٤٠٢) في «نثر الدر» (٤/ ١٥٦).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٧).

(٦) لفظ: «قد» سقط من (ز).

٤٠٥ ـ ارْعَ حقَّ الإخْوانِ، وحقُّ الأخِ علَى الأخِ: أنْ يحوطَهُ غائبَاً، ويعضِدَهُ شاهِدَاً، ويعُودَهُ مَريضاً، ويواسِيَهُ محتاجاً، ويضحَكَ في وجهِهِ مُقبِلاً، ويدعُوَ لهُ مُدبِراً(١).

٤٠٦ ـ قالَ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ لسُفيانَ الثَّورِيِّ: دُلَّني عَلى مَن أجلِسُ إليهِ، قالَ: تلكَ ضالَّةٌ لا توجَدُ(٢).

٤٠٧ ـ العُزلَةُ تُوفِّرُ العِرضَ، وتَسترُ الفاقةَ، وترفَعُ ثِقَلَ المكافأةِ.

٤٠٨ ـ قالَ بعضُهمْ: خالطْتُ الناسَ خمسِينَ سنةً، فما وجدْتُ رَجُلاً غفرَ لي زلَّةً، ولا أقالَني عثرةً، ولا سترَ لي عورَةً، ولا أَمِنتُهُ إذا غضِبَ(٣).

٤٠٩ ـ قالَ إبراهيمُ بنُ أدهَمَ: أنا منذُ عشرِينَ سنةً في طلبِ أخٍ إذا غضِبَ لمْ يقُلْ إلا الحقَّ، فلَمْ أجدْهُ(٤).

٤١٠ ـ نحنُ في زمانٍ الإحسانُ فيهِ مِن الإنسانِ زلَّةٌ، والجميلُ غريبٌ، والخيرُ بِدعةٌ، والشفقَةُ ملَقٌ، والدعاءُ صلةٌ، والثناءُ خِداعٌ، والأدبُ مسألةٌ، والعلمُ شبكَةٌ، والدِّينُ تلبيسٌ، والإخلاصُ رياءٌ، والحِكمةُ سفَهٌ، والإطراقُ ترهُّبٌ، والسكُوتُ نفاقٌ، والبذلُ مُكافأةٌ، والمنعُ حزمٌ، والإنفاقُ تبذِيرٌ.

٤١١ ـ ثمانيةٌ إذا أُهِينُوا فلا يلومُوا إلا أنفسَهُمْ: الآتي طعاماً لمْ يُدعَ إليهِ، والمتأمِّرُ عَلى ربِّ البيتِ في بيتِهِ، وطالبُ المعرُوفِ مِن غيرِ أهلِهِ، وراجِي الفضْلِ

---

(١) الفقرات (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) في «نثر الدر» (٤/ ١٥٦).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٨).

(٣) الفقرتان (٤٠٨) (٤٠٩) في «نثر الدر» (٤/ ١١٤).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٢).

منَ اللئامِ، والداخلُ بينَ اثنَينِ لمْ يُدخِلاهُ، والمستَخِفُّ بالسلطانِ، والجالسُ مجلِساً ليسَ لهُ بأهلٍ، والمقبِلُ بحديثِهِ عَلى مَن لا يسمَعُهُ[١].

٤١٢ـ ثلاثٌ يُرْغِمنَ العدوَّ: كثرَةُ العَبيدِ، وأدبُ الولدِ، ومحبةُ الجيرانِ[٢].

٤١٣ـ ثلاثٌ لا يُستَصلَحُ فسادُها بشيءٍ منَ الحِيَلِ: العداوةُ بينَ الأقاربِ، وتحاسُدُ الأكفَّاءِ، وركاكَةُ الملوكِ[٣].

٤١٤ـ ثلاثٌ مُوبِقاتٌ: الكِبرُ، فإنهُ حطَّ إبليسَ عَن مرتَبتِهِ، والحرصُ، فإنهُ أخرجَ آدمَ منَ الجنةِ، والحسَدُ، فإنهُ دعَا ابنَ آدمَ إلى قتلِ أخيهِ[٤].

٤١٥ـ ثلاثةٌ يؤثِرُونَ المالَ عَلى أنفُسِهِمْ: تاجِرُ البحرِ، والعامِلُ بالأجرِ، والمرتَشِي في الحكْمِ[٥].

٤١٦ـ ثلاثةُ أشياءٍ لا ثباتَ لها: المالُ في يدِ مَن يُبذِّرُ، وسحابَةُ الصَّيفِ، وغضَبُ العاشِقِ[٦].

٤١٧ـ العالمُ يَعرِفُ الجاهِلَ لأنهُ كانَ جَاهلاً، والجاهِلُ لا يعرِفُ العالمَ لأنهُ لمْ يكُنْ عالِماً[٧].

---

(١) الفقرتان (٤١١) (٤١٢) في «نثر الدر» (٤/ ١٣٧).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٩).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٤).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٧).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٤).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٣).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٣).

٤١٨ـ قالَ أبو يوسُفَ: إثباتُ الحُجةِ عَلى الجاهلِ سهْلٌ، ولكنَّ إقرارَهُ بها صعْبٌ[١].

٤١٩ـ بلوغُ أعلَى المنازِلِ مِن غيرِ استحقاقٍ مِن أكبرِ أسبابِ الهلَكةِ.

٤٢٠ـ كلُّ شيءٍ يعزُّ إذا قلَّ، والعقلُ كلَّما كانَ أكثرَ كانَ أعزَّ وأغلَى[٢].

٤٢١ـ العقلُ يأمرُكَ بالأنفعِ، والمروءَةُ تأمرُكَ بالأجمَلِ.

٤٢٢ـ قيلَ لبعضِهِمْ: ما جِماعُ العقلِ؟ قالَ: ما رأيتُهُ مجتَمِعاً في أحدٍ فأصِفَهُ، وما لا يوجَدُ كامِلاً فلا حدَّ لهُ.

٤٢٣ـ إذا أنكَرتَ عقلَكَ فاقدَحهُ بعاقلٍ[٣].

٤٢٤ـ عظُمَتِ المُروءَةُ[٤] في عاقلٍ مُتجاهِلٍ، وجاهِلٍ مُتعاقلٍ.

٤٢٥ـ لا ينبَغِي للعاقلِ أنْ يطلُبَ طاعَةَ غيرِهِ، وطاعَةُ نفسِهِ عليهِ ممتنِعةٌ.

٤٢٦ـ مِن صفاتِ العاقِلِ أنْ لا يتحدَّثَ بما يُستطاعُ تكذيبُهُ[٥].

٤٢٧ـ لو جعِلَ المالُ للعُقلاءِ ماتَ الجهَّالُ، فلمَّا صارَ في أيْدِي الجهَّالِ اسْتَزَلَّهم[٦] العُقلاءُ عنهُ بلُطفِهِمْ.

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٩).

(٢) الفقرتان (٤٢٠) (٤٢١) في «نثر الدر» (٤/ ١٠٧).

(٣) الفقرات (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) في «نثر الدر» (٤/ ١١١).

(٤) في «نثر الدر» (٤/ ١١١): «المؤونة».

(٥) الفقرتان (٤٢٦) (٤٢٧) في «نثر الدر» (٤/ ١١٢).

(٦) في «نثر الدر» (٤/ ١١٣): «استنزلهم». ومعنى «استزل»: استدرج.

٤٢٨ـ إذا كانَ العقلُ تسعَةَ أجزاءٍ احتاجَ إلى جُزءٍ مِن جهلٍ ليقدِمَ عَلى الأمورِ، فإنَّ العاقِلَ أبداً مُتوانٍ مُتوقِّفٌ مترقِّبٌ متخوِّفٌ.

٤٢٩ـ ضعْفُ العقلِ أمانٌ منَ الغمِّ[١].

٤٣٠ـ أسوأُ الناسِ حالاً مَنِ اتسعَتْ معرِفتُهُ، وبَعُدَتْ همَّتهُ، وضاقَتْ مقدِرتُهُ[٢].

٤٣١ـ قالَ رجُلٌ مِن قُريشٍ لشَيخٍ: عَلِّمني الحِلمَ، قالَ: هوَ الذلُّ، أفتَصبرُ عَليهِ؟.

٤٣٢ـ ما قلَّ سُفهاءُ[٣] قومٍ إلا ذَلُّوا[٤].

٤٣٣ـ قيلَ لبعضِهِمْ: هلا أجَبتَ[٥] أميرَ المؤمِنينَ حينَ سألكَ عَن مالِكَ، قالَ: إنهُ إنِ استكثَرَهُ حسَدَني، وإنِ استقَلَّهُ حقَرَني.

٤٣٤ـ العافِيةُ المُلكُ الخَفِيُّ[٦].

٤٣٥ـ ظفَرُ الكريمِ عفوٌ، وعفوُ اللئيمِ[٧] عُقوبةٌ.

٤٣٦ـ ليسَ مِن حُسنِ التأدُّبِ أنْ يُقالَ عثرَةً ثمَّ يركَبُها ثانيةً[٨].

٤٣٧ـ العفَافُ زينَةُ الفقرِ، والشُّكرُ زِينةُ الغِنى[٩].

---

(١) الفقرتان (٤٢٩) (٤٣٠) في «نثر الدر» (٤/ ١٢٣).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٨).

(٣) في (ز): «سفه».

(٤) الفقرتان (٤٣٢) (٤٣٣) في «نثر الدر» (٤/ ١٢٥).

(٥) في (ز): «أخبرت»، والمثبت من (ب) و«نثر الدر» (٤/ ١٠٨).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٩).

(٧) في (ز) و(ب): «الكريم»، والتصويب من «نثر الدر» (٤/ ١٠٩).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٠٩).

(٩) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١١).

٤٣٨ـ اعتِذارُ مَن منَعَ خَيرٌ مِن وعْدٍ ممطُولٍ.

٤٣٩ـ مِن سعادَةِ المرءِ أنْ يضَعَ معرُوفَهُ عندَ مَن يشكُرُهُ.

٤٤٠ـ شيئانِ لا يعرَفُ طعمُهُما إلا بعدَ فقدِهما: العافيَةُ والشبابُ[1].

٤٤١ـ الغِيبةُ ربيعُ اللئامِ[2].

٤٤٢ـ قيلَ لبعضِهِمْ: متى يُحمَدُ[3] الكذِبُ؟ قالَ: إذا قرَّبَ بينَ مُتقاطِعَينِ، قيلَ: فمتَى يذمُّ الصدقُ؟ قالَ: إذا كانَ غِيبةً.

٤٤٣ـ الحسودُ لا يسودُ[4].

٤٤٤ـ الحسودُ غَضبانٌ عَلى القدَرِ، والقدَرُ لا يُعْتِبُهُ[5].

٤٤٥ـ إذا أيسرْتَ فكلُّ رحلٍ رحلُكَ، وإذا افتقَرتُ أنكرَكَ أهلُكَ.

٤٤٦ـ قالَ بعضُهُمْ: ما رددْتُ أحداً عَن حاجةٍ إلا تبينْتُ العزَّ في قفَاهُ، والذُّلَّ في وجهِي.

٤٤٧ـ سُئلَ بعضُهمْ: ما الدَّهاءُ؟ فقالَ: تجرُّعُ الغُصَّةِ، وتوقُّعُ الفُرْصةِ[6].

٤٤٨ـ لو كانَ المِزاحُ فَحلاً لم ينتِجْ إلا الشرَّ.

---

(١) الفقرات (٤٣٨) ـ (٤٤١) في «نثر الدر» (٤/ ١١٠).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٤١).

(٣) في (ز): «يجمل»، والمثبت من (ب)، و«نثر الدر» (٤/ ١١٢).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٦/ ٣٤).

(٥) في (ز) و(ب): «يعينه»، والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٤٢)، و«الشكوى والعتاب» (ص ٨٥)، و«محاضرات الأدباء» (١/ ٣١٣)، و«المستطرف» (ص ٢٢١).

(٦) الفقرات (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) في «نثر الدر» (٤/ ١١٣).

٤٤٩ـ أسوَأُ ما في الكريمِ أنْ يمنعَكَ نداهُ، وأحسَنُ ما في اللَّئيمِ أنْ ينْكَفَّ عنكَ أذاهُ.

٤٥٠ـ السِّفلُ إذا تعلَّمُوا تكَبَّروا، وإذا تموَّلُوا استَطالُوا[١].

٤٥١ـ ينبَغِي للعاقِلِ أنْ يمنَعَ معرُوفَهُ الجاهِلَ واللئيمَ والسَّفِيهَ، أما الجاهِلُ فلا يعرِفُ المعرُوفَ والشكْرَ، وأما اللئيمُ فأرضٌ سَبخةٌ لا تُنبِتُ ولا تصلُحُ، وأما السفيهُ فإنهُ يقولُ: أعطَاني فرَقاً مِن لسَاني[٢].

٤٥٢ـ الرِّيبةُ[٣] ذلٌّ حاضرٌ، والغِيبةُ لُؤْمٌ باطنٌ.

٤٥٣ـ قيلَ لبعضِهمْ: ما السُّرورُ؟ قال: عقْلٌ يُقيمُكَ، وعلمٌ يَزِينُكَ، وولَدٌ يسرُّكَ، ومالٌ يَسعُكَ، وأمْنٌ يُريحُكَ، وعافيةٌ تجمَعُ لكَ المسرَّاتِ[٤].

٤٥٤ـ ما الحيلةُ فيما أَعْيا إلا الكفُّ عنهُ، ولا الرأيُ فيما لا يُنالُ إلا اليأسُ منهُ[٥].

٤٥٥ـ ليسَ مِن حُسْنِ الجوارِ تركُ الأذَى، ولكِنَّ حُسْنَ الجوارِ الصبرُ عَلى الأذَى[٦].

٤٥٦ـ الكُلفةُ طلَبُ ما لا يُواتيكَ، ونظرُكَ فيما لا يعنِيكَ[٧].

٤٥٧ـ الإفراطُ في الزيادَةِ مملٌّ، كما أنَّ التفريطَ فيها مخلٌّ.

---

(١) الفقرات (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) في «نثر الدر» (٤/ ١١٤).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٥).

(٣) في (ز): «الزينة»، والمثبت من (ب)، و«نثر الدر» (٤/ ١٣٩).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٤).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٩).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٣).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٩).

٤٥٨ ـ إذا تناهَى الغمُّ انقطَعَ الدمْعُ[١].

٤٥٩ ـ رُبَّ مَغْبُوطٍ بنعمَةٍ هيَ داؤهُ، وربَّ محسُودٍ عَلى حالٍ هوَ بلاؤهُ، وربَّ مرحُومٍ مِن سُقمٍ هوَ شفاؤهُ، وربَّ محبُوبٍ في مكرُوهٍ، ومكروهٍ في محبوبٍ، وربَّ خيرٍ في شرٍّ، ونفعٍ في ضرٍّ[٢].

٤٦٠ ـ الدُّنيا حمقَاءُ لا تميلُ إلا إلى أشبَاهِها[٣].

٤٦١ ـ ما استُنبِطَ الصوابُ بمثلِ المَشُورَةِ، ولا حُصِّنَتِ النِّعمُ بمثلِ المُواساةِ، ولا اكتُسبَتِ البغضَاءُ بمثلِ الكِبرِ.

٤٦٢ ـ السَّفَرُ مِيزانُ الأخلاقِ[٤].

٤٦٣ ـ ما رأيتُ أحدَاً إلا رأيتُ لهُ الفضلَ عليَّ، لأني من نفسِي عَلى يقينٍ، ومنَ الناسِ في شكٍّ[٥].

٤٦٤ ـ إذا رأيتَ الرجُلَ محمُوداً في جيرانِهِ فاعلَمْ أنهُ يداهنِهُمْ[٦].

٤٦٥ ـ عوتِبَ بعضُهُمْ في جمعِهِ المالَ فقالَ: إنما أجمعُهُ لروعةِ الزمانِ، وجفوَةِ السلطانِ، وبخلِ الإخوانِ، ودفْعِ الأحزانِ[٧].

---

(١) الفقرتان (٤٥٨) (٤٥٩) في «نثر الدر» (٤/ ١٢٢).

(٢) في (ز): «خير» والمثبت من (ب)، و«نثر الدر» (٤/ ١٢٨)، وجاءت الفقرات (٤٨٥) (٤٩٥) (٤٦٠) في (ب)، بعد الفقرة (٤٦٨).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٩).

(٤) الفقرتان (٣٦٢) (٣٦٣) في «نثر الدر» (٤/ ١٢٠).

(٥) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢١).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٢).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢١).

٤٦٦ـ قيلَ لسُفيانَ بنِ عُيينَةَ: ما أشدَّ حبَّكَ للدِرهَمِ؟ قال: ما أُحبُّ أنْ يكُونَ أحدٌ أشدَّ حُباً لما ينفَعُهُ مِني[١].

٤٦٧ـ خيرُ الدُّنيا والآخرَةِ في خَصلَتَينِ: التُّقَى والغِنى، وشرُّ الدُّنيا والآخرَةِ في خَصلَتينِ: الفجُورُ والفَقرُ[٢].

٤٦٨ـ إذا وليَ صديقٌ لكَ ولايَةً فأصبتَهُ على العشْرِ مِن صداقتِهِ فليسَ بأخِ سوءٍ[٣].

٤٦٩ـ الوعدُ وجهٌ، والإنجازُ محاسِنُهُ[٤].

٤٧٠ـ جلسَ إسكندَرُ يومَاً فما رُفِعَ إليهِ حاجةٌ فقالَ: لا أعدُّ هذا اليومَ مِن أيامِ مُلكِي[٥].

٤٧١ـ قصدَ ابنُ السمَّاكِ رجُلاً في حاجةٍ فقالَ لهُ: إنَّ الطالبَ والمطلُوبَ عزيزانِ إنْ قضَيْتَ، وذليلانِ إنْ لم تَقضِ، فاخترْ لنفسِكَ عزَّ القضَاءِ على ذلِّ المنعِ، واخترْ لي عزَّ النُّجحِ على ذلِّ الردِّ، فقضَاها لهُ[٦].

٤٧٢ـ وقالَ لآخرَ قصدَهُ في حاجَةٍ فتلوَّى: ما قصدْتُكَ إلا وأنا أُحسِنُ فيكَ الظنَّ، وأصوغُ[٧] فيكَ الثناءَ، وأتخيرُ[٨] لكَ الشكرَ، وأمشِي إليكَ بقدَمِ الإجلالِ،

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٦).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٦).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٢).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣١).

(٥) هذه الفقرة زيادة من هامش (ز)، وانظر: «نثر الدر» (٧/ ٢١).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٢).

(٧) في (ب) و(ز): «وأضوع». والمثبت من «نثر الدر» (٤/ ١٢٢).

(٨) في (ب): «وأنجز»، والمثبت من (ز).

وأُكلِّمُكَ بلسَانِ التواضُعِ، فهَلْ أصبتُ أم أخطأتُ؟ فأُفحِمَ الرجُلُ وقالَ: بلْ أصبتَ، وقضى حاجتَهُ وسألَهُ المعاودَةَ.

٤٧٣ـ قالَ رجلُ لآخرَ: إذا أتيتُكَ في حاجةٍ، فإنْ شئتَ قضَيتَها وكنا كَريمَين، وإنْ شئتَ منَعتَها وكنا لئيمَينِ(١).

٤٧٤ـ سألَ سائلٌ سُفيانَ بنَ عُيينَةَ فلَمْ يكُنْ معَهُ ما يُعطِيهِ، فبكَى، فقيلَ لهُ: يا أبا محمَّدٍ ما يُبكيكَ؟ قالَ: وأيُّ مُصيبَةٍ أعظَمُ مِن أنْ يؤمِّلَ فيكَ رجلٌ خيراً ثمَّ لا يُصيبُهُ منكَ؟(٢).

٤٧٥ـ ثمرةُ القناعَةِ الراحَةُ، وثمرَةُ التواضُعِ المحبَّةُ(٣).

٤٧٦ـ العبدُ حرٌّ ما قَنعَ، والحرُّ عبدٌ ما طَمِعَ(٤).

٤٧٧ـ الكريمُ يلينُ(٥) إذا استُعطِفَ، واللئيمُ يقسُو إذا لُوْطِفَ.

٤٧٨ـ إنكاءُ العدوِّ أنْ لا تُريَهُ أنكَ تتَّخذُهُ عدُوّاً(٦).

٤٧٩ـ قيلَ لبعضِ الزهَّادِ: أَوْصِنا، فقالَ: إياكُمْ وسَوفَ(٧).

٤٨٠ـ مثلُ شربِ الدواءِ مثلُ الصابُونِ للثوبِ يُنقيْهِ ولكِنْ يُخلِقُهُ(٨).

---

(١) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٨).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٣٤).

(٣) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٤).

(٤) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١١٨).

(٥) في (ب): «لين»، والمثبت من (ز)، و«نثر الدر» (٤/ ١٢٤).

(٦) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٤).

(٧) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٤).

(٨) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٨).

٤٨١ـ قبَّحَ اللهُ الدُّنيا فإنها إذا أقبلَتْ عَلى الإنسانِ أعطَتهُ محاسِنَ غيرِهِ، وإذا أدبرَتْ عنهُ سلبَتهُ محاسِنَ نفسِهِ[1] [2].

٤٨٢ـ مَن لم يعتَبرْ بالأيامِ لَمْ يَنْزَجِرْ بالمَلامِ.

٤٨٣ـ لا يغرَّنكَ صحَّةُ نفسِكَ، وسلامَةُ أمسِكَ، فمدَّةُ العمُرِ قليلَةٌ، وصحةُ النفسِ مُستحيلَةٌ.

٤٨٤ـ مَن ذكَرَ المنيَّةَ نسِيَ الأُمنيةَ[3].

***

(١) إلى هنا ينتهي ما جاء في النسخة (ب) وجاء في ختامها ما نصه: (أعاذَنا اللهُ وإياكُمْ مِن شرِّها وأرشدَنا لخيرِها إنهُ عَلى كلِّ شيءٍ قديرٌ وهوَ بعبادِهِ خبيرٌ بصيرٌ، وهذا آخرُ ما تيسَّرَ جمعُهُ منَ الحِكَمِ الملكيةِ، وصلَّى اللهُ عَلى سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمَعِين والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ).

(٢) انظر: «نثر الدر» (٤/ ١٢٤).

(٣) الفقرات (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) في «الإمتاع والمؤانسة» (ص ١٩٨).

[خاتمة]

وَلْنَخْتِمْ بكلامِ الإمامِ الشَّافِعِيِّ رحمَهُ اللهُ، قالَ:

٤٨٥ـ للمرُوءةِ أربعَةُ أركانٍ: حُسنُ الخلقِ، والتواضُعُ، والسخَاءُ، والشُّكرُ[١].

٤٨٦ـ لا يَكمُلُ الرجُلُ في الدُّنيا إلا بأربَعٍ: الديانةِ، والأمانةِ، والصِّيانةِ، والرَّزانةِ[٢].

٤٨٧ـ ليسَ منَ المروءَةِ أنْ يُخبِرَ الرجُلُ بسنِّهِ[٣].

٤٨٨ـ الوقارُ في النزهَةِ سُخفٌ[٤].

٤٨٩ـ الانبسَاطُ إلى الناسِ مَجْلبَةٌ لقُرناءِ السُّوءِ، والانقباضُ عنهُمْ مكسبَةٌ للعداوَةِ، فكُنْ بينَ المُنقبِضِ والمنبَسِطِ[٥].

٤٩٠ـ ما نظرَ الناسُ إلى مَن هُمْ دونَهُ إلا بسَطُوا ألسنَتهُمْ فيهِ.

٤٩١ـ ثلاثةٌ إنْ أكرمتَهُمْ أهانُوكَ: المرأةُ، والعبدُ، والفلاحُ[٦].

٤٩٢ـ أصلُ كلِّ عَداوةٍ الصَّنيعَةُ إلى الأَنْذالِ[٧].

٤٩٣ـ مَن أحسَنَ ظنَّهُ بلئيمٍ كانَ أدْنى عَقوبَتِهِ الحرمانَ[٨].

---

(١) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/ ١٨٨).

(٢) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٨٩).

(٣) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ٢١٥).

(٤) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ٢١٢).

(٥) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٩٠).

(٦) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٩١).

(٧) انظر: «العزلة» للخطابي (ص ٨٢).

(٨) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٩٦).

٤٩٤ـ أظلَمُ الظالِمِينَ لنفسِهِ مِن تواضُعِ لمَنْ لا يُكرمُهُ، ورغِبَ في مودَّةِ مَن لا ينفَعهُ، وقبِلَ مدحَ مَن يعرِفهُ[1].

٤٩٥ـ طُبعَ ابنُ آدمَ عَلى اللؤمِ، فمِنْ شأنِهِ أنْ يتقرَّبَ ممَّنْ يتباعَدُ عنْهُ، ويتباعَدَ ممَّنْ يتقرَّبُ منهُ[2].

٤٩٦ـ الشَّفاعاتُ زكاةُ المرُوءاتِ[3].

٤٩٧ـ منِ استُغضِبَ فلَمْ يَغضَبْ فهوَ حمارٌ، ومنِ استُرضِيَ فلَمْ يرضَ فهوَ شَيطانٌ[4].

٤٩٨ـ التلطُّفُ في الحيلَةِ أجْدَى منَ الوسِيلَةِ[5].

٤٩٩ـ مَن طلَبَ الرئاسةَ في غَيرِ حِينِها ذلَّ ما بقِيَ[6].

٥٠٠ـ مَن طلَبَ الرئاسةَ فرَّتْ منهُ، وإذا تصدَّرَ الحدَثُ فاتَهُ عِلمٌ كثيرٌ[7].

٥٠١ـ مَن نمَّ لكَ نمَّ بكَ، ومَن نقَلَ إليكَ نقَلَ عنكَ، ومَن إذا أرضَيتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ، كذلِكَ إذا أغضَبتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ[8].

---

(١) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٩٣).

(٢) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٠٢).

(٥) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٠٣).

(٦) انظر: «العزلة» للخطابي (ص ٤٢)، ونسبه لأبي حنيفة.

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١/ ٤٣٥).

(٨) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٩٨).

٥٠٢ـ زينَةُ العُلماءِ التقْوَى، وحِليتُهمْ حُسنُ الخلقِ، وجمالُهُمْ كرَمُ النفسِ[١].

٥٠٣ـ مَن لا يحِبُّ العِلمَ لا خيرَ فيهِ، ولا يكُنْ بينَكَ وبينَهُ مَعرفةٌ ولا صداقَةٌ[٢].

٥٠٤ـ مَـن حضَرَ مجلِسَ العلمِ بلا محبـرَةٍ وورَقٍ كانَ كمَنْ يحضُـرُ الطاحُونَ بغيرِ قمْحٍ[٣].

٥٠٥ـ مثَلُ الذِي يطلُبُ العلمَ بلا حُجةٍ كمثلِ حاطبِ ليلٍ يحمِلُ حُزمةَ حطَبٍ، وفيهِ أفعَى تلدَغُهُ وهوَ لا يدرِي[٤].

٥٠٦ـ مَن تعلَّمَ القُرآنَ عظُمَتْ قيمَتُهُ، ومن نظَرَ في الفِقْهِ نَبُلَ قدرُهُ، ومَن كتَبَ الحديثَ قويَتْ حجتُهُ، ومَن نظَرَ في اللغَةِ رقَّ طبعُهُ، ومَن نظَرَ في الحسابِ جزُلَ رأيُهُ، ومَن لمْ يصُنْ نفسَهُ لم ينفَعْهُ عِلمُهُ[٥].

٥٠٧ـ يحتـاجُ طالـبُ العلـمِ إلـى ثـلاثِ خِصـالٍ: طـولِ العمُـرِ، وسـعَةِ ذاتِ اليـدِ، والـذكاءِ[٦].

٥٠٨ـ إنـكَ لا تقـدِرُ أنْ ترضـيَ النـاسَ كلَّهـمْ، فأصلِحْ مـا بينَكَ وبيـنَ اللهِ، ثمَّ لا تُبـالِ بالناسِ[٧].

واللهُ تعَالى أعلَمُ.

---

(١) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٤٨).

(٢) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٤٤).

(٣) انظر: «أدب الإملاء» للسمعاني (ص ١٥٦).

(٤) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٤٣).

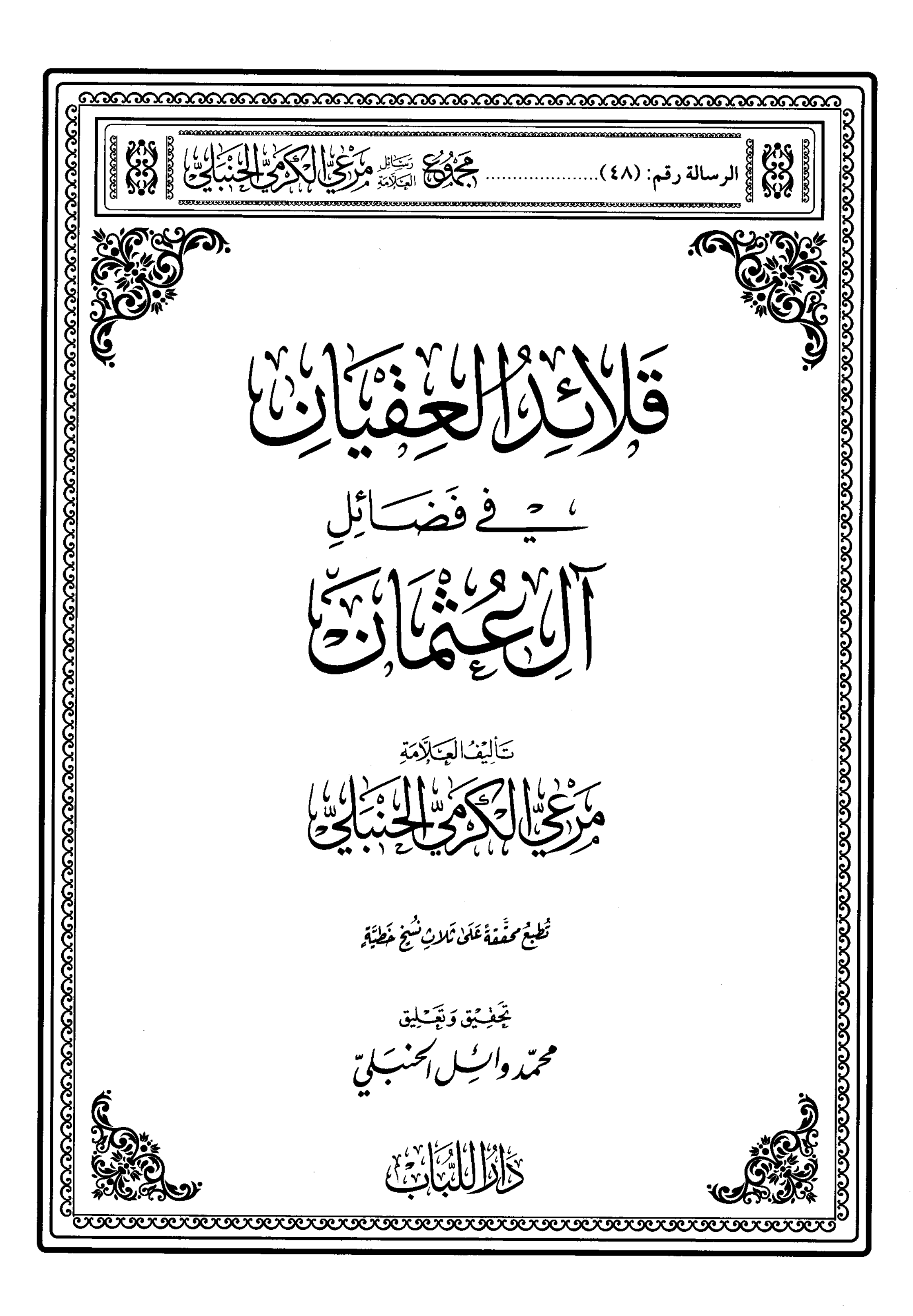
(٥) انظر: «مناقب الشافعي» (١/ ٢٨٢)

(٦) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٤٢).

(٧) انظر: «مناقب الشافعي» (٢/ ١٩٩).

قـالَ مؤلفُـهُ: فرغْـتُ مِـن جمْـعِ هـذِهِ الفوائـدِ فـي شـهرِ رجَـبَ سـنةَ ثمـانٍ وعشـرِينَ وألـفٍ، وصلَّـى اللهُ علَى سـيِّدِنا محمَّـدٍ وعلَى آلـهِ وصحبِهِ وسـلِّمْ صَلاةً وسَـلاماً دائمَيـنِ مُتلازمَينِ إلى يـومِ الدِّينِ، وحسـبُنا اللهُ ونعمَ الوكيـلُ، نعْمَ المولَى ونعـمَ النصِيرُ.

* * *



قلائد العقيان في فضائل آل عثمان

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

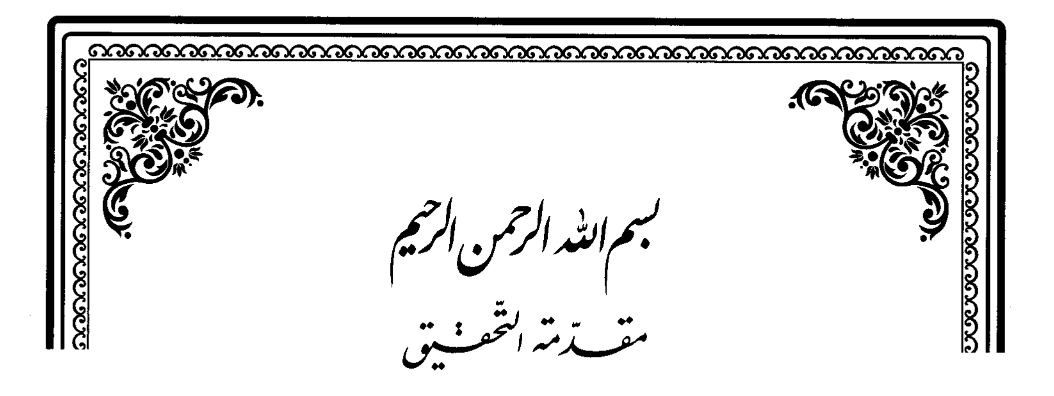
محمد وائل الحنبلي

دار اللباب

مكتبة أسعد أفندي (أ)

مكتبة الخزانة الملكية بالمغرب (ب)

مكتبة شستربتي (ش)



باسم الله، الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبِه ومَن والاه.

وبعدُ:

فهذا كتابٌ مهمٌّ شأنُه، رفيعٌ مكانُه، يَحكي لنا ماضيًا بعيدًا، وتاريخًا مَجيدًا، صاغه فقيهٌ كبيرٌ إمام، ولم يقصَّه علينا حاقدٌ أو حاسدٌ مِن أحد العوام!

قضيتُ نحوًا مِن عشرينَ سنةً وأنا أبحث في تاريخ الدولة العثمانيَّة، مِن مصادر مُؤيِّدِيها ومُعارِضِيها، وجمعتُ حولَ ذلك مراجعَ كثيرة بعدَّةِ لغات، وطفتُ بفضل الله غالبَ المُدن التركية، واطلعتُ على كثيرٍ مِن حضارة العثمانيين ومُشيَّداتِهم، ويومًا بعدَ يوم لا ينقضي عجبي من شدَّة الافتراءِ والتزويرِ الذي وقع على الدولة العثمانيَّة.

ولا يَنقضي عجبي أيضًا كيف يترك العاقلُ -بَلْه المسلمَ- كلامَ الأئمَّةِ المُؤرِّخين، وينقاد لكلامِ قوميٍّ أو كاتبٍ بعيدٍ عن الدِّين؟!

مع ما عُرف عندَ المُشتغلينَ بالتاريخ مِن كثرةِ التحريفِ والتزييفِ، الذي وقع على الدولة العثمانيَّة، والدسِّ الفظيعِ الذي وقع على سلاطينهم وخلفائهم.

ويُمكنني هنا الإتيانُ بشاهدٍ واحدٍ ومثال، يُلخِّص لنا كثيرًا مما كِيد ضدَّ آلِ

عثمان، وما خَفي أَعظم وأَشدُّ، فلا زالت الحقائقُ تتكشَّف ويتَّضِح التاريخُ الأَسَدُّ:

فهذا هو السياسيُّ البريطانيُّ مَرْمَدُوك بِكْتال (ت١٩٣٦م) رحمه الله تعالى، يتبرَّأ مما كان فيه ويُعلن إسلامَه، ويُترجم معاني القرآنِ الكريم للغة الإنكليزية، لتصيرَ ترجمتُه مِن أوائل الترجمات الصحيحة لمعاني القرآن الكريم، لكنك تقفُ مُتعجِّبًا عندما تعلم: أنَّ من أسباب إسلامِه كثرةَ ما رآه في بني قومِه مِن التزوير والدسِّ في تاريخ الدولة العثمانيَّة[1].

وانظر إلى بعضِ ما قاله أئمتُنا السابقونَ عن الدولة العثمانيَّةِ وسلاطينِها على سبيل المثال:

ـ قال الحافظ المؤرِّخ شمسُ الدِّينِ السخاويُّ (ت٩٠٢)[2]: «وكلُّهم مِن خيار مُلوك الدنيا، ومِن محاسن الزمان، وسياجٌ للإسلام قديمًا وحديثًا».

ـ وقال الإمام ابنُ حجرٍ الهيتميُّ (ت٩٧٤)[3] خلالَ كلامِه عن السلطان سليمانَ القانوني: «انفرد هو وجميعُ آبائِه الأكرمِين، مِن بين سائرِ المُلوك والسلاطين، ألا يُبرموا أمرًا إلا بعدَ مُشاورَةِ العلماء العامِلين».

ـ وقال نجمُ الدِّينِ الغزيُّ (ت١٠٦١)[4]: «بيتٌ رَفع الله على قواعده فُسطاطَ السَّلْطنةِ الإسلامية، وقومٌ أَبرز الله تعالى لهم ما ادَّخره مِن الاستيلاء على المدائن

---

(١) انظر كتابَ «مَرْمَدُوك بِكْتال مسلم بريطاني» ترجمة أحمد الغامدي، وروايةَ «أبناءِ النيل» لمَرْمَدُوك بكتال ـ ترجمة سمير محفوظ، و«الموسوعةَ الإسلاميَّة التركيَّة» (٣٤/ ٢٧٠).

(٢) «الضوء اللامع» (١١/ ١٤٨).

(٣) «المناهل العذبة» (ص٢٤).

(٤) «الكواكب السائرة» (١/ ٢٠٩).

الإيمانية، فرَفعوا عمادَ الإسلام وأَعلوا منارَه، وتَواصَوا باتباع السُّنةِ المطهَّرة وعَرفوا للشرع الشريف مِقدارَه»، ونَقَله عنه ابنُ العمادِ الحنبلي (ت١٠٨٩)[1].

ـ قال الإمامُ مَرْعيٌّ الكَرْميُّ الحنبليُّ (ت١٠٣٣) في كتابنا هذا: «ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ: حُسنُ العقيدَة، وارتكابُ الطريقةِ الناجيةِ الحميدَة، جاريـنَ على سَننِ مذهبِ أهل السُّنةِ والجماعة»، وقال نحوَه أيضًا شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ محمدٍ الحمويُّ الحنفيُّ[2] (ت١٠٩٨هـ)، ومُدرِّسُ المسجدِ النبويِّ العلامةُ عبدُ القادر شَلَبي[3].

ـ وقال المؤرِّخ الجَبَرْتيُّ (ت١٢٣٧)[4]: «ولم تَزل البلادُ مُنتظِمةً في سِلْكهم، ومُنقادةً تحتَ حُكمِهم، مِن ذلك الأوانِ الذي استَولَوا عليها فيه إلى هذا الوقت الذي نحن فيه، وكانوا في صدر دَولتهم مِن خير مَن تقلَّد أُمورَ الأُمة بعدَ الخلفاء المَهديِّين، وأشدِّ مَن ذبَّ عن الدِّين، وأَعظمِ مَن جاهد في المشركين؛ فلذلك اتسعتْ ممالكُهم بما فتحه الله على أيديهم وأيدي نُوابهم، ومَلَكوا أحسنَ المَعمُور مِن الأرض، ودانتْ لهم الممالكُ في الطُّول والعرض، هذا مع عدم إغفالهم الأمرَ وحفظَ النواحي والثُّغور، وإقامةِ الشعائر الإسلاميَّة، والسُّننِ المحمديَّة، وتعظيمِ العلماء وأهلِ الدِّين، وخدمةِ الحرمَين الشريفَين، والتمسُّكِ في الأحكام والوقائع بالقوانين والشرائع، فتحصَّنتْ دَولتهم، وطالتْ مُدَّتُهم، وهابتْهم المُلوك، وانقادَ لهم المالكُ والمَمْلوك».

---

(١) «شذرات الذهب» (١٠/ ١٩٨).

(٢) «فضائل سلاطين بني عثمان» (ص١٢٢).

(٣) «الدُّرر الحسان في فضائل سلاطينِ آل عثمان» (ص٣٢).

(٤) «عجائب الآثار» (١/ ٣٧).

ـ وقال مفتي الشام العلامةُ محمود أفندي الحمزاويُّ (ت١٣٠٥هـ)[(١)]: «إنَّ الله تعالى قد أيَّد الإسلامَ وأهلَه مِن أكثر مِن ستِّمائة سنةٍ بمُلوكٍ بني عثمانَ العظامِ، وخصَّهم بمزايا ومنحهم عطايا، فمِن أعظمها مِنحةً مَشكورةً وعطيَّةً مَشهورةً: عراقتُهم وأصالتُهم في السَّلْطنة والمُلْك، حيث قد مَلَك منهم إلى الآن أربعةٌ وثلاثون ملكًا، كلُّ واحدٍ منهم مَلِكٌ ابن مَلِكٍ على نسقٍ واحدٍ، لم يُعلم في الإسلام ولا في الجاهلية مُلوكٌ بهذه المثابة، وهو أمرٌ عجيبٌ، واتفاقٌ غريبٌ، إلى غير ذلك مِن الفضائل».

فأنت ترى كيف شهد هؤلاء بما رأَوا وشاهدُوا، فدعْ عنك قومًا بظنِّهم حَكموا وكَتبوا!

وهذا الكتابُ الذي بينَ أيدِينا هو لأحدِ كبارِ علماءِ الحنابلة، بل لإمامٍ مُحقِّقٍ مِن كبار فُقهائها، وتكمُن أهميَّةُ الكتابِ بعدَّة نُقاطٍ منها:

ـ أنه عاصر أحداثًا مهمَّة قلَّ مَن تكلَّم عليها بدقَّة، مثلَ: عزلِ السلطان مصطفى، وجهادِ السلطان عثمان الثاني.

ـ أنه تكلَّم بتأصيلٍ فقهيٍّ لبعض المسائل الشائكةِ في تاريخ الدولة العثمانيَّة.

ـ أنَّ المؤلِّفَ إمامٌ فقيه، فليس مدحُه جزافًا، ولا رأيُه اعتباطًا، فعلى العاقل المُنصِفِ أنْ يقرأ بنيَّة الانتفاع والاستفادة.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية هي:

النسخة الأولى: نسخة مكتبة شستربتي بإيرلندا، ويَغلب على الظنِّ أنها بخطِّ

---

(١) «البرهان» (ص٢).

المُؤلِّف فرغ منها عام: (١٠٣١)، وفيها زياداتٌ ليستْ في غيرها، ولعلَّ هذه النسخةَ هي الإبرازةُ الثانيةُ للكتاب؛ إذ تاريخُ انتهاءِ التأليفِ فيها متأخِّرٌ عما جاء في غيرها مِن النُّسخ، وجاء في اللوحة الأُولى منها: «رَقَمه بخطه مصنِّفُه الفقير، ورَسمَه بنفسه مؤلِّفُه الحقير، برسم سيِّدنا أعزِّ خواصِّ الحضرةِ السُّلطانية، وأجلِّ جلساءِ الصَّفوةِ الخاقانيَّة، مُعتَمدِ السلاطينِ الكرام، ومُؤتَمَنِ الخواقين العِظام الفِخام، مولانا سليمان آغا، لا زال صاحبَ أسرارِ المُلوك، ساحبَ أذيالِ القَبول في مراتب السُّلوك، مَقبولَ سلطانِ الزمان، مأمونَ إسكندر العصرِ والأوان، آمين آمين»، **ورمزت لها بـ**(ش).

النسخة الثانية: نسخةُ مكتبةِ الخزانة الملكيَّة بالمغرب، مُمتلكات العلامةِ السيِّدِ عبدِ الحيِّ الكتانيِّ رحمه الله، نُسختْ عامَ: (١١١٧)، وقد نسخها عبدُ الرحيم بنُ مَرْعي بنِ يوسفَ بنِ يحيى بنِ يوسفَ بنِ أبي بكرٍ الكَرْميُّ، ويحيى هذا المذكورُ هو شقيقُ المؤلِّف الإمامِ مَرْعي، **وقد رمزتُ لها بـ**: (ب).

النسخة الثالثة: نسخةُ مكتبةِ أسعد أفندي بتركيا، نُسختْ عامَ: (١١٤٣)، **وقد رمزتُ لها بـ**: (أ).

ومِن النُّسخ التي وقفتُ عليها واستعنتُ بها:

ـ نسخةُ مكتبةِ جامعةِ فيينّا بالنِّمسا، تحتَ رقم: (٩٧٩).

ـ نسخةُ مكتبةِ باريس الوطنيَّة بفرنسا، تحتَ رقم: (١٦٢٤). وهي بخطِّ محمد يعقوب بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ يوسفَ الكَرْمي، وهو قريبُ المؤلِّف، فيحيى المذكورُ هو شقيقُ المؤلِّف.

وقد جاء على طرَّتها:

إنْ رُمتَ عيبًا فلا تَعجلْ بسبِّكَ لي ... إني امرؤٌ لستُ معصومًا مِن الزَّلَلِ

ـ نسخةُ مكتبةِ نور عثمانيَّة بتركيا، تحتَ رقم: (٦٠٩)، وهي أيضًا بخطِّ محمد يعقوب بنِ محمدِ الكَرْميِّ قريبِ المؤلِّف.

ـ وكذلك فقد عثرتُ على نسخةٍ خطيةٍ مِن هذا الكتاب مترجمًا إلى اللغة العثمانية، وهي في مكتبة نور عثمانية برقم: (٣٤٠٤).

هذا، وقد حاولتُ جاهدًا الرجوعَ لمصادر المؤلِّف الحديثيَّةِ والفقهيَّةِ والتاريخية وغيرِها، سواءٌ كان ذلك في عِداد المطبوعات أو المخطوطات، واستعنتُ بذلك على إثبات نصٍّ توخَّيتُ فيه الصحَّةَ قدرَ الاستطاعة.

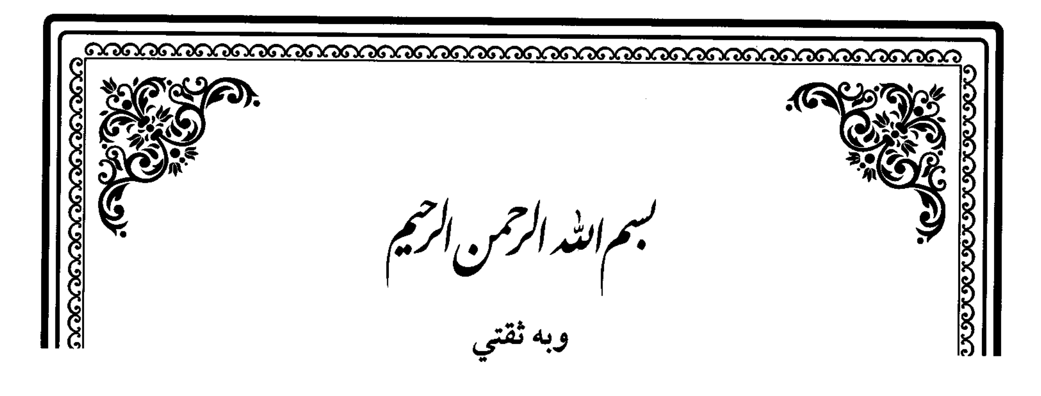
ـ وعَمَدت مِن خلال علاماتِ الضَّبطِ والترقيم ألا أُخِلَّ بالسَّجع الذي نحاه المؤلِّفُ وقصده، وبذلك تحلو قراءةُ الكتاب وتَطرَب الأذنُ بسماعه.

ـ وربطت بينَ الأسماءِ القديمةِ والمُعاصرة لأسماء المُدن والبلدان التي وَرَدتْ في الكتاب، وكَتبتُ بعضَها بالحُروف اللاتينية تسهيلًا للرُّجوع إليها، وتعيينِها على الخرائط المعاصرة.

هذا وإني أَطلب مِن الله التوفيقَ والسَّداد، وأَرجو مِن أهل العلم وطلبتِه إرشادي لأيِّ ملاحظةٍ أو تنبيه، ولهم مني خالصُ الدعاء، ومِن الله الثوابُ والجزاء.

المحقق

***



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مَرْعيُّ بنُ يوسفَ الحنبليُّ المقدسيُّ أحدُ الفقراء المُجاورِينَ بالجامع الأزهر:

حمدًا لك اللهمَّ مُجيبَ الدعوات، ومُقيلَ العثرات، وكاشفَ الكُربات، ومُولي الغُفران...

وشكرًا لك على ما أَوليتَ وواليتَ مِن نِعمٍ مُترادفات، ومِنحٍ مُتكاثِفات، ومِننٍ مُتراكمات، على كلِّ برٍّ وجان، مِن إنسٍ وجان.

فسبحانَه ما أعظم شانَه، وأجزلَ إحسانَه؛ لِما أَولاه ووالاه، مِن فواصِل العَدل وسوابغِ الامتنان.

لم يزل رحيمًا رحمان، حليمًا منّان، مَليكًا ديان، قاهرًا سلطانُه كلَّ سلطان، مَمنُوحًا إحسانُه لكلِّ إنسان.

يُؤتي المُلْكَ مَن يشاء، ويَنزِع المُلكَ ممن يشاء، ويُعزُّ مَن يشاء، ويُذلُّ مَن يشاء، لا إله إلا هو كلَّ يومٍ هو في شان[1].

---

(١) جاءت المقدِّمةُ في (أ) و(ب) وغيرِها: «الحمدُ للهِ الرَّحيمِ الرحمن، الحليمِ المنّان، المَلِكِ الديّان، القاهرِ سلطانُه كلَّ سلطان، المَمْنوحِ إحسانُه لكلِّ إنسان، يُؤتي المُلْكَ مَن يشاءُ، ويُعزُّ مَن يشاءُ، لا إله إلا هو كلَّ يومٍ هو في شان».

والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ مِن أشرَفِ قحطانَ وعدنان، والمرسَلِ إلى الإنسِ والجان، الحائزِ أُمَّتُه الخلافةَ والمُلْكَ والرِّفعةَ والشان.

وعلى آله وأصحابِه وخلفائِه أبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ وعثمان، ما اصطفَّتِ الصُّفوفُ وبرَقَت السِّيوفُ ولمعَت السِّنان، وقامَ الكِفاحُ وتلاطمَ الرِّماحُ وخفقَت راياتُ آلِ عثمانَ، يومَ حربٍ وطِعان.

وبعدُ:

فهذه مفاخرُ يلَذُّ بمَعانِيها مُعانِيها[1]، ومآثرُ يَطمئنُّ بما فيها مُوافِيها، تُتحِفُك بالأخبارِ العَجيبة، وتُوقِفُكَ على الأسرارِ الغَريبة، وتَجلو عليكَ مِن الخرائدِ[2] الحسانِ أَوجُها، وتُدني إليكَ مِن الفوائدِ شُموسًا طالما سما بها أَوجُها[3].

ذَكرتُ فيها مفاخِرَ سلاطينِ آلِ عثمان، ومآثرَ أساطينِ مَن فاقوا بني ساسان، الوارِثينَ الخلافةَ والمُلْك، سلاطينِ العربِ والعَجمِ والرُّومِ والتُّرك، على أسلوبٍ حسَنٍ، ومِنوالٍ يُستَحسَن، وستَقرُّ به بعدَ التأمُّلِ العَينان، وليس الخَبرُ كالعِيان.

وعُذْرِي في هذا التصنيفِ واضحٌ، والعارِفُ بالحالِ مُغتفِرٌ مسامِح.

وأيضًا فلم أُسبَق[4] إلى ذلك بمؤلَّفٍ، ولم أظفَرْ في شأنِ ذلكَ بمصنَّفٍ، ولا خِلٌّ مُسعِفٌ ولا مُوادّ، ولا كُتبَ عندي ولا مَواد، وأنا الفاتحُ فيما أظنُّ لهذا الباب، والرافعُ لذلكَ النِّقاب.

---

(١) أي: مَن تعب لتَحصيلِها.

(٢) الأصل في الخريدة هي: الجاريةُ الحيية التي لم تُمس ولم تُعرف، فيُشبِّهون الفوائدَ الخفيَّة بها.

(٣) الأوج: العلوُّ، والمرتبةُ العالية، انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/ ١٣٧).

(٤) في (أ) و(ب): «لأني لم أُسبق».

وكأني بمَن يأتي بعدِي فيَضعُ له تأليفًا على منوالِه، وتصنيفًا على شكلِ مِثالِه، ويَزيدُ على ما يُريد بعدَ معرفةِ الطريقِ، لا سيَّما إنْ كان خاليًا مِن التعويق، ويَنسى المثَلَ السائرَ في قول القائل[١]:

ولـو قَبـلَ مَبكاهـا بكَيْـتُ صبابـةً إذًا لشَـفيتُ النَّفـسَ قبـلَ التنَـدُّمِ
ولكـنْ بكَـتْ قَبـلي فهَيَّـج لي البُـكا بُكاهـا فقلـتُ: الفَضْـلُ للمُتقَـدِّمِ

وسمَّيتُه:

«قلائدَ العِقيان في فضائلِ آلِ عثمان»

خدمتُ[٢] به حضرةَ سيدِنا فخرِ النُّدماء المُقرَّبين، وشرفِ الأعزاء المُكرَّمين، ومُؤتَمنِ المُلوك والسلاطين، نُورِ حَدَقةِ الوُجود، ونَورِ[٣] حَدِيقة الجُود، دُرَّةِ إكليل الدولة الزاهِرة، وغُرَّةِ جبينِ السعادة الباهِرة، صاحبِ إفضال الخيرات، ساحبِ أذيالِ المبرّاتِ والصدقات، ما علم أحدٌ أنَّ جُودَه عن أحدٍ احتجب، وهو البحرُ فحدِّثْ عنه ولا عَجب، لا وسيلةَ إلى فِطان شيمِه، ولا حاجبَ لدَيه إلا لسانُ كرمِه...

كيف لا؟! وقد أُوتي مِن الجُود ما طَوى به أحاديثَ الكُرما، وأَنسى كعبَ بنَ مامةَ[٤] وابنَ ماءِ السَّما[٥]، وهو كسيلٍ تدفَّق مِن غير سَما.

تعـوَّد بسـطَ الكـفِّ حتـى لـوَ انَّـه أراد انقـباضًـا لـم تُطعْـه أناملُـه

---

(١) البيتانِ لعديِّ بنِ الرِّقاع العامِلي، انظر: «ديوانه» (ص٢٦٦).

(٢) مِن هنا إلى قوله: «مقدِّمة في فضل السلطان» ليس موجودًا في (أ) و(ب).

(٣) النَّور: الزَّهْر.

(٤) كعب بن مامَة الإيادي، جاهلي يُضرب به المثلُ في الكَرَم، انظر: «الأعلام» (٥/ ٢٢٩).

(٥) هو عامر بنُ حارثَةَ الأزدي، يُلقَّب بماء السماء لجوده، انظر: «الأعلام» (٣/ ٢٥٠).

ولـو لـم يكـن فـي كفِّـه غيـرُ نفسِه لـجـاد بــها فليتَّـقِ اللـه سـائلُه[١]

مولانا سليمان آغا[٢] دارِ السَّلْطنة والسعادة، واليُمنِ والسِّيادة، الدارِ التي لثمتْ ترابَ أعتابها أفواهُ الفراعنة والجبابرة، وخَضعتْ لدى أبوابِها أعناقُ الأكاسرة والقياصرة، وإني وإنْ كنتُ لم أُشاهد طلعتَه اللطيفة، ولم أَصِلْ إلى حضرته الشريفة، لكن الصفاتُ العاطرة، والمناقبُ الزاهرة، إذا مرَّتْ نسماتُها على الأسماع، هَيَّجت القلوبَ طربًا بالسماع، وحرَّكت الأقلامَ إلى رسم الأرقام.

ويُستدَلُّ على علوِّ كمالِه، وسُموِّ إفضالِه، بكمال المَنسوبين إليه، وجلالِ المُقرَّبينَ لدَيه، وجمالِ أوصاف مَن أكثر مِن عشرته والاجتماعِ عليه، لا سيما حضرةِ سيدِنا صاحبِ السعادة والإجلال، ساحبِ أذيال السيادة والإقبال، أعزِّ أُمراء الألوية السُّلْطانيَّة، وأجلِّ كبراءِ الصَّناجِق الخاقانيَّة[٣]، ودفتردارِ[٤] مَمْلكةِ[٥] الديار المصريَّة، صاحبِ السَّيفِ والقلم، والعِلم والعَلَم، مَن شُكِرتْ في الدولة مساعيه الحسنة، واتفقتْ على جميل وصفِه الآراءُ والألسنة، وقامت الأدلَّةُ على وُجوب استحقاقِه، والبراهينُ على حُسن تصرُّفِه في إرفاده وإرفاقِه، ورُفعتْ رُتبةُ

(١) البيتانِ مِن قصيدةٍ لأبي تمام يمدح بها المعتصم، انظر: «شرح ديوان أبي تمام» (٢/ ١٥).

(٢) ورد ذِكرُه في «المنح الرحمانية» (ص٣٨٠).

(٣) الصَّناجِق: بمعنى حامل العلم، انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٦/ ٤٧٠).

والخاقان: لقبٌ لكلِّ ملكٍ مِن مُلوك التُّرك، انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٢٤٨).

(٤) الدَّفتَرْدار: بمعنى مُمسك الدفتر، وهي مِن أرفع مناصب الشؤون المالية زمنَ الدولة العثمانية، يُعادلها في زماننا: (وزير المالية)، وانظر: «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» (ص١١٣).

(٥) في (ش): «المملكة».

سعدِه فأَضحى غُصنُ مجدِها مُزهِرًا، وعلتْ منزلتُه في مجدِ الارتقاء وإنا لنبغي فوقَ ذلك مَظهَرًا؛ حتى يصيرَ حامي حِمى الإسلام بالديار المصريَّة، ومشيِّدَ تُخوتِ العَدل بالأقطار اليُوسفيَّة، عالي المَقام والمِقدار، مولانا حسن أفندي قائمِ مقام ودفتردار[1]، أكملِ مَن اتصف بالعظمة والشان، وأفضلِ مَن يُنسب لسليمانَ الزمان.

ومِن حسنٍ تبدو المحاسنُ كلُّها   وكم لسليمانِ الزمانِ مناقبُ

فكفى سليمانَ الزمانِ شرفًا نِسبةُ الحُسنِ إليه، وذلك مما يُستدلُّ بالكمال والجلال عليه.

جدَّدَ الله تعالى لدَولتِه القاهرةِ كتائبَ وجُنودًا، ولسطوته الباهرةِ التي إذا نُشرتْ كانت أعلامًا وبنودًا، وأمدَّها بمعرفته التي إذا عُدتْ كانت بحرًا ممدودًا، ولا زالتْ كواكبُ سعودِه زاهرةَ المطالع، ومواكبُ جُنودِه قاهرةَ الطلائع، آمين.

فأقول وبالله المستعان، ومنه أرجو العفوَ والغفران، لا أَرجو ولا ربَّ غيرُه، ولا مأمولَ إلّا خيرُه:

---

(١) وَرَد ذِكرُه في «المنح الرحمانية» (ص٣٥١).

مقدِّمةٌ في فضلِ السُّلطان

اعلَمْ أيَّدك الله تعالى: أنَّ وِلايةَ أُمورِ الناسِ مِن أعظَمِ واجباتِ الدِّينِ، بل لا قيامَ للدِّينِ والدُّنيا إلا بها، ولولاها لتعطَّلَتْ شرائعُ الدِّينِ، واختلَّ نظامُ المسلِمين، بلْ نظامُ العالمِ بسببِ فسادِ بني آدم.

ولذلك قدَّمَ الصحابةُ رضي الله عنهم أمرَها على دفنِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتنازَعُوا وتشاوَروا في أمرِ الخلافة حتى وَقعَ الاتِّفاقُ على خلافةِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ تعالى عنه، فالقائمُ بها قائمٌ بأعظمِ واجباتِ الدِّين، وأهمِّ مصالحِ المسلِمين.

رَوى أبو الشيخِ[1] عن أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي اللهُ تعالى عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «السُّلطانُ العادِلُ المتواضِعُ ظلُّ اللهِ ورحمَتُه في الأرضِ، يُرفَعُ له عملُ سبعينَ صدِّيقًا».

ورَوى البيهقيُّ[2] عن أنسٍ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «السلطانُ ظلُّ اللهِ في الأرض، فمَن غشَّهُ ضلَّ، ومَن نصحَه اهتَدى».

ورَوى أبو الشيخِ[3] عن أنسٍ أيضًا عن النبيِّ ﷺ: «السلطانُ ظلُّ اللهِ في الأرضِ، فإذا دخلَ أحدُكم بلدًا ليس به سلطانٌ فلا يُقيمَنَّ به».

ورَوى ابنُ النجَّارِ[4] عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «السلطانُ

(١) عزاه في «الجامع الصغير» لأبي الشيخ، وحكم عليه في «المُدواي» (٤/ ٢٧٠) بأنه باطلٌ منكرٌ، وفي «العلل» لابن أبي حاتمٍ (٦/ ٥٩١): «قال أبو زرعة: هذا حديثٌ منكر».

(٢) «شعب الإيمان» (٩/ ٤٨١) عن أنس موقوفًا، وهو موضوعٌ.

(٣) كذا في «الجامع الصغير» وفيه ضعفٌ، انظر: «فيض القدير» (٤/ ١٤٣).

(٤) «ذيل تاريخ بغداد» (٢/ ١٠٦) وفيه نكارةٌ وضعفٌ، وأما قولُه: «ومَن أكرم سلطانَ الله إلخ» فرواه =

ظلُّ اللهِ في الأرضِ، يأوي إليه الضعيفُ، وبه يَنتصِرُ المظلومُ، ومَن أكرمَ سلطانَ اللهِ في الدنيا أكرمَه اللهُ يومَ القيامةِ».

ورَوى البيهقيُّ[١] عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «السلطانُ ظلُّ اللهِ في الأرضِ، يأوي إليهِ كلُّ مظلومٍ مِن عبادِه، فإنْ عدلَ كان له الأجرُ، وكان على الرَّعيَّةِ الشُّكرُ، وإنْ جارَ أو خانَ أو ظلَمَ، كان عليه الوِزرُ، وكان على الرَّعيَّةِ الصبرُ».

ويُقال: «ستونَ سَنةً مِن إمامٍ جائرٍ أَصْلحُ مِن ليلةٍ واحدةٍ بلا سُلطانٍ»[٢].

ولهذا كان السلفُ الصالحُ كالفُضيلِ بنِ عياضٍ والإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرِهما يقولون[٣]: «لو كان لنا دعوةٌ مُستجابةٌ لدَعونا بها للسلطان؛ لأنَّ في صلاحِه صلاحَ المسلِمين».

أَصلَحَ اللهُ حالَ سلطانِنا وسائرَ سلاطينِ المسلِمين، وجعلهم لأَمره منقادِين، وتحتَ طاعتِه داخلين، ولأَوامرِه ومراسمِه مُستسلِمين، آمين.

إذا تقرَّرَ هذا فلنشرعْ في المُراد، وعلى الله الهدايةُ إلى سبيل الرَّشاد.

اعلَم أيَّدكَ الله تعالى: أنَّ سلاطينَ آلِ عثمانَ وفخرَ مُلوكِ الزمانِ، لهم

= أحمدُ عن أبي بكرةَ في «المسند» (٣٤/ ٧٩) وفيه ضعفٌ.

(١) «شعب الإيمان» (٩/ ٤٧٦) وقال عقبَه: «سعيدُ بنُ سنانٍ ضعيفٌ عندَ أهلِ العلم بالحديث»، واتهمه بعضُ الحفاظِ بالوضع، ورواه البزار في «مسنده» (١٢/ ١٧)، وقال في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٦): «رواه البزارُ وفيه: سعيدُ بنُ سنانٍ، وهو متروكٌ».

(٢) ذكره هكذا ابنُ تيميةَ، انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء»: ٨/ ٩١، و«مجموعَ الفتاوى» لابن تيمية: (٢٨/ ٣٩١).

فضائلُ عديدةٌ، وخصالٌ حَميدةٌ، وقوانينُ عَجيبةٌ، وسياساتٌ غَريبةٌ، في غايةِ النظامِ ونهايةِ المَرام، وفضائلُهم أشهرُ مِن أنْ تُذكَر، وأكثرُ مِن أنْ تُحصَر.

وهم أجلُّ مُلوكِ الدُّنيا على الإطلاقِ وأكبر، وأفضَلُهم في سُبل الخيراتِ وأَكثر، وخصائلُهم لا تُنكر، وفضائلُهم لا تُستنكَر، ومفاخِرُهم أَسنى مِن الشمسِ والقمر.

***

[أصلُ آلِ عثمانَ ونسبُهم]

فمِن مفاخرِ سلاطينِ بني[1] عثمانَ المشكورَة، ومآثرِهم المشهورَة:

العراقَةُ في السَّلْطنةِ والمُلْك، والشرفُ في الحسَبِ والنسَب؛ فإنَّ جدَّهُم عثمانَ الأعلى: هو عثمانُ الغازي بنُ أَرْطُغْرُل بنِ سليمان شاه.

وسليمانُ شاه[2] هذا كان سلطانًا بالمشرقِ في بلاد ماهان[3] قريبًا من مدينةِ بَلْخٍ[4].

وأصلُه مِن التُّركمانِ[5] الرحَّالةِ النزَّالةِ مِن طائفة التتار.

ويتَّصِلُ نسبُه إلى يافثَ بنِ نوحٍ عليهِ السلام[6]،........................

---

(١) ستتكرَّر هذه العبارةُ إلى آخر الكتاب، وقد جاءتْ في (أ) و(ب): «آل عثمان».

(٢) شاه معناه: مَلِك، ولكنه إذا جاء بعدَ الاسمِ فإنه يعني السيِّد، كما أنَّ مُسلِمي الهند وباكستان يُطلقونه على أولاد فاطمةَ للتعظيم، نقلتُه مِن هوامش «تاريخ الدولة العلية العثمانية» (ص١١٥).

(٣) جاء في «نهر الذهب» للغزي (١/ ٣٧٦): «وفي سنة: ٦١١ كان السلطان سليمانُ شاه جدُّ الأُسرة العثمانية قد فارق بلادَ ماهان، جافلًا مِن التتار هو ومَن معه مقبلًا إلى السلجوقية؛ ليتوطَّنَ في بلادها، فقصد جهةَ حلب مِن ألبستان هو ومَن معه، فوَصلوا إلى نهر الفرات أمامَ قلعة جَعْبر، ولم يَعلموا المعْبرَ فعبروا النهرَ فغلب عليهم الماءُ فغرق سليمانُ شاه، فأخرجوه ودَفنوه عندَ القلعة».

(٤) مدينة بَلْخ: تقع الآنَ في شمال جمهوريةِ أفغانستان.

(٥) التُّرْكُمان: جيلٌ مِن التُّرك، سُمُّوا به لأنه آمن منهم مئتا ألفٍ في شهرٍ واحد، فقالوا: تُرْكُ إيمانٍ، ثم خُفِّف فقيل: تُرْكُمان، كذا في «القاموس المحيط» (ص١٠٨٢).

(٦) وساق هذا النسبَ صاحبُ «أطلس تاريخ الدولة العثمانية» (ص٧٤)، إلا أنَّ المؤرِّخَ الدكتور أحمد آقْ كُونْدُوز يرى هذا مِن الأساطير الشعبية، انظر: «الدولة العثمانية المجهولة» (ص٤٩)، والله أعلم.

كذا قال الشيخُ القُطْبيُّ[١] صاحبُ «تاريخ مكة»[٢].

وقال[٣]: «إنه لما ظَهر جنكيز خانُ وأَخربَ بلادَ بلخٍ، خَرج سليمانُ شاه بخمسينَ ألفَ بيتٍ إلى أرضِ الرُّومِ فغرِقَ بالفرات[٤].

فدَخلَ ولدُه أَرْطُغْرُلُ أرضَ الرُّوم، فأَكرَمه سلطانُها السلطانُ علاءُ الدِّينِ السلجوقِيُّ سلطانُ الرُّوم[٥].

فلما ماتَ أَرْطُغْرُلُ خلَّفَ أولادًا أمجادًا[٦]، وفُرسانًا جِيادًا[٧]، وكان أشدُّهُم بأسًا، وأعلاهُم همَّةً ومِراسًا: عثمان، فنشأَ مُولَعًا بالقتال، والطَّعْنِ والنِّزال، والجهادِ في أهل الكفر والضَّلال.

فلما أَعجَبَ السلطانَ علاءَ الدِّين السَّلْجوقيَّ ذلك منه[٨]، أَرسلَ إليه الرّاية

---

(١) تحرَّفتْ في بعض النسخ إلى: «القرطبي»! والقُطْبيُّ: هو الفقيه المؤرِّخ قطبُ الدِّينِ محمدُ بنُ أحمدَ النَّهروالي (ت٩٨٨)، انظر: «الأعلام» (٦/ ٦).

(٢) «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (ص٢٦٤).

(٣) «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (ص٢٦٥).

(٤) الذي في «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (ص٢٦٥): «فغَرِق بفرسه».

(٥) وكان سببُ إكرامِ السلطان علاءِ الدين لأَرْطُغرلَ مساعدتَه له في أحد معاركه، وانتصارُ السلاجقة بعدَ ذلك.

(٦) تَذكر المصادرُ ثلاثةَ أولادٍ لأَرْطُغْرُل: كُونْدُوز، وصاري باطي أو صاوْجِي بِك، وعثمان.

وقد أَكرم الله الأَخوين الأَوَّلينِ بالشهادة في الحُروب مع الصليبِيِّين، انظر: «الدولة العثمانية» لأُوزْتُونا: (١/ ٩٢).

وكُونْدُوز معناه: النهار، وصاري: الأصفر، وباطي: الرَّجل القوي، وصاوجي: المُبشِّر.

(٧) «فرسانًا جيادًا» مِن النسخة: (ش) فقط، وليست في «الإعلام».

(٨) تنبيه: مرَّ معنا علاقةُ السلطانِ علاءِ الدِّين السَّلْجوقيِّ بالقائد أَرْطُغْرُل، ثم جاء هنا علاقةُ السلطانِ =

السُّلطانيَّة والطَّبلَ والزَّمْر، فلمّا وَصلَت النَّوبةُ إليه، وضُرِبتْ بينَ يديه، قامَ تعظيمًا على قدمَيه، فصارَ قانونًا مستمِرًّا لآلِ عثمانَ إلى الآن، يقومونَ عندَ ضربِ النَّوبة.

ثم بعدَ ذلك تمكَّنَ عثمانُ مِن السَّلْطنةِ وافتتحَ مِن الكفَّارِ عدَّةَ قلاعٍ وحُصون(١)».

وقال صاحبُ(٢) كتابِ «دُررِ الأثمانِ في أصلِ مَنبعِ آلِ عُثمان»(٣): «إنَّ أصلَهم مِن صميمِ عربِ الحجازِ»(٤).

= علاءِ الدين السَّلْجوقيِّ مع عثمانَ بنِ أَرْطُغْرُل، ومِن خلال مراجعةِ كُتب التواريخ وتحديدِ العلاقةِ بالتاريخ اتضح ما يلي:

ـ السلطان علاء الدين السَّلْجوقي الذي كانتْ علاقتُه بأَرْطُغْرل مِن خلال معركة (ياسي جِمن) التي وقعت عامَ: (٦٢٧) هو علاءُ الدينِ كيقُباذُ بنُ كيخسرو بنِ قِلِج (ت٦٣٤)، انظر: ترجمتَه في «السير» (٢٣/ ٢٤).

ـ أما السلطانُ علاءُ الدينِ الذي سَلْطن عثمانَ بنَ أَرْطُغْرُل فهو علاءُ الدين كيقُباذ الثالث (ت٧٠١)، انظر: «أطلسَ التاريخِ العربي الإسلامي» (ص٢٢٢)، وهو أمرٌ مهمٌّ يَحسُن التنبيهُ له، والإشارةُ إليه.

(١) وصلتْ مِساحةُ الإمارةِ التي تركها عثمانُ بعد وفاتِه نحوًا مِن: ١٦٠٠٠كم٢، مع أنَّ تركتَه الشخصيةَ كانت عبارةً عن: قِطعةِ قُماشٍ كان يعتمُّ بها، وثوبٍ واحدٍ يَلْبسه، وحذاءٍ ومِسْبَحة، وسيفٍ ودِرْعٍ ورُمحٍ وخُرْجٍ لفرسِه، ومِرشَّةِ مِلْحٍ وأداةٍ لحَمْلِ مِلْعقتِه، وبعضِ الخيول وعدَّةِ خرافٍ كانت للضِّيفان. انظر: «تاريخَ الدولةِ العثمانية»: لأُوزْتونا (١/ ٦٢)، و«سلاطينَ الدولةِ العثمانية» لصالح كولن: (ص٨).

(٢) هو محمد بن أبي السُّرور محمد البكريُّ الصدِّيقي المصري (ت١٠٢٨)، انظر: «الأعلام» (٧/ ٦٢).

(٣) «دُرر الأثمان في منبع آل عثمان» (ق١٨/ ب)، وقد تمكَّنتُ مِن الرجوع إلى هذا النصِّ في مخطوطة الكتاب بمكتبة (جوتا) بألمانيا برقم: (١٦١٤)، عبرَ موقعِهم على الشبكة العنكبوتيَّة.

(٤) وهذا القولُ قد نقله مؤلِّفُ «درر الأثمان» (ق١٨/ أ) عن غيره، فقد قال قبلَ عبارتِه هذه: «وقد نقل الثقاتُ مِن المؤرِّخينَ كشيخ الإسلام ابنِ حجرٍ وغيرِه»، ثم ساقها. =

قال[١]: «وزادَ جماعةٌ مِن أهلِ التاريخِ: إنه مِن المدينةِ الشريفة[٢]، وإنَّ عثمانَ جدَّهم الأعلى هاجرَ مِن الحجازِ مِن الغلاءِ إلى بلاد قَرْمان[٣]، واتَّصلَ بأتباعِ سُلْطانِها في سنةِ: خمسينَ وستِّمئةٍ، وتزوَّجَ مِن مدينةِ قُونيا».

فتلخَّصَ مِن مجموعِ ما تقدَّم:

ـ أنَّ لهم عراقةً في السَّلْطنةِ والمُلْكِ مِن قبلِ دُخولِهم إلى بلاد الرُّوم.

ـ وأنَّ لهم عراقةً في الحسَبِ والنَّسبِ؛ إذ هم مِن العرَبِ، وخيرُ الناس العربُ كما ذكرتُ إيضاحَ ذلك في كتابي الذي سمَّيتُه: «العجب في فضل العرب وشرف العِلم على شرف النَّسب»[٤].

ورَوى الطبرانيُّ والبيهقيُّ وأبو نُعيمٍ[٥] عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنه قال:

= وكلامُ الحافظ ابنِ حجرٍ هذا في كتابه «إنباء الغَمْر» (١/ ٤٨٤) ضمنَ ترجمتِه للسلطان مراد الأول، ونصُّه: «يقال: إنَّ أصلَهم مِن عرب الحجاز»، وكذلك نقل هذا القولَ المُؤرِّخُ المقريزيُّ في «درر العقود الفريدة» (١/ ٤٣٩)، والحافظُ السخاويُّ في «الضوء اللامع» (١١/ ١٤٨).

ويقول المؤرِّخُ الدكتور أحمد آقْ كُونْدُوز في «الدولة العثمانية المجهولة» (ص٤٩): «هذا لا يَملك قيمةً علمية».

(١) «درر الأثمان في منبع آل عثمان» (١٨/ ب) وما بعدَها.

(٢) وقال المؤرِّخ ابنُ إياس في «بدائع الزهور في وقائع الدهور» (٥/ ٣٦٤) عن عثمان: «إنَّ أصلَه مِن عرب الحجاز، مِن وادي الصفراء بالقُرب مِن المدينة النبوية»، ولا يثبتُ كما مرَّ.

ووداي الصفراء: بينَ المدينةِ وبدر، انظر: «المعالم الأثيرة في السنة والسيرة» (ص١٥٩).

(٣) قربَ مدينة آفيون وكُوتاهية بتركية، انظر: «أطلس تاريخ الدولة العثمانية» (ص٦٨).

(٤) الرسالة عُرفت باسم: «مسبوك الذهب في فضل العرب، وشرف العلم على شرف النسب»، وهي مطبوعة ضمن هذا المجموع.

(٥) «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٥٥)، «شعب الإيمان» (٣/ ١٥٨)، «دلائل النبوة» (١/ ٥٨)، وقال في =

قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ خلقَ الخلْقَ، فاختار مِن الخلقِ بني آدم، واختارَ مِن بني آدمَ العربَ، واختارَ مِن العربِ مُضرَ، واختارَ مِن مضرَ قُريشًا، واختارَ مِن قريشٍ بني هاشمٍ، واختارَني مِن بني هاشمٍ، فأنا مِن خيارٍ إلى خيارٍ».

وقد تقدَّم مِن كلام صاحبِ «دُررِ الأثمان»: أنَّ سلاطينَ بني عثمانَ أصلُهم مِن صميمِ عربِ الحجازِ، فهؤلاءِ القومُ الكرام، والسلاطينُ الفخام، قد جمعوا هِزَّةَ[1] العربِ إلى عِزَّة العَجم، وضمُّوا تهليلَ السيفِ إلى صريرِ القلمِ، وملأ صيتُهم الخافقَين بينَ جميعِ الأُمم.

***

= «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٥): «رواه الطبرانيُّ وفيه: حمادُ بنُ واقدٍ وهو ضعيف يُعتبر به، وبقيَّةُ رجالِه وُثِّقوا»، وفي «العلل» (٦/ ٤٠٢) لابنِ أبي حاتم: «قال أبي: هذا حديثٌ منكر».

(١) الهِزَّة: بمعنى النَّشاط، كما في «القاموس المحيط» (ص٥٢٩).

[تعدادُ سلاطينِ آلِ عثمانَ إلى زمن المؤلِّف]

ومِن مفاخر سلاطين بني عثمانَ:

أنه قد وَلي منهم السَّلْطنةَ خمسةَ عشرَ سُلطانًا[1]، كلُّ واحدٍ منهم ابنُ السلطان الذي قبلَه على نسقٍ واحدٍ، ولا أَعلمُ في الإسلامِ ـ بل ولا في الجاهليَّةِ ـ مُلوكًا بهذه المثابةِ، وهو أمرٌ عجيبٌ، واتِّفاقٌ غريبٌ لم يقَع لغيرِهم مِن المُلوك[2].

ولا يرِدُ مولانا السلطان مصطفى أكرمه الله تعالى، أخو مولانا المرحوم السلطانِ أحمدَ؛ لأنَّ مدَّتَه كانت قصيرةً نحوَ ثلاثةِ أشهرٍ، فكأنه لم يَلِ.

وها أنا أَذكرُ سلسلةَ نسبِهم الطاهر، وحسبِهم الفاخر:

فهذا[3] سلطانُ عصرِنا أعظمُ سلاطينِ الدنيا سطوةً وسلطانًا، وأفخرُ مُلوكِ الأرضِ عظمةً وشانًا، وأقواهم حجَّةً وبرهانًا، وأمضاهم سيفًا وسِنانًا، وأعلاهم مكانةً ومكانًا، حامي حمى الملَّة والدِّين، إمامُ الغزاةِ والمجاهدين، ناشرُ جناحِ العدلِ في العالمين، المُفتخِرُ على سلاطين الدنيا بفخامة مملكةٍ تردُّ الأبصار حَسْرى، وسريرِ سَلْطنةٍ إذا استوى عليه أحيا ذِكرَ السلفِ الصالح وأَمات ذِكرَ كسرى، وارثُ الخلافةِ

---

(١) هذا إلى زمن المؤلف رحمه الله تعالى، وإلا فقد حَكم منهم: (٣٦) سلطانًا، رحمهم الله تعالى.

(٢) وذَكر نحوَ ذلك مفتي الشام العلامةُ المفسِّر محمود أفندي الحمزاوي (ت١٣٠٥هـ) في رسالته «البرهان» (ص٢)، فإنه قال: «إنَّ الله تعالى قد أيَّد الإسلامَ وأهلَه مِن أكثر مِن ستمائة سنةٍ بمُلوكِ بني عثمانَ العظامِ، وخصَّهم بمزايا ومنحهم بعطايا، فمِن أعظمها منحةً مشكورةً وعطيةً مشهورةً: عراقتُهم وأصالتُهم في السَّلْطنة والمُلْك، حيث قد مَلَك منهم إلى الآن أربعةٌ وثلاثون ملكًا، كلُّ واحدٍ منهم مَلِكٌ ابن مَلِكٍ على نسقٍ واحدٍ، لم يُعلم في الإسلام ولا في الجاهلية مُلوكٌ بهذه المثابة، وهو أمرٌ عجيبٌ، واتفاقٌ غريبٌ، إلى غير ذلك مِن الفضائل».

(٣) مِن هنا إلى قوله: «مولانا السلطان عثمان...» زيادةٌ مِن (ش).

والمُلْك، سلطانُ العربِ والعجمِ والرُّومِ والتُّرك، مَن وَرِث المُلْكَ لا عن كَلاله، وأتاه يجرُّ أذيالَه، ولم يكُ يَصلح إلّا له، وهو الذي وجَّه عِنان العناية لحماية الإسلام بشهادة الإجماع، وتلك شهادةٌ صادقةٌ لا يَتطرَّق إليها النِّزاع، القائمُ بنفل الجهاد وفرضِه، الصادقُ عليه قولُه ﷺ: «السلطانُ ظلُّ الله في أرضه»، مَعدِنُ العدلِ والفضلِ واليُمنِ والأمان، المُمْتثِلُ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾:

مولانا السلطانُ عثمانُ ابنُ السلطانِ أحمدَ ابنِ السلطانِ محمدِ ابنِ السلطانِ مُرادِ ابنِ السلطانِ سَليمِ ابنِ السلطانِ سُليمانَ ابنِ السلطانِ سَليمٍ فاتحِ مصرَ والشامِ ابنِ السلطانِ بايزيدَ ابنِ السلطانِ محمدٍ أبو الفتوحاتِ فاتحِ القُسطنطينيَّةِ ابنِ السلطانِ مرادِ ابنِ السلطانِ محمدِ ابنِ السلطانِ يِلْدرِم بايزيدَ ابنِ السلطانِ مرادٍ الشهيدِ ابنِ السلطانِ أُورْخانَ ابنِ السلطانِ عثمانَ.

أولئكَ آبائي فجِئْني بمثْلِهم ... إذا جمَعَتْنا يا جريرُ المجامِعُ[1]

شعر:

نَسَبٌ كستْه الشمسُ في وقتِ الضُّحى ... نورًا ومِن فَلَقِ الصَّباحِ عَمُودا

ما فيه إلا سيِّدٌ مِن سَيِّدٍ ... حاز المفاخِرَ والعُلا والجُودا[2]

فهذا الاتِّفاقُ العجيبُ، على هذا الشكلِ الغريب، لم يتَّفِق لمُلوكٍ غيرِهم لا مِن بني أُميَّةَ ولا مِن بني العبَّاسِ، بل ولا مِن سائر مُلوكِ الناس، بل ولم يقعْ ما يقارِبُه إلّا ما وَقعَ لخلفاءِ مصرَ الفاطميين[3]، فإنه قد وَلِي منهم:

---

(١) البيتُ مِن قصيدةٍ للفرزدق، انظر: «ديوانه» (ص٣٦٠).

(٢) البيت الأول لأبي تمام انظر: «ديوانه» (١/ ٢٢٠)، وأنشد البيتَينِ الدميريُّ في «النجم الوهاج» (١/ ٢٠٩).

(٣) هذا في زمن المؤلف عامَ: (١٠٣٠هـ) رحمه الله، وإلاّ فسلاطينُ آلِ عثمان حكموا بعدَ ذلك =

الآمِرُ بأحكامِ الله بن المستعلِي بالله بن المستنصِرِ بالله بن الظاهِرِ لإعزازِ دينِ الله بن الحاكمِ بأمر الله المنسوبِ إليه جامعُ الحاكم بالقاهرة[1] بن العزيزِ بالله بن المعزِّ لدينِ الله بن المنصورِ بالله بن القائمِ بأمرِ الله بن المهديِّ بالله.

فهؤلاءِ كلُّ واحدٍ منهم ابنُ الذي قبلَه، فهذا مِن أكثر ما وَقعَ.

وقد زادَ عليهم سلاطينُ بني عثمان، وفاقُوهم في رِفعةِ القَدرِ والشان، بل ولا نسبةَ هناكَ كما بيَّنتُ حالَ هؤلاءِ في التاريخِ الذي سمَّيتُه: «نزهةَ الناظرينَ في تاريخِ مَن وليَ مصرَ مِن الخُلفاءِ والسلاطِينَ»، وسيأتي التنبيهُ على ذلك أيضًا.

***

= نحوًا مِن ثلاثةِ قرون.

(١) مِن أبرز معالم مصرَ اليوم، وأقدمِ مساجدها وأعظمِها، ويقع بمنطقة الجماليَّة بمدينة القاهرة.

[جلالةُ قدرِهم ومهابتُهم]

ومن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

وُقوعُ مَهابتِهم في قلوبِ الخَلْقِ، وجلالتِهم في صُدورِ الناسِ، خُصوصًا عساكرَهم وأجنادَهم.

فلا يتجرَّأُ أحدٌ يَسطو عليهم، ولا أنْ يَنظُرَ بعينِ الازدراء إليهم، بل هم على ممرِّ الأعصارِ مُعظَّمون، وعلى توالي الدُّهورِ مُهابونَ ومُبجَّلون.

خاضِعةٌ لهم صنادِيدُ الأكاسِرَة، وأعناقُ القياصِرَة، وعظماءُ الجبابرَة، وتلك مزيَّةٌ ظاهِرَة، ومرتبَةٌ فاخِرَة.

ولا يرِدُ قتلُ جدِّهم الأَعلى السلطانِ مرادٍ[1]: فإنهُ لما ضاقَ به الكفارُ ذرعًا بقتلِ مُلوكِهم، وتخريبِ بلادِهم، أَظهرَ واحدٌ مِن مُلوكِهم الطاعةَ له، وتقدَّمَ ليُقبِّلَ يدَه، فضَربَ السلطانَ بخَنجَرٍ كان في يدِه، فاستُشهِدَ رحمَه الله تعالى، بخلافِ غيرِهم، فإنَّ عساكرَهم تسطُو عليهم، وتُسرِعُ بالسُّوءِ إليهم.

***

وها أنا أَذكر طرفًا مِن ذلك مما وقعَ لسلاطينِ مصرَ على الترتيب:

ـ هذا أبو الجيشِ خُمارَوَيهْ بنُ أحمدَ بنِ طُولُون: سلطانُ مصرَ كان في غايةِ العظمةِ والشان، ونهايةِ العزَّةِ والسلطان، زوَّجَ بنتَه قطرَ النَّدى للخليفةِ المعتضِدِ العباسيِّ ببغدادَ، وجهَّزَها بجهازٍ لم يُرَ مثلُه.

---

(١) هو السلطان أبو الفتح مراد الأول بن أُورْخان (ت٧٩١هـ ـ ١٣٨٩م)، الذي جعل أوربا تدفع الجزيةَ مقابلَ حمايتِها وأمنِها، وكان يتحكَّم بتعيين وعزلِ مُلوكِهم.

مِن ذلكَ كما قال الحافظُ الذهبيُّ: ألفُ هاونٍ[١] مِن ذهبٍ[٢]، وألفُ تِكَّةٍ[٣] مِن جوهرٍ، وبَنى لها على رأسِ كلِّ منزلةٍ قصرًا فيما بين مصرَ وبغدادَ، كلُّ قصرٍ فيه جميعُ ما يحتاجُ إليه مِن فَرشٍ وسُتورٍ، وغيرُ ذلكَ حتى كأنها في قصرِ أبيها.

ولما دَخلَ بها المعتضِدُ أحبَّها حُبًّا شديدًا لجمالِها وأدبِها، ويقال: إنه طرقَها الحيضُ حينئذٍ مِن مهابةِ الخلافة، فلما مدَّ يدَه إليها قالت: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾، فلمَّ يدَه عنها[٤].

ومع هذا فإنَّ خُمارَوَيهْ هذا مات ليلًا مذبوحًا بدمشقَ، ذبحَه بعضُ خَدمِه على فراشِه عامَ: اثنين وثمانينَ ومئتينِ.

ـ وهذا الآمرُ بأحكامِ اللهِ الفاطميُّ: خليفةُ مصرَ معَ مهابتِه وجلالتِه كما قال الحافِظُ الذهبيُّ[٥]: «كان الآمرُ رافضيًّا خبيثًا، فاسقًا ظالمًا جبّارًا، مُتظاهِرًا بالمُنكرِ واللهوِ، ذا كِبرٍ وجَبروتٍ»، قد قتلَه بعضُ العسكرِ بالروضةِ قربَ مقياسِ مصرَ[٦]، سنة: أربعٍ وعشرينَ وخمسِ مئة، ولم ينتَطِح في قتلِه شاتان[٧].

---

(١) الهاون: وعاءٌ مِن نحاسٍ يُدقُّ فيه، انظر: «مختار الصحاح» (ص٣٢٩).

(٢) إلى هنا كلامُ الذهبيِّ في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٧٤٨).

(٣) التِّكَّة: الرباط الذي يكون فوقَ السِّروال، انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٨٦).

(٤) هذه القصةُ ذَكرها ابنُ الورديِّ في «تاريخه» (١/ ٢٠٨) بينَ هارون الرَّشيد وزوجتِه بُوران، والله أعلم.

(٥) «تاريخ الإسلام» (١١/ ٤٢٢).

(٦) مكانٌ قربَ مدينةِ الجيزة، انظر: «المواعظ والاعتبار» (٢/ ١٧٤).

(٧) يقال: أمرٌ لا تنتطح فيه شاتان، أي: لا يَختلف فيه اثنان.

ـ وهذا الظافرُ بأعداء اللهِ إسماعيلُ: قتلَه بعضُ جندِه بدارِ الوِزارةِ المعروفةِ الآنَ بمدرسةِ السِّيوفيَّةِ بالقاهرة[١].

ـ وهذا العاضدُ لدينِ الله: خُلِعَ مِن مُلكِه حتى ماتَ غمًّا وقهرًا.

ـ وهذا المَلِكُ المنصورُ محمدُ بنُ المَلِكِ العزيزِ عثمانَ بنِ المَلِكِ صلاحِ الدين: خُلِعَ مِن مُلكِه وصارَ نسيًا منسِيًّا بعدَ عظمتِه وعظمةِ أبيه وجدِّه.

ـ وهذا المَلِكُ العادلُ أبو بكرٍ ابنُ المَلِكِ الكامِل: خُلعَ مِن مُلكه وسُجِن، ثمَّ قُتِل بأمرِ أخيه المَلِكِ الصالحِ أيُّوبَ.

ـ وهذا المَلِكُ المعظَّمُ تُورانْشاه ابنُ المَلِكِ الصالحِ أيوبَ: قتله عسكرُه، وداسوه بأرجُلِهم.

ـ وهذا المَلِكُ المعزُّ أَيبك: قتلَتْه زوجتُه شجرةُ الدرِّ، سريَّةُ المَلِكِ الصالح.

ـ وهذا المَلِكُ المظفَّرُ قطز: الذي كسرَ التتارَ بأرضِ الشامِ معَ قوَّتِهم وكثرةِ عُدَدِهم، قد قتلَه جماعةٌ مِن عسكرِه، منهم: بيبرسُ المَلِكُ الظاهِرُ، وتَسلْطنَ بعدَه.

ـ وهذا المَلِكُ السعيدُ بنُ المَلِكِ الظاهرِ بيبرس: قد خُلِعَ مِن ملكِه، ونُفِيَ إلى الكَرْك[٢]، وحُبِس بها إلى أن مات.

ـ وكذلك أخوه المَلِكُ العادِلُ سلامش: خُلِعَ من المُلْكِ بمَكِيدةِ السلطانِ قَلاوُونَ، وتَسلْطنَ بعدَه.

---

(١) المدرسة السِّيُوفيَّة: أوقفها على فقهاء الحنفيَّة بالقاهرة صلاحُ الدين الأيوبي، انظر: «المواعظ والاعتبار» (٤/ ٢٠٤)، وسُميتْ بالسِّيوفيَّة؛ لأنَّ سوقَ السِّيوفيين كان في ذلك الوقت على بابها، وتُعرف اليومَ باسم: جامع الشيخ مطهر، وتقع أوَّلَ شارعِ الخردجية على يسار الداخل إليه مِن جهة شارع السكة الجديدة، انظر: «موسوعة مدينة القاهرة» (ص٢٧١).

(٢) الكَرْك: مدينة في الأردن، جنوبَ العاصمةِ عمّان.

ـ وهذا المَلِكُ الأشرَفُ خليلُ بن قَلاوُونَ: كان أشجعَ ملوكِ الترك، لا يُعرَفُ فيهم مَن يُدانِيه في الشجاعةِ والسطوةِ والهيبَة، كانت تخافُه الملوكُ في أمصارِها، والوحوشُ العادِيةُ في آجامِها، وهو الذي قَطعَ دابِرَ الفِرنجِ مِن سواحلِ بلادِ الشام، وافتتح مدينةَ عكا بعدَ أنْ باشرَ القتالَ بنفسِه، ونصبَ عليها خمسةً وتسعين مَنجنِيقًا حتى أخذها عنوة، ومع هذا فقد سَطا عليه عسكَرُه لما خَرجَ للصيدِ وقتلوه، وأَدخَلوا السيفَ في دُبرِه، وشقُّوه إلى أعلاه، وذهبُوا وتركوه طرِيحًا.

ـ وهذا المَلِكُ العادِلُ كَتبُغا: الذي تَسلْطنَ بعدَه خُلِعَ مِن المُلْكِ بعدَ أنْ توجَّهَ للشامِ ومهَّدَها.

ـ وهذا حسامُ الدين لاجِين: الذي تَسلْطنَ بعدَ كَتبُغا ووقف الأوقافَ على جامعِ طُولُون، قد قتلَه بعضُ جندِه ليلةَ الجمعةِ بعدَ العشاءِ، وهو يلعَبُ بالشطرنجِ رحمه الله تعالى.

ـ وهذا المَلِكُ الناصرُ محمدُ بن قَلاوُونَ: معَ جلالةِ قدرِه وعلوِّ أمرِه، قد خُلِعَ مِن السَّلْطنةِ مرَّتينِ، ونُفِيَ إلى الكَرْكِ حتَّى منَّ اللهُ تعالى عليهِ بعدَ ذلك بالمُلْكِ إلى أنْ مات.

ـ وهذا المَلِكُ المظفَّرُ بيبرسُ الجاشنكيرُ: قد خُلعَ من المُلْكِ ثم قُتِلَ.

ـ وهذا المَلِكُ المنصورُ أبو بكر بنُ المَلِكِ الناصرِ: قد خُلِعَ ثم نُفيَ إلى قُوصٍ[1] بالصعيد، ثم قُتلَ بها بعدَ ذلك.

ـ وهذا المَلِكُ الأشرَفُ أخوه: قد خُلِعَ.

ـ وهذا المَلِكُ الناصر أحمد أخوه: قد خُلع، ثم قُتل.

ـ وهذا المَلِكُ الكاملُ شعبان أخوه: قد خُلِعَ وحُبِسَ، ثم بعدَ ذلك قُتِلَ.

---

(١) قُوص: تَقع شرقيَّ نهرِ النيل في محافظة قَنا المصريةِ، جنوبَ مدينة القاهرة.

ـ وهذا المَلِكُ الصالحُ صالحٌ أخوه: قد خُلِعَ وحُبِسَ.

ـ وهذا المَلِكُ الناصرُ حسن أخوه: المنسوبُ إليه جامعُ السلطان حسنٍ بالرُّمَيلة[1]، قد خُلِعَ وحُبِسَ، ثم بعدَ ذلك تَسلْطنَ، ثم بعدَ ذلك قُتِلَ.

ـ وهذا المَلِكُ المنصورُ ابنُ عمِّه: تَسلْطنَ بعدَه، ثم بعدَ ذلك خُلِعَ وحُبِسَ.

ـ وهذا المَلِكُ الأشرفُ شعبانُ ابنُ عمِّهِ: قد خُلِعَ ثم قُتِلَ، ولم يدفِنوهُ، بل وضَعُوه في قُفَّةٍ[2] مُخيَّطةٍ ورَموه في بئرٍ، مع أنه كان مِن أجلِّ الملوكِ سماحةً ومهابةً.

ـ وهذا المَلِكُ المنصورُ ولده: قد خُلِعَ.

ـ وهذا المَلِكُ الصالحُ حاجي: قد خُلِعَ، وهو آخرُ الدولةِ القَلاوُونيَّة.

ـ وهذا المَلِكُ الظاهرُ بُرْقُوقٌ: أولُ سلاطينِ الجراكسةِ، قد خُلِعَ ونُفيَ إلى الكَرْكِ، وحُبِسَ بها إلى أنْ منَّ اللهُ عليه ثانيًا بالمُلْك إلى أنْ ماتَ.

ـ وهذا المَلِكُ الناصِرُ فرجٌ ولدُه: قد خُلِعَ، ثم تَسلْطنَ بعدَ ذلك، ثم قتلَه جندُه بعدَ ذلك بدمشقَ، ورمَوه على مزبلةٍ، ثم دفنَهُ بعضُ العامَّة في ثالثِ يومٍ خُفيةً، ومع ذلكَ فقد كان مِن أجلِّ المُلوكِ شجاعةً ومهابةً.

ـ وهذا المَلِكُ المنصورُ أخوهُ: خُلِع.

ـ وهذا المَلِكُ المظفَّرُ أحمدُ بنُ المَلِكِ المؤيَّد: خُلِع.

ـ وهذا المَلِكُ الصالحُ ابن المَلِكِ الظاهرِ طَطَر: خُلِع.

ـ وهذا ابن المَلِك الأشرَفِ برسباي: خُلِعَ بعدَ أبيه.

ـ وهذا المَلِكُ المنصورُ عثمان ابن السلطانِ جَقْمَق: خُلِع.

ـ وهذا المَلِك المؤيَّدُ أحمدُ ابن السلطانِ إينالَ: خُلِع.

---

(١) مسجد السلطان حسن: مِن أشهر وأكبر مساجد مدينة القاهرة، ويقع قربَ قلعةِ الجبل.

(٢) القُفَّة: مثلُ الوعاء الكبير مِن القش، انظر: «القاموس المحيط» (ص٨٤٦).

ـ وهذا المَلِك الظاهر يَلْباي: خلع.

ـ وهذا المَلِكُ الظاهِرُ تَمُرْبُغا: خُلِع.

ـ وهذا المَلِكُ الناصرُ محمدُ ابنُ السلطانِ قايتباي: خُلِعَ، ثم تَسلْطنَ بعدَ ذلك، ثم قُتِلَ شرَّ قتلةٍ.

ـ وهذا المَلِكُ الظاهرُ قانصوه الأشرفيُّ: قامَ عليه عسكرُه فاختفى.

ـ وهذا المَلِكُ الأشرفُ جان بلاط: باني المدرسةِ الجنبلاطيَّةِ خارجَ بابِ النصرِ خُلِعَ، ونُفِيَ إلى الإسكندريَّة.

ـ وهذا المَلِكُ العادلُ: باني العادليَّةِ خارج باب النصر، هجَمَ عليهِ العسكَرُ وقتلُوه.

ـ وهذا المَلِكُ الأشرَفُ قانْصُوه الغُوريُّ: قد قُتِلَ بمرجِ دابقٍ بقربِ مدينة حلبَ في محاربتِه مع السلطانِ سَليمٍ رحمهم الله.

ـ وأما ما وَقعَ مِن الخَلعِ والقتلِ للخلفاءِ الأمويينَ والخلفاءِ العباسيينَ، وباقي سلاطين الأقاليم: فهوَ أشهَرُ مِن أن يُذكر.

وقد بيَّنتُ كثيرًا مِن ذلك في كتابي: «نزهةِ الناظرينَ في تاريخِ من وَلي مصرَ مِن الخلفاء والسلاطين».

وقد حَمى اللهُ تعالى سلاطينَ بني عُثمانَ مِن جميعِ ذلك، وصانَهم عما هنالِك.

ولا يرِدُ السلطانُ مصطفى عمُّ السلطانِ عثمان: فإنهُ إنما خُلِعَ لكونِه ـ كما قيلَ ـ رجلًا زاهدًا في الدُّنيا، مُقبلًا على الآخرةِ، قد جذبتْه العنايةُ الربَّانيةُ إلى حضرة القدسِ، وخطفتْه الأسرارُ الرحمانيَّةُ إلى معارجِ الأُنس، وصلاحُه أشهَرُ مِن أنْ يُذكر، ومع خَلْعِه فهو مُبجَّلٌ مُعظَّم، وعزيزٌ مُكرَّم، يُقصَدُ بالدعاءِ ويزار، ويَلْتمِسُ بركتَه ودُعاءَه الزُّوارُ[1].

---

(١) المؤلِّفُ ـ رحمه الله ـ عاش تلك الفترةَ وأحداثَها، وما ذكره هنا مِن سبب عزلِ السلطانِ مصطفى فيه زيادةٌ عما جاء في كُتب التاريخ، فقِفْ عندَه وانتبهْ له.

[الأمنُ ومحاربةُ المُفسدِينَ والخوارج]

ومن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

تسكينُ الفتَنِ في زمانهم، وأمنُ السُّبلِ في أيامِهم.

وقطعُ دابرِ المفسدين، وقمعُ الخوارجِ المتمرِّدين، وقهرُ المتغلِّبينَ المارقين، بخلافِ أيامِ غيرِهم، فكم كان فيها مِن فِتن، وهمومٍ ومِحَن!

وأوَّلُ حدوثِ الفِتنِ كان مِن حينِ قُتِلَ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه، فبلغَت القتلى في وقعةِ الجملِ في حربِ عائشةَ وطلحةَ والزُّبيرِ مع عليٍّ بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنهم: ثلاثةَ عشرَ ألفًا، وقيل: عشرينَ ألفًا.

وبلغَتِ القتلى في صفِّينَ في حربِ عليٍّ مع معاويةَ رضي الله عنهما: مئةَ ألفٍ وعشرةَ آلافٍ، وذلك في مئةِ يومٍ وعشرةِ أيامٍ.

ولما خَلَعَ أهلُ المدينةِ الشريفةِ يزيدَ بنَ معاويةَ أَرسلَ إليهم عسكرًا نحوَ عشرينَ ألفًا، ودعاهُم إلى الطاعة فأبَوا إلّا قتالَه لفسقِه، فقُتِل مِن حملةِ القرآنِ سبعُمئةٍ، وعشرةُ آلافٍ ممن لا يُعرَف.

وتوجَّهَ عسكرُه إلى مكةَ لمحاصرةِ عبدِ الله بن الزبيرِ رضي الله عنه، ووَقعَ الخوفُ والرَّجيف[1] بأرضِ الحجاز.

ووقعَ في أيامِ بني أميةَ وعبدِ المَلِكِ بنِ مروانَ مِن خروجِ الخوارجِ فِتنٌ لا تُحصى...

فكم قُتلَ مِن خلائقَ بسببِ خروجِ المُختارِ الخَبيث[2]، وخروجِ مُصعَبِ بنِ

---

(١) الرَّجيف: زلزلةُ الأرضِ واضطرابُها، انظر: «القاموس المحيط» (ص٨١٢).

(٢) المُختار بن أبي عُبيد الثقفي الكذاب، خَرج بالكوفةِ وكَذب على الله وادَّعى أنَّ الوحيَ يأتيه، قُتل في سنة: سبعٍ وستينَ مقبلًا غيرَ مدبرٍ في هوى نفسِه، انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي: (٢/ ٧٠٦).

الزُّبَيرِ! وبسبب الحجَّاجِ بن يوسفَ عاملِ عبد المَلِكِ! بحيثُ بلغَ قتلى الحجَّاجِ الذين قُتِلوا صبرًا مئةَ ألفٍ وعشرينَ ألفًا سوى مَن قُتِل في حروبِه وسراياه، وماتَ وفي حبسِه خمسونَ ألف رجلٍ، وعشرونَ ألفَ امرأةٍ.

ووَقعَ في أيامِ دولةِ بني العبّاسِ مِن الفِتنِ والخوفِ والأراجيفِ ما لا يُحصى.

ـ منها: أنَّ أبا مسلمٍ الخُراسانيَّ صاحِبَ الدعوةِ لبني العبّاسِ قَتلَ ستَّمئةِ ألفٍ، ولما أَسرفَ في القتلِ وجدَ رُقعةً على المنبرِ مكتوبٌ[1] فيها: «اقتُل ما عسَى أن تقتُلَ، فلن تقدِرَ تقتُلُ قاتِلَك»[2]، فكفَّ عن القتل، ثمَّ قُتلَ بعدَ ذلك بين يدَي أبي جعفَرٍ المنصورِ، مع أنه هو الذي كان السببَ في تمكينه مِن الخلافة، ولكنْ مَن أعان ظالمًا سُلِّط عليه.

وحُكي: أنَّ السفاحَ أوَّلُ خلفاءِ بني العباس، خَرج في طلبِ بني أميةَ في أقطارِ الأرضِ، إنْ وَجد منهم حيًّا قتلَه، وإنْ وَجدَ قبرًا نَبشه وأَحرقَ مَن فيه، حتى لم يترك غيرَ قبرِ معاويةَ وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ.

وأَتى إلى دمشقَ فدخلَها، وقَتلَ في جامعِها يومَ الجمعةِ في شهرِ رمضانَ خمسين ألفًا مِن بني أُميَّةَ ومواليهم، وكانوا قد استجاروا بالجامعِ فلم يُجِرْهم[3].

ـ ومنها: الفِتنُ الواقعةُ بينَ الأمينِ والمأمونِ ابنَي هارونَ الرشيدِ، فكم قُتلَ فيها مِن خلائق.

---

(١) كذا في النُّسخ، وحسبُ القواعد ينبغي أنْ تكون: (مكتوبًا)، إلا إذا كان الفعلُ: (وجد) مبنيًّا لما لم يُسمَّ فاعلُه، والله أعلم.

(٢) وجدت الخبرَ في «غُرر الخصائص» (ص٥١٠)، ولكنْ بلفظ: «اقتل ما عسى أنْ تَقتُل، فلستَ تقدر أنْ تقتلَ قاتلَك».

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ٤٩).

ووَقعَ في القرنِ الثالثِ مِن الأمورِ المَهولَةِ ما لا يُحصَى، بحيثُ إنَّ الخارجِيَّ بابِكَ الخُرَّمِيَّ قَتلَ خمسَمئةِ ألفٍ وخمسين ألفًا، وكانَ ظهورُه سنةَ: إحدى وثمانينَ ومئةٍ[١] في خلافةِ المأمونِ[٢]، ثمَّ أُسِرَ وأُحضِرَ بينَ يدَي المُعتصِم، فأمَرَ بقطعِ يدَيه ورجلَيه، فلمّا قُطعَتْ يدُه لَطَّخَ بدَمِها وجهَه حتى لا يُرى فيه أثرُ الجزَعِ.

ثمَّ ظهرَ رأسُ الزِّنجِ[٣] بنواحي العراقِ، وادَّعى النبوَّةَ والاطِّلاعَ على المغيَّباتِ، وقَتلَ مِن المسلِمينَ ألفَ ألفٍ وخمسَمئةِ ألفٍ، وقَتلَ في يومٍ واحدٍ بالبصرةِ ثلاثَمئةِ ألفٍ[٤].

ووَقعَ في القرنِ الرابعِ مِن الفِتنِ والأراجيفِ ما لا يُحصى:

- مِن ظهورِ الخوارجِ بالمغربِ وقتلِهم الخلائقَ.

- وظهورِ أبي طاهرٍ القُرْمطِيِّ، وقتلِه الخلائقَ بمكةَ وغيرِها، بحيثُ قَتلَ في يومٍ واحدٍ بمطافِ الكعبةِ ألفًا وسبعَمئةِ طائفٍ مُحرِم، وقَتل بمكةَ أزيدَ مِن ثلاثينَ ألفًا، وامتلأ بئرُ زمزمَ مِن القتلى، واقتَلعَ الحَجرَ الأسودَ الكريمَ مِن الكعبة، وأَخذَه معَه، وهذا لم يقَعْ مثلُه لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وأقامت الكعبةُ بدون الحَجر

---

(١) لعله سبقُ قلمٍ، فالذي في كتب التاريخ أنَّ ظهورَهم كان سنةَ: (٢٠١هـ).

(٢) المأمون تولّى الخلافةَ سنةَ: (١٩٨هـ).

(٣) رأس الزنج هو الطاغية الخارجيُّ عليُّ بنُ محمدٍ، ادعى أنه مِن آل البيت، فقَتل وفَجر، وكان ظهورُه في سنة: (٢٥٥هـ)، وهلك عامَ: (٢٧٠هـ)، انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي: (٦/ ٢٥٥).

(٤) لعلَّ العددَ فيه شيءٌ مِن المبالغة، فالذي في كتب التاريخ أنهم قَتلوا بالبصرة عشرينَ ألفًا، وانظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٢/ ١٢٤).

الأسود فوقَ العشرينَ عامًا[١]، حتى اشتراه بعضُ الخلفاء مِن القرامطة بثلاثينَ ألفَ دينار، وأعاده إليها[٢].

ووَقعَ في أيام دولة الفواطمِ مِن الفتَنِ وإهانةِ أهلِ السُّنةِ وقتلِهم وجَبْرِهم على سبِّ الصحابةِ ما لا يُحصى.

واستولى الفِرَنجُ في أيامِهم على بلادِ الشامِ وإقليمِ مصرَ، وقَتلوا مِن المسلمينَ يومَ الجمعة في حرم بيتِ المقدس أَزيدَ مِن سبعينَ ألفًا، واضطَربت الأحوالُ، وضعُفَ الإسلامُ.

وظَهرت السُّلجوقيةُ ببلادِ المشرقِ ورأسُهم عضُدُ الدولةِ[٣] واستولَوا على العجَمِ والعراقِ، ومُعظَمِ المَشرق والرُّومِ والتُّركِ والصينِ وبلادِ الخطا[٤] المجاورَةِ للسِّندِ، إلى ما وراءَ النهرِ وإلى بلادِ بُلغارٍ والرُّوسِ، واستولى على الخُلفاءِ العباسيينَ، بحيثُ صارَتْ كلِمَتُهم تحتَ كلِمَته، ولخوفِ خلفاء[٥] مصرَ الفاطميين منه راسلوا الفِرَنجَ، وأَطمعُوهم في أخذِ بلادِ الشام، حتى حَصلَ مِن الفِرَنجِ ما حَصلَ مِن الاستيلاءِ على بلادِ المسلمين.

---

(١) قال ابنُ ظَهيرةَ المكيُّ في «الجامع اللطيف» (ص٣٨): «مَكث عندَهم اثنانِ وعشرونَ سنةً إلا شهرًا».

(٢) انظر هذه الحادثةَ في «إتحاف الورى بأخبار أُمِّ القِرى» (٢/ ٣٧٧، ٣٩٤)، و«شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» (١/ ٣٢٢)، «تاريخ الإسلام» (٧/ ٦٤٠ ـ ١٥/ ٣٢٠).

(٣) عضد الدَّولة مِن زعماء الدولة البُويهية، وهم قبلَ دولة السلاجقة.

(٤) هي جمهورية الصين اليومَ مِن جهة الهند.

(٥) في (أ) و(ب): «ملوك».

ووَقعَ في ظهورِ دولةِ التتارِ ما لا يُحصى من الأمورِ المَهولَةِ، والفتَنِ العظيمةِ، التي لم يَطرُق الخلائقَ مثلُها مِن قتلِ المسلِمين، واضمحلالِ الدِّينِ، واستَولَوا على الهندِ والصينِ، والسِّندِ والعَجَمِ، وهَربَ منهم السلطانُ محمدُ بنُ خوارزمَ شاه أعظَمُ سلاطينِ المسلِمين، وكانت عدَّةُ جيوشه تسعَمئةِ ألفٍ، فلم تُفد شيئًا، وأَبادتْهم التتارُ وأَخربوا البلاد.

ثمَّ قدِمُوا إلى بغدادَ ووضعُوا السيفَ فيها، بحيثُ قتلُوا مِن المسلِمينَ في بغدادَ ما يزيدُ على ألفي ألفٍ، وقُتِلَ الخليفةُ المستعصِمُ يومَئذٍ، وذَهبَ تحتَ حوافرِ الخيلِ، وألقوا كُتبَ الأئمَّةِ في الدِّجلَةِ؛ وبهذا السببِ انقرضَت المذاهبُ ما عدا المذاهبَ الأربعةَ لانتشارِها[1].

ثم رامَ التتارُ أخذَ حلبَ والشامِ ومصرَ، ووَصلَتْ غاراتُهم إلى غزَّة[2]، ووَقعَت الحروبُ بينَهم وبينَ سلاطِينِ مصرَ: المَلِكِ المظفَّرِ والمَلِكِ الظاهرِ والسلطانِ قَلاوُونَ وابنِه المَلِكِ الناصر، وقُتلَ مِن المسلِمينَ في أيامِهم ما لا يَحصره عدٌّ ولا حساب.

ووَقعَ في أيامِ سلاطينِ مصرَ الجراكسةِ ما لا يُحصى مِن الفِتن، وقَتلَ بعضُهم بعضًا؛ بسببِ خلعِ مُلوكِهم تارةً، وقَتْلِهم أُخرى.

وخرجَ تيمورلنك في أيامهم، وتزايد خروجُه في أيام المَلِكِ الناصرِ فرجِ بنِ بُرْقُوقٍ، فأَخربَ الخبيثُ البلادَ وأبادَ العبادَ، وسفكَ دماءَ المسلِمينَ بالرُّومِ وحلبَ

(١) تُنظر هذه الداهيةُ الدهماء، والواقعةُ السوداء في «تاريخ الإسلام» للذهبي: (١٤/ ٦٧١).

(٢) في (أ) و(ب): «مدينة غزة هاشم».

والشام، والهندِ والعجمِ وخراسان، وأَذهَب محاسنَ حلبَ والشام، وقَتَلَ فوقَ عشرةِ آلافِ ألفٍ، ونسيَ الناسُ بفتنَتِه ومصيبَتِه مصيبةَ التتارِ، ولم يروا أَعتى مِن ذلك الأعرجِ الجبار.

ولما فَتَكَ في أصفهانَ قتلَ في وقعةٍ واحدةٍ ستَّمئةِ ألفِ نفسٍ، فاستغاثوا ببعضِ أُمرائه، فأَمرَهم أنْ يَجمعُوا عِدَّةً مِن الأطفالِ الذينَ قُتِلَ آباؤهم وأُمهاتُهم، ويُوضعونَ[1] على طريقِه يَكُون لعلَّه يَرِقُّ قلبُه؛ لصغَرِهم ويُتمِهم، فلما مرَّ بهم كلَّموه في ذلك فما ردَّ جوابًا ولا أبدى خِطابًا، ثم إنه مالَ بعِنانِ فرسِه عليهم، ومالَ العسكرُ معَه فطحنُوهم تحتَ سَنابكِ[2] الخيلِ، وكذلكَ فعلَ في بغدادَ وحلَبَ والشام[3].

وذُكِرَ تيمورُ يومًا عندَ المَلِكِ جلال الدينِ خان فقال: «سبحانَ اللهِ! إنَّ تيمورَ لم يكُن لهُ غرضٌ إلا في إهلاكِ العالَم، وإفناءِ جنسِ بني آدمَ، فإنه استأصَلَ أوَّلًا إقليمَنا ـ أي: إقليمَ التركِ ـ وبلادَ التتارِ ونواحيَ الشمالِ، ثمَّ أهلكَ إقليمَ العِراقِ، ثمَّ دمَّرَ إقليمَ الهندِ، ثمَّ أبادَ إقليمَ الشام، ثم أَخرَب إقليمَ الرُّومِ ثغرِ الإسلامِ، ومجمَعِ الغُزاةِ والمجاهدين».

فقال بعضُ الحاضِرينَ: «يا مولانا الخانَ، وأَخرَب أيضًا ديارَ خُراسانَ وسائرَ بلادِ العجَمِ وفارسَ محطِّ رحالِ العُلماءِ».

فقال المَلِكُ جلالُ الدينِ خان: «إنَّ ممالِكَ العجَمِ وإقليمَ فارسَ وخُراسانَ

---

(١) كذا في النُّسخ.

(٢) السُّنْبك وجمعُه سَنابِك: طرفُ مقدَّمِ الحافر، «مختار الصحاح» (ص١٤١).

(٣) في (أ) و(ب) زيادةُ: «وغيرها».

كانت تحتَ قبضَتِه وفي يدِه كالمائدةِ، يتناوَلُ منها ما يشاءُ كيفما اختار، واستولى على غالبِ الممالكِ الإسلاميَّةِ فدمَّرَها».

وأَطالَ في ذِكرِ مصائبِه صاحِبُ كتابِ: «عجائبِ المقدُورِ في نوائبِ تيمورٍ»[1].

وبالجملة فالفتنُ الواقعَةُ في الأزمنةِ السالفَةِ أكثرُ مِن أنْ تُحصى، وإنما أشَرنا إلى بعضٍ منها للمُعتَبرين، ومَن طالعَ تواريخَ السالِفِينَ عَلِمَ ذلك عِلْمَ اليقين.

إذا علمتَ ذلكَ ووَقفْتَ على ما هنالكَ: علمْتَ أنَّ أيامَ دولةِ بني عثمانَ رَوحٌ ورَيحان، بالنسبةِ لما مَضى في سالفِ الزمان، ومَن طالع التواريخَ والأخبارَ عَرف ما مَضى مِن الأشرار.

* * *

---

(١) انظر: «عجائبَ المقدور في أخبار تيمور» لابنِ عرب شاه (ت٨٥٤): مِن (ص١٠) إلى آخر الكتاب.

[ردُّ الصليبيينَ وكفُّ اعتدائِهم]

ومن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

قمعُ النَّصارى الحَربيين، وطردُ الفِرَنجِ المَخذُولينَ إلى أقصى بلادِ المسلِمين، وهم معهم في غايةِ الذلِّ والهوان، والطردِ والخُذلان، والقهرِ والحرمان، ضُربت عليهم الذلةُ والمسكنةُ في زمانهم، وأُهينوا غايةَ الهوان في أيامهم(١).

هذا، وقد كانوا في الأزمنة السالفة ـ خصوصًا في زمنِ دولةِ الفاطميينَ ـ قد قوِيتْ شوكتُهم، وارتفعَتْ كَلِمتُهم، وقويتْ صَولَتُهم وسطوتُهم، واستولَوا على البلاد، وقَهرُوا وأَبادوا العباد، فأَخذوا جزيرةَ قبرصَ مِن أيدي المسلِمين(٢)، وأَخذوا جميعَ ساحلِ بحرِ الشامِ غزَّة وعسقلانَ ويافا، وأَرْسوفَ(٣) وقَيساريَّةَ(٤)، وحيفا وعكّا، وطرابلسَ وصيدا، وبيرُوتَ وأنطاكيا والرُّها، وغالبِ ساحلِ بحرِ الفُراتِ، حتى قاربوا المَوصِلَ وبغدادَ، ثم قَوِيتْ شوكَتُهم فأَخذوا بلادَ صفدٍ ونابلسَ.

ثـمَّ قدِمُـوا إلى القدسِ الشـريف في ألـف ألفِ مُقاتـلٍ، فانزعجـتْ لهم ملوكُ

---

(١) المؤلِّف الفقيهُ الإمام الكرميُّ ـ رحمه الله تعالى ـ يتكلَّم بصريح العبارة عن المحارِبين والمُعتدينَ مِن النصارى، الذين يُعبَّر عنهم أحيانًا بـ: (الصليبيين)، وهذا أمرٌ ينبغي الانتباهُ له. وأما أهلُ الذمَّةِ مِن غير المسلمين فلا يجوز إيذاؤُهم، أو الكلامُ معهم بسوءٍ، بل يجب على الإمام حفظُهم، ومنعُ مَن يُؤذِيهم، فانتبهْ ولا تهم!

(٢) كان فتـحُ مدينـةِ قبـرصَ سِـلمًا فـي عهد عثمـانَ بنِ عفـان، وذلك بإشـارةٍ وطلـبٍ مِن والي الشـام معاويـةَ بـنِ أبي سـفيان رضـي الله عنهمـا، انظر: «تاريـخ الطبـري» (٤/ ٢٦٠).

(٣) أَرْسوف: بلدة في فلسطين شمالَ مدينةِ يافا.

(٤) قَيساريَّة: المقصودُ به هنا مدينةٌ في فلسطين جنوبَ مدينةِ حيفا. وهناك مدينةٌ أُخرى بالاسم نفسِه في الجمهورية التركية.

المسلِمين، وعَظُمَ الخطْبُ على الرَّعيةِ، وابتُلِي الإسلامُ بأَعظمِ بليَّة، وشقَّ على المسلِمينَ واضمحَلَّ الدِّين، فأَخذ الكفرةُ بيتَ المقدسِ مِن أيدي المسلِمينَ في ضحوةِ يومِ الجمعةِ ثالثَ عشري شعبانَ، عامَ: اثنَينِ وتسعينَ وأربعمئةٍ، وقَتلُوا به يومَئذٍ أكثرَ مِن سبعينَ ألفًا مِن العلماءِ والصُّلحاءِ وغيرِهم[١]، وأَخذُوا مدينةَ الخليلِ وبلادَ الكَرْك[٢]، واستولَوا على غالبِ إقليمِ الشامِ حتى كادوا أنْ يأخذوا دمشق.

ثم تعلَّقتْ آمالُهم بأخذِ إقليم مصر، فأَخذوا إسكندريةَ ودِمياط، وجعلُوا جامِعَها كنيسةً، ووَصلَتْ غاراتُهم إلى مدينةِ بَلْبِيسَ[٣]، فأَخذوا مِن هناكَ ثمانيةَ آلافِ أسيرٍ.

وقامَتْ دَولتُهم وعظُمَت شَوكتُهم بالديارِ المصريَّةِ أيضًا، وبَنوا بها الكنائسَ، وأَقاموا بها لهم الدواوِين، وضَربوا فيها بالسِّياط المسلِمين، وراموُا أَخذَ مصرَ والقاهرةَ فأَمرَ شاوِرُ الوزيرُ بإحراق مصرَ فأُحرِقَتْ كلُّها، وأحبَّ إحراقَها ولا تأْخُذَها الفِرنجُ[٤].

واستمرَّ القدسُ الشريف، والخليلُ المُعظَّم المنيفُ في أيديهِم نحوَ مئةِ سنةٍ، حتى فتحَه المرحومُ السلطانُ صلاحُ الدينِ وانتزعه مِن أيديهم، واستمرَّ الساحِلُ بأيديهِم نحوَ مئتي سنةٍ.

---

(١) نصَّ على ذلك ابنُ الأثير في «الكامل في التاريخ» (٨/ ٤٢٥).

(٢) الكَرْك: مدينة في الأردن، جنوبَ العاصمةِ عمان.

(٣) بَلْبيس: هي الآن بمحافظة الشرقية بجمهورية مصر.

(٤) كان ذلك بفعل شاوِرِ بنِ مُجيرِ السَّعدي (ت٥٦٤هـ) كان وزيرًا أيامَ العاضد، أَحرق مصرَ عمدًا، واستمرَّت النارُ فيها لتمام أربعةٍ وخمسينَ يومًا، وانظر: «المواعظ والاعتبار» (٢/ ١٦٢).

وكان جهادُ سلاطينِ مصرَ: الصالحِ أيوبَ والكاملِ والظاهرِ وقلاوُونَ وغيرِهم، إنما هو في بلادِ ساحل بحرِ الشامِ ومصر، حتى قيل: إنَّ الفِرَنجَ في أيامِ السلطانِ المَلِكِ الكاملِ لمّا نَزلوا على دمياطَ مِن أعمالِ مصرَ، وملكُوا البلادَ ثلاثَ سنينَ، أراد الكاملُ أن يهرُبَ مِن مصرَ إلى اليمنِ خوفًا منهم، ويترُكَ لهم البلادَ المصريَّة.

وكم قاسى ولدُه المَلِكُ الصالحُ أيوبُ بعدَه مِن النصارى وحروبِهم بنواحي دمياطَ وإسكندرية، بحيثُ خافَ مِن محاصرةِ الفِرَنج لما بلغَه أنهم عازِمون على قصدِ بلادِ مصرَ وأَخذِ القاهرة وانتزاعِها مِن أيدي المسلمين، ومِن حينئذٍ شَرعَ في بناءِ قلعةِ الرَّوضةِ بقربِ المِقياسِ سنةَ: ثمانٍ وثلاثينَ وستِّمئة، وهَدمَ كثيرًا مِن دورِ الناسِ، وهَدمَ ثلاثةً وثلاثينَ مسجدًا كانت بالرَّوضةِ وأدخلَها القلعة، وبالَغَ في إتقانِها مبالغةً عظيمةً، وزَخرَفها حتى قيلَ: استقامَ كلُّ حجرٍ بدينارٍ، وكلُّ طُوبةٍ بدِرهمٍ، وملأها بالأسلحةِ وآلاتِ الحربِ والغِلال، واتَّخذَها سريرَ مُلْكِه، وتحوَّلَ مِن القلعة إليها بأهلِه وحريمِه، وصارَتْ هي محلَّ الحُكمِ والأمرِ والنهي، وما زالَ في تعبِ القلبِ مِن جهةِ الفِرَنجِ والقتالِ معهم، حتى ماتَ بالمنصورةِ في حربه مع الفِرَنج[1]، فأَخفَتْ شجرةُ الدرِّ موتَه خوفًا على المسلمين، وساسَت الناسَ أحسنَ سياسةٍ، حتى أَرسلتْ وأَحضرتْ[2] ولدَه المَلِكَ المعظَّمَ مِن نواحي ديارِ بكرَ، فتسَلْطنَ بعدَ موتِ أبيهِ بنحوِ أربعةِ أشهرٍ، وقاتَلَ الفِرَنجَ فكَسرَهم، وقَتلَ منهم أزيدَ مِن ثلاثينَ ألفًا.

---

(١) جاء في «الأعلام» (٢/ ٣٨) بترجمة المَلِك الصالح أيوب: «نزل أمامَ الفِرَنج وهو مريضٌ بالسلِّ، فمات بناحيةِ المَنصورة، ونُقل إلى القاهرة، مِن آثاره: قلعةُ الرَّوضة بالقاهرة».

(٢) في النسخ: «أحضرت».

ومـا زالـتْ شـوكةُ الفِرَنجِ قائمةً وسـلاطينُ مصـرَ تُجاهِـدُ فيهم بسـاحِلِ بحرِ الشـام، مِـن حـدودِ ثمانيـنَ وأربعمئة إلـى قُربِ أوائـلِ القـرنِ الثامنِ، حتـى غزاهُم المَلِـكُ الأشـرَفُ خليـلُ بنُ قَـلاوُونَ، وقَطَـعَ دابِرَهـم مِن أرضِ الشـامِ، واسـتمرَّتْ جزيرةُ قبرصَ بأيدِيهم حتى فتحَها المَلِكُ الأشـرَفُ برسـباي، سـنةَ: تسـعٍ وعشرينَ وثمانِمئةٍ.

وبالجُملة: فالعاقلُ المنصِفُ إذا تدبَّرَ حالَ الفِرَنجِ والنصارى في ذلكِ الزمان، وحالَهم الآنَ مع سلاطينِ بني عثمانَ، وَجدَهم في غايةِ الذلِّ والهوان، والقهرِ والخُذلان، مَلعُونِين أينما ثُقفوا في كلِّ زمانٍ ومكان[1].

***

(١) الكلام هنا عن الفِرَنج والصليبينَ المُحاربينَ كما تقدَّم في صريح عبارةِ المؤلِّف.

[الفتوحات العظيمة]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

الفتوحاتُ العظيمَةُ ببلادِ الرُّومِ وغيرِها.

ـ **منها: فتحُ مدينةِ بُورصة**، فتَحَها السلطانُ أُورْخانُ في حدودِ سنةِ: ثلاثينَ وسبعِمئةٍ(١)، وجعلَها مقرَّ سَلْطنتِه(٢)، وافتتحَ قلاعًا كثيرةً وحصونًا مُنيفةً منيعةً، وكان والِدُه السلطانُ عثمانُ قد افتتح مِن الكفارِ عدَّةَ قلاعٍ وحُصون.

ـ **ومنها: فتحُ مدينةِ أَدِرنَة**، فتحَها السلطانُ مرادُ بنُ أُورْخانَ سنةَ: إحدى وستينَ وسبعِمئةٍ(٣).

ـ **ومنها: فتحُ القُسطنطينيَّةِ العُظمى**، مع عجزِ الخلفاءِ الأُمويينَ عن فتحِها، مع أنهم ملَكُوا الدُّنيا مِن أقصَى الهندِ والصينِ إلى أقصَى المغرب، وفتحُوا جزيرةَ

---

(١) فُتحتْ مدينةُ بورصة في ٣ جمادى الأولى عامَ: (٧٢٦هـ)، الموافق: ٦ نيسان ١٣٢٦م.
حاصرها السلطانُ أُورْخان نحوًا مِن عشر سنين، ثم دخلها دونَ قتال، ولم يتعرَّض لأهلها بأيِّ سوء، مما جعل حاكمَها يُعلن إسلامَه، انظر: «الدولة العثمانية المجهولة» (ص٦٥)، و«أطلس تاريخ الدولة العثمانية» (ص٩٨).

(٢) وعندَنا هنا نصٌّ تاريخيٌّ ثمينٌ عن السلطان أُورْخان، أَودعه الرَّحالةُ المغربيُّ ابنُ بطوطةَ في «رحلته» (٢/ ١٩٧) عندما اجتمع به سنةَ: ٧٣٤هـ، فكان مما قال ابنُ بطوطةَ: «هذا السلطانُ أكبرُ مُلوكِ التركمان، وأكثرُهم مالًا وبلادًا وعسكرًا، له مِن الحُصون ما يُقارب مائةَ حِصنٍ، وهو في أكثر أوقاتِه لا يزال يَطوف عليها، ويُقيم بكلِّ حصنٍ منها أيامًا؛ لإصلاحِ شؤونِه وتفقُّدِ حالِه، ويقال: إنه لم يقم قطُّ شهرًا كاملًا ببلدٍ، وزوجتُه امرأةٌ صالحةٌ فاضلة».

(٣) الذي ذكره المؤرِّخ الدكتور أحمد آق كندوز وغيرُه: أنَّ فتحَ أَدِرنة كان في شهر تموز، عامَ: (١٣٦٢م)، وهو يُعادل بالتأريخ الهجريِّ: (٧٦٣)، والله أعلم. وجعل السلطانُ مرادٌ الأول عاصمةَ الدولة هي أَدِرْنة.

الأندلس، ومع ذلك فقد عَجَزوا عن فتحِها لعِظَمِها، وشدَّةِ بأسِ أهلِها، وتحصينِ أسوارِها وحُصونِها.

وكان أوَّلُ مَن غَزاها يزيدُ بنُ معاويةَ في خلافةِ أبيه معاويةَ[1]، ولما حَملَ يزيدُ على النصارى بنفسِه وهزمَهم إليها، أُغلِقَ البابُ دونَه فضَربَ البابَ بعَمودٍ مِن حديدٍ كان في يدِه، فنَفَذَ مِن الجانبِ الآخر، ذَكرَ ذلك صاحبُ كتابِ «الأغاني»[2].

وغزاها أيضًا مسلمةُ بنُ عبدِ المَلِكِ[3] في خلافةِ أخيه سُليمان، وأقامَ عليها محاصِرًا لها نحوَ سنةٍ، حتى أَكلَ عسكرُه الميتةَ مِن شدَّةِ الجُوعِ، وحَصلَ لعسكرِه غايةُ الجَهدِ والمَشقَّة.

فلما ماتَ سُليمانُ وتولَّى الخلافةَ بعدَه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضي الله عنه أَرسلَ يأمرُ مَسلمةَ بالرُّجوعِ عن حرب القُسطنطينيَّةِ؛ لشدَّةِ ما حَصلَ للمسلِمين مِن المشقَّة، ووبَّخ مسلمةَ على ذلك[4].

---

(١) وجَّه معاويةُ بنُ أبي سفيان رضي الله عنه حملتَين لفتح القُسطنطينية، الأُولى عامَ: (٤٩هـ)، واستشهد فيها أبو أيوبَ الأنصاري، والثانيةُ عامَ: ٥٤هـ، وقد خرجتْ هذه الحملةُ مِن جزيرة أَرْوادَ التابعةِ الآنَ لجمهورية سورية، انظر: «أطلس تاريخ الإسلام» (ص٢٨٧).

(٢) «الأغاني» (١٧/ ١٣٦)، وتتمَّةُ عبارتِه: «فهشمه حتى انخرق، فضُرب عليه لوحٌ مِن ذهب، فهو عليه إلى اليوم»، وأَورد القصةَ أيضًا البغداديُّ في «التذكرة الحمدونية» (٩/ ١٧٣).

(٣) وقد جاء في كُتب الحديث والأثرِ عن عبد الله بنِ بشرٍ الغَنَويِّ وهو أحدُ رواةِ حديثِ: «**لتُفتحنَّ القُسطنطينية**»، قال هو أو أبوه: «فدعاني مسلمةُ بنُ عبدِ المَلِك، فسألني عن هذا الحديث، فحدَّثتُه فغزا القُسطنطينية»، انظر: «مسند أحمد» (٣١/ ٢٨٧)، «التاريخ الكبير» للبخاري: (٢/ ٨١)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ٤٣٩).

(٤) قال الإمامُ ابنُ كثيرٍ (ت٧٧٤هـ) في «البداية والنهاية» (٩/ ٣٦٠): «وقد لقي مسلمةُ في حصاره القُسطنطينيةَ شدَّةً عظيمة، وجاع المسلمونَ عندَها جوعًا شديدًا، فلما وَلي عمرُ بنُ عبدِ العزيز =

وعَجزَ عن فتحِها أيضًا خلفاءُ بني العباس، معَ ما كان لهم مِن الصَّولَةِ الباهِرَة، والقوَّةِ القاهِرَة، لا سيَّما مثلُ أبي جعفرٍ المنصورِ والرَّشيدِ هارونَ، والمأمونِ والمعتصِمِ، ومَن بعدَهم مِن الخلفاءِ والسلاطين.

وعَجَز عن فتحها أيضًا الدولةُ السَّلْجُوقيَّة والخوارزميَّة، خصوصًا مثلَ: السلطان الأعظم صاحبِ الفتوحات العديدة، والغزواتِ المشهودة، السلطانِ محمود بن سُبُكْتِكين.

وعَجَز عن فتحها أيضًا خلفاءُ مصرَ مِن الفاطميين، مع ما كان لأوائلهم مِن القوة والكثرة، خصوصًا مثلَ: المعزِّ لدين الله، وابنِه العزيزِ بالله، وباقي سلاطينِ مصرَ كصلاح الدِّين، ونورِ الدِّين الشهيد، والمَلِكِ الظاهر، والمَلِكِ الناصر، ومَن بعدَهم.

وقد فَتحها بالسيف عنوةً أبو الفتوحاتِ السلطانُ محمد، والهمامُ الأمجَدُ، وهو بذلكَ أَجدرُ وأَحرى، وساقَ إليها العساكرَ بحرًا وبرًّا، وأقامَ في حصارِها خمسينَ يومًا، ثم افتتَحها نهارَ الأربعاءِ، في جمادى الآخرةِ سنةَ: سبعٍ وخمسينَ وثمانمئةٍ[1]،

= أرسل إليهم البريدَ يأمرهم بالرجوع إلى الشام، فحلف مسلمةُ ألا يُقلعَ عنهم حتى يَبنوا له جامعًا كبيرًا بالقسطنطينية، فبنَوا له جامعًا ومنارة، فهو بها إلى الآن يُصلِّي فيه المسلمونَ الجمعةَ والجماعة»، انتهى.

قلت: ويقع هذا المسجدُ في شمال مدينةِ إصطنبول قربَ بُرج غَلَطة، وقد اعتنى به سلاطينُ آل عثمانَ مذ فتحِهم للقُسطنطينية، ويُسمُّونه: (جامعَ العرب الشريف)، انظر: «الموسوعةَ الإسلامية التركية» (٣/ ٣٢٦).

(١) الذي يَذكره المؤرِّخون الأتراك: أنَّ الفتحَ كان صباحَ يومِ الثلاثاء ٢٩ أيار عامَ: (١٤٥٣)، وهو يوافق ـ حسابًا ـ بالتأريخ الهجريِّ عامَ: (٨٥٧)، بشهر جمادى الأولى: ١٢ أو ٢٠ منه، والله أعلم.

وجاء في «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (ص٢٧٠) ونقله عنه في «شذرات الذهب» (٩/ ٥١٦): =

وصلّى الجمعةَ في آيا صوفيا[١]، ثم جعلَها مقرَّ سَلْطنتِه، ولم تزَلْ دارَ سَلْطنةِ ذُرِّيته إلى يومنا هذا سنةَ: إحدى وثلاثين وألف، جعلَها اللهُ دارَ سَلْطنةٍ لهم وإسلام، إلى ظهور المهديِّ الإمام، ونزولِ عيسى عليهِ الصلاةُ والسَّلام، وخلَّد مُلْكَهم، وجعل الدنيا بأَسرها مِلْكَهم، وأعزَّ بسلطنتِهم الإسلامَ وحزبَه، آمين[٢].

[الإشارةُ النبويَّة إلى فتح القسطنطينيَّة]:

رَوى البخاريُّ في «صحيحه»[٣] مِن حديثِ أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلْحانَ عن النبيِّ ﷺ قال: «أوَّلُ جيشٍ مِن أُمتي يَركبونَ البحرَ قد أَوجَبوا، وأوَّلُ جيشٍ مِن أُمَّتي يَغزونَ مدينةَ قيصرَ مغفورٌ لهم».

= «يومَ الأربعاء، العشرونَ مِن جمادى الآخرة، سنةَ: سبعٍ وخمسينَ وثمانمائة».
وأما العصاميُّ في «سِمْط النجوم» (٤/ ٧٩) فجعل الفتحَ في اليوم الرابعِ والعشرين، والله أعلم.

(١) وكان أوَّلُ مَن خطب الجمعةَ في آيا صوفيا العالمُ الكيميائيُّ والطبيبُ المُربِّي محمدُ بنُ حمزةَ الدمشقيُّ البكري، المعروفُ بآقْ شمس الدِّين (ت٨٦٣)، انظر: «سُلَّمَ الوصول» (٣/ ١٣٥)، «الشقائقَ النعمانية» (ص١٣٨)، «تاريخَ الدولة العثمانية» لأوزتونا: (١/ ١٤١).

(٢) ثم شاء الله تعالى أنْ تسقطَ الدولةُ العثمانية، وذلك بعدَ أنْ عمل أعداءُ الإسلام قرونًا مِن الزمان على إضعافها وحربها سرًّا وعلنًا، داخلًا وخارجًا، وانقطع معها العِقدُ الجامعُ لكلمة المسلِمين، وذهبتْ هيبتُهم عندما ذهبتْ خلافتُهم.
وفي تاريخ: (١/ ١١/ ١٩٢٢م - ١٢ ربيع الأول ١٣٤١) صدر قرارٌ مِن المجلس التركيِّ بقيادةِ مصطفى كمال، يقضي بإلغاء صلاحياتِ السَّلطنة في الحُكم والسياسة.
ثم بتاريخ: (٣/ ٣/ ١٩٢٤م - ٢٧ رجب ١٣٤٢) وافق المجلسُ على إلغاء الخلافة العثمانية، وفي اليوم الثاني مِن إصدار القرار أُخرج السلطانُ عبدُ المجيد الثاني مِن تركيا هو ومَن تبقّى مِن الأُسرة السلطانية، وصُودرتْ أملاكُهم، وبدأ بعدَ ذلك تاريخٌ جديدٌ للأُمة الإسلامية، يَذوقونَ ويلاتِه ويَتجرَّعون آلامَه إلى يومنا هذا، والله وليُّنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(٣) «صحيح البخاري» (٤/ ٤٢).

قلتُ: قد تقرَّرَ أنَّ الشيءَ إذا أُطلِقَ يَنصرِفُ إلى الكامل[١]، والغزوُ الكامِلُ هو فتحُها[٢]، فيحتَمِلُ أنْ يكونَ[٣] المرادُ بهذا الجيشِ: هو السلطانُ محمدٌ المذكورُ وجيشُه، وهذهِ بشارةٌ عظيمةٌ مِن رسولِ الله ﷺ، يَفتخِرُ بها سلاطينُ آلِ عثمانَ على سائرِ ملوك الزمان، وهي مسألةٌ غريبةٌ، ونُكتةٌ عجيبةٌ، لم أُسبق إليها.

ومِن غريبِ الاتِّفاقِ:

- أنَّ المَلِكَ الذي بنى القُسطنطينيَّةَ اسمُه: قُسطَنطِين، بناها بعدَ المسيحِ بنحو ثلاثمئةِ سنةٍ، قال ابنُ تيميةَ: «وهو الذي ابتَدعَ الصلاةَ إلى المشرق»[٤]، وابتَدعَ الصليبَ أيضًا.

- وأنَّ المَلِكَ الذي انتُزِعَت منه حين فتحَها السلطانُ محمدٌ كانَ اسمُه: قُسطَنطِينُ أيضًا.

- ولما غزا السلطانُ محمدُ بنُ مرادٍ والدُ السلطانِ أحمدَ غزوتَه المشهورةَ لمدينةِ أَكْري ببلادِ المَجَرِ[٥]، واستَشعرَ النصارى عليه بالظفَر، ظنُّوا لكثرةِ عَددِهم وعُدَدِهم أنهم يَنتزِعون منه القُسطنطينيةَ، وقالوا: «بانيها قُسطَنطِين، وأُخِذَت مِن قُسطنطِينَ[٦]،

---

(١) قاعدةٌ أُصوليةٌ مشهورة، انظر: «موسوعةَ القواعدِ الفقهية» (٢/ ٢٢٤).

(٢) أشار إلى ذلك شمسُ الدِّينِ الكورانُّي (ت٨٩٣) في «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» (٥/ ٤٨٠)، فإنه قال عندَ حديثِ «أوَّلُ جيشٍ مِن أُمتي يَغزونَ مدينةَ قيصرَ مغفورٌ لهم»: «هي القُسْطَنطِينية، وإنْ كان المرادُ فتحَ المدينة: فنحن أولئكَ الجيشُ مِن فضل الله تعالى، كنا في فتحه مع السلطان المجاهد محمد بن مراد، وفَّقه الله للخيرات وأيَّده».

(٣) «يكون» مِن (أ) و(ب).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٣١).

(٥) هي ببلاد المَجَر في دولة هِنْغاريا اليوم.

(٦) «من قسطنطين» سقط مِن (ش).

وفاتحُها محمدُ بنُ مراد، وتُؤخَذُ مِن محمدِ بنِ مرادٍ».

وكان ـ بحمدِ اللهِ ـ ظنُّهم وقياسُهم فاسدًا، فإنَّ اللهَ تعالى نَصرَ عليهم المسلِمين وأظهر الهدى، وأيَّد المرحومَ السلطانَ محمدًا[1]، ورَجع منصورًا مؤيَّدًا، كما سيأتي بيانُه.

ـ **ومنها: فتحُ رُودُس**[2]، وهي جزيرةٌ عظيمَةٌ بالبحر، توجَّهَ لها السلطانُ سليمانُ عليه الرحمةُ والرضوانُ بنفسِه، وأَخذَ ما حوالَيها مِن قلاعٍ وحصون، وأَحاطَ بها بعساكره برًّا وبحرًا[3].

وكان حِصنُها في غايةِ الاستحكامِ، يَعجَزُ الواصفُ عنه[4]، فما استطاعَ

---

(١) تُشير سجلاتُ الدولة العثمانية إلى مدى توقير السلطان محمد الثالث للنبيِّ ﷺ، ومن عجيب ذلك أنه كان يقف كلما سمع اسمَ النبيِّ ﷺ، انظر: «سلاطين الدولة العثمانية» لصالح كولن: (ص١٤٢).

(٢) رُودُس: جزيرةٌ غربَ تركيا، تابعةٌ الآنَ لبلاد اليونان، فُتحتْ زمنَ معاويةَ بنِ أبي سفيان، ومِن اللطائف ما جاء في «مسند أحمد» (٢٤/ ٢٠٤): قال مجاهد: «حدثنا شيخٌ أدرك الجاهليَّةَ ونحن في غزوة رُودُس... إلخ».

تنبيه: جاء ضبطُ هذه الكلمةِ في كُتب المعاجم والبلدان بكسر الدال، إلا أنَّ في المعاجم العثمانية والتركية واللغة الحديثة المستعملة في زماننا هي بضمِّ الدال، وانظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (ص٢٧٩)، وتُكتب بالأحرف اللاتينية هكذا: (Rhodes).

(٣) كان لفتح هذه الجزيرة أهميةٌ كبيرة في حماية الحجاج والمسافرين؛ لأنَّ فرسانَ الهيكل الصليبيين كانوا يَتعرَّضون منها بالقتل والخطف والنهب للحُجاج والمسافرين، وانظر: بحثًا أكاديميًّا حولَها باسم: «الفتح العثماني لجزيرة رُودُس» للدكتور خلف الوذياني.

(٤) مما ذُكر في تحصينها: أنها جزيرةٌ محاطةٌ بقلاع، والقلاعُ محاطةٌ بخندقَين عميقَين، مَن سقط فيهما لا يُمكنه الخروجُ منهما، وكان بهذه الجزيرة سجنٌ مخيفٌ لتعذيب المسلمين والتنكيلِ بهم، يقوم عليه فرسانُ القديسِ يوحنا الأُورشَلِيمي، انظر: «الفتح العثماني لجزيرة رُودُس» (ص٩)، وانظر في وصف تَحصينها «المنحَ الرحمانية» (ص١١١).

المسلمونَ قُرِبَهـا مِن المَدافع، فتأخَّرَت عسـاكرُ البرِّ قليلًا، وسـاقُوا الرَّمـلَ والترابَ أمامَهـم بحيـث صـارَ كالجبـلِ وتترَّسُـوا بـه، وصـاروا يُقدِّمُونَه قليـلًا قليـلًا، إلى أنْ وصـلَ التـرابُ إلى الخنـدقِ، وصـارَ الكفَّـارُ تحـتَ المسـلِمين، فرمَوهـم بالمَدافعِ والنيـران، فطَلَبـوا مِـن السـلطانِ الأمان، واسـتولى عليها السـلطانُ سـليمان[١].

ـ ومنهـا: **فتـحُ مدينةِ سِـكِتْوارَ[٢] ببلادِ النصارى**، خرجَ إليها السـلطانُ سـليمانُ بنفسِـه[٣]، فأَخذَهـا وهـو فـي مـرضِ موتـه، وعنـدَ تمـامِ الفتـحِ مـاتَ[٤] رحمه الله سـبحانه وتعالى[٥].

---

(١) وكان ذلك في السادس مِن صفر عام: (٩٣٠)، انظر: «المنحَ الرحمانية» (ص١١٥).

(٢) سِكِتْوار: مدينة جنوبَ هنغاريا الآنَ، وتكتب: زِكَتْوار، واسمُها بالأحرف اللاتينية: (Zigetvar).

(٣) كان خروجُه لهذه الغزوة في الحادي والعشرين مِن ذي القَعدة عامَ: ٩٧٣، كما في «سِمْط النجوم العوالي» (٤/ ٣٦٣).

(٤) أرَّخ صاحبُ «العقدِ المنظوم» (ص٣٧٦) وفاتَه في ٢٢ صفر سنةَ: (٩٧٤).

(٥) عندَما عزم السلطانُ سُليمان القانونيُّ على الخروج لفتح مدينة سِكِتْوار نهاه الأطباءُ عن ذلك؛ بسبب المرض الشديد الذي كان به، ولكنه أَصرَّ على الخروج وقال لهم: «أُريد أنْ أموتَ غازيًا في سبيل الله»، وخَرج على رأس الجيش، وبقي محاصِرًا لقلعة سِكِتْوار أكثرَ مِن أربعة أشهر، وبعدَ جَولةٍ قام بها السلطان على الجند لتفقُّدِ الصُّفوف الأُولى اشتدَّ به المرض، وطرحه بفراشه، ثم سقطت الحصونُ الخارجية للقلعة فقال السلطان: «طاب الموتُ الآن»، وبعدَ ذلك توفي مُرابطًا مُجاهدًا رحمه الله تعالى، فأَخفى الصدرُ الأعظم خبرَ وفاته، ولم يُخبِر الجندَ؛ خوفًا مِن ضَعفهم أو تقهقُرهم، وأَرسل النبأَ سِرًّا إلى ابن السلطان بإصطنبول، فأَتى ولدُه سَليم إلى ساحة الجهاد، وصار مع المقاتلين، فقال الصدر الأعظم للجند: تَلقُّوا سلطانَكم وترحَّمُوا على سلطانكم، وقاتل مع الجند حتى تمَّ الفتح.

وكانوا قد دَفنوا أعضاءَ السلطانِ الباطنيةَ تحتَ خيمتِه بمكان رِباطه، ثم أُرسل جسدُه فدُفن بإصطنبول، انظر: «نزهةَ الناظرين» للمؤلِّف المطبوع ضمن هذا المجموع، «المنحَ الرحمانيَّة» =

ـ ومنها: **فتحُ حلْقِ الوادي**[1] **وبلادِ تُونِسَ**[2] **الغربِ**، مِن بعدِ استيلاء النصارى عليها؛ بسببِ الخلافِ الواقعِ بينَ سلاطينِ المغرب مِن آلِ حفصٍ، فصارَ بعضُهم يتقوّى على بعضٍ بالفِرَنجِ، وأطمعُوهم في بلادِ المسلمين فاستولَوا عليها، وتمكَّنوا منها، وحَصَّنوا الحصونَ، وأحكَمُوا القلاعَ بحيثُ أَيِس المسلمون مِن فتحِها وانتزاعِها منهم إلى آخرِ الدهر، وصارَ المسلمونَ تحتَ حُكمِ الفِرَنجِ، وأَخذوا مملكةَ تونِسَ، ووَضعُوا السيفَ في أهلِها، فقَتلوا الرِّجالَ، وسَبَوا النساءَ والأولاد.

فلما بلغَ السلطانَ سليمَ ابنَ السلطانِ سُليمانَ ذلكَ، أَرسلَ مئتي غُرابٍ[3] مشحونةً بالأبطالِ والمدافعِ وآلةِ الحرب، وكانت غزوةً مشهودة، ووقعةً معدودةً، مِن أعظمِ غزواتِ بني عثمان، يحتاجُ تفصيلُها لمؤلَّفٍ كاملٍ.

فنَصرَ اللهُ تعالى المسلِمينَ بعدَ أن قُتِلَ منهم نحوُ عشرةِ آلافٍ، وأَخربوا القِلاعَ والحصون، وذلك في سنةِ: إحدى وثمانين وتسعمئة.

ـ ومنها: **فتحُ جزيرةِ قُبرصَ**، وكان أَوَّلُ مَن فَتحها معاويةُ أميرُ المؤمنينَ رضي الله عنه في أيام خلافتِه، ثم فتحَها المَلِكُ الأشرَفُ برسباي سلطانُ مصرَ، وما زالوا يُؤدُّونَ الجزيةَ مِن حينئذٍ إلى أنْ أَخذُوا في المكرِ والخداعِ، وصاروا يَقطَعونَ الطريقَ في البحرِ على المسلمين، فأَرسلَ السلطانُ سليمٌ العساكرَ إليها فقَتلوا مَلِكَها، واستولى المسلمونَ على الجزيرة بأسرِها إلى يومِنا هذا، ولله الحمد.

= (ص١٣٠)، و«تاريخَ الدولة العثمانية» لأوزتونا (١/ ٣٥٣).

(١) حَلْق الوادي: مدينةٌ ساحليةٌ، قربَ العاصمة تونس.

(٢) نصَّ في «تاج العروس» (١٥/ ٤٨٥) على أنَّ تُونِس: بضمِّ التاء وكسرِ النون.

(٣) الغُراب: سفينة شراعية حربية، انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٧/ ٣٢٩).

ـ ومنها: فتحُ المُدنِ الكبيرةِ بعدَ إرسالِ العساكرِ الكثيرة، إلى بلادِ المَجَرِ في أيامِ المرحوم السلطانِ مُراد[1].

ـ ومنها: فتحُ مدينةِ أكْري[2]، بعدَ أنْ توجَّهَ إليها السلطانُ محمدُ بنُ مرادٍ بنفسِه[3].

وانْهزمتْ في تلك الغزاة عساكرُ المسلِمين، ثم تدارَكَ اللهُ تعالى بلُطفِه وفتَحِها، وكانت غزوةً عظيمةً.

ثم بعدَ فتحِها كانتِ الوقعةُ المَعدُودَة، والغزوةُ المشهودَة، وذلكَ أنَّ الكفرةَ الملاعينَ تجمَّعَ منهم عدَّةُ سلاطين، وراموا استئصالَ المسلمين، وغرَّهم كثرةُ

---

(١) هو السلطان مراد الثالث بن سَليم الثاني.

(٢) مدينة (أكْري) وقلعتُها الحصينة، تقع الآنَ في شمال شرق دولة هنغاريا، وتُعتبر الآنَ مِن أهمِّ المعالم السياحية فيها، ولا زالوا إلى الآن يَحتفظون فيها ببعض التراث العثماني وملابسهم، وتُسمى أيضًا: (إغر)، ولمزيد ضبطِ اسمِها فإنها تُكتب بالأحرف اللاتينيَّة هكذا: (Egri).
وهذه القلعةُ لم تُفتح زمنَ السلطان سليمان القانوني رَغمَ حصارِها: ٣٩ مرَّة، ثم فُتحتْ على يدي محمد الثالث في: ١٨ يومًا!

(٣) بعدَ الحادثةِ الأليمة التي حَصلتْ مع السلطان سليمانَ القانونِّي في فتح سِكِتْوار واستشهادِه هناك، تَخلّى سلاطينُ آل عثمانَ عن عادتِهم في الخروج على مقدِّمة الجيش، ثم عادتْ في زمن السلطان محمد الثالث، وعندَما خَرج محمد الثالث مِن قصره للمعركة أَخذ معه نحوًا مِن نصف خزينتِه الشخصية؛ ليُنفقَها على المعركة والمجاهدين، انظر: «الدولة العثمانية» لأوزتونا: (١/ ٤٣٨).
ومما يُذكر هنا: أنَّ لشيخ الإسلام سعدِ الدِّين أفندي فضلًا كبيرًا بتشجيع السلطان محمد الثالث على الخروج بنفسه لقيادة الجيش، فإنه قال للسلطان: «أنا معك أَسير حتى أُخلِّص وُجودي مِن الذنوب»، انظر: «سلاطين آل عثمان» للقرماني: (ص٦٣).
وشيخُ الإسلام سعد الدِّين أفندي هو: محمدُ بنُ حسن جان (ت١٠٠٨)، ويُعرف بـ: (معلِّم السلطان)، انظر: «خلاصة الأثر» (٣/ ٤١٨).

عَددِهم وعُدَدِهم، يزيدونَ في تلكَ الوقعةِ على ثلاثمئةِ ألفٍ وستينَ ألفَ مقاتلٍ، غيرَ أتباعِهم مِن كلِّ راكبٍ وراجل، فالتقَوا يومَ الجمعةِ في تلك الوَقعة، وظنَّ كلُّ مَن حضرَها أنْ لا رجعة، فلما تقابلَ الجيشان، واصطفَّ الجنسان، وتلاطَمَ البَحران، واشتدَّ البُحران[1]، واصطفَّت الأقدامُ، واصطكَّت الأجرام، واصطَفَّ المؤمنونَ كأنهم بُنيانٌ مرصوصٌ بسيوفٍ مُهنَّدَةٍ، وطائفَةُ الكفرَةِ الفجرة كأنهم خُشبٌ مُسنَّدَة، دارتْ رَحى الحربِ يمينًا وشمالًا، وهبَّت نسماتُ الأرواحِ جنوبًا وشمالًا، فقُطِعَت الرُّؤوس، وتبدَّدتِ النفوس، وتيتَّمت الأولادُ، وطُرحتِ الجُثثُ تحتَ سَنابكِ الجيادِ، وأَيقنَ المسلمونَ بالهزيمةِ في تلكِ الوَقعةِ العظيمَةِ.

فنزَلَ السلطانُ محمدٌ وصلّى على الأرضِ وبَكى، وتَضرَّعَ وابتهَلَ ذليلًا إلى مَن يسمع ويَرى[2].

ثم بعدَ ذلك حَملَ المسلمونَ أيضًا على كلِّ مَن كَفرَ وفَجرَ مِن طائفة مَجَر، فلاحَ فلاحُ أَلويةِ النصْر، وأقبلَتِ البشائرُ لسلطانِ العصْر، ونادى مُنادي البشارة بهزيمةِ المشركين، الكفرَةِ الملاعين، ونَسخَت المِلَّةُ المحمَّديةُ الملَّةَ العِيسويَّةَ عن تحقيقٍ بيقين، ورجعتْ بالغنيمة والظفرِ عساكرُ المسلِمين[3].

---

(١) البُحران: الأمراض والعِلل، انظر: «تاج العروس» (١٠/ ١٢١).

(٢) وتذكر المصادرُ: أنَّ السلطانَ محمدًا الثالثَ عندما خرج لهذه المعركة المهمَّةِ والصعبة، اصطحب معه مِن إصطنبولَ بُردةَ النبيِّ ﷺ وسيفَه؛ تشجيعًا للجند على القتال ودبِّ الحماس بقلوبهم، وعندما شعروا بالهزيمة أراد السلطانُ أنْ يدعوَ ويتضرَّعَ وهو لابسٌ بردةَ النبيِّ ﷺ ولكنه تردَّد وخجل، فقال له شيخ الإسلام سعدي أفندي: «يا سلطاني الحبيب، إنك السلطانُ العثماني، والخليفةُ الذي يتبع طريقَ الرسولِ ﷺ، ولذلك يَحقُّ لك أنْ ترتديَ العباءةَ الشريفة، وتبتهلَ إلى الله»، فلبسها السلطان، وتم الفتح بفضل الله تعالى، انظر: «سلاطينَ الدولة الثمانية» لصالح كولن: (ص١٤٠).

(٣) عندما اشتدَّتْ وطأةُ هذه المعركةِ على المسلِمين، وضَعُفَ فيها السلطانُ محمد الثالث وكاد أنْ =

ومنها: ما فَتحه سلطانُ عصرِنا السلطانُ عثمان، مِن حصونهم المَنيعَة، وقلاعِهم الكبيرةِ الشَّنيعَة[(١)]، وبلادِهم الواسعة، بعدَ أن توجَّهَ للجهادِ بنفسِه في سنة: ثلاثينَ وألف[(٢)]، وفعلَ بهم الأفاعيل، ومَحا رُسومَ الضلال والأباطيل، ولم يُصغِ في خروجه إلى زُخرف الأقاويل، وذلك لما بلغَه: أنَّ النصارى ببلادِ الرُّوسِ قد تحرَّكوا لكنْ حركاتٍ هالَتْ عليهم الجُنود، وحلَّ عليهِم بسببِها ما حلَّ بعادٍ وثمود.

وجُـرْمٍ جـرَّه سـفهاءُ قَـومٍ ... فحَلَّ بغَيـرِ جانِيـه العِقـابُ[(٣)]

فَنـادى ـ نصـره الله تعالـى ـ بالجهـادِ إلـى بـلادِ الـرُّوس، عازمًا علـى أنْ يقطعَ منهـم الأعنـاقَ والـرُّؤوس، وتجهَّزَ إليهم بعسـاكِرَ مِن الـرُّوم، وجيـوشٍ لا تُحصى كالنُّجـوم، وجحافِـلَ تنصَـبُّ انصبـابَ الغُيـوم، وقبائـلَ تمحـو الآثـارَ والرُّسـوم،

= يُكسرَ، حتى إنَّ الصدرَ الأعظم أشار على السلطان بالانسحاب خشيةَ وقوعِه بالأسر، فقال شيخُ الإسلام سعدُ الدِّين أفندي للسلطان: «إنَّ الجيشَ الذي لا يَرى السلطانَ في مكانه يَتشتَّت»، وقال أيضًا: «اثبُتْ أيها المَلِك، فإنك منصورٌ بعون مولاك الذي أعطاك، وبالنعم أولاك»، فركب السلطان جوادَه، وحمل سيفَه وتضرَّع إلى القوي العزيز، فما مضتْ ساعةٌ حتى نزل النصر.

ثم بعدَ فتحها أُقيمتْ صلاةُ الجمعة، فكان أولُ مَن خَطب بها شيخُ الإسلام سعدُ الدِّين أفندي، انظر: «الدولة العثمانية» لأُوزْتونا: (١/ ٤٣٨)، و«سلاطين آل عثمان» للقرماني: (ص٦٣).

(١) «الشنيعة» زيادةٌ مِن (أ).

(٢) المتتبِّع لتاريخ السلطان الشاب الشجاع عثمان الثاني يجد ـ مع الأسف ـ شُحًّا كبيرًا حولَ جهادِه، وفي خروجه بنفسه للمعارك، ولكني استطعتُ ـ بفضل الله ـ تعيينَ هذا المكان الذي خرج إليه السلطانُ عثمان بنفسه لقتال الرُّوس، وهي المعركة التي وقعتْ عندَ قلعةِ خُوتِين (Khotyn) في الشمال الغربي لدَولةِ أُوكرانيا اليوم، ولا تزال هذه القلعةُ إلى يومنا هذا، وانظر: «تاريخَ سلاطين بني عثمان» لآصف: (ص٧٧).

(٣) «ديوان المتنبي» (ص٣٨٣)، والذي فيه: «جارمه» عوضًا عن: «جانيه».

وخَرجَ مِن القُسطنطينيَّةِ بتلكَ الجموعِ والجنود، رافعًا على السِّماكِ الألويةَ والبُنود، وهو بينَ تلكَ المواكبِ كأنه القمرُ حُفَّ بالكواكب، بصوارمِ سيوفٍ تَقطِفُ[1] حُروفُها أعناقَ المُتمرِّدِين، وأهلَّةِ قِسيٍّ تُرسِلُ نجومَ سهامِها على شياطينِ الكفَرةِ والمُعانِدين، وسارَ والفتحُ المبينُ مقدِّمةُ جنودِه، والنصرُ العزيزُ مقارنٌ لصُدُورِه ووُرودِه، وخيولُ عزِّهِ في ميادينِ الظَّفَرِ سابقة، ورياضُ هِمَمِه بغيوثِ كرمِه ناضِرةٌ باسِقَة.

فلما تراءى الجمعان، واصطَدمَ الفريقان، رُميتْ السِّهامُ والمَدافع، واندهشَ لبُّ الهُمامِ والمُدافِع، وقامت الحربُ على ساق، وطارَت الرُّؤوسُ والأعناق، وصالَ عليهم بعساكرِه الباهِرة، وجموعِه العظيمةِ القاهِرة، وجيوشِه الظافِرةِ الظاهِرة، ودارتْ الخيولُ فانعَقَد مِن سَنابكِها سماءٌ مِن العَجاجِ[2] نجومُها الأَسنَّة، وطارَتْ إليهم عِقبانٌ مِن الجيادِ قوادِمُها القَوادِمُ وخَوافِيها[3] الأعنَّة، وأخذتْهم رُعودٌ مِن الصواعِقِ والصَّهيل، وأبرقَتْ في جوانبِها بُروقٌ مِن كلِّ سيفٍ صَقيل، فمزَّقَ مِن المشركينَ تلكَ الصُّفوف، وفرَّقَ تلكَ الجموعَ الهائلةَ بعدَ أنْ قَتلَ منهم الأُلوف، وجَعلَ أطلالَهم ممحُوَّةً بالطمْس، وأجسادَهم كأنْ لم تَغنَ بالأمْس، وحضرَتْ لدَيه سلاطينُهم حيارى خاشِعة، وصناديدُهم أُسارى خاضِعة، فقرَّرَ عليهم في كلِّ عامٍ جزيةَ الصَّغار، غيرَ ما سباهُ منهم مِن النساءِ والصِّغار.

ورَجعَ مؤيَّدًا منصورًا، مُستبشِرًا مسرُورًا، بتلكَ العساكرِ والجيوشِ غيرِ

---

(١) في (ش): «تعطف».

(٢) العَجاج: هو الغُبار، انظر: «القاموس المحيط» (ص١٩٧).

(٣) الخوافي: ريشُ جناحِ الطائر، انظر: «مختار الصحاح» (ص٩٤).

المحصـورَة، والألويـةِ والأعـلامِ المنصـورَة، وابتهَجـتْ بنَصـرِه الدُّنيـا مـعَ تباعُدِ أقطارِهـا ودِيارِهـا، والأُممُ علـى اختلاف ألسـنَتِها وأدوارِها، وزُيِّنـت البلادُ بجميعِ مُدنِهـا وأمصارِهـا، وابتهلَت الرَّعايـا بالدعاءِ بتأييـدِ عزائمِه، وتأبيدِ سـفكِ دمِ العِدا علـى أَلسـنةِ صوارمِه.

فللَّـهِ مِـن فتـحٍ قَضـى علـى دمِ العِـدا بالسـفكِ ودموعِهـم بالسـفح، وتُليَـتْ لدَيـه مِـن آيـاتِ التهانـي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾، والآمـالُ ممتـدَّةٌ فـي أنْ تكـونَ عزَماتُـه الكريمـةُ لبقيَّـةِ البـلادِ فاتحـة، وراياتُ الظَّفـرِ والنصرِ بيـنَ يدَيه تَتْلـو له سـورةَ النصـرِ والفاتحـة، لا بَرِحـتْ ثغورُ الإسـلامِ بنصـرِه باسـمةَ الثغور، وعرائـسُ المعالـي بفضلِه مُحـلّاةَ النُّحور، وغُيـوثُ كرمِه الهاميةُ تزيـدُ على الغَمام والبُحـور، آمين.

* * *

[الاعتناءُ بالثُّغور وإقامةُ الأُسطولِ البَحري]

ومن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

تحصِينُ ثغورِ المسلمينَ وقلاعِ المُوحِّدِين، وتعميرُ سفُنِ الجهادِ وإقامَةِ العساكرِ بها، والأجنادُ يطوفونَ في البحرِ شتاءً وصيفًا، ويَدفعونَ عن بلادِ المسلمينَ بلاءً وحَيفًا، وآمنَ في أيامِهم مثلُ دِمياطَ وعكَّا وحَيفا.

وأقاموا في البحرِ وزيرًا يُقال له: (القُبطان)، بمنزلَةِ الوزيرِ الأعظَمِ في الرِّفعةِ والشان، ومِن تحتِ يدِه عدَّةُ باشواتٍ معَ كلِّ واحدٍ عدَّةُ سفنٍ مشحوناتٍ بالمَدافِع، وآلاتِ الحربِ والسِّلاح، والطَّعنِ والضَّربِ والكفاح، بحيثُ نامَت الرَّعايا في بلادِهم في مِهادِ الأمان، وباءَ الفِرَنجُ بسوءِ الطَّردِ والخُسران، ولو نَصحَت العساكرُ حقَّ النصيحةِ لمولانا السلطانِ لأخذوا مدينةَ مالطة[1]، التي حَصل بها للمسلمين المسافرين في البحرِ غايةُ الضَّرر، ولَمَا حَملتْ مُحاصرةَ شهرَينِ أو أكثر، ولو علِمَ بالحالِ مولانا السلطانُ لخَرجَ لفتحِها بنفسِه، ونَصب عليها معاريجَ قُدسِه.

دمَّرها اللهُ تعالى في أيامِه، وضاعَفَ في قدرِه واحترامِه، آمين.

وبالجُملة: فالعساكرُ والأجنادُ التي في البحرِ مِن أتباعِ آلِ عثمانَ بجزائرِ الغرب ورُودُس، وساقِس[2] وبحرِ الرُّوم، وما هم فيه مِن المنعةِ والبأسِ

---

(١) مالطة وتُكتب أيضًا: مالطا، هي مِن أصغر دول العالم في زماننا، وتقع في البحر الأبيض المتوسط قُبالةَ ساحلِ طرابس الليبي، وقربَ السواحلِ الإيطالية.

(٢) ساقِس، وتُكتب في المراجع القديمة أيضًا: ساقِز، وخِيوس، واسمُها في زماننا: شيُوس، وتُكتب بالأحرف اللاتينية: Chios، وهي الآنَ تابعةٌ لجزر اليونان مِن جهة مدينة إزمير على السواحل التركية.

والكثـرَةِ لـم يتَّفِـق لغيرِهـم مِـن السـلاطينِ، ولهـم بذلـكَ غايـةُ الأجْـر، مـعَ الفوزِ بالغنيمَـةِ والنصْـر.

رَوى مسلـمٌ في «صحيحِه»[1] عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه: أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ كان يدخُـلُ علـى أُمِّ حَـرامٍ بنـتِ مِلْحـانَ فتُطعِمُـه[2]، وكانـت أمُّ حَـرامٍ تحـتَ عُبـادةَ بـنِ الصامـتِ وهيَ خالـةُ أنس، فدَخـلَ عليها رسـولُ اللهِ ﷺ يومًـا فأطعمَتْه، ثـمَّ جلسَـتْ تَفلِي رأسَـه[3] فنـامَ رسـولُ اللهِ ﷺ، ثـمَّ اسـتيقَظ وهو يضحَـك، قالت: فقُلـتُ: مـا يُضحِـكُكَ يـا رسـولَ اللهِ؟! قـال: «نـاسٌ مِـن أُمَّتي عُرِضـوا علـيَّ غزاةً فـي سـبيلِ اللهِ، يَركبُـونَ ثَبَـجَ ـ أي: ظَهْرَ ـ هـذا البحرِ مُلـوكًا على الأسِـرَّة»، أو «مثلَ المُلـوكِ علـى الأسِـرَّة»، تشـكُّ أيَّهمـا[4]، قالت: فقلـتُ: يـا رسـولَ اللهِ، ادعُ اللهَ أنْ يجعلَنـي منهـم، فدعـا لهـا، فرَكبتْ أمُّ حَـرامٍ بنـتُ مِلْحانَ البحـرَ في زمـن معاويةَ، فصُرِعـتْ عـن دابَّتِهـا حيـن خَرجتْ مِـن البحـرِ فهلكَتْ.

وفي لفظٍ آخرَ[5]: فاستَيقظَ وهو يضحَكُ فقلتُ: ما يُضحِكُكَ بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ؟! قال: «أُريتُ قومًا مِن أُمَّتي يركَبونَ ظهرَ البحرِ كالمُلوكِ على الأسِرَّة»، فقلتُ: ادعُ اللهَ أنْ يَجعلَني منهم، قال: «فإنَّكِ منهُم»، فتزوَّجها عبادةُ بنُ الصامتِ بعدُ فغزا في البحر، فحَملَها معه، فلمّا أنْ جاءَتْ قُرِّبتْ لها بغلةٌ لتركبَها، فصَرعتْها فاندقَّتْ عنقُها.

---

(١) «صحيح مسلم» (٣/ ١٥١٨).

(٢) قيل: إنَّ أمَّ حَرامٍ كانت خالتَه رضاعًا، وقيل: بالخصوصية، انظر: «فتح الباري» (١١/ ٧٨).

(٣) أي: تفتِّش ما فيه.

(٤) كذا في النُّسخ! والذي في المصادر الحديثية: «شكَّ إسحاق»، وهو أحدُ الرُّواةِ في السند.

(٥) «صحيح مسلم» (٣/ ١٥١٩).

ورواه البخاريُّ[١] وقال فيه: «ناسٌ مِن أمَّتي يَركبُون البحرَ الأخضرَ[٢] في سبيلِ الله، مَثلُهم مَثلُ المُلوكِ على الأسِرَّة».

وفي لفظٍ آخرَ[٣] له قال فيه: «عجِبتُ مِن قومٍ مِن أُمَّتي يَركبُونَ البحرَ كالملوكِ على الأسِرَّةِ».

فهذِه بشارةٌ عظيمةٌ لغُزاةِ البحرِ مِن العساكرِ والأجناد، فيا فوزَ مَن أَخلصَ منهم نيَّتَه في الجهاد.

* * *

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ١٦).

(٢) الوصف بالأخضر وصفٌ لازمٌ لكلِّ البحار، وقيل: هو لتخصيصِ البحر بالمِلْح، انظر: «فتح الباري» (١١/ ٧٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٤/ ٣٦).

[تأمينُ طريقِ الحجِّ والمسافرين]

ومن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

قهرُ المُفسدِينَ مِن العُرْبانِ[1]، وطردُهم مِن البلدانِ.

وتعميرُ القلاعِ بالبراري والقِفارِ، خصوصًا في طريقِ الحُجّاجِ والعُمّار، والمَفاوِز المَخُوفَة.

وإقامةُ الأجنادِ بها لمَعُونة المسافرين، وإسعافِ المُنقَطِعين، معَ الاهتمامِ الزائدِ بشأنِ الحُجَّاج.

وتهيئةُ العساكرِ للسلوكِ بهم في مَخاوف الفِجاجِ معَ ترتيبٍ عجيب، وتركيبٍ غريب.

ودفعُ أموالٍ جزيلَةٍ مِن قِبلِ السَّلْطنةِ لدفعِ المُتغلِّبينَ، مِن العُربانِ المفسِدين، بحيثُ يسيرُ الحُجاج وهم في غايةِ الأمان، ونهايةِ الاطمئنان، وكَفَوهم همَّ مُؤنةِ العُرْبان.

***

---

(١) لعله أراد بالمُفسدين العُرْبان: اللصوصُ الذينَ أَرادوا الخروجَ على الدولة العثمانية باليمن، انظر: «المنح الرحمانيَّة» (ص١٩٠).

[تركةُ السُّلطانِ تعود لبيتِ المال]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

أنَّ السلطانَ منهم يموتُ ولا يُنقَلُ عنه أنه خلَّفَ تركةً يقتَسِمُها ورثَتُه مِن بعدِه، كما كانت الملوكُ السالفةُ، والسلاطينُ الماضيةُ، بل جميعُ ما تركَه هو لبيتِ مال المسلمين، يُصرف في مصالح العساكر والغُزاة والمجاهدين.

هذا أحمدُ بنُ طُولُونَ: سلطانُ مصرَ لما ماتَ خلَّفَ عشرةَ آلافِ ألفِ دينارٍ، وسبعةَ آلافِ فرسٍ، وسبعةَ آلافِ مملوكٍ، وثلاثةً وثلاثينَ ولدًا ذكرًا.

وهذا الأفضَلُ بنُ أميرِ الجيوشِ: أحدُ وزراءِ الخلفاءِ مِن الفاطميينَ بمصرَ، تركَ بعدَه مِن الذهبِ كما قال ابنُ خَلِّكان[١]: «ستَّمئةِ ألفِ ألفِ دينارٍ، ومِن الفضَّةِ مئتينِ وخمسينَ إرْدَبًّا[٢]، وسبعينَ[٣] ألفَ ثوبِ ديباجٍ أطلسَ[٤]، ودواةَ ذهبٍ فيها جوهَرٌ باثني عشرَ ألفَ دينارٍ، وخمسَمئةِ صندوقِ ثيابٍ للُبْسِ بدَنه، وتَركَ صُندوقَين كبيرَين فيهما إبرُ ذهبٍ برسمِ النساء، ومِن سائرِ الأنواعِ ما لا يعلَمُه إلا الله»، ذَكرَ ذلك كلَّه ابنُ خَلِّكان.

وهذا السلطانُ بُرْقُوقٌ: خلَّفَ مِن الذهبِ ألفَي ألفِ دينارٍ[٥]، ومِن الأثاثِ ما

---

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٥١).

(٢) الإرْدَب: يُعادل في زماننا ٥٢. ٢ كغ تقريبًا، انظر: «الإيضاحاتِ العصريةَ للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية» (ص٧٥).

(٣) الذي في «وفيات الأعيان»: «خمسة وسبعين».

(٤) الأَطلس: ثوبٌ مِن حريرٍ منسوجٍ، ليس بعربيٍّ، كذا في «تاج العروس» (١٦/ ٢٠٥).

(٥) الذي في «النجوم الزاهرة» (١٢/ ١٠٦): «خلَّف مِن الذهب ألفَ ألفِ دينار وأربعَمائة ألفِ دينار».

قيمَتُه ألفُ ألفِ دينارٍ وأربعمُئةِ ألفِ دينارٍ، سوى الخيولِ المسوَّمةِ والبغالِ الفارِهَة، والجمالِ البُختيَّة، وكانَ عَليقُ[١] دوابهِ التي في نفسه خاصةً في كلِّ شهرٍ أحدَ عشرَ ألفَ إرْدبٍّ[٢] شعيرٍ.

وهذا سلارُ نائبُ السَّلْطنةِ بمصرَ: صاحِبُ المَلِكِ المُظفَّرِ بيبرسَ الجاشْنكِيرُ[٣]، لما عاقبَه السلطان المَلِكُ الناصرُ محمد بن قَلاوُون[٤]، وجدَ عندَه في سردابٍ أكثرَ مِن خمسينَ حملِ بغلٍ مِن الذهبِ والفضَّةِ، وفي موضعٍ آخرَ سبعًا وعشرينَ خابيةً مِن الذهب، ومِن الجواهرِ شيئًا كثيرًا، وأخرَجَ ألفي حِياصةٍ[٥] مجوهرَةٍ بالفصوصِ، وألفَي قِلادَةٍ مِن الذهبِ، ثم حبسَه المَلِكُ الناصرُ حتى ماتَ جوعًا، فأكلَ ساقَ خُفِّه، ووجدُوهُ عاضًّا على السَّرْمُوجَة[٦]، وكان في شَونتِه[٧] يومَ موتِه مِن الغلالِ ما يزيدُ على أربعمئةِ ألفِ إردَبٍّ.

قال ابنُ الجزريِّ[٨]: «وُجِدَ لسلّارَ بعدَ موتِه غيرُ ما أُخِذَ منه في حياته مِن الذهبِ

---

(١) العَليق: ما يُعلَّق على الدابة ليوضعَ به الشعير ونحوُه، انظر: «تاج العروس» (٢٦/ ١٩١).

(٢) انظر: ما تقدَّم عن الإرْدَب.

(٣) الجاشْنكير: دخيلة، صنفٌ مِن الجند يقوم بخدمة المائدة في دُور الخلفاء والعظماء، فصيحها: النَّدل، «معجم متن اللغة» (١/ ٥٣١).

(٤) «محمد بن قلاوون» زيادةٌ مِن (أ) و(ب).

(٥) الحياصَة ما يُشد به حِزامُ السَّرج، «القاموس المحيط» (ص٦١٦).

(٦) السَّرْمُوجَة أو السَّرمُوزَة: فارسية معرَّبة، وهي رأسُ الخف، انظر: «معجم متن اللغة» (٣/ ١٤٥).

(٧) الشَّونة: مخزن الغلَّة، «القاموس المحيط» (ص١٢١٠).

(٨) هو شمس الدين محمدُ بنُ إبراهيمَ الجزري (ت٧٣٨)، صاحب التاريخ المسمى: «حوادث الزمان»، طُبع قسمٌ منه، ونَقل كلامَه بتمامه الذهبيُّ في «السير» (ص٤١٢) (الجزء المفقود).

ثلاثُ مئةِ[١] ألفِ ألفِ دينارٍ، غيرَ الجواهرِ والحُليِّ والخيلِ والسلاحِ»، واستبعد الحافظ الذهبيُّ ذلكَ وقال[٢]: «هذا كالمستحيل».

ولم يُنقَل عن أحدٍ من سلاطينِ بني عثمانَ شيءٌ مِن مثلِ هذا، ولعلَّ السرَّ في ذلكَ والسببَ فيما هنالك: هو قتلُهم أولادَهم الذينَ هم أعزُّ مِن المال خوفًا على المُلْك، وخشيةً مِن الفتنِ ووقوعِ سفك الدماء والمِحَن، فلا وجهَ حينئذٍ لأن يَتركوا مِيراثًا، أو يَقتسموا تُراثًا، أو يُخلِّفوا أمتعةً وأثاثًا.

* * *

(١) في النسخ: «ثمانمئة»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر التاريخية.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ص٤١٢) (الجزء المفقود).

[قتلُ الأولادِ خوفًا مِن الفِتن]

ومن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

قتلُ أولادِهم الذكورِ خوفًا من إثارة الفتنِ[1]، وفسادِ المُلْك، واختلافِ الكلمةِ، وشقِّ العصا بينَ المسلمينَ، وهذا الأمرُ لم يَسبِقْهم إليه أحدٌ فيما أعلم، وهو وإنْ كان أمرًا يَنفِرُ منه الطبعُ السليمُ بحسبِ الظاهرِ، لكنه في نفسِ الأمرِ خيرٌ كبيرٌ، ونفعٌ كثيرٌ، ومع ذلكَ فلم يَظهرْ لي جوازُ ذلك على سبيلِ الإطلاقِ؛ لأنهُم أطفالٌ لا ذنبَ لهم أصلًا، وكونُ يَحصُل منهم بغيٌ وإثارةُ فِتنٍ فيما بعدُ فهوَ أمرٌ غيرُ مُحقَّق، وتركُ القتلِ في مثل ذلكَ أَليَق.

ولعلَّ مَن أفتى مِن العلماءِ بالجواز، واستحَلَّ قتلَهم وأجاز، محتجًّا بجوازِ قتلِ الثُّلثِ لإصلاحِ الثُّلثَين[2]، نـزَّلَ الظنَّ منزلةَ اليقين، على ما فيه مِن البُعدِ بلا مَين.

ويحتمِلُ أن يقال: يجوزُ قتلُهم سياسةً لا شريعةً، وبابُ السياسةِ أوسَعُ من بابِ الشرعِ.

فقد قال العلماءُ المحقِّقونَ: للسلطانِ سلوكُ سبيلِ السياسةِ، ولا تتوقَّفُ السياسةُ على كلِّ ما نطقَ بهِ الشرعُ، قال العلامةُ ابنُ عَقيلٍ الحنبليُّ مِن

---

(١) يُنظر حولَ هذه المسألةِ الشائكة في كتاب «الدولةِ العثمانية المجهولة» (ص١٢٩)، و«منهلِ الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان» (٢/ ٤٤٦).

(٢) تُنسب هذه المسألة إلى الإمام مالك، وهي: جوازُ قتلِ ثُلث الأُمة لإصلاح الثُّلثين اعتبارًا بالمصلحة العامة، وهو لا يصحُّ ولا يثبت عنه، بل المالكيةُ يُنكرونه إنكارًا شديدًا، ولا يوجد في كتبهم، انظر: «نفائس الأصول» (٩/ ٤٠٩٢) للقرافي المالكي.

أصحابنا[١]: «وهو الحزمُ عندَنا»[٢].

وقال العلامةُ القَرافيُّ[٣]: «ولايةُ المظالمِ أوَّلُ مَن أحدثَها في الإسلامِ عبدُ المَلِكِ بنُ مروانَ رحمه الله تعالى، فكانَ يجلِسُ للمظالمِ يومًا يخصُّها، ويرُدُّ مشكلاتِها لأبي إدريسَ[٤] الأَوديِّ[٥]»، قال القَرافيُّ: «وله الأخذُ بالقرائنِ وشواهدِ الأحوال وغيرِ ذلكَ مما لا يأخذُ به القضاة»، انتهى كلامُ القَرافيِّ.

ونَقل شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدِّين ابنُ تيميَّةَ[٦]: أنَّ شرائعَ الأنبياءِ قاطبةً جاءتْ بتحصيلِ المصالحِ وتكميلِها، وتعطيلِ المفاسدِ وتقليلِها.

فهي تأمرُ بما تترجَّح مصلَحتُه وإنْ كان فيه مفسدَةٌ مَرجُوحَةٌ كالجهاد.

وتَنهى عما ترجَّحتْ مفسَدتُه وإنْ كان فيه مصلحةٌ مرجوحة، كتناولِ المحرَّماتِ مِن الخمرِ وغيرِه.

فالشرائعُ الإلهية توجِبُ تحصيلَ أعظَمِ المصلحتَينِ بفواتِ أدناهما، ودفعَ أعظَمِ الفسادَينِ بأدناهُما، فكلُّ أمرَين تعارَضا فلا بدَّ أن يكونَ أحدُهما راجِحًا والآخرُ مرجُوحًا، أو يكونا متكافئَينِ، فيُحكم بينَهما بحسب الرجحانِ وبحسبِ التكافُؤ[٧].

---

(١) «الحنبلي من أصحابنا» زيادةٌ مِن (ب).

(٢) «شرح منتهى الإرادات» (٣/ ٣٦٥)، نقلاً عن ابن عَقيل في كتابه: «الفنون».

(٣) انظر: «الذخيرة» (١٠/ ٣٨).

(٤) في النسخ: «لإدريس»، والمثبتُ من المصادر الفقهيَّة.

(٥) تحرَّف هذا النصُّ في مطبوعة «الذخيرة»، وأشار المحقِّق لذلك، فيُمكن تصحيحُ ما في «الذخيرة» مِن هنا.

(٦) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (١/ ٢٨٨).

(٧) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (١/ ٤٣٤).

فأما الأمرُ الذي ترجَّحت فيه المصلحةُ المحبوبَةُ فهذا يُؤمَر به.

والأمرُ الذي ترجَّحتْ فيه المفسدةُ فهذا يُنهى عنه.

والأمرُ الذي تخلُو عنه المصلحَةُ والمفسدَةُ فهذا لا يُؤمَرُ به ولا يُنهى عنه.

وقد يكونُ الراجِحُ متفاوتًا في الأرجحيَّة، فيُقدَّمُ الأرجَحُ على الراجح[١].

فمحبَّةُ اللهِ تعالى للمُتطهِّرينَ ومحبَّتُه للنظافةِ لا تمنَعُ حصولَ المُعارضِ الراجح، مثلَ: أن يكونَ الماءُ محتاجًا إليه للعطش.

فمحبَّتُهُ تعالى لسقيِ العطشانِ راجحةٌ على محبَّتِهِ تعالى للطهارةِ والنظافة[٢].

وكذلكَ سائرُ ما يقعُ فيه التزاحمُ مِن الواجباتِ والمستحبَّات، فيُقدَّمُ عندَ التزاحمِ الأحبُّ إلى اللهِ تعالى، فيقدِّمُ مَن يريدُ الحجَّ فداءَ مسلمٍ بمالٍ يُرادُ قتلُه على مالٍ ظلمًا.

وعلى هذا استقرَّتِ الشريعةُ بترجيحِ خيرِ الأمرَين، ودفعِ شرِّ الشرَّين، وترجيحِ الراجحِ مِن الخيرِ والشرِّ المُجتمِعَين[٣].

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، وقد دلَّ الشرعُ والعقلُ على وجوبِ تحصيلِ المصالحِ وتكميلِها، وإعدامِ المفاسدِ وتقليلِها.

إذا علمتَ هذا فينبغِي القولُ بجوازِ القتلِ إذا صارَ الغلامُ مراهقًا مع القرائنِ الدالَّةِ على الفتنَة؛ لأنهُ حينئذٍ صارَ مَظِنَّةَ الفسادِ والفِتن، وأما قبلَ ذلكَ فلعلَّ اللهَ يُحدِثُ بعدَ ذلك أمرًا.

---

(١) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٤٣٥).

(٢) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٤٣٨).

(٣) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٤٣٩).

وأما عندَ الخوف فربما يجوزُ القتلُ مِن هذه الحيثيةِ عملًا بالقرائنِ وشواهدِ الأحوالِ قبلَ أن يتَّسِعَ الخرقُ ويَعظُمَ الخَطْبُ، ويَشتدَّ الندمُ والكرب.

هذا السلطانُ سليمانُ في أوَّلِ توليتِه شَرعَ في قتلِ أولادِه خوفَ الفتنِ والخروجِ عليهِ، وأرسلَ أمرًا بإحضارِ ولدِه مصطفى بعدَ توجُّههِ إلى تبريزَ[١] لأخذِ العجم، فأَمرَ بخَنقِه، ثمَّ تحيَّلَ على تحصيلِ ولدِه بايزيدَ بعدَ أنْ وقعَتْ فتنٌ قُتِل فيها نحوُ خمسين ألفًا، ولا ريبَ أنَّ قتلَ واحدٍ أسهَلُ مِن عشرةٍ، فكيفَ بخمسِينَ ألفًا؟!

وهذا مولاي أحمدُ سلطانُ الغربِ[٢] لما مات وتركَ أولادَه فاقتتَلُوا بعدَه على المُلْك، وحصلتْ فِتنٌ قُتِلَ فيها أُلوفٌ لا تُحصى مِن المسلمين، وذهبَ بعضُ أولادِه إلى الفِرنجِ واستعاذ بهم وأَطمعَهم في بلادِ المسلمين، وسلَّمَهم مدينةَ العرائشِ[٣] وهي مدينةٌ عظيمَةٌ مِن مدائن المسلمين، وهي بأيدي الفِرنجِ إلى يومنا هذا، وهي بهذا السببِ سلطنةُ المغرب، ولم تَزل الأمورُ في التخبُّطِ[٤] بالمغربِ إلى الآن.

ولو قَتل مولاي أحمدُ أولادَه إلا واحدًا كسلاطينِ بني عثمانَ لما صارَ شيءٌ من ذلكَ ولا كان، ولكنْ ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا، ويَحكم ما يريد في خلقه وكلُّ أمرٍ لا بدَّ وأنْ يكونَ مسؤولًا.

***

---

(١) مدينة تبريز: هي مِن أكبر المدن في إيران، وتقع غربَ أذربيجان الشرقية.

(٢) أحمد بن محمد السَّعدي (ت٩٦٥) مؤسِّس الدولة السَّعدية، انظر: «الأعلام» (١/ ٢٣٤).

(٣) مدينة العرائش: تقع على الساحل المغربي بينَ طنجةَ والرِّباط.

(٤) يوجد تحريفٌ ببعض النسخ هنا.

[إجلالُ العلماءِ والصلحاءِ وعدمُ إهانتِهم]

ومِن فضائل سلاطين بني عثمانَ:

إجلالُ العلماءِ واعتقادُ الصلحاء، وإكرامُ أهلِ القرآنِ، فلم يُنقَلْ عنهم ولم يُسمَع منهم إهانةُ أحدٍ مِن العلماءِ حقيقةً[1]، بخلافِ غيرِهم مِن الملوكِ والخلفاءِ، فقد آذَوا كثيرًا مِن العلماءِ والأئمَّة، وأهانوهم وقَتلُوهم، وفَعلوا بهم أنواعًا مِن الحقارات.

[مِحنةُ الإمام أبي حنيفة]:

هذا الإمامُ أبو حنيفةَ عليه الرحمةُ والرِّضا والرضوان، مع جلالةِ قدرِه ووُفورِ علمِه وورعِه، قد حَصَل له مِن الخليفةِ أبي جعفرٍ المنصورِ ما حَصل، ووَقعَ له معه ما وَقعَ، كما ذَكرتُ ذلكَ في كتابي: «تنوير بصائرِ المقلِّدينَ في مناقبِ الأئمَّةِ المجتهدين».

رَوى الحافظُ الخطيبُ[2] وأبو محمدٍ الحارثيُّ وغيرُهما عن جماعةٍ مِن الرواة دخلَ كلامُ بعضِهم في بعضٍ: أنَّ الخليفةَ أبا جعفرٍ المنصورَ طلبَ الإمامَ أبا حنيفةَ مِن الكوفةِ إلى بغدادَ، وطَلبَ منه أنْ يليَ القضاءَ، وتكونَ قضاةُ الإسلامِ مِن تحتِ يدِه، فاعتلَّ أبو حنيفةَ بعِللٍ لم تُقبَل منه، وحَلفَ الخليفةُ أنه إنْ لم يَفعلْ ليحبِسنَّه، فأَبى الإمام أبو حنيفةَ فحبسَه، وأَمرَ بأنْ يُخرجَ كلَّ يومٍ فيُضربَ عشرةَ أسواطٍ، ويُنادى عليه في الأسواقِ، فصارَ يُضربُ الضَّربَ الشديد، ويُنادى عليه في الأسواقِ والدمُ يَسيلُ على عقبَيه، ويُعادُ إلى الحبسِ، وضُيِّق عليه تضييقًا شديدًا في الطعام والشرابِ والحبس.

---

(١) لـو تتبَّـع المرءُ كُتـب التاريخِ والتراجم، لوَجـد مِن تعظيم سـلاطينِ آلِ عثمانَ للعِلـم وأهلِه وطلبتِه الشيءَ الكثير.

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٤).

وفُعلَ به جميعُ ذلك في عشرةِ أيامٍ كلَّ يومٍ عشرةُ أسواطٍ، فلما تتابعَ عليهِ الضربُ بَكى وأكثرَ الدعاءَ، فمَكثَ بعدَ ذلك خمسةَ أيامٍ، وماتَ رحمه اللهُ، وذَكروا أنه مات مسمُومًا غريبًا مظلومًا رحمه الله تعالى.

رَوى أبو محمدٍ الحارثيُّ: أنه رُفع إلى أبي حنيفةَ قدحٌ فيه سمٌّ، فأُكرِه على شُربِه مرّاتٍ فأَبى، وقال: إني لأعلَمُ ما فيه، فلا أُعينُ على قتلِ نفسي، فطُرِحَ ثم صُبَّ في فيه، ثم خُلِّيَ عنه.

ورَوى الحارثيُّ عن نُعَيمٍ عن يحيى قال: «مات أبو حنيفةَ رحمه اللهُ غريبًا مَسمومًا»[1].

وفي بعضِ الروايات: أنَّ أبا حنيفةَ لما حَضرَ بينَ يدَي أبي جعفرٍ دعا له بسَويقٍ وأَمره بشُربِه، فامتنعَ فقال له: لتشربنَّه، فأَكرَهه حتى شرِبَه، ثمَّ قامَ مبادِرًا فقال له أبو جعفرٍ: إلى أين؟ قال: إلى حيث بعثتني، فمُضي به إلى السجنِ فمات فيه.

قال بعضُهم: وفي الحقيقةِ إنَّ أبا جعفرٍ إنما أَرسلَ إلى الإمام أبي حنيفةَ وأَحضرَه مِن الكوفةِ إلى بغدادَ ليقتلَه لا ليُبقيَه.

وسببُ ذلك: أنَّ إبراهيمَ بنَ عبدِ الله بنِ الحسنِ بن عليٍّ بن أبي طالبٍ لما خَرجَ على أبي جعفرٍ المنصورِ بالبصرةِ خافَ منه خوفًا شديدًا، فدسَّ بعضُ أعداءِ أبي حنيفةَ إلى أبي جعفرٍ أنَّ أبا حنيفةَ مساعدٌ لإبراهيمَ[2]، فطلبَه أبو جعفرٍ لذلك، وأحضرَه إلى بغدادَ، ولم يَجسُرْ على قتلِه بلا سببٍ، فطَلب منه أن يكونَ قاضيًا لعلمِه أنَّ أبا حنيفةَ لا يَقبَلُ، وتوصَّلَ بذلكَ إلى قتلِه، ومكَثَ رحمه اللهُ في مدَّةِ العقوبةِ خمسةَ عشرَ يومًا ثم ماتَ، وذلك في سنة: مئةٍ وخمسينَ رحمه الله.

---

(١) قال الذهبيُّ في «السير» (٦/ ٤٣٠): «تُوفي أبو حنيفةَ شهيدًا مَسْقيًّا».

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٤).

[مِحنةُ الإمامِ مالك]

وهذا الإمامُ مالكٌ رحمه اللهُ إمامُ دارِ الهجرَةِ، وناهيكَ به، ضُرِبَ بالسِّياطِ، ومُدَّتْ يداهُ حتى انخلَعَ كتفاهُ، وارتُكبَ منه أمرٌ عظيمٌ، وحُمِلَ على بعيرٍ، وطِيفَ به في المدينة.

قال العلامةُ الحَطّابُ[1] إمامُ المالكيَّةِ: «اختُلِفَ في مَن ضَربَ الإمامَ مالكًا، وفي سببِ ضربِهِ؟ قال: والأشهر أنَّ جعفرَ بنَ سليمانَ عاملَ المدينةِ هو الذي ضَربه.

وسببُ ذلك: أنَّ الخليفةَ أبا جعفرٍ نهاه عن حديثِ: «ليس على مُستكرَهٍ طلاقٌ»[2]، ثمَّ دَسَّ إليه مَن سألَه، فحدَّثَ به على رؤوسِ الناس».

ولما طِيفَ به في ضربِه على البعيرِ صار يُنادِي: «ألا مَن عَرفني فقد عَرفني، ومَن لم يعرفْني فأنا أُعرِّفه بنفسي، أنا مالكُ بن أنس، وأقولُ: إنَّ طلاقَ المكرَهِ ليسَ بشيءٍ»[3].

وقيل: إنه أَفتى عندَ قيامِ محمدِ بن عبدِ الله العلويِّ بأنَّ بيعةَ أبي جعفرٍ لا تُلزِمُ؛ لأنها على الإكراهِ، وعلى هذا أكثرُ الرُّواة[4].

واختُلِفَ في مقدارِ ضربِه مِن ثلاثينَ إلى مئةٍ، ومُدَّت يداهُ في الضربِ حتى انخلَعَ كتفاه، وبقيَ بعدَ ذلكَ بطّالَ اليدَينِ لا يستطيعُ أنْ يَرفعَهما، ولا أنْ يُسوِّيَ رداءَه، ولم يكن بعدَ ذلك يشهَدُ الصلاةَ في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا الجمعةَ

(١) «مواهب الجليل» (١/ ٢٨).

(٢) انظر: تخريجَ الحديثِ في «التلخيص الحبير» (٣/ ٤٣٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٦).

(٤) انظر: «مواهب الجليل» (١/ ٢٨).

والجماعةَ، واحتمَلَ الناسُ ذلك منه، وكان ربما كُلِّمَ في ذلكَ فيقول: «ليس كلُّ أحدٍ يقدِرُ أنْ يَتكلَّمَ بعذرِه».

قال في «مختصَرِ المدارِك»[١]: «لما حَضرتْه الوفاةُ سُئلَ عن سبَبِ تخلُّفِه عن المسجدِ، وكان تخلُّفُه عنه سبعَ[٢] سنينَ، فقال: لولا أني في آخرِ يومٍ مِن الدنيا، وأوَّلِه مِن الآخرةِ ما أخبرتُكم، منعني سلَسُ بولي، فكرِهتُ أنْ آتيَ مسجِدَ رسولِ اللهِ ﷺ، وكَرِهتُ أنْ أذكُرَ عِلَّتي فأشكوَ ربِّي».

وقيل[٣]: كانَ اعتراهُ الفتقُ مِن الضَّربِ الذي ضُرِبَه، فكانتِ الرِّيحُ تَخرجُ منه، فقال: إني أُوذِي[٤] المسجدَ والناسَ، وماتَ في سنةِ: تسعٍ وسبعينَ ومئةٍ رحمه اللهُ تعالى.

***

(١) انظر: «ترتيب المدارك» (٢/ ٥٥).

(٢) كلمة: «سبع» غيرُ موجودةٍ في «ترتيب المدارك».

(٣) انظر: «ترتيب المدارك» (٢/ ٥٦).

(٤) الذي في «ترتيب المدارك»: «وكرهتُ أنْ أُوذي».

[مِحنةُ الإمامِ الشافعي]

وهذا الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ رحمه اللهُ تعالى، ناصِرُ الحديث، وناهيكَ به عِلمًا واجتهادًا، قد حُمِلَ في الحديدِ مِن اليمنِ إلى بغدادَ.

قال الكرابيسيُّ[(١)]: «سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: كَتب مطرِّفٌ إلى هارونَ الرَّشيد: إنْ أردتَ اليمنَ لا يَفسدُ عليكَ فأَخرِج عنا محمدَ بنَ إدريسَ، وذَكر أقوامًا مِن الطالبيينَ، قال: فبَعث إلى حمّادٍ البربريِّ، فأُوثقتُ في الحديد، فقدِمْنا على هارونَ الرشيدِ بالرقة».

وقال الربيعُ[(٢)]: «إنَّ الشافعيَّ قال: خَرجتُ إلى اليمنِ فأَقمتُ بها أشهرًا[(٣)]، وارتفَع لي بها شأنٌ، وكان بها والٍ مِن قِبلِ الرَّشيد، وكان ظَلُومًا غَشُومًا، قال: فكنتُ ربما منعتُه مِن الظلم، وكان باليمنِ جماعةٌ مِن العلويينَ قد تحرَّكوا للخروجِ على الرشيد، فكَتب الوالي إلى الرشيد: إنَّ العلويةَ قد تحرَّكوا وأَرادُوا أنْ يَخرُجوا، وإنَّ هاهُنا رجلًا مِن ولد شافعِ بن السائبِ مِن ولَدِ المطلِّبِ، لا أَمرَ لي معَه ولا نهيَ.

فكتبَ إليه الرشيدُ: أنْ يَقبِضَ عليهم وعليه، قال: فقُرِنتُ معهم، فلمّا قَدِموا على الرشيدِ أَمرَ بقتلِ العلويةِ فقُتِلوا، وكاد الشافعيُّ يُقتَلُ معهم، لولا أنَّ اللهَ لَطفَ به؛ لعلمِه وفصاحَةِ لسانِه»[(٤)].

---

(١) الخبر بطوله في «حلية الأولياء» (٩/ ٧٠).

(٢) الخبر في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: (٥١/ ٢٨٦)، و«معجم الأدباء» (٦/ ٢٣٩٦).

(٣) «أشهرًا» ليست في المصادر التاريخية.

(٤) وكان قد شَفع للإمام الشافعيِّ عندَ الرَّشيدِ الإمامُ محمدُ بنُ الحسنِ الشيبانيُّ، حتى قال الإمام الشافعي: «فأَخذني محمدٌ، وكان سببَ خلاصي»، انظر: «الانتقاء» لابن عبد البر: (ص١٥٥).

[مِحنةُ الإمامِ أحمد]

وهذا الإمامُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه إمامُ السنَّةِ ـ معَ علمِه وزُهدِه وورَعه ـ قد حُمِلَ في الحديدِ مِن بغدادَ إلى طَرَسوسَ بأرضِ الرُّومِ، إلى الخليفةِ المأمون؛ ليعترِفَ عندَه أنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

قال أحمدُ[1]: «فلما قدِمنا عليه خَرجَ إلينا خادِمٌ وهو يَمسحُ عن وجهِه بكُمِّهِ ويقولُ: عزَّ عليَّ يا أحمدُ ما حلَّ بكَ، قد جرَّدَ أميرُ المؤمنينَ سيفًا لم يُجرِّدْه قطُّ، وبَسطَ نِطعًا[2] لم يَبسطْهُ قطُّ، وهو يقولُ: وقرابتي مِن رسولِ اللهِ ﷺ لا رَفعتُ سيفي هذا عن أحمدَ حتى يقولَ: القرآنُ مخلوقٌ».

قال الخادم: فنظرتُ إلى أحمدَ وقد بركَ على رُكبَتيه ولَحَظَ السماءَ بعينَيه، ثم قال: «غرَّ هذا الفاجرَ حِلْمُك[3] حتى يتجرَّأَ على أوليائك بالضربِ والقتل، فإنْ يكُنِ القرآنُ كلامُكَ غيرَ مخلوقٍ فاكفِنا مُؤنتَه»، قال: «فواللهِ ما مضى الثُّلثُ الأولُ مِن الليلِ إلا ونحن بصيحةٍ وضجَّةٍ، وإذا قاصِدُ المأمونِ قد أَقبلَ علينا فقال: صدقتَ يا أبا عبدِ الله، القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، وقد ماتَ والله أميرُ المؤمنينَ»، يعني: وكُفيتَ مُؤنتَه.

ولما ماتَ المأمونُ رُدَّ الإمامُ أحمدُ إلى بغدادَ مقيَّدًا، فسجنَه الخليفةُ المعتصِمُ باللهِ أخو المأمونِ، وعاقبَه أشدَّ العقابِ على أنْ يقول: القرآنُ مخلوقٌ، ثم أَحضرهُ يومًا للعقوبة في نهارِ رمضانَ، وأَحضرَ الجلّادينَ قال: أَروني سِياطَكم فنَظرَ إليها،

---

(١) انظر الخبرَ بطُولِه في «حلية الأولياء» (٩/ ١٩٤).

(٢) النِّطْع: البِساط مِن الجلد.

(٣) جاءت العبارةُ في النُّسخ هكذا: «علا عن هذا الفاجر حكمك»، والمثبتُ مِن المصادر التاريخية.

ثم قال: ائتوني بغيرِها، فأَتوه بغيرِها ثم قال: تقدَّموا، فمدُّوا يدَيه حتى تخلَّعتْ، ثم أمرَهم بضربِه، وصارَ المعتَصِمُ يقولُ للجلادِين: شُدُّوا قطَّعَ اللهُ أيديَكم.

قال أحمدُ: «فذهَب عقلِي وأكبُّوني على وجهي، وأنا لا أشعرُ بذلك».

وذَكر البيهقيُّ[1]: أنَّ الإمامَ أحمدَ قال في أولِ سوطٍ ضُربه: «باسم اللهِ»، وفي الثاني: «توكَّلتُ على اللهِ، وهذا في رضا اللهِ»، وفي الثالثِ قال: «ما شاءَ اللهُ كان وكلُّ شيءٍ عندَه بمقدارٍ»، وفي الرابعِ قال: «لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ»، وفي الخامسِ قال: «يا أميرَ المؤمنينَ، إنك موقوفٌ ومُساءَلٌ عني بينَ يدَي ربٍّ لا يَظلِمُ، ويأخذُ للمظلومِ مِن الظالم»، وفي السادسِ قال: «يا أميرَ المؤمنينَ، سألتُكَ بالله وبالدارِ الآخرةِ»، كلُّ ذلك لا يرفَعُ رأسَه إليه، وفي السابعِ قال: «يا أميرَ المؤمنينَ، اذكُر وُقوفَك بينَ يدَي اللهِ تعالى كوُقوفي بينَ يديكَ، لا تستَطيعُ منعًا، ولا عن نفسِكَ دفعًا».

ولقد حَكى بعضُ الجلّادينَ قال: «لقد غَلب أحمدُ بنُ حنبلٍ الشُّطّارَ[2]، لقد ضربتُه ضربًا لو أَوقعتُه ببعيرٍ لَنقبْتُ عن جوفِه».

وقال آخرُ: «لقد ضربتُه ثمانينَ سوطًا لو وقعتْ بفيلٍ لهدَّته لشدَّتِها».

وكانت مدَّةُ إقامةِ الإمامِ أحمدَ في الحبسِ والضربِ: ثمانيةً وعشرينَ شهرًا.

---

(١) الإمام أبو بكر البيهقي له كتابٌ في مناقب الإمام أحمد، ولكنْ لم أَعثر عليه، ذكره الذهبيُّ في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٢١٩)، وقد ذكر هذه القصةَ نقلًا عن البيهقيِّ القاضي السعديُّ الحنبلي (ت٩٠٠) في «الجوهر المُحصَّل في مناقب الإمام أحمدَ بنِ حنبل» (ص٦٣).

(٢) الشُّطار: جمع شاطرٍ، ومِن معانيه: الشجاعُ الذي يَحتقر الألم، انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٦/ ٣١٠).

وفي روايةٍ: مَكثَ في السِّجنِ ثلاثَ سنين، واستمرَّ أثرُ الضربِ بيِّنًا بظهرِه إلى أنْ ماتَ رحمه الله تعالى.

ولما ماتَ المُعتصِمُ وتولى ابنُه الخلافةَ الواثقُ باللهِ أَرسلَ إلى الإمامِ أحمدَ يقولُ له: «لا تَجمعَنَّ إليك أحدًا، ولا تُساكنِّي في بلدٍ أنا فيه»، فأقامَ الإمامُ أحمدُ مُختفيًا حتى ماتَ الواثق.

وكانت مدةُ ولايتِه: خمسَ سنينَ وشهرينِ، ومدةُ ولايةِ المُعتصِم: ثماني سنينَ وشهرَينِ وأيامًا.

وكان الواثقُ قد حَملَ الأئمَّةَ على القولِ بخلق القرآنِ، وشدَّدَ في ذلكَ، وقَتلَ مِن العلماء خلائقَ، وحُمِلَ إليه الإمام البُويطِيُّ صاحِبُ الشافعيِّ في الحديدِ مِن مصرَ إلى بغدادَ، فحُبِسَ إلى أنْ مات.

قال الربيعُ: «رأيتُ البُويطيَّ على بغلٍ في عنُقهِ غُلٌّ، وفي رجلَيه قَيدٌ، وبينَ الغُلِّ والقيدِ سِلْسِلَةُ حديدٍ، فيها طوبةٌ وزنُها أربعونَ رِطلًا[1]»[2].

وحُمِلَ إليه أيضًا الإمامُ الجليلُ نُعيمُ بنُ حمّادٍ بالحديدِ مِن مصرَ إلى بغدادَ، فحُبِسَ حتى مات[3].

وحُمِلَ إليه الإمام الجليل أحمدُ بنُ نصرٍ[4] شيخُ يحيى بنِ مَعينٍ وغيرِه

---

(١) الرِّطل بحدود (٣٠٠غ)، أي: كان وزنُ الطُّوبةِ ما يُعادل: (١٢كغ) تقريبًا، انظر: «الإيضاحاتِ العصريةَ للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية» (ص١٧٧).

(٢) «الوافي بالوفيات» (٢٩/ ١٦٥).

(٣) يوجد سقطٌ هنا في النسخة (ش).

(٤) الإمام الكبير الشهيد أبو عبد الله أحمدُ بنُ نصرٍ الخزاعي (ت٢٣١)، انظر ترجمتَه وقصةَ قتلِه وما جَرى له مِن البشائر بعدَ مقتلِه في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦٦).

مِـن الأئمَّـة، فدعـاه الواثـقُ إلـى القـولِ بخلـقِ القـرآنِ فأَبـى، فأَمـرَ بضـربِ عُنقِه، فضُـرِبَ وحُمِـلَ رأسُـه إلـى بغـدادَ، فنُصِـبَ فـي الجانـبِ الشـرقيِّ أيامًـا، وفـي الجانـبِ الغربـيِّ أيامًـا.

ومَن أرادَ المزيدَ مِن هذا وما وقعَ للأئمةِ خصوصًا الأربعةِ فليراجِع كتابي: «تنويرُ بصائرِ المُقلِّدِين في مناقبِ الأئمةِ المجتهِدين».

ولقد نَقل بعضُهم: أنَّ بعضَ الخلفاءِ قَتلَ سبعَمئةِ عالمٍ لامتِناعهم من القولِ بخلقِ القرآن.

وقـال أبـو الحسـنِ القابسـيُّ[1]: «إنَّ الذيـن قتلهـم عُبيـد الله ـ يعنـي: سـلطانَ المغـرب ـ العلـويُّ وبنـوه مِـن العلمـاء والعبـادِ أربعـةُ آلافِ رجـلٍ؛ ليَردُّوهـم عن الترضـي عـن الصحابـة رضـي الله عنهم».

وإذا تدبَّرَ العاقلُ دولةَ بني عثمانَ وما العلماءُ فيه مِن الإجلالِ والإكرام، والتوقيرِ والاحترام، معَ الأرزاقِ الواصِلةِ إليهم، والوظائفِ الجارِيةِ عليهم، علِمَ أنَّ أيامَهم خيرُ أيامٍ، وزمانَهم خيرُ زمانٍ، لولا ما يَحصلُ مِن حواشِيهم وقضاتِهم بغيرِ عِلمهم مِن الظلمِ للرعايا، والجَورِ في القضايا، ولكن المصائبُ والبلايا والنوائبُ والرزايا بعضُها أخفُّ مِن بعضٍ، والتي وقعتْ في زمنِ غيرِهم لم يقعْ شيءٌ منها في زمنهم، بل العلماءُ عندَهم في غايةِ التعظيمِ والتبجيلِ والتكريمِ، ولعلَّ بهذا السببِ دامَتْ دَولتُهم، وارتَفعتْ كلمتُهم.

* * *

---

(١) أبو الحسن عليُّ بنُ محمدٍ القابسي (ت٤٠٣) صاحب «ملخَّص الموطأ» وغيرِه، انظر: «الأعلام» (٤/ ٣٢٦)، ونقل كلامَ القابسيِّ هذا الذهبيُّ في «السير» (١٥/ ١٤٥).

[حكايةُ أميرِ بخارى مع أحدِ العلماء]

حَكى صاحبُ كتابِ «جامعِ الحكاياتِ ولامِعِ الرِّواياتِ»[١]: أنَّ السلطانَ إسماعيلَ صاحبَ بخارى وممالكِ ما وراءَ النهرِ[٢]، استأذنَ عليه بعضُ العلماءِ فأَذِن له، فلما دَخلَ عليه قامَ السلطانُ له، واستقبَله حافيًا سبعَ خطواتٍ، ثمَّ أَجلسَه معَه على مِنصَّته، وأَصغى إلى كلامه، وعظَّمه تعظِيمًا بالغًا، وقَضى حوائجَه، فلما قامَ ذلكَ العالمُ نهضَ السلطانُ معه مقدارَ سبعِ خطواتٍ، وكان أخوهُ إسحاقُ حاضرًا فقال له: يا أخي، لقد أَوهنتَ نامُوسَ المُلْكِ، ووضعتَ مِن جانبِه، قال: بماذا؟ قال: بما فعلتَ معَ هذا الفقيهِ مِن التعظيمِ والمشيِ قُدّامَه، وحشمةُ المُلْكِ والسَّلْطنةِ تَقتَضي الوقارَ والسُّكون، وعدمَ الاكتراثِ بالناس، فإذا فعلتَ مثلَ هذا معَ واحدٍ مِن آحادِ الفقهاءِ فقد أَضعتَ حِشمةَ المُلْكِ.

فقال إسماعيلُ: يا أخي، إنَّ عزةً تزولُ بتعظيمِ العِلمِ والعلماء، ومُلْكًا يَحصلُ له الوهْنُ وكِسرةُ الناموسِ[٣] بإكرامِ ورثةِ الأنبياء لجديرٌ ألا يكون، وحقيقٌ أنْ يَذلَّ ويَهون، أنا ما عظَّمتُ هذا الرجلَ، وإنما عظَّمتُ العِلمَ الذي شرَّفَه اللهُ تعالى به.

---

(١) «جامع الحكايات ولوامع الروايات»: لجمال الدِّين محمدٍ العوفي، كتابٌ طريفٌ بالفارسية، يشتمل على خمسةِ أقسام، ويبحث عن التوحيد والأنبياء والأولياء والمُلوك، ولطائفِ كلماتهم وطرائفِ حكاياتهم، وعن الأخلاق ومكارمِها والمذمومِ منها، وفيه: حكاياتٌ لعجائب البحار وطبائعِ الحيوانات، تاريخُ تأليفِه عام: (٦٢٥هـ)، كذا في «مجلة لغة العرب العراقية» (٧/ ٢٢١)، وذَكر في «كشف الظنون» (١/ ٥٤٠): أنَّ هذا الكتابَ تُرجم إلى التركية أكثرَ مِن مرَّةٍ بأمرٍ مِن سلاطين آل عثمان.

(٢) هو إسماعيل بنُ أحمدَ الساماني (ت٢٩٥) أميرُ بلادِ ما وراءَ النهر، وانظر أخبارَه وأخبارَ أخيه في «كنز الدرر وجامع الغرر» (٥/ ٣٢٢)، و«الأعلام» (١/ ٣٠٨).

(٣) لعل الناموسَ هنا بمعنى: القوانينِ والتراتيب، انظر: «تكملةَ المعاجم العربية» (١٠/ ٣١٤).

فلما نـامَ السلطانُ إسـماعيلُ تلـكَ الليلـةَ رأى فـي منامِـه النبـيَّ ﷺ وهـو مُستبشِـرٌ فقـال لـه: «يـا إسـماعيلُ، أكرمـتَ عالمًا مِـن علمـاءِ أُمَّتي، ومشَـيتَ معه سبعَ خطواتٍ، فسيَملكُ مِن ولـدِكَ بعدَكَ سبعةُ بنينَ، ويكـونُ المُلْكُ فـي ذريَّتكَ إلـى سـابعِ ولـدِك، وأما أخوك إسـحاقُ: فليس له فـي المُلْكِ نصيـبٌ»، وكان الأمرُ كذلـكَ، وهـو أمـرٌ عجيب!

* * *

[احترام الأشراف]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

تعظيمُ الأشرافِ العلويِّينَ، والسادةِ البكريِّين، ومُعامَلتُهم بالإجلالِ والتعظيم، والإنعامِ والتكريم[1].

فانظُر إلى تعظيمِ البكريَّةِ والسادةِ الوفائيةِ بمصرَ المحميَّةِ.

وكذلكَ تعظيمُ الأشرافِ، وآلِ عبدِ منافٍ، بديارِ الرُّومِ وبقيَّةِ البُلدانِ، مع أنهم كانوا في زمَنِ بني أُميةَ وبني العبَّاسِ في غايةِ الذلِّ والهوانِ، والطَّردِ والحِرمانِ.

هذا الحسنُ والحسينُ، وزينُ العابدِينَ، وجعفرٌ الصادِقُ، وموسى الكاظِمُ، ومحمدٌ الباقِرُ، ومحمدٌ الجوادُ، وعليٌّ الرِّضا، وعليٌّ الهادِي، والحسَنُ العسكريُّ، وزيدُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهم أجمعين: قد مضَوا لسبيلِهم ما بينَ مَقتولٍ ومَسموم، ولو ذَكرنا تفصيلَ ما فُعِلَ بجميعِ أهلِ البيتِ في أيامهم، وما ذاقوه مِن القتلِ والهوانِ في زمانهم لطالَ ذِكرُه، ولما أَمكنَ حصرُه.

وأما ما يُذكرُ مِن أنَّ الحجَّاجَ بنَ يوسفَ أراد قتلَ الأشرافَ وأرادَ قطعَ دابرِهم:

فقال العلامةُ الحافظُ ابنُ تيميَّةَ وناهيكَ به علمًا: «هذا مِن الجهلِ بأحوالِ الناس؛ فإنَّ الحجَّاجَ كان أميرًا[2] سفَّاكًا للدماءِ، قَتلَ خلقًا كثيرًا، ولكنْ لم يَقتُل

---

(١) نال السادةُ الأشراف مكانةً مرموقةً في الدولة العثمانية، فكانت لهم نقابةٌ تَمنحهم شهاداتٍ تُوثِّق نسبَهم، ويُعطون بعضَ المزايا والعطايا في الدولة، وأوَّلُ منصبٍ لنقابة الأشراف زمنَ العثمانيينَ كان في زمن السلطان بايزيد الأول، في حدود سنةِ: (٨٠٢هـ)، انظر: «الدولةَ العثمانية تاريخ وحضارة» (١/ ٣٠٣).

(٢) الذي في «مجموع الفتاوى»: «مُبيرًا».

مِن الشرفاءِ مِن بني هاشمٍ أحدًا قطُّ، بل سلطانُه عبدُ المَلِكِ بن مروانَ نهاهُ عن التعرُّضِ لبني هاشم».

قال: «ومِن الكذبِ أيضًا ما يُنقَلُ مِن سبيِ نساءِ أهل البيتِ في أيامِ يزيدَ بنِ معاويةَ، وإركابِهنَّ على الإبلِ عرايا، حتى نبتَ لها سنامانِ لسترِهنَّ وهي البَخاتي[1]، بل المسلمونَ مِن لدُنْ محمدٍ ﷺ إلى يومنا هذا لم يَفعلُوا ذلكَ بسبيِ الكفارِ، فضلًا عن نساءِ آحادِ المسلِمين، فضلًا عن أهلِ البيتِ».

قال: «وكلُّ عاقلٍ يعلَمُ أنَّ الإبلَ البَخاتي كانت مخلوقةً[2] موجودةً قبلَ أنْ يَبعثَ الله محمدًا ﷺ، وقبلَ وُجودِ أهلِ بيتِه، كغيرِها مِن الإبلِ والبقرِ والغنمِ والخيلِ والبغالِ»[3].

وأطالَ الكلامَ على ذلكَ، بما قد بيَّنتُه في غيرِ هذا الموضِعِ مبسوطًا.

واعلَمْ أيَّدكَ اللهُ تعالى: أنَّ تعظيمَ الأشرافِ ومَن شاكلَهم فإنما هو إذا لم يأتوا فِعلًا يُوجِبُ الحدَّ، فإنْ فَعلوا وجب إقامتُه عليهم، فإنَّ الواجبَ أنْ تُقامَ حدودُ اللهِ على المَشروفِ والشريف، والقويِّ والضعيف.

ولما شَفَع الصحابةُ رضيَ الله عنهم عندَ النبيِّ ﷺ في المرأةِ المخزوميَّة، التي أرادَ النبيُّ ﷺ قطعَ يدِها غضِبَ، وقال لأسامةَ بنِ زيدٍ: «أتشفَعُ في حدٍّ مِن حدودِ اللهِ؟! إنما هَلكَ بنو إسرائيلَ أنهم كانوا إذا سَرقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سَرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه: لو أنَّ

---

(١) البُختي: هو جملٌ طويلُ العنق، وتُجمع على بُختٍ وبَخاتي، انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٠١).

(٢) «مخلوقة» زيادةٌ مِن (ب)، وهي موجودةٌ في «مجموع الفتاوى».

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥٠٢).

فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ سرقَتْ لقطعتُ يدَها»، وقَطع يدَ المخزوميَّة[١].

فهؤلاءِ الأشرافُ إذا فَعلوا ما يُوجِبُ الحدودَ أو فَعلوا المحرَّماتِ، أو انتَهكُوا الحُرماتِ، فإنَّ الواجِبَ على السلطانِ أنْ يُقيمَ الحدودَ عليهم، وأنْ يُخرِجَ مِن حقِّهم، ولو كانوا بمكةَ المشرَّفةِ داخلَ الحَرمِ الشريفِ.

فقد ذَكر القاضي أبو بكرِ ابنُ العربيِّ إمامُ المالكيَّةِ: أنهُ لو تغلَّبَ في الحَرم كفارٌ أو بغاةٌ وجبَ قتالُهم فيه بالإجماع[٢].

ونقلَ الإمامُ النوويُّ رحمه اللهُ تعالى في «تهذيبِ الأسماءِ واللُّغاتِ»[٣] عن الماوَردِيِّ[٤] إمامِ الشافعيَّة: «أنَّ بعضَ الفقهاءِ قال: لا يجوزُ قتالُ أهلِ البغيِ بالحَرمِ، ويُضيَّقُ عليهم حتى يَرجِعوا عن بَغيهم، قال: والذي عليه أكثرُ الفقهاءِ أنهم يُقاتلونَ على بَغيِهم إذا لم يُمكِن ردُّهم إلا بالقتال؛ لأنَّ قتالَ أهلِ البغي مِن حقوقِ اللهِ تعالى التي لا يجوزُ إضاعتُها، ولأنْ يكونَ حقُّ اللهِ محفوظًا في الحَرمِ أولى مِن أن يكونَ مُضيَّعًا فيه».

قال الإمامُ النوويُّ[٥]: «وهذا الذي ذَكره الماوَردِيُّ هوَ الصحيحُ، وقد نصَّ عليه الشافعيُّ رضي اللهُ عنه في «الأمِّ»[٦]»، انتهى.

ولأنَّ مَن استخفَّ بالحَرمِ وامتَهنَ حُرمتَه فالواجبُ عقوبةً أنْ يُمنعَ بركتَه، كيف لا؟ واللهُ سبحانَهُ يقولُ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ١٧٥)، و«صحيح مسلم» (٣/ ١٣١٥).

(٢) انظر: «أحكام القرآن» (١/ ٣٧٣).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (٣/ ٨٣).

(٤) «الأحكام السلطانية» (ص٢٥١).

(٥) «تهذيب الأسماء واللغات» (٣/ ٨٤).

(٦) انظر: «الأم» (٤/ ٣٠٩).

ورَوى الإمامُ الأثرَمُ[١] بإسنادِه عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنهُ قال: «مَن أحدَثَ حَدثًا في الحرمِ أُقيمَ عليه ما أَحدثَ فيه مِن شيءٍ»[٢].

وقد بسطتُ الكلامَ[٣] على هذا في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ إمامُ الحنابلة[٤]: «يجبُ على السلطانِ قتالُ كلِّ طائفةٍ مُمتنِعةٍ من التزامِ شريعةٍ من شرائعِ الإسلام الظاهرةِ المتواترةِ: كالصلاةِ أو الزكاةِ أو الصيامِ، أو كانت مُستحلَّةً ما كان مِن المحرَّماتِ الظاهرةِ المجمَعِ عليها: كنكاحِ ذواتِ المحارمِ والفسادِ في الأرض، فيجِبُ جهادُها حتى يكونَ الدِّينُ كلُّه للهِ باتفاقِ العلماء، كما قاتَلَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ وسائرُ الصحابةِ مانعي الزكاةِ، وكان قد توقَّفَ في قتالهم بعضُ الصحابةِ، ثمَّ اتفقُوا على قِتالهم».

وإذا طَلَبَ السلطانُ أحدًا لإقامةِ الحدِّ عليهِ فاحتَمى بأحدٍ فمَن حماهُ فهو ممَّن لعنَهُ اللهُ ورسولُه، ففي «مسلمٍ»[٥] عن النبيِّ ﷺ: «لَعنَ اللهُ مَن أَحدثَ حدثًا، أو آوى مُحدِثًا».

وقد بسطتُ الكلامَ على هذا وأمثالِه في آخرِ كتابي: «نزهةِ الناظِرين في تاريخِ مَن وليَ مصر مِن الخلفاءِ والسلاطين».

---

(١) عزاه إلى الإمام الأثرم عدَّةٌ، منهم: ابنُ قدامة في «المغني» (٩/ ١٠٣)، وابنُ القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٣٩٣).

(٢) رُوي نحوُه في «تفسير الطبري» (٥/ ٦٠٤).

(٣) هي رسالة «توقيف من كان عارفاً» وهي منشورة في المجلد الأول من هذا المجموع.

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٠٨).

(٥) الذي في «صحيح مسلم» (٢/ ٩٩٤) عن حُرمة المدينة: «فمَن أحدث فيها حَدَثًا أو آوى مُحدِثًا، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين»، وفي «صحيح مسلم» (٣/ ١٥٦٧) أيضًا: «لَعن الله مَن لَعن والدَه، ولَعن الله مَن ذَبح لغير الله، ولَعن الله مَن آوى مُحدِثًا».

وما أَحسنَ ما كتبَه السلطانُ المَلِكُ الظاهرُ بيبرسُ سلطانُ مصرَ إلى شريفِ مكةَ وقد بلغَهُ عنه بعضُ مُهملاتٍ ارتكبها، وغفَلاتٍ انتَهبها:

«مِن بيبرسَ سُلطانِ مصرَ إلى الشريفِ الحسيبِ النسيبِ أبي نُميٍّ محمدِ بنِ أبي سعدٍ[1] أما بعدُ: فإنَّ الحسنةَ في نفسِها حسنةٌ، وهي مِن بيتِ النبوَّةِ أَحسنُ، والسيئةَ في نفسِها سيئةٌ، وهي مِن بيت النبوَّةِ أَسوأُ وأَشْينُ، وقد بلغَنا عنك أيها السيدُ، أنك بدَّلتَ حرمَ اللهِ تعالى بعدَ الأمنِ بالخِيفةِ، وفعلتَ ما يُحمِّرُ الوجهَ وتُسوَدُّ بِهِ الصحيفَةُ، ومِن القَبيحِ كيفَ تفعلُونَ القبيحَ وجدُّكُم الحسَنُ؟! وتقاتِلونَ حيثُ لا تكون فتنةٌ، وتقاتَلونَ حيثُ تكونُ الفِتَنُ، هذا وأنتَ من أهلِ الكرمِ، وسُكانِ الحرمِ، فكيفَ آويتَ المُجرِمِ، واستحلَلتَ دمَ المُحرِمِ، ومَن يُهن اللهُ فما لَه مِن مُكرمٍ، فإما أنْ تقِفَ عندَ حدِّكَ، وإلا أَغمدْنا فيكَ سيفَ جدِّكَ، والسلامُ».

فكَتبَ إليه الشريفُ أبو نُميٍّ: «مِن محمدِ بنِ أبي سعدٍ[2] إلى بيبرسَ سلطانِ مصرَ، أما بعدُ: فإنَّ المَملوكَ مُعترِفٌ بذنبِه، تائبٌ إلى ربِّه، فإنْ تأخذْ فيَدُكَ[3] الأقوى، وإنْ تعفُ فهو أقربُ للتقوى، والسلامُ»[4].

وكذلكَ كتبَ السلطانُ صلاحُ الدِّينِ إلى شريفِ مكةَ، كما بيَّنتُ ذلك في كتابي: «بديعِ الإنشاءِ والصِّفات، في المُكاتبات والمُراسلات»، وذكرتُ فيه صورةَ المُكاتبة.

***

---

(١) في النسخ: «بن سعيد»، والمثبتُ الصوابُ الموافقُ للمصادر، وانظر ترجمتَه في «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (١/ ٤٥٦).

(٢) في النسخ: «بن سعيد»، والمثبتُ الصوابُ الموافقُ للمصادر.

(٣) المُثبتُ مِن النسخة (أ) وهو الموافقُ للمصادر، وفي باقي النسخ: «فأنت».

(٤) الكتابانِ وردا في «العقدِ الثمين في تاريخ البلد الأمين» (١/ ٤٦٥)، و«إتحافِ الورى بأخبار أُمِّ القُرى» (٣/ ١٠٦).

[حسنُ عقيدتِهم وأنهم مِن أهل السُّنة الذابِّين عنها]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

حُسنُ العقيدَة، وارتكابُ الطريقةِ الناجيةِ الحميدَة، جارينَ على سَننِ مذهبِ أهلِ السُّنةِ والجماعة[1]، مُقتفِينَ لطريقةِ أهلِ الحقِّ معَ السمعِ والطاعة، ذابِّين عن مذهب أهل السُّنة بالسيف والسِّنان، قامعِينَ أهلَ الضلال مُقتدِينَ بمذهب أبي حنيفةَ النُّعمان.

فلم يُنقَل عن أحدٍ منهم سوءُ اعتقاد، بل يَكرهون أهلَ الزيغِ والإلحاد، بخلافِ غيرِهم مِن الخُلفاء والمُلوك، فقد داخلَ كثيرًا منهم الأوهامُ والشُّكوك، وعَرَجُوا عن طريقِ الاستقامة، فباؤُوا بالخُسْر والندامة.

هذا المأمونُ بنُ الرَّشيدِ هارونَ وناهيكَ به كان مُعتزليًّا، وهو أوَّلُ مَن أظهرَ القولَ بخَلْقِ القرآن، وأذلَّ العلماءَ في شأنِ ذلك وأهان، ونَصرَ مذهبَ أهلِ الاعتزال، وفتحَ على الناسِ بابَ الجدال، وكان يجمَعُ العلماءَ بدارِه، ويُحاجِجهم ويُناظِرُهم، فيَقطعهم في المناظرةِ ويَفوقُ عليهم.

وتبِعه على مذهبِه الحائد، واعتقادِه الفاسد، المعتصِمُ باللهِ، ثم الواثقُ باللهِ، وراجَ في زمنهم مذهبُ الاعتزالِ، مذهبُ أهلِ الباطلِ والضلال، إلى أنْ رَفعَ اللهُ عن الأُمة هذه الغمَّةَ بالخليفةِ المتوكِّلِ على اللهِ، فضلًا ونعمةً مِن اللهِ، فأكرمَ أهلَ السُّنَّة، وعَظُمتْ به عليهم المِنَّة، لكنه كان ـ كما قيل ـ ناصبِيًّا، يكرَهُ الحسنَ والحُسينَ وعليًّا، وكان الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللهِ شيعيًّا.

---

(١) ونَقَل هذا الكلامَ ـ في معتقد آلِ عثمان ـ شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ محمدٍ الحمويُّ الحنفيُّ (ت١٠٩٨هـ) في كتابه: «فضائلِ سلاطين بني عثمان» (ص١٢٢)، وكذلك مُدرِّسُ المسجدِ النبويِّ العلامةُ عبدُ القادر شَلَبي في كتابه: «الدُّررِ الحسان في فضائل سلاطينِ آل عثمان» (ص٣٢).

وأما أوائلُ خلفاءِ بني العباسِ: الأمينُ فالرشيدُ، فالهادِي فالمَهديُّ، ومَن قبلَهم، فلم يُنقَل عن أحدٍ منهُم سوءُ عقيدةٍ بحمدِ الله تعالى.

وكذلكَ خلفاءُ بني أميةَ بأجمعِهم، فلم يَثبُتْ عن أحدٍ منهم سوءُ اعتقادٍ، وإنْ كان كثيرٌ منهم قد ارتكبَ المُهملاتِ والفساد، وبُغضُهم للإمامِ عليٍّ وأهلِ بيته ليس هو مِن حيثُ العقيدةُ التي يُدانُ اللهُ تعالى بها، بل مِن حيثُ الخلافةُ والتنافسُ في الرِّئاسة.

وأما خلفاءُ مصرَ الفاطميةُ ـ ويُسمِّيهم أهلُ العِلْم: العُبيديَّةَ؛ نسبةً لجدِّهم عُبيدِ اللهِ المهديِّ؛ لأنهم ليسوا بأشرافٍ حقيقةً بل ادعاءً ـ فكانوا والعياذُ باللهِ تعالى في غايةِ ما يكونُ مِن سوءِ الاعتقادِ والزندقَةِ والإلحادِ، يتجاهرُونَ بسبِّ الصحابةِ، ويَكتبونه على أبوابِ المساجدِ وحيطانِ الشوارع، وكان مُنادِيهم يُنادِي بينَ القَصرَينِ بالقاهرة: «مَن لعنَ وسبَّ فله دينارٌ وإردَبٌّ[1]»[2].

هذا المهديُّ عُبيدُ اللهِ جدُّهم: كان باطنِيًّا خبِيثًا حريصًا على إزالةِ مِلَّةِ الإسلام، أَعدَم العلماءَ والفقهاءَ ليتمكَّنَ مِن إغواءِ الخلْق، وكانت مدةُ ولايتِه خمسًا وعشرينَ سنةً[3].

وهذا ابنُه القائمُ بأمرِ اللهِ: كان كما قال أهلُ التاريخ شرًّا مِن أبيهِ، كان زندِيقًا ملعُونًا، أَظهرَ سبَّ الأنبياءِ، وكان مُنادِيه يُنادِي: «الْعنُوا الغارَ وما حَوى»[4]، وكانت مدَّتُه: اثنتي عشرَة سنةً وسبعةَ أشهرٍ.

---

(١) انظر ما تقدَّم عن الإرْدَب.

(٢) نقله ابنُ تيميةَ في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٣٧).

(٣) وقال أبو شامةَ المقدسيُّ في «الرَّوضتَين» (١/ ٢٠١): «عُبيد هذا: كان زنديقًا خبيثًا، عدوًّا للإسلام، متظاهرًا بالتشيع مُتستِّرًا به، حريصًا على إزالة المِلَّة الإسلامية».

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٢٤).

وهذا المنصورُ باللهِ ابنُه: كان سيِّئَ العقيدة، وكانت مُدَّتُه: اثنينِ وثلاثينَ عامًا، وهؤلاءِ كانوا بالمغرب.

وهذا المعزُّ لدينِ اللهِ: وهو أوَّلُ مَن استولى منهم على مصرَ وانتَزعها مِن أيدي الخلفاءِ العباسيينَ في سنة: ثمانٍ وخمسينَ وثلاثمئةٍ، وبنى الجامعَ الأزهرَ، [و]أمرَ بقطعِ صلاةِ التراويحِ، وأَمرَ المؤذِّنينَ بمصرَ والشام أن يُؤذِّنوا بـ: (حيَّ على خيرِ العملِ)، وكان سبّابًا خبيثًا، وكانت مملكَتُه مِن الفراتِ وحلبَ والحجازِ إلى أقصى المغرب، وكانت مُدَّتُه: أربعًا وعشرينَ سنةً.

وهذا ابنهُ العزيزُ باللهِ: كان كذلكَ، وكان يدَّعِي علمَ المُغيَّباتِ[1].

ومِن العَجبِ: أنه اتَّخذَ له وزيرًا نصرانيًّا وولاهُ مصرَ، وآخرَ يهوديًّا وولاهُ الشامَ[2]، فعزَّ النصارى واليهودُ في أيامِهما، وبنَوا البِيعَ والكنائسَ، وخُطبَ له بالمَوصِلِ واليمنِ زيادةً على مُلك أبيه، وكانت مدتُه: إحدى وعشرينَ سنةً وخمسةَ أشهرٍ.

وهذا الحاكمُ بأمرِ اللهِ ولدُه: كان خبيثًا ملعونًا زنديقًا، كثيرَ التلوُّنِ والتجاهُرِ بسبِّ الصحابة، قبائحُه كثيرةٌ، وعقائدُه شهيرةٌ[3].

---

(١) جاء في «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٧٣): أنَّ العزيزَ صَعَد يومًا المنبرَ فرأى ورقةً فيها مكتوبٌ:

بالظُّلم والجَورِ قد رَضينا ... وليس بالكفر والحماقهْ

إنْ كنتَ أُعطيتَ عِلْمَ غيبٍ ... فقلْ لنا: كاتبَ البطاقهْ؟!

(٢) قال السيوطيُّ في «حسن المحاضرة» (١/ ٦٠١): «ومِن غرائبه أنه استَوزر رجلاً نصرانيًّا يُقال له: عيسى بنُ نسطورس، وآخرَ يهوديًّا اسمه: ميشا».

(٣) ومِن رُعونات الحاكم بأمر الله: أنه مَنع أهلَ مصرَ مِن طبخِ المُلوخية! انظر: «حسن المحاضرة» (١/ ٦٠٢).

قال كثيرٌ من أهلِ التاريخِ[١]: «لم يلِ مصرَ بعدَ فرعونَ شرٌّ مِن الحاكم»، وكانَت مدَّتُه: خمسًا وعشرينَ سنةً وشهرًا.

وهـذا الظاهـرُ لإعزازِ ديـنِ اللهِ ولدُه: كان رافضيًّـا جبّارًا، سـيِّئَ العقيدَة، وكانت مُدَّته: سـتَّ عشـرةَ سنةً.

وهذا المستنصِرُ باللهِ ولدُه: كان كذلكَ، وخُطبَ له في كلِّ جوامعِ بغداد، وملأ الرفضُ في أيامِه جميعَ البلاد، وزِيدَ في الأذانِ ببغداد: (حيَّ على خيرِ العمل)، وكانت مدَّتُه: ستِّين سنةً وأربعةَ أشهرٍ، ولا يُعلم خليفةٌ ولا سلطانٌ أقام قدرَ مدَّتِه في الإسلام[٢].

وهذا المُستعلِي باللهِ ولدُه: كان كذلكَ، وهو الذي أَرسَلَ إلى الفِرَنجِ يدعُوهُم إلى أخذِ بلادِ الشامِ والقُدسِ الشريف، وكان مِن أمرِهم ما تقدَّمَ ذِكرُه، وكانت مُدَّته: سبعَ سنين.

وهـذا الآمرُ بأحـكامِ اللهِ ولدُه: كان كما قـال الذهبيُّ[٣]: «رافضيًّا خبيثًا فاسِـقًا، ظالمًـا جبَّـارًا، مُتظاهِـرًا بالمُنكـرِ واللَّهـوِ، ذا كِبـرٍ وجَبـروت»، وكانت مُدَّته: تسـعًا وعشـرينَ سنةً وسـبعةَ أشهرٍ.

وهذا الحافظُ لدينِ اللهِ ابنُ عمِّ الآمرِ: كان كذلكَ.

ومِن العجَبِ: أنه وَلّى الوِزارةَ لبهرامَ النصرانيِّ الأرمنيِّ، فأَنكرُوا عليه ذلكَ، وقال له بعضُ خَواصِّه: النصرانيُّ لا يكونُ وزيرًا؛ لأنَّ مِن وظيفة الوزير أنْ يَصعدَ معَ

---

(١) وقاله السيوطيُّ في «حسن المحاضرة» (١/ ٦٠١).

(٢) كذلك قال السيوطيُّ في «حسن المحاضرة» (١/ ٦٠٤).

(٣) «تاريخ الإسلام» (١١/ ٤٢٢).

الخليفةِ المنبرَ يومَ الجمعةِ، فأَصرَّ على تَوليتِه، وأنْ ينوبَ عنه القاضي في ذلك[١]، وكانت مُدَّتُه: تسعَ عشرةَ سنةً وسبعةَ أشهرٍ.

وكذلك كان الظافرُ بأعداءِ اللهِ، والفائزُ بنصرِ اللهِ، والعاضِدُ لدينِ اللهِ، وهو آخر بني عُبيدِ اللهِ الفاطميين، وكان مدَّةُ وِلايتِهم بمصرَ: مئتي سنةٍ وستَّ سنينَ، ومجموعُ مدَّتِهم بمصرَ والمغربِ نحوَ: مئتَينِ وإحدى وسبعينَ سنةً.

قال العلامةُ الرُّعَيني: «أجمعَ العلماءُ بالقَيروانِ[٢] على أنَّ حالَ بني عُبيدٍ حالُ المرتدِّينَ والزنادِقةِ؛ لِما أَظهَرُوا مِن خلافِ الشريعة»[٣].

وقال العلامةُ أبو حسنٍ القابِسيُّ: «إنَّ الذينَ قتلَهم عُبيدُ اللهِ وبنوهُ مِن العلماءِ والعبَّادِ أربعةُ آلافِ رجلٍ ليَردُّوهم عن الترضِّي عن الصحابةِ، فاختاروا الموتَ، ويا حبَّذا لو كان رافضيًّا فقط، ولكنه زندِيقٌ والعياذُ بالله»[٤].

فانظُر أيها العاقِلُ: إلى هؤلاءِ وإلى سلاطينِ بني عثمانَ المُتمسِّكِينَ بالسُّنةِ والقرآن، المتقلِّدِين بمذهبِ الإمام أبي حنيفةَ النعمان، يلوحُ لكَ الحقُّ والفُرقان.

وانظر أيضًا: إلى عقائدِ ملوكِ العَجمِ الآنَ شاه عباس وأجدادِه، وإلى إسماعيلَ شاه الذي كان في أيامِ السلطانِ الغُوريِّ[٥]، استولى على سائرِ ملوكِ العَجم، وقَتَلَ عساكرَهم بحيثُ قتلَ ما يزيدُ على ألفِ ألفٍ، وقَتَلَ العلماءَ وأَحرقَ كُتبَهم

---

(١) ساق ذلك الحافظ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ في «رفع الإصر عن قضاة مصر» (ص١٣٤).

(٢) القَيروان: مِن مُدن الجمهورية التونسية.

(٣) أورده الذهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (٩/ ٣٣٧).

(٤) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي: (٧/ ٤٦١).

(٥) انظر كتابَ: «تاريخِ الصفويين وحضارتِهم» لبديع محمد جمعة وأحمد الخولي.

ومصاحفَهم، ونَبشَ قبورَ المشايخِ مِن أهلِ السُّنة، وأَخرجَ عِظامَهم وأَحرقَها، وأَظهرَ مذهبَ الرَّفضِ والإلحادِ بأرضِ العجمِ إلى يومنا هذا.

فانظُر: إلى ما اشتَملَ عليه ملوكُهم الآنَ مِن سبِّ الشيخَينِ رضي الله عنهما، وتَعطيلِ الجُمعِ والجماعات، واستحلالِ المحرَّمات، والمُجاهرَةِ بالفجورِ في المساجد، وتَعطيلِها مِن الراكعِ والساجد، ولو رأيتَ أهلَ بلادِه مِن أهلِ السنَّةِ والجماعة، وما هم فيه مِن الذُّلِّ والهوان، لتتابعَتْ منكَ عليهم الزَّفراتُ والأحزان، ويا ليتَهم عندَهم بمنزلَةِ أهلِ الذمَّةِ عندَنا، بل بالغوا في احتقارِهم وازدرائِهم وإيذائِهم.

وانظُر الآنَ: إلى حالِ مُلوكِ الهند، وإلى عقيدةِ ابنِ السلطانِ جلالِ الدينِ الأكبر(١)، فقد قيل: إنه الآنَ لا يَتديَّنُ بدين، وقد ارتَكبَ في اعتقادِه طريقةَ المُتلاعِبين، مِن الزِّنديقينَ والمُلحِدين.

اللهمَّ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّتْ قلوبَنا على دينِك، ويا مالكَ المُلوكِ، ومُزيلَ غَياهِبِ الشُّكوك، انصُر مذهَبَ أهلِ الحقِّ، وأعلِ كلمةَ الإيمانِ ببقاءِ أيامِ دولةِ سلاطينِ بني عثمان، واخلَع عليهم خِلَعَ القَبولِ والرِّضوان، وأيِّد كَلمتَهم بالحُجَّةِ والبُرهانِ، والسَّيفِ واللِّسانِ والسِّنان، واجعَل الدنيا كلَّها مِلكَهم، وأيِّد سُلطانَهم ومُلْكَهم، فإنهم الآنَ خيرُ ملوكِ الزمان، سلاطينُ أهلِ السُّنة والجماعة أُولي العَظمة والشان.

***

---

(١) الأب هو المَلِك جلال الدين محمد أكبر (ت١٠١٤)، انظر: «نزهةَ الخواطر» (٥/ ٤٩٦)، وولدُه هو جِهانْكير (ت١٠٣٦)، انظر: «نزهة الخواطر» (٥/ ٥١٦).

[انقيادُهم للشَّرع وأمرُهم باتباعه]

ومن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

انقيادُهـم للشـرعِ الشـريفِ، معَ علـوِّ مِقدارِهم المُنيـف، والأمـرُ باتباعه، وأنْ يكونـوا كلُّهـم مِـن أتباعـه، فهـم دائمًـا للشـرعِ مُعظِّمـون، وباتِّباعِـه آمـرون، وعن اجتنابِـه ناهون[1].

وكلمةُ الشرعِ فيما بينَهم جاريةٌ على الوزيرِ والأمير، كالمسكينِ والفقير، حتى لو أَمرَ سلطانُهم أو وزيرُهم أو أميرُهم بأمرٍ لا بدَّ مِن تأييده بحُكمِ حاكمِهم الشرعِ الشريفِ، وأنْ يمضيَ عليه قاضِيهم لمزيدِ الامتثالِ والتشريف، وكفى بهذه لهم منقبةً فاخرة، ومزيَّةً ظاهرة، حيثُ أقاموا الشرعَ وأعزُّوا أنصارَه، وشيَّدُوا بُنيانَه وعمَّروا أمصارَه.

ولقد وقعَ في زماننا: أنَّ بعضَ الباشاواتِ بمصرَ الأماثلِ المُعتبَرِين، وكانَ ذا صَولَةٍ ومهابةٍ وتمكين، أَخذَ مِن بعضِ التجّارِ بمصرَ أموالًا جزيلة، مُحتجًّا عليهم بحُجَجٍ واهية، فلما توجَّهَ الباشا المذكورُ إلى ديارِ الرُّومِ اتَّبعوهُ واشتكَوه لمولانا السلطانِ عثمان، فخَرجَ توقيعُه الشريفُ بأنَّ الدعوى تُسمَعُ عليه في مجلسِ الشرعِ، ويُؤخَذُ منه ما أَخذَه بغيرِ حقٍّ ويُدفَعُ الحقُّ لأصحابِه، فأُحضِرَ لمجلس الشرعِ، وسُمعَت الدَّعوى عليه، وأُخذَ الحقُّ منه، وكانَ قريبًا مِن عشرينَ ألفَ دينارٍ، فهل هذا إلا محضُ عدلٍ وإنصافٍ، وصرفُ رفقٍ وإسعافٍ، حيث سوَّوا في الحقِّ بينَ وزيرٍ مِن ذَوي الشهامَةِ والباس، وبينَ مَن هو مِن آحاد الرَّعيةِ والناس.

---

(١) قال ابنُ حجرٍ الهيتميُّ وهو يتكلَّم عن السلطان سليمانَ القانونيِّ: «انفرد هو وجميعُ آبائِه الأكرمِين، مِن بين سائرِ المُلوك والسلاطين، ألا يُبرموا أمرًا إلا بعدَ مُشاورَةِ العلماء العاملِين»، انظر: «المناهلَ العذبة» (ص٢٤).

وبالجملَةِ فهم للشرعِ مُعظِّمون، وباتِّباعهِ آمرون، وإنْ حَصلَ زيغٌ أو ظلمٌ فالظنُّ أنهم لا يعلَمُون.

ـ حُكي: أنَّ المأمونَ ركبَ يومًا ومعه أحمدُ بنُ هشامٍ[1]، فصاحَ رجلٌ: اللهَ اللهَ يا أميرَ المؤمنين، فوقفَ له المأمون، فقال: إني رجلٌ جئتُكَ مِن فارسَ، وقد ظَلمني أحمدُ بن هشامٍ، فقال له المأمونُ: كنْ بالبابِ حتى أرجِعَ وأنظر في أمرِك! فلما مَضى التفَتَ إلى أحمدَ بنِ هشامٍ وقال له: ما أقبحَ بك أنْ تقعدَ أنتَ وصاحبُكَ على رؤوسِ الأشهادِ؟! وفي دَسْتِ[2] المظالم، وأنتَ مظلومٌ وهو ظالمٌ؟! فكيفَ وأنتَ ظالمٌ وهوَ مظلومٌ؟! وهو محِقٌّ وأنتَ مُبطِلٌ؟! فوجِّهْ إليه واسترضِه، فلو ظلمتَ ابني العباسَ كان أهونَ عليَّ مِن أنْ تظلِمَ رجُلًا تَعنّى مِن شاحطِ[3] البلادِ، وقطعَ المَهامِهَ[4] والبراري، وليسَ له مُعينٌ سواي، ولا يتيسَّرُ له النظرُ إليَّ كلَّ وقتٍ.

قال: فوجَّهَ إليه أحمدُ بنُ هشامٍ على الفَورِ واسترضاه، وكتبَ إلى عاملِه بفارسَ بردِّ جميعِ ما أَخذَه منه[5].

***

---

(١) أحمد بن هشام بن فرخسرو المروزي، مِن القادة زمنَ المأمون، ترجمتُه عزيزةٌ انظرْها في: «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ١٢١٥).

(٢) الدَّسْت: الدِّيوان، انظر: «تاج العروس» (٤/ ٥١٨).

(٣) شاحِط البلاد: بعيدها، انظر: «تاج العروس» (١٩/ ٤٠٤).

(٤) المَهامِه: هي المَفازةُ البعيدة والقِفار، انظر: «القاموس المحيط» (ص١٢٥٣).

(٥) أَورد القصةَ ابنُ طيفورٍ (ت٢٨٠) في كتاب «بغداد» (ص٥٩)، قال: «حدَّثني بعضُ أصحابِنا: قال: شهدت المأمون...» ثم ذَكرها، وأَوردها صاحبُ «المحاسن والمساوئ» (ص٢١٢).

[طهارتُهم مِن المنكرات والقبائح]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

أنهم بأسرِهم في غايةِ ما يكونُ مِن طهارةِ الفمِ والذيل، وعدمِ الحَيفِ والميل، وعدَمِ تَعاطي المُنكراتِ، وقبائحِ المحرَّمات، مِن شُربِ الخمورِ، وتعاطي الفُجورِ، كما يفعلُه غيرُهم مِن الملوكِ والسلاطين، ويرتكبُه مَن هو في صِفةِ البهائمِ وإخوانِ الشياطين.

فلم يُنقَل عن أحدٍ منهم أنه فَعلَ شيئًا مِن ذلكَ، ولم يُعلَم لأحدٍ منهم صَبوة، ولا ارتكابُ رَذيلة، أو ما يُخِلُّ بالمروءةِ والفضيلة.

بل هم دائمًا في غايةِ الصيانة، ونهايةِ الدِّيانة، وتحصيلِ الفضائل، واجتنابِ الرذائل، مع الخوفِ والمراقبةِ والحُضورِ، والإقبالِ على اللهِ تعالى والاعتمادِ عليه في جميعِ الأُمور.

بل بيوتُهم وقصورُهم وسراياهُم مشحونَةٌ بتلاوةِ القرآن، وإظهارِ شعارِ الإسلام والإيمان، ومُطالعَةِ كُتبِ العلمِ مِن الفقهِ والنحوِ والصرفِ والتفسير وغيرِ ذلكَ، مع المحافظةِ على الصلواتِ في أوقاتها، حتى إنَّ مماليكَهم وأتباعَهم الذين داخلَ سراياهُم كلَّهم كذلك[1].

وهم في غايةٍ مِن الأدبِ واللطافة، ونهايةٍ مِن الكمالِ والنظافة، صغيرُهم لوحُه بينَ يدَيه، وكبيرُهم مُصحَفُه يقرأُ فيه ويَنظرُ إليه، أو يَشتغِلُ بالعلمِ ومُطارحَةِ المسائل، ولا يكادُ يوجَدُ فيها إلا فاضلٌ أو كامل.

---

(١) ومِن المناصِب الرَّفيعةِ زمنَ الدولةِ العثمانيةِ منصِبُ: (مُعلِّم السُّلطان)، وعادةً ما يكون قريبًا مِن السلطان وأُسرتِه، ويأمرهم وينهاهم، انظر: «الدولةَ العثمانية تاريخ وحضارة» (١/ ٣٠٤).

لا يَتعاطَون المُهمَلات، ولا يَقرَبون الرَّذالات، حتى إنهم كما قيل: لا يَشرَبون فيها الدُّخانَ، فضلًا عن قُربانِ غيره مِن زُورٍ أو بُهتان، بخلافِ غيرِهم مِن السلاطينِ وأتباعِ غيرِهم مِن الملوكِ، فكم يرتكبون مِن فسقٍ وفُجور! وكم يَتعاطَونَ مِن فِعلٍ مُحرَّمٍ وخُمور! ولا يَمنعُهم مِن ذلكَ شهامَةُ المُلْكِ والسَّلْطنة، ولا يُبدِّلونَ السيئةَ بالحسنَة، ولولا الخوفُ مِن غِيبَةِ مُلوكِ أهلِ السُّنةِ والإسلام، وذِكرِ مساوِئهم بينَ الأنام، لذكَرتُ هنا كثيرًا منهم، معَ ذِكرِ ما كان يفعلُه ويتعاطَاه ولا يُهمِلُه، غيرَ أنَّ السَّترَ مطلوب، والواجبَ الإغضاءُ عن العُيوب، إلا إنْ كان ذلكَ بدعةً فإنها تُذكرُ مِن أجل التحذيرِ منها، والتنفيرِ عنها، ولا غيبةَ في ذلك، ولا إثمَ في ذِكر ذلك[1].

***

(١) عبارة: «ولا غيبةَ في ذلك، ولا إثمَ في ذِكر ذلك» زيادةٌ مِن (ش).

[الاهتمامُ بخدمة الحرمَين الشريفَين]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

مزيدُ الاهتمامِ وكثرةُ القيامِ بخدمَةِ الحرَمينِ الشريفَين، والبلدَينِ المُنيفَين، والاعتناءِ بمصالحِهما وما يَتعلَّق بهما، ويَتعبَّدُون بذكرِهما، ويُبجِّلُون أهلَهما[١]...

ويا لها مِن خدمةٍ قد شُرِّفوا بها على ملوكِ الزمان، وافتَخروا بها على سلاطينِ العصرِ والأوان[٢].

فإنَّ أَشرفَ الملوكِ والسلاطين، وأجلَّ عظماءِ الخَواقين، مَن كان خادمَ الحرمَين الشَّريفَين، وسَلكَ سُلوكَ القِبلتَين، وبذلكَ كان يفتَخِرُ سلاطينُ مصرَ الجراكِسةُ ومَن قبلَهم مِن سلاطينِ مصرَ على سائرِ المُلوكِ، وكانت هذه الخدمَةُ قد حلَّتْهم حِلْيَةَ الدَّراري المُرصَّعةِ في الذهبِ المسبوكِ، فشرَفًا لآلِ عثمانَ لهذه الخدمَة، وبُشرى لهم بهذه النِّعمَة، معَ اهتمامِهم أيضًا بخدمة القدسِ الشريف، والخليلِ المعظَّمِ المُنيف[٣].

هذا السلطانُ سليمانُ تغمَّدهُ اللهُ بالرحمةِ والرِّضوان، وأَسكنَ أُصولَه وفروعَه أعلى فراديسِ الجِنان، وجَعلَ السَّلْطنةَ الإسلاميَّةَ في ذُرِّيَّته إلى ظهورِ مهديِّ الزمان،

---

(١) ويُنظر في ذلك كتابُ: «خدماتِ العثمانيينَ في الحرمَين الشريفَين» لمحمد الأمين المكي (ت١٣١٨هـ)، ورسالةُ «أوقافِ نساءِ السلاطين» للدكتورة ماجدة مخلوف.

(٢) ومِن عجيب اعتناء سلاطينِ الدولة العثمانية بالحرمَين الشريفَين: أنهم كانوا يُرسلون الهدايا والعطايا لأهل الحرمَين، ويُقدِّمون أيضًا الصُّرَّةَ العثمانية لشؤون الحُجاج والمُعتمرين قبلَ أنْ يَحكموا بلادَ الحرمَين، وانظر ما سيأتي.

(٣) وحريٌّ بالقارئ هنا أنْ يطَّلعَ على كتاب: «الأوقاف الإسلامية في القدس الشريف»، فسَيرى كمًّا هائلًا مِن الأوقاف العثمانية على مراكز العِلم والعبادة في القدس الشريف وما جاورها.

ونزولِ عيسى عليه السلام، قد جَدَّدَ سطحَ الكعبةِ المشرَّفة، لتكسيرِ خَشبٍ كان في سقفِها خِيفَ منه سقوطُ السَّقْف، بعدَ استفتائِه أبا السُّعودِ صاحبَ «التفسيرِ»[١] في ذلكَ، فأَفتاه بالجواز، ووافقَه على ذلكَ أعيانُ علماءِ مكةَ يومَئذٍ كابنِ حَجَرٍ وغيرِه[٢]، بعدَ أنْ كادتْ تحصُلُ فِتنةٌ بمكةَ مِن الغَوغاء والعامَّة، كما هو دأبُ أهلِ الجهالةِ في تعصُّبِهم على الضلالة، وجَدَّدَ المطافَ وأَصلحَ أبوابَ المسجدِ بالفضة، وفَرَشَ المسجدَ جميعَه بالحَصى، وصفَّحَ بابَ الكعبةِ بالفضةِ بمساميرِ الفضَّة، وأَصلحَ الميزابَ، وصفَّحَ بالفضةِ المُموَّهةِ بالذهب.

وكان الرشيدُ في أيامهِ أَرسلَ ثمانيةَ عشرَ ألفَ دينارٍ تُضرَبُ صفائحَ على بابِ الكعبة.

وكان الوليدُ بنُ عبدِ المَلِك أيضًا أَرسل في أيامه ستةً وثلاثينَ ألفَ دينارٍ تُضرَبُ صفائحَ على باب الكعبةِ وميزابِها.

وبَنى السلطانُ سليمانُ أيضًا أربعَ مدارِسَ بالحرمِ الشريفِ على فقهاءِ أئمةِ المذاهبِ الأربعة، غيرَ أنها لم تَكمُلْ إلا في أيامِ ولدِه السلطانِ سَليمٍ، وقرَّرَ في كلِّ مدرسةٍ مُدرِّسًا مِن الأئمةِ الأربعة[٣]، إلا أنه لم يوجَدْ حينئذٍ للمدرسَةِ الحنبليَّةِ مُدرِّسٌ

---

(١) هو شيخ الإسلام أبو السُّعود العمادي (ت٩٨٢).

(٢) أرَّخ الإمامُ ابنُ حَجَرٍ الهيتميُّ هذه الواقعةَ وبيَّن حُكمَها، وذَكر تفاصيلَها والفتاوى فيها، في رسالته المُمتِعة: «المناهلِ العَذْبة في إصلاح ما وَهى مِن الكعبة».

(٣) أَمر السلطانُ سليمانُ أنْ تُبنى مدارسُ للمذاهب الأربعة بمكةَ المكرمةِ في أحسن الأماكن اللائقة، فبُنيتْ مِن جهةِ باب الزِّيادة مقابلَ الميزاب، وعيَّن أوقافًا للمُدرِّسينَ والطلبةِ والفرّاشينَ بما تَقرُّ به أعينُ المسلمين، وقد وَصفها وذَكر شيئًا مما قُرِئ فيها قطبُ الدِّينِ النَّهرواليُّ في «الإعلام» (ص٣٥٠) فانظرْه مُتكرِّمًا تجدْ فيه نبذًا عن عزَّةَ العِلم وأهلِه، وانظر ما سيأتي عن الدفتردار إبراهيم باشا.

حنبليٌّ، فعُدِلَ عنه إلى علمِ الحديث، وجُعِلَتْ مدرسةُ الحنابلةِ دارَ الحديث[١].

وكانَ السلطانُ سُليمانُ قد أرادَ الشروعَ في تجديدِ بناءِ المسجِدِ الحرام؛ لأنَّ كثيرًا مِن جوانبِهِ وسقوفِه كان قد آلَ إلى السُّقوط، وتكسَّرتْ أخشابُ السُّقوف، فاتَّفقَ الرأيُ أنْ يَجعلَ عِوضَ سُقوفِ الخشبِ قِبابًا دائرةً بأَروقةِ المسجدِ الحرامِ كما هي عليه الآنَ؛ لأنها أكثرُ إقامةً وأشدُّ متانة، فأدركَتْه المنيَّةُ قبلَ ذلكَ رحمه الله.

فشَرعَ فيه على الوجهِ المذكورِ ولدُه السلطانُ سَليم، وبَنى البُنيانَ المُحكَم، وأجادَ بناءَه وأَحكَم، فلما عمَّرَ الجانبَ الشرقيَّ والجانبَ الشماليَّ، وانتهَت العِمارةُ إلى بابِ العُمرةِ مات السلطانُ سَليمٌ رحمَه الله.

فشَرعَ فيه ولدُه السلطانُ مرادٌ[٢]، فأَكملَ عِمارةَ الجانبِ الغربيِّ والجنوبيِّ، وكمُلتْ بذلكَ عِمارةُ جميعِ المسجِدِ الحرام، بجميعِ شُرفاتِه وأبوابِه ودرجاتِه على وجهٍ حَسنٍ، ومنوالٍ مُستَحسنٍ، بحيث صارَ ما عمَّرَه العباسيونَ وغيرُهم لا يُعدُّ شيئًا بالنسبةِ لهذه العِمارة.

وكُتبَ على الأبوابِ وصُدورِ الأَروقةِ مِن الآيات الشريفةِ في كلِّ محلٍّ ما يُناسِبه.

وكانتْ نفقَةُ عِمارةِ المسجِدِ هذهِ مئةَ ألفِ دينارٍ وعشرةَ آلافٍ، غيرَ ثمنِ الأخشابِ المجلوبةِ مِن مصر، وغيرَ ثمنِ الحديدِ الذي هوَ آلةُ العِمارةِ

---

(١) وصار يُقرأ بهذه المدرسةِ الكتبُ السِّتة، نصَّ على ذلك في «الإعلام» (ص٣٥٤).

(٢) عُرف السلطانُ مراد الثالث بكثرة جُودِه وإحسانِه، وقد أوقف أوقافًا كثيرةً على فقراء المدينة المنوَّرة، وأَجرى كثيرًا مِن الهباتِ على أهل العِلم وطلبتِه، فكثُروا في زمنه.

واشتهر السلطانُ مراد الثالث بحبِّه لجمعِ الكتب ومطالعتِها، وكان شاعرًا يَنظم باللغة العربية والتركية والفارسية، وله دواوين، انظر: «المنح الرحمانية» (ص٢٠٩).

كالمَساحِي والمَجارِفِ والمسامِيرِ، والحديدِ المُحدَّدِ رأسُه بطُولِ الرِّواقَينِ، وبينَ الأُسطوانتَينِ تحتَ كلِّ عقدٍ؛ لئلا يقِفَ عليه الطيرُ فيلوِّثَ بزَرَقِه المسجدَ، وغيرَ هِلالاتِ القِبابِ التي عُملَتْ بمصرَ مِن النُّحاسِ، وطُليَتْ بالذهب، عَملها مسيح باشا[1] وأَرسلَها إلى مكةَ[2].

وبَنى السلطانُ سَليمٌ أيضًا مسجدًا وسبيلًا، وحوضَ ماءٍ للدوابِّ على يمينِ الصاعدِ إلى الأبطح، ومسجدًا آخرَ وسبيلًا، ومُتوضَّئًا في انتهاءِ سوقِ المَعْلاة.

وهذا السلطانُ أحمدُ رحمه الله تعالى كان مُحبًّا لعِمارةِ الحرمَينِ الشريفَين[3]،

---

(١) الوزير خادم مسيح محمد باشا (ت١٠٠٠هـ تقريبًا): تولى على مصرَ أولَ ولايةِ السلطان مرادٍ الثالث، وكان شديدًا على اللُّصوص والفاسدين، ولم يكن يَقبل شيئًا مِن الهدايا لا جليلًا ولا حقيرًا، فازدهرتْ مصرُ في وِلايته وأَمِنتْ.
عُرف هذا الوزيرُ بصحبة الإمام نورِ الدِّينِ عليِّ بنِ أحمدَ القَرافيِّ الشافعي، فبَنى مسجدًا ورِباطًا وكُتّابًا ورِواقًا وسبيلًا، وجعل أوقافَ ذلك كلِّه بيد الإمام القَرافيِّ، ومِن بعدِه لذرِّيته، ولا يزال المسجدُ والسبيلُ قائمًا إلى زماننا بشارع صلاح سالم، عندَ ميدان السيدة عائشة.
وبَنى أيضًا مسجدًا وتربةً وسُبلًا ودكاكينَ بمنطقة الفاتح بإصطنبول ودُفن بمقبرته، ومسجدُه هذا على يمين المُنحدِر مِن شارع فوزي باشا إلى صَبب الأمنيات، جنوبَ مسجدِ الخِرْقة الشريفة، انظر: «الموسوعةَ الإسلامية التركية» (٢٩/ ٣١٠)، و«آثارَ القاهرة الإسلامية في العصر العثماني» (٣/ ٩٥)، و«المنحَ الرحمانية» (ص٢٣٣).
تنبيه: هناك شخصيةٌ أُخرى في الدولة العثمانية باسم: (مسيح باشا ت٩٠٧)، تولى منصبَ الصدر الأعظم، وهو مِن الأُسر التي أسلمتْ بعدَ فتحِ القسطنطينية، ولكنه متقدِّمٌ عن الذي ورد ذكرُه في الكتاب، انظر: «الموسوعةَ الإسلامية التركية» (٢٩/ ٣٠٩).

(٢) وقد أهدى السلطان مراد الثالث إلى المسجد النبويِّ منبرًا مِن الرُّخام الأبيضِ النقيِّ، وهو موجودٌ إلى الآنَ بجماله ورَونقِه، يعلوه الخطيبُ يومَ الجمعة.

(٣) عُرف السلطانُ أحمد الأول بحبِّه للعمران عامةً، وللحرمَين الشريفَين خاصَّةً، وقد أَهدى إلى =

وأَنشأ أوقافًا مِن قُرى مصرَ على خُدَّامِ الحرمِ الشريف[1]، وجَعلَ مناطقَ مِن الفضَّةِ المُحلّاةِ بالذهبِ للكعبةِ المشرَّفةِ صَونًا لها عن الهدمِ، وأَرسَلَ شبابيكَ فضةٍ مُحلّاةً بالذهبِ للحُجرةِ الشريفةِ، وفَصًّا مِن الألماس كما قيل يُساوي: ثمانينَ ألفَ دينارٍ ليُجعلَ فوقَ الكوكبِ الدُّرِّي[2].

وكان قد عَزمَ على عِمارةِ الحَرمِ النبويِّ على حُكمِ عِمارةِ الحَرمِ المكيِّ المتقدِّمة، وأَرسلَ البنّائينَ والمهندِسينَ مِن مصر لذلك، فبَنوا بعضَ شيءٍ به نفعٌ كبيرٌ مِن الحَرِّ والمَطرِ، لكنه ماتَ قبلَ إتمامِه[3].

= المواجهة الشريفة عندَ القبرِ النبويِّ لوحًا مِن فضَّة، مقابلَ الواقفِ للسلام على النبيِّ ﷺ، ولا يزال موجودًا إلى الآن، ومما كُتب عليه: «اللهم اغفرْ لعبدِك المُنقاد لأحكام شريعةِ نبيِّك العظيمِ السلطان أحمد»، وهو مؤرَّخ بحساب الجُمَّل عام: (١٠٢٧هـ).

(١) هذا الوقفُ يُعرف بوقف: (الأحمدية)، يُرسل مِن مصرَ سنويًّا إلى أهل الحرمَين نحوٌ مِن عشرينَ ألفَ دينار، انظر: «منائح الكرم» (٣/ ٥٢٧) مع الهوامش.

ويُنظر لزامًا في هذا الموضوع رسالةٌ جامعية بعنوان: «مخصَّصاتِ الحرمَين الشريفَين في مصرَ إبانَ الحُكم العثماني» للأستاذ محمد علي بيومي.

(٢) الكوكب الدُّرِّي: هو عبارةٌ عن قطعتَين كبيرتَين مِن الألماس، مكفوفتَين بالذهب، انظر حولَه: «الجواهرَ الثمينة في محاسن المدينة» (ص٦٦)، و«نزهةَ الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأوَّلين والآخرين» (ص١٧٥).

(٣) وآخرُ اعتناءٍ واهتمامٍ مِن سلاطين آل عثمانَ بالحرمَينِ الشريفَينِ كان في زمن السلطان محمد وحيدِ الدِّين (ت١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م)، فقد أَصدر أوائلَ عامِ: (١٣٣٤هـ ـ ١٩١٦م) أمرًا بعمل ترميماتٍ وإعمارٍ شاملٍ للمسجد الحرام، رَغمَ الشدِّةِ والاضطرابِ الذي كان بالدولة العثمانية بسبب الحربِ العالمية الأُولى، إلا أنَّ الخروجَ على العثمانيينَ حالَ دونَ إتمامِ ذلك، وانظر: «عمارةَ المسجدِ الحرام والمسجدِ النبويِّ في العهد السعودي» للدكتور عبد اللطيف دهيش (ص٨٢).

[بناء الكعبة المُشرَّفة]

واعلَم أيّدكَ اللهُ تعالى: أنَّ السلاطينَ الآن لو هَدموا الكعبةَ المشرَّفةَ، وبنوها بناءً حسنًا بالحجارة الحسنة الجديدة، والرُّخامِ المُلوَّنِ لكانَ صوابًا وأحسن، فقد آلتْ إلى السُّقوط، ومالتْ إلى الهُبوط؛ لِتقادُمِ الأَعصار وطولِ الزمان، فالله تعالى يُوقِظ لهذه المنقبةِ الفاخرةِ مولانا السلطان عثمان.

فقد قال الفقهاءُ الأئمَّة الأعلام، الذين عليهم مدارُ التعويلِ في الأحكام: «ولا بأسَ بتغييرِ حجارَةِ الكعبةِ المشرَّفة إن احتاجَتْ إلى المرمَّةِ، إلا الحَجرَ الأسودَ، فيَحرمُ تغييرُه لعدَمِ قيامِ غيرِه مقامَه، ولا يَنتقِلُ النُّسكُ معَه لو أُخذ مِن الكعبة»[1]، كما وقع في أيام القرامطة كما تقدَّم ذِكرُه.

لكنْ قال العلامةُ ابنُ عقيلٍ في كتابِ «الفنون»: «لا يجوزُ أن تُعلّى أبنِيتُها زيادةً على ما وُجِدَ مِن عُلوِّها»[2].

وفي كتاب «الفروعِ»[3] للعلامة ابن مُفلِحٍ: «يَتوجَّهُ جوازُ البناءِ على قواعدِ إبراهيمَ عليه السلامُ».

يعني لذلِكَ: ما رواه الشيخانِ[4] البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يا عائشةُ، لولا أنَّ قومَكِ حديثُو عهدٍ بشرْكٍ لهدَمتُ الكعبَةَ فألزقْتُها بالأرضِ، ولجعَلتُ لها بابًا شرقيًّا، وبابًا غربيًّا، وزِدتُ فيها ستَّةَ أذرعٍ

---

(١) انظر: «شرح منتهى الإرادات» (٢/ ٤٢٧).

(٢) نقله في «الفروع» (٧/ ٣٨٦).

(٣) «الفروع» (٧/ ٣٨٦).

(٤) «صحيح البخاري» (٢/ ١٤٧)، «صحيح مسلم» (٢/ ٩٧١).

مِن الحِجرِ، فإنَّ قُريشًا استَقصرتْها حينَ بنت الكعبةَ، فهلُمِّي لأُريَكِ ما تركوا منها»، فأَراها قريبًا مِن ستَّةِ أذرعٍ.

وفي حديثِ الإمام أحمدَ[1] وغيرِه: «إنَّ قومَكِ قصُرَتْ بهم النَّفقةُ فقصَّروا في البُنيانِ، وإنَّ الحِجرَ مِن البيت».

ولما سمِعَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ رضي الله عنه هذا الحديثَ مِن خالتِه عائشةَ رضي الله عنها هَدَم الكعبةَ، وأَدخلَ الحِجرَ فيها، وجَعلَ لها بابَينِ لاصقَينِ بالأرضِ شرقيًّا وغربيًّا[2].

ولما قَتله الحجَّاجُ بنُ يوسفَ في خلافةِ عبدِ المَلِك بنِ مروانَ كَتبَ الحجَّاجُ إلى عبدِ المَلِك: إنَّ ابنَ الزُّبيرِ زادَ في البيتِ ما ليسَ منه، وأَحدثَ بابًا آخرَ، واستأذنَه في ردِّ البيت إلى ما كان عليه فأَذِنَ له ففَعل، وبناها الحجّاجُ على حُكمِ بناءِ قريشٍ، وسدَّ البابَ الذي في ظهرِها، وتَركَ سائرَها لم يُحرِّك منه شيئًا[3].

فهذا البيتُ اليومَ على حُكمِ ما بناهُ ابنُ الزُّبيرِ، ما عدا جدارِ الحِجْرِ فإنه مِن بناءِ الحَجّاج.

ولما حجَّ عبدُ المَلِك بنُ مروانَ بعدَ ذلك، وسَمِعَ بحديثِ عائشةَ نَدِمَ وجَعلَ يَنكت[4] الأرضَ بقضيبٍ كان في يدِه ساعةً طويلةً، ثمَّ قال: «وددتُ واللهِ أني تركتُ بناءَ ابنِ الزُّبيرِ وما تحمَّلَ مِن ذلك»[5].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤١/ ١٦٣)، وهو في «صحيح مسلم» (٢/ ٩٧٣).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (٢/ ٩٧٠).

(٣) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي: (١/ ٢٩٤).

(٤) في النسخ: «ينكث»، والصوابُ المثبت، ومعناه: الخطُّ بالعُود في الأرض، قاله النوويُّ في «شرحِ صحيح مسلم» (٣/ ٢٢٦).

(٥) انظر: «صحيح مسلم» (٢/ ٩٧١).

وقـد ذَكـرتُ فـي كتابـي «تشـويقِ الأنـامِ إلـى حـجِّ بيـتِ اللهِ الحـرامِ»[١] صفةَ بنـاءِ ابـنِ الزُّبيرِ وقريـشٍ وإبراهيـمَ، وأنَّ البيتَ بُنيَ عشـرَ مـراتٍ منذُ زمـنِ آدمَ عليه السـلام إلـى ابـنِ الزُّبيرِ.

ولما حجَّ هارونُ الرشيدُ رحمه الله سأَلَ الإمامَ مالكًا عن هَدْمِ الكعبةِ، ورَدِّها إلى بناءِ ابنِ الزُّبيرِ عملًا بالأحاديث الواردةِ بذلك، فقال مالكٌ: «يا أميرَ المؤمنينَ، أَنشدُكَ اللهَ لا تَجعلْ هذا البيتَ مَلعبةً للمُلوكِ، لا يشاءُ أحدٌ إلا نقضَهُ وبناه، فتذهبُ هيبتُه مِن صُدورِ الناسِ»، فتَركَ هارون ذلكَ[٢].

ولـم يَـزل علـى حالِـه إلـى يومِنا هـذا، لكنَّـه الآنَ قـد آلَ إلـى السُّـقوطِ لطولِ الزمـان، فأسـألُ اللهَ تعالـى أنْ يُوفِّـقَ سـلاطينَ بني عثمـان، أُولي الأمـنِ والإيمان، والرِّفعـةِ والشـانِ، لبنـاءِ البيـتِ الحـرامِ، على حُكمِ مـرادِ رسـولِ اللهِ عليـهِ الصلاةُ والسـلام، كمـا بنـاه عبـدُ الله بـنُ الزبيـر الإمـام، لا على حُكـمِ مُـرادِ الحجَّـاجِ تبعًا لكفَّـارِ قُريـشٍ اللِّئـام، فإنهـم أرادوا برفعِ بابِهِ عُسـرَ دُخولِـه؛ حتى لا يدخُلَـه إلا مَن شـاؤوا مِـن الأنام.

***

(١) وهي مطبوعة ضمن هذا المجموع بحمد الله.

(٢) أورده ابنُ عبد البرِّ في «التمهيد» (١٠/ ٤٩).

[تاريخُ بناءِ المسجد الحرام وتوسعتُه]

واعلَم أيَّدك الله تعالى: أنَّ المسجِدَ الحرام كان سابقًا بُقعةً فسيحَةً حولَ الكعبَةِ للطائفينَ بغيرِ جدارٍ يُحيطُ به، بل كانت الدُّورُ مُحدِقةً به مِن جميعِ جوانبِه، وبينَ الدُّورِ أبوابٌ يَدخلُ الناسُ منها، واستمرَّ كذلِكَ إلى خلافةِ عمرَ رضي الله عنه، فلمّا كَثُر الناسُ وَسَّعَ عمرُ المسجدَ، واشترى دُورًا وهدمَها وزادها فيه، وبَنى للمسجدِ جِدارًا قصيرًا دونَ القامةِ مُحيطًا به.

ولما استُخلِفَ عثمانُ وَسَّعَ المسجِدَ أيضًا، واشترى دُورًا وأَدخلها فيه، واتخذَ للمسجِدِ الأروقةَ، وهو أولُ مَن اتَّخذَها له.

ولما استُخلِفَ ابنُ الزُّبيرِ وسَّعَ المسجِدَ أيضًا، واشترى دُورًا وزادَها فيه، وهَدمَ الكعبةَ، وبناها على حُكمِ الحديثِ كما تقدَّم.

ولما استُخلِفَ عبدُ المَلِك لم يَزِد فيه، لكنه رَفعَ جُدرانَه وسَقفَه، وعمَّرَه عِمارَةً حسنة، وأمرَ أنْ يُجعلَ في رأسِ كلِّ أُسطوانةٍ خمسينَ مثقالًا مِن الذهب.

ولما استُخلفَ الوليدُ ابنُه وَسَّعَ المسجدَ أيضًا، وبناه بناءً مُحكَمًا، وزَخْرفه وسَقَفه بالساجِ، ونقلَ إليه أساطينَ الرُّخام، وأَرسلَ ستةً وثلاثينَ ألفَ دينارٍ تُضرَبُ صفائحَ على بابِ الكعبةِ وميزابِها.

ولما استُخلِفَ أبو جعفرٍ المنصورُ وَسَّعَ المسجِدَ أيضًا على الضِّعفِ مما قبلَه، وزخرفَه بالذهبِ، وزيَّنه بأنواعِ النُّقوش.

ولما استُخلِفَ المَهديُّ ابنُه وَسَّعَ المسجدَ أيضًا، واشترى دُورًا بأموالٍ جَزيلةٍ وزادَها فيه، وكانت كسوةُ الكعبةِ قد تراكمَتْ عليها لكثرتِها، فخِيفَ سُقوطُها منها،

فجرَّدها المهديُّ وطَلى جُدرانَها بالغاليةِ[1] والمسكِ والعَنبرِ مِن داخِلِها وخارجِها، وكساها بالخزِّ والدِّيباج، وفرَّقَ في الحرمَين ثلاثينَ ألفَ ألفِ دِرهَمٍ جاءَ بها مِن العراقِ، وثلاثَمئةِ ألفَ دينارٍ جاءتْ إليه مِن اليمنِ، ومئتَي ألفَ ثوبٍ وخمسينَ ألفًا، ثم رَجعَ إلى بغداد.

ولما حجَّ بعدَ ذلكَ مرةً أُخرى رأى الكعبةَ ليستْ في وسطِ المسجدِ بل في جانبٍ منه، فعَزمَ على الزيادةِ فيه بحيثُ تصيرُ الكعبةُ في وسطِ المسجدِ، وجَمع المهندسينَ فقالوا له: لا يُمكنُ ذلكَ إلا بهدمِ دورٍ كثيرةٍ وتكثير[2] المُؤنَة، ولعلَّ ذلكَ لا يتمُّ، فقال المهديُّ: لا بدَّ مِن ذلكَ، ولو أنفقتُ عليه جميعَ مالِ بيت المالِ، وشرعَ في ذلكَ لكنه ماتَ قبلَ إتمامِه، رحمه اللهُ تعالى.

ولما استُخلِفَ الهادي ولدُه سنةَ: تسعٍ وستينَ ومئةٍ بادرَ إلى إتمامِه، فأتمَّه على أكملِ الوُجوهِ والزَّخرَفة.

ولما استُخلِفَ المعتَضِدُ باللهِ سنةَ: تسعٍ وسبعينَ ومئتينِ وَسَّعَ المسجِدَ الحرام أيضًا، وَجدَّدَ عِمارتَه، وأَمرَ بأنْ يُحكَمَ بناءُ المسجِدِ غايةَ الإحكام، وأن يُبنى على وجهِ الإتقانِ والاستحكام، ولا أَعلمُ بعدَه أحدًا مِن الخلفاءِ والسلاطينِ زادَ فيه، ولعلَّ ذلكَ لاتِّساعِه وعدَمِ الحاجَةِ إليه.

---

(١) جاء في «تاج العروس» (٣٩/ ١٨٤): «الغالية: الطِّيب، أوَّلُ مَن سماها بذلك سليمانُ بنُ عبد المَلِك كما في «الصحاح»، وقال عبد القادر البغداديُّ: هي ضربٌ مِن الطيب، سماه به معاويةُ، وذلك أنَّ عبد الله بنَ جعفرٍ دَخل عليه ورائحةُ الطيب تَفوح منه، فقال له: ما طيبُكَ يا عبد الله؟! فقال: مسكٌ وعنبرٌ جمع بينَهما دُهنُ بانٍ، فقال معاوية: غالية! أي: ذاتُ ثمنٍ غال».

(٢) في (ش): «تكثر».

مـا عاشَ مَـن عاشَ مَذمُومًـا خَصائلُه ولـم يَمُتْ بخصـالِ الخَيْرِ مَـن ذُكِرا[1]

وأما مسجِدُ النبيِّ ﷺ بالمدينةِ الشريفة، فقد زادَ فيه الإمامُ عمرُ بنُ الخطابِ وعثمانُ بنُ عفّانَ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيز، والمهديُّ، والمأمونُ، وكان السلطانُ أحمدُ رحمه الله قد شَرعَ في تجديدِه على حُكمِ بناءِ المسجدِ الحرام، وبَنى فيه بعضَ شيءٍ، ثم مات رحمه الله قبلَ إتمامِ ذلك كما تقدَّم.

* * *

(١) جاء البيت في «مجاني الأدب» (٢/ ٧٧) هكذا:

مـا عـاش مَـن عـاش مذمومًـا خصائلُه ولـم يمـتْ مَـن يكـنْ بالخيـر مَذكُـورًا

[هل الزيادة على بناء المسجد الحرام لها حكمُ المسجدِ الأصلي؟]

واعلَم أيّدكَ اللهُ تعالى: أنَّ هذه الزيادةَ لها حُكمُ المسجدِ الأصليِّ بلا ريبٍ، مِن حيثُ صِحَّةُ الاعتكافِ وتحريمُ مُكثِ الجنب، وأظنُّ ذلكَ بالإجماعِ، واختلَفَ الفقهاءُ في ذلكَ مِن حيثُ الثوابُ؟

والـذي اختـارَه فقهاؤُنـا كمـا فـي كتـابِ «الإقنـاعِ» و«المنتهـى» و«التنقِيـحِ» و«الإنصـافِ»[1]، وجزمـتُ بهِ في كتابي «غايـةِ المُنتهى»[2] في الفقه: أنَّ مِن المسـجِدِ مـا زِيـدَ فيه حتـى في الثـوابِ في المسـجدِ الحرام، فـي أنَّ كلَّ صـلاةٍ في الزائـدِ بمئةِ ألـفِ صـلاةٍ كالأصلـيِّ، وأنَّ الصـلاةَ المَنـذُورةَ فـي المسـجدِ الحرام تُجـزِئُ فيه.

وعندَ جمعٍ مِن الفقهاء وحُكيَ عن السلف: أنَّ المسجدَ النبويَّ كذلك خلافًا لجماعةٍ مِن الفقهاءِ كابنِ عَقيلٍ وابنِ الجوزيِّ، وهو ظاهِرُ كلامِ الشافعيَّةِ، وتوقَّفَ الإمامُ أحمدُ فيه[3].

قال بعضُ المُحقِّقينَ مِن أصحابِنا: وظاهرُ كلامِهم أنَّ المسجِدَ الحرامَ نفسُ المسجدِ.

وقيلَ: حَرمُ مكةَ كلُّه مسجدٌ، وحدُّ حَرمِ مكةَ مِن طريقِ المدينةِ: ثلاثةُ أميالٍ، ومِن جهَةِ اليمنِ: سبعةٌ، ومِن جهةِ العراقِ كذلكَ، ومِن جهةِ الطائفِ وبطنِ نَمِرةً كذلكَ، ومِن جهةِ الجِعرّانةِ: تسعةٌ، ومِن جهةِ جدَّةَ: عشرةٌ، ومِن بطنِ عُرَنَةَ: أحدَ عشرَ.

واعلَم: أنَّ هذه الزيادةَ لا تُشترَطُ لكونِها مسجدًا التلفُّظُ بالوقفيَّة، بل تصيرُ مسجِدًا بمُجرَّدها، ومَن قال باشتراطِ التلفُّظِ فقولُه مردودٌ؛ بأنهُ لم يُنقَل عن أحدٍ مِن الخلفاءِ ممَّن زادَ في المسجِدَين الشريفَين أنه قال: وقفتُ هذا الزائدَ مسجدًا.

فتأمَّل هذه التحريراتِ فإنها نفيسةٌ جدًّا.

---

(١) «الإقناع» (١/ ٣٢٣)، «شرح المنتهى» (١/ ٥٠٢)، «التنقيح» (ص١٧٠)، «الإنصاف» (٣/ ٣٣٦).

(٢) انظر: «مطالب أولي النهى» (٢/ ٢٣٤).

(٣) انظر: «الإقناع» (١/ ٣٢٣).

[الإنفاقُ على الحرمَين الشريفَين والقدسِ الشريف]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

الصدقاتُ الجزيلَة، والحسناتُ الجميلَة، الواصلةُ منهم إلى الحرمَينِ الشريفَين، وإلى القدسِ الشريف، والخليلِ المُعظَّمِ المُنيف، مِن الذهبِ والفضَّةِ والغلال، مما لا يُمكِنُ ضبطُه وحصرُه.

فربما تبلُغُ النقودُ الواصلَةُ إلى هذهِ الأمكنةِ مِن جهةِ السَّلْطنَةِ والأوقافِ في كلِّ سنةٍ فوقَ المئةِ ألفِ دينارٍ، بحيثُ لو فُرِّقَتْ على وَجهِها لاستغنى الفقراءُ بتلكَ الأماكِن، وربما يُصرَفُ على العساكرِ والمَحامِلِ المُعدَّةِ لحفظِ الحاجِّ وكسوةِ الكعبةِ، وقلاعِ طريقِ الحاجِّ كلَّ سنةٍ نحوُ ثلاثمئةِ ألفِ دينارٍ.

وربما تبلُغُ الغِلالُ المَوقوفَةُ على الحرمَينِ بأعمالِ مصرَ المحروسةِ كلَّ سنةٍ نحوَ مئةِ ألف إردبٍّ[١]، وخمسينَ ألفَ إردَبٍّ حنطةً مِن أوقافِ السلطان أحمدَ ومحمَّدٍ ومُرادٍ وسَليمٍ وسليمانَ وسَليمٍ، وكذا الموقوفُ على الخليلِ عليه السلامُ، وتكيَّةِ القدسِ الشريف.

وكان أوَّلُ مَن عَمل الصِّرَّ[٢] الرُّوميَّ للحرمَينِ الشريفَينِ[٣] مِن آلِ عثمانَ: السلطانُ يِلْدِرِم بايَزِيد، ثمَّ ابنُه السلطان مرادُ[٤]، فكان يُرسِلُ للحرمَينِ

---

(١) انظر ما تقدَّم عن الإرْدَب.

(٢) الصِّر: ما يُحبس للحرمَين، انظر: «تاج العروس» (١٢/ ٣٠٧).

(٣) «الشريفين» زيادةٌ مِن (أ) و(ب).

(٤) وجاء في بعض المراجع أنَّ أولَ مَن أرسل الصُّرَّةَ العثمانيةَ إلى الحرمَين الشريفَينِ هو السلطانُ محمد جلبي بنُ بايزيد (ت٨٢٤هـ)، انظر: «الإعلامَ بأعلام بيتِ الله الحرام» (ص٢٦٩)، و«نصرةَ أهلِ الإيمان بدولة آل عثمان» (ص٦٠).

الشريفَينِ في كلِّ سنةٍ: ثلاثةَ آلافِ دينارٍ وخمسمئةٍ، ولأشرافِ مكةَ مثلَ ذلكَ.

ثمَّ السلطان بايَزِيدُ والدُ السلطانِ سليمٍ فاتحُ مصرَ، فكان يُرسِلُ للحرمَينِ الشريفَينِ الصُّرَّ في كلِّ سنةٍ: أربعةَ عشرَ ألفَ دينارٍ[1].

وإذا وَرد عليه أحدٌ مِن أهلِ الحرمَينِ إلى ديارِ الرُّومِ بالغَ في إكرامِه وإنعامِه.

ثم إنَّ السلطانَ سَليمًا فاتحَ مصرَ ضاعفَ ذلك، ورتَّبَ للحرمَينِ أيضًا كلَّ عامٍ: سبعةَ آلافِ إرْدَبٍّ حنطةً.

ثم إنَّ السلطانَ سُليمانَ ولدَه ضاعفَ جميعَ ذلكَ، وصارَ يُرسِلُ ذلكَ في كلِّ عامٍ بدفترٍ محفوظٍ، وأمينٍ وكاتبٍ يَقسِمُه في الحَرمِ الشريف، ولم يَقعْ لأهل الحرمَينِ مثلُ هذا الإحسانِ مِن المُلوكِ السالِفةِ في قديمِ الزمانِ؛ لكونِ هذه الصدقَةِ على وجهِ الاستمرارِ بخلافِ صدقاتِ الخلفاءِ والسلاطين السالِفين، فإنها إنما كانت تردُ في بعضِ الأحيان، أو حينَ يَحجُّ خليفةٌ أو سلطان، لكنَّ المرحومَ السلطانَ قايتباي كانَ قد وَقفَ قرًى وضِياعًا على أهلِ الحرمَين، وكان ريعُها يُرسَلُ إليهم، وكذلكَ المرحوم السلطانُ جَقمَقُ قبلَه.

ثم إنَّ السلطانَ مرادًا ومحمدًا وأحمدَ بالَغوا في ذلك بما هو فوقَ الحصرِ والحساب،

ضاعفَ الله أجورَهم يومَ الحشر والحساب، وبوَّأهم مِن الجنة غُرفًا مع الكواعِب الأتراب.

* * *

---

(١) طُبع مؤخَّرًا «دفترُ الصُّرَّةِ العثمانية الشريفة» للسلطانة صفيةَ (ت١٠١٤هـ) أمِّ السلطانِ محمدٍ الثالث، وفيه الشيءُ العجيبُ عن تعظيم الحرمَين، وتوقيرِ أهلِها، وكفايةِ علمائِها، وفيه مقدِّمةٌ مفيدةٌ عن الصُّرَّة وتاريخِها وأنواعِها.

[الضرائبُ التي يعود نفعُها على العلماء ومراكزِ التعليم]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

أنَّ الشؤونَ السلطانيَّ ـ وهو موضِعُ خَزنِ الغِلالِ بمصرَ المحروسةِ ـ ربما يَدخلُه في كلِّ سنةٍ مِن الغِلالِ ما يزيد على ثمانمئةِ ألفِ إرْدَبٍّ، بحيثُ إنَّ الناظرَ إلى تلك الغِلالِ يَراها كأمثالِ الجبالِ وتِلال الرِّمال، مِن قمحٍ وشعيرٍ وفولٍ وعدَسٍ وحِمِّصٍ، كلُّها تدخُلُ في الشؤونِ على سبيلِ أنْ تُصرفَ على العساكرِ، والفقهاءِ والعلماءِ، والقضاةِ والفقراءِ، والمجاورِينَ بالجوامع والزَّوايا.

ومنها: التقاعدُ والجَوالي بمصرَ والشامِ وحلبَ التي جُعِلَتْ لأنْ تُصرَفَ على الفقهاءِ والعلماءِ والفُقراءِ ونحوِهم، تَبلغُ أُلوفًا مِن الدنانيرِ لا تَنحصِر.

والجوالي: هي ما تؤخذُ مِن أهلِ الذِّمَّةِ مِن الجزيَةِ، وكلُّها جعلَها السلطانُ سليمانُ وظائفَ للعلماءِ والصُّلَحاءِ والمشايخ، وكان يَخرجُ منها شيءٌ قليلٌ لبعضِ المشايخِ في أيامِ دولة الجَراكسَة، رحمةُ الله عليهم أجمعين، وعلى سائر مُلوك المسلمين، آمين.

وبالجملةِ: فما يَصرِفُه آلُ عثمانَ مِن خزائِنهم في وُجوهِ الخيراتِ والصدَقاتِ المُرتَّباتِ لا يُحصَى مِقدارُها، ولا يُستَقصى انحصارُها، وناهِيكَ بكثرةِ هذهِ الخيراتِ، واستمرارِ هذهِ المبرَّاتِ، لكنْ كثيرٌ مِن حواشيهم والمتصرِّفينَ عنهم ربما أخطؤوا طريقَ الإصابة، وربما ظنَّ أحدُهم أنه قد أصابَ الصوابَ وهو ما أصابَه!

فاللهُ تعالى يُصلِحُ أحوالَ الرُّعاةِ والرَّعية، ويَمُنُّ على المسلِمينَ بعيشةٍ راضيةٍ مَرضيَّة، ويُوفِّقُ للعدلِ الدولةَ العثمانيَّة، آمين.

* * *

[عدمُ التعدِّي على أوقاف السلاطينِ السابقين]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

تبقِيةُ هذه الأوقافِ المَوقُوفةِ مِن جانبِ السلاطِينِ السالفين، والأُمراءِ السابقِين، وإجراؤُها على سَنَنِ شُروطِ الواقفين، وعدمُ التعرُّضِ لها بشيءٍ يَشين.

فانظُر إلى مكارمِ أخلاقِ المرحوم السلطانِ سَليمٍ لما استولى على مصرَ كيف لم يتعرَّضْ لأوقافها التي وقفها أعداؤُه، بل أقرَّها على حالِها وأجراها على شُروطها، ولم يَتعرَّض لها بتغييرٍ ولا تَبديل.

وأعجبُ منه حيثُ لم يتعرَّضْ لوقفِ عدوِّهِ السلطانِ الغُوريِّ، ولا لمدرسَتِه بشيءٍ يَشين، بل أقرَّها هي وأوقافَها على ما كانت عليه زمنَ واقفِها، مع أنه قاسى الجَهدَ والمَشقَّةَ، وبادتْ عساكِرُه بسببِ السلطانِ الغُوري.

فهل هذه إلا مكارمُ أخلاقٍ لا يفعَلُها أحدُنا مع أقلِّ أعدائِه لو ظَفِر به؟!

ومَن يَمنعُ السلطانَ سَليمًا أو غيرَه لو أبطلَها؟!

مع أنَّ هذه الأوقافَ إنما هي مِن بيتِ مالِ المسلمينَ[١]، وليست بأوقافٍ حقيقةً بل صوريةً؛ لأنَّ الأرضَ على مذهبِ الحنابلةِ[٢] والمالكيَّةِ[٣] قد وُقِفتْ على

(١) في (أ) و(ب) هنا زيادةٌ: «ولو تيسَّرَ للسلطانِ أَعطى المُستحقِّينَ حقوقَهم مِن بيتِ المالِ على وفقِ الشرعِ الشريفِ، إنْ كان كعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لساغَ له أنْ يُبطِلَها ويُدخِلَها في بيتِ المالِ مراعيًا في ذلك المصلحةَ، وإيصالَ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وإلا مُنعَ مِن ذلكَ، كمنعِه مِن صرفِ بيتِ المالِ على غيرِ مستحقِّيهِ، أو ما لا مصلحةَ فيه؛ لأنَّ هذهِ الأوقافَ إلخ».

(٢) انظر: «الفروع» (٦/ ١٦٥).

(٣) انظر: «التاج والإكليل» (٤/ ٥٦٨).

المسلِمينَ مِن زمنِ الفتحِ العمري: فتحِ الإمامِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه كما نقلَه العلماءُ الأعلام، وبَسطتُ الكلامَ على ذلك في كتابي: «تهذيبِ الكلامِ في حُكمِ أرضِ مصرَ والشام»[1].

ومذهبُ الحنفيَّةِ[2] والشافعيَّة[3]: أنها لم تُوقفْ زمنَ عمرَ بنِ الخطاب، لكنَّها لبيتِ المالِ مُرصدةٌ على مصالحِ المسلمين.

وعلى كلِّ تقديرٍ: فوقفُ المُلوكِ والسلاطين لهذه الأراضي لم يصحَّ؛ لأنَّ المالكِيَّ والحنبليَّ يقولُ: الموقوفُ لا يُوقَف، وهذِه موقوفةٌ مِن قبلِ الآنَ مِن زمن عمرَ بنِ الخطاب.

والحنفيُّ والشافعيُّ يقولُ: مِن شَرْط صحَّةِ الوقفِ أنْ يكونَ مِلْكًا لواقفِه، والأرضُ المذكورةُ ليست بمِلْكٍ لأحد، بل هي لعمومِ المسلمينَ، والسلطانُ كواحدٍ منهم!

ومِن ثَمَّ قال المُحققونَ مِن علماءِ الحنفيةِ وغيرِهم[4]: إنَّ شُروطَ الواقفِينَ مِن الأمراءِ والسلاطينِ لا يَجِبُ العملُ بها، وإنَّ المُدرِّسَ يستحِقُّ مَعلومَ التدريسِ حيثُ كانَ أهلًا قائمًا بالتدريسِ في أيِّ محلٍّ كان، ولو لم يَقرأْ في المدرسةِ التي شَرطَ الواقِفُ قراءةَ الدرسِ بها، وشرطُه: لاغٍ غيرُ مُعتبرٍ، ولا مُعتدٌّ به في ذلك.

وقد صرَّحَ كثيرٌ مِن أئمَّتنا كالمرحوم شيخ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ[5] وغيرِه: «أنَّ

---

(١) وهو مطبوع ضمن هذا المجموع بحمد الله.

(٢) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٣/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «تحفة المحتاج» (٦/ ٥٨).

(٤) انظر: «قواعد الأوقاف» للمفتي الحمزاوي: (ص٩٤).

(٥) «المستدرك على مجموع الفتاوى» (٤/ ٩٢).

ما يَأخذُه الفقهاءُ مِن هذِه الأوقافِ فهو كرزقٍ مِن بيتِ المالِ للإعانةِ على الطاعةِ والعِلم، لا أنه كجُعلٍ أو أُجرةٍ».

ولو لم نَقُلْ بهذا للزِمَ ارتكابُ الحرامِ الصريحِ في الاشتراكِ في الوظائفِ؛ حيثُ يُجعل لكلِّ شخصٍ نصفُ أو ثُلُثُ تدريسٍ أو طلبٍ أو غيرُ ذلكَ مِن الوظائفِ التي يقعُ فيها الاشتراك.

والوقفُ الصحيحُ لا يجوزُ في الوظيفةِ المَشروطَةِ لمُدرِّسٍ أو طالبٍ أنْ يشترِكَ فيها اثنانِ فصاعدًا.

وقد وَقعَ ـ كما نقلَ العلماءُ بالتاريخِ وغيرُهم مِن الفقهاء ـ أنَّ السلطانَ بُرْقُوقًا صاحبَ مصرَ وأوَّلَ سلاطينِ الجَراكسَةِ أرادَ أن يَنقُضَ هذهِ الأوقافَ ويُبطلَها كلَّها، وقال: إنها أُخِذَت مِن بيتِ المالِ، وقد استغرقَتْ نصفَ أراضيه، وعَقدَ لذلكَ مجلِسًا حافلًا حضرَه شيخُ الإسلامِ السراجُ البُلقِينيُّ إمامُ الشافعيَّة، والشيخُ أكملُ الدِّينِ شيخُ الحنفية، وقاضي القضاةِ ابنُ جماعةَ.

فقال البُلقِينيُّ: أمّا ما وُقفَ على العلماءِ وطَلبةِ العِلمِ فلا سبيلَ إلى نقضِه؛ لأنَّ لهم في بيتِ المالِ أكثرَ مِن ذلك، وهو لا يصِلُ إليهم، وأمّا ما وُقِفَ على فاطمةَ وخديجةَ وعائشةَ ـ يعني بذلك: الوقفَ[١] على الذُّريةِ ونحوِه ـ فإنه يُنقض، ووافقَه الحاضرونَ مِن العلماء على ذلك[٢].

وكان أوَّلُ مَن أَحدثَ وقفَ أراضي بيتِ المالِ على جهات الخيرِ كالمدارسِ السلطانُ نورُ الدين الشهيدُ صاحبُ دمشقَ، ثم السلطانُ صلاحُ الدين يوسفُ بنُ

---

(١) في (أ) و(ب): «الواقف».

(٢) ذَكر هذه الواقعةَ المقريزيُّ في «المواعظ والاعتبار» (٤/ ٨٩).

أيوبَ صاحبُ مصرَ، لما استَفتيا شيخَ المذاهبِ ابنَ أبي عصرون[١]، وكان مُتصِلًا بهما مُعظَّمًا عندَهما؛ لعِلْمِه ودِينِه، فأفتاهما بالجوازِ على معنى أنه إرصادٌ وإفرازٌ لبيت المالِ على بعضِ مُستَحقِّيه؛ ليَصِلُوا إليه بسهولةٍ، لا أنه وقفٌ حقيقيٌّ؛ إذ مِن شَرطِ المَوقوفِ أنْ يكونَ مِلْكًا للواقفِ، والسلطانُ ليسَ بمالكٍ لذلك، ووافقَ ابنَ أبي عصرونَ على فتواهُ ومُرادِه جماعةٌ مِن أئمةِ المذاهبِ الأربعة مِن علماءِ عصرِه[٢].

وقال الحافظُ الجلالُ السيوطيُّ[٣]: «أفتى جميعُ علماءِ ذلك العصرِ كالسُّبكيِّ وولدَيه وابنِ الزملكانيِّ وابنِ عَدْلانَ وابنِ المرحَّل[٤] وابنِ جماعةَ والأذرعيِّ والزركشيِّ والبُلقِينيِّ والإسنويِّ وغيرِهم: بأنَّ هذه الأوقافَ إرصاداتٌ، لا أوقافٌ حقيقةٌ[٥]»، انتهى.

قلتُ: لكنْ هنا إشكالٌ واردٌ على العلماء، وهو: أنَّ هذِه الأوقافَ حيثُ لم يصِحَّ وقفُها ـ هو المختارُ الذي صار إليه المحقِّقونَ مِن العلماء، بل كلُّ مَن يَعرف الفقهَ ـ فكيف ساغ لنا معشرَ المفتِينَ والحكامِ الفتوى والحكمُ بصحَّةِ الإجارةِ الواقعةِ مِن الناظرِ؟! مع أنَّ كونَه ناظِرًا لم يصحَّ لعدَمِ صحَّةِ الوقفِ، ولم أرَ مَن تعرَّض لهذا الإشكالِ ولا للجوابِ عنه!

---

(١) هو العلامة المُقرئ، والفقيه القاضي أبو سعدٍ عبدُ الله بنُ محمدِ ابنِ أبي عصرونَ الشافعيُّ المَوصلي الدمشقي (ت٥٨٥)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٢٦).

(٢) وانظر المسألةَ في «مطالب أُولي النُّهى» (٤/ ٣٣٢).

(٣) ذَكر ذلك السيوطيُّ في رسالته «النَّقل المستور في جواز قَبض المعلوم مِن غير حُضور» (ق٢٣٧/ أ).

(٤) في النُّسخة (ش): «المرجل»، وفي (أ) و(ب): «المرجد»، والصوابُ المثبتُ الموافقُ لنصِّ رسالة السيوطيِّ، وهو الفقيه محمدُ بنُ عبد الله الدمشقي (ت٧٣٨)، ويُقال له: ابن المرحَّل، انظر: «الأعلام» (٦/ ٢٣٤).

(٥) في (ش): «حقيقية»، والمثبتُ موافقٌ لنصِّ رسالة السيوطي.

وقـد ذكـرتُ جوابَه مع المناقشـاتِ والأحـكامِ الكثيـرةِ التي ليسَ هـذا محلُّها فـي كتابـي: «تهذيـبِ الـكلامِ فـي حُكـمِ أرض مصـرَ والشـام»، فراجِعْـه تظفـرْ بالمَـرام(١).

إذا علمتَ هذا فاعلَمْ: أنَّ الواجبَ على الحُكّامِ وولاةِ الأنامِ المُتصرِّفينَ عن السلطانِ أنْ يُولُّوا في هذه الوظائفِ الأحقَّ فالأحقَّ شرعًا.

فلا يجوزُ أنْ يُولُّوا في وظيفةٍ مَن ليسَ بأهلٍ لها، ولا زيادةً عن الحاجةِ والكفايةِ، فليتَّقوا اللهَ ربَّهم فإنَّ مَرجِعَهم إليه، وسيَقِفُون غدًا بينَ يدَيه، ولا يُعطُوا منها للمستحِقِّ إلا بقدرِ الحاجةِ والكفايةِ، ثم يُعطونَ(٢) المُحتاجَ المُستَحِقَّ، وإلا فقد أَعطَوا مَن لا يَستَحِقُّ، وحَرموا المُستَحِقَّ.

ويجبُ على الحُكام أنْ يَحرِصوا على تقريرِ مَن هوَ أهلٌ للوظيفةِ فيما هوَ أهلٌ له وإنْ لم تصحَّ الوقفيَّةُ في الأصلِ، وأنَّ الشروطَ لاغيةٌ، لكنْ لمّا أَقرَّ السلطانُ الأوقافَ التي أُفرزتْ مِن بيتِ المالِ على ما هي عليه؛ ليصِلَ المُستَحِقُّون إلى حقوقِهم بسهولةٍ، فالواجبُ اتباعُ ما أَقرَّه السلطانُ، وعدَمُ العُدولِ عنه، وأَمرُه في ذلكَ مطاعٌ واجِبُ الاتِّباع.

وحينئـذٍ فالفقيـهُ يُقـرَّرُ فـي تدريـسِ الفقـه، والعالـمُ بالتفسـيرِ يُقرَّرُ فـي درسِ التفسـير، والعالـمُ بالفرائـضِ يُقرَّرُ في تدريـسِ الفرائـض، والعالمُ بالحديـثِ يُقرَّرُ فـي درسِ الحديثِ، والحنفـيُّ يُقرَّر في التدريـس الحنفي، والحنبلـيُّ في التدريس الحنبلـي، وهلُـمَّ جرًّا...

---

(١) «تظفر بالمرام» زيادةٌ مِن (أ) و(ب).

(٢) كذا في النُّسخ.

ومَن قُرِّرَ فيما ليسَ له بأهلٍ وجبَ عزلُه منه، وإخراجُهُ عنه، ومَن لم يَقُمْ بوظيفته وجبَ أنْ يُبدَّلَ بمن يقومُ بها إنْ لم يتُبْ، ويَلتزِم الواجبَ.

وقال العلامة الحافظ السيوطيُّ[١]: «قال الدَّميريُّ في «شرح المنهاجِ»[٢] في باب الجِعالة: سألتُ شيخَنا ـ يعني: الإمامَ الإسنويَّ[٣] ـ مرَّتَين عن غَيبةِ الطالبِ عن الدرس: هل يستحِقُّ المعلومَ أو يُعطى بقسطِ ما حَضر؟ فقال: إنْ كانَ الطالِبُ في حالِ انقطاعِه يشتغِلُ بالعلمِ استَحقَّ وإلا فلا، ولو حَضرَ الدَّرسَ ولم يكنْ بصَدَدِ الاشتغالِ لم يَستَحِقَّ؛ لأنَّ المقصودَ نفعُه بالعِلمِ، لا مُجرَّدُ حضورِه، وكان يَذهبُ إلى أنَّ ذلكَ مِن بابِ الإرصاد»، انتهى كلامُه.

هذا، وقد صارتْ هذه التي وقفها السلاطينُ والأمراءُ على العلماء وطلبةِ العلم والمشتغلينَ بالخير؛ ليَستَعينوا بها على ما هم بصدَدِه: إنما يُولِّي قضاةُ زمانِنا هذا فيها مَن يَبذل لهم فيها الدنيا وإنْ كان جاهلًا، فيُقرِّرون حينئذٍ بالرِّشوة مَن لا يَستَحق، ويَمنعون المُستَحِقَّ، فلزِمَ على هذا في زمانِنا هذا انحصارُ الوظائفِ الدينيةِ في أربابِ الدنيا الدنيَّةِ، فيُعطَون منها ما شاؤوا وإنْ كانوا جُهّالًا، ويُمنَعُ منها الفقراءُ وإنْ كانوا علماءَ صُلحاءَ أبدالًا، وهذا أمرٌ مشاهَدٌ لا يُنكرُ، لا سيما في مصرَ خصوصًا الفقراءَ الأفاضِلَ بالجامعِ الأزهرِ[٤].

---

(١) نصُّ السيوطيِّ هذا في رسالته «الإنصاف في مسائل الأوقاف»، انظر: «الحاوي للفتاوي» (١/ ١٨٥).

(٢) «النجم الوهاج» (٦/ ٩٩).

(٣) التفسير مِن الإمام السيوطي.

(٤) جاء هنا في (أ) و(ب) عوضًا عن العبارة المُثبتة إلى آخر هذا الباب: «واعلَم: أنَّ هذه الوظائفَ والخيراتِ الجاريةَ لم يَقِفْها واقفُوها ليَتفاخرَ بها مُستحِقُّوها، ويَتكاثروا بها في الدنيا، ويتوسَّعوا بها في لذائذِ الأطعمةِ والشهوات، ويَتطاولوا بها على الفقراء، وإنما وَقفُوها بقصدِ الأجرِ والمَعونَةِ =

وهؤلاءِ القضاةُ ـ وفقهم الله ـ يأخذون مِن التَّركات؛ لأجل القِسمة العُشرَ، فيا ليتَهم يأخذون في هذه الوظائف مِن الفقراء الخُمْسَ، ويُعطونهم حقَّهم منها؛ ليَدفعوا عنهم بذلك العَرَّةَ[1]، بل صار كثيرٌ مِن القضاة إنما يأخذ مِن الأغنياء في الوظيفة قيمةً مثلَها، ويُمنع الفقراءُ الأفاضلُ بالمرَّة.

وليت هؤلاء القضاةَ يَغلطون مرَّةً ويُعطون الفقراءَ في بعضِ الأحيان، كما كان يَفعل ذلك القضاةُ الماضيةُ في سالف الزمان، فيَسترون بذلك عيوبَهم، ويُحصِّلون مطلوبَهم، فإنَّ الحسنةَ بعَشر أمثالها، وخيرٌ مِن كثير مِن حطام الدنيا القليل مِن حلالها، ويكون...[2] أصحاب السيف، على حدِّ قولِه تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ومِن العجب: أنَّ بعضَ فقراءِ العلماءِ بمصرَ المُنقطِعِينَ بالجامع الأزهر للإفتاء والتدريس والتصنيف، بلغه: أنَّ حسين باشا ـ لطف الله به ـ إذا توجَّه إليه أحدٌ مِن طلبة العلم بوظيفةٍ فإنه يُقرِّره فيها، فتوجَّه إليه ذلك العالم الفقيرُ بوظيفة، فقرَّره الباشا فيها وقال له: لا تنسَ السلطانَ مِن صالح دُعائِك، ولم يُؤدِّ على ذلك، فتوجَّه شخصٌ مِن أبناء الدنيا إلى القاضي، وذلك الشخصُ له معرفةٌ تامة بمخالطة القضاة،

= على طلبِ العلمِ والطاعاتِ والقُربات، والتناوُلُ منها بقدرِ الحاجَةِ، ثم يُعطى منها للمحتاجِ. وأما التكاثرُ والتفاخرُ ـ لو قيلَ بإباحتِه ـ والتوسُّعُ الزائدُ فإنما هو إذا كان مِن كسبِ يدِ الشخصِ، كالتجارةِ والزراعةِ ومباشرةِ الأسبابِ والأعمال. وليسَ هذا بمَحلِّ بسطِ الكلامِ على مثل هذا، وفيما ذكرْناه كفايةٌ لمن تدبَّرَ ومعرفةٌ بأنَّ ما تقرَّرَ محضُ ظُلمٍ ومُنكَرٍ، لا يقولُ به جاهلٌ فضلًا عن عالمٍ، ولا كافرٌ فضلًا عن مسلمٍ، والأمرُ إلى اللهِ تعالى مِن هذهِ البِدعِ القبيحةِ، والظلماتِ الصريحةِ».

(١) العَرَّة: الخَلَّة القبيحة، كما في «القاموس المحيط» (١/ ٤٣٨).

(٢) في النسخة: (ش) طمسٌ هنا بمقدار أربعِ كلماتٍ تقريبًا.

وإعطاءِ الرِّشوة لهم، والتلاعبِ بعقولهم، وله مِن الوظائف كلَّ يومٍ نحوُ خمسِ مئةِ عثماني، وبذل للقاضي الرِّشوةَ، وتقرَّر في تلك الوظيفة التي تقرَّر فيها العالمُ الفقير المنقطع ابتغاءَ مرضاةِ الله تعالى والدُّعاءِ للسلطان.

وتقريرُه باطلٌ مِن جهات:

ـ **أحدُها** [١]: أنَّ له في الوظائف فوقَ كفايتِه، وقد تقرَّر عندَ العلماءِ المحقِّقين كما تقدَّم: أنَّ هذه الوظائفَ مِن قَبيل بيت المال، فلا يجوز أنْ يُعطى أحدٌ منها أزيدَ مِن كفايته.

ـ **ثانيها**: أنَّ هذه الوظائفَ الواجبُ فيها أنْ يُقدَّمَ الأحوجُ فالأحوجُ، وهذا العالمُ الفقيرُ أحوجُ منه بلا نكير.

ـ **ثالثها**: أنَّ الواجبَ عندَ التعارضِ والتزاحمِ تقديمُ مَن نفعُه أكثرُ وأنفعُ للمسلِمين، وهذا العالمُ الفقيرُ أنا أعرفُ منه أنه قاطعٌ زمانَه إفتاءً وتدريسًا وتصنيفًا، وله عدَّةُ مصنفاتٍ نفيسةٍ نافعةٍ سارتْ بها الرُّكبان في أطراف البلدان، وذلك الشخصُ المذكورُ لا إفتاءَ ولا تصنيفَ، ولا تدريسَ فيما هو مقرَّرٌ فيه مِن تداريس الفقه والفرائض والحديث؛ لعدم معرفته بذلك، بل لو لم يكن مِن نفعه المُتعدِّي إلا حَجرُه على الفقراء الأفاضلِ باستيلائه على وظائفَ لا تَنحصر لكان في ذلك كفايةٌ للقاضي المُنْصِف.

ـ **رابعها**: الفقيرُ تَقرَّر لله تعالى، وهذا الشخصُ تَقرَّر بالدنيا، وما كان لله فهو

---

(١) في النسخة: (ش) هنا طمسٌ، وقد تَّممتُ العبارةَ مِن قراءة الأستاذ عبد الله الكندري في تحقيقه لهذا الكتاب، فجزاه الله خيرًا.

الحقُّ الصحيح، وما كان للدنيا فهو الباطلُ الفاسد، وقد بذل للقاضي رِشوةً لها وقعٌ في النفس.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لعنةُ الله على الراشي والمُرتَشي»، رواه الإمام أحمدُ وأبو داودَ والترمذيُّ وابنُ ماجه(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لَعن الله الراشيَ والمُرتَشيَ في الحُكْم»، رواه الإمام أحمدُ والترمذيُّ والحاكم(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لَعن الله الراشيَ والمُرتَشيَ والرائشَ الذي يَمشي بينَهما»، رواه الإمام أحمد(٣).

ونُقل عن عمرَ بنِ الخطاب وعليٍّ بنِ أبي طالبٍ وعبدِ الله بنِ مسعودٍ وعبدِ الله بنِ عباس ومسروقٍ رضي الله عنهم في قول الله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ نزلتْ في اليهود، كانوا يَسمعون لمن يَكذب عندَهم، ويأخذون الرِّشوةَ ممن يَحكمون له، والهديةَ ممن يَشفعون فيه(٤).

وقد أَجمع العلماءُ مِن لدُنْ محمدٍ ﷺ إلى يومنا هذا على أنَّ الحُكْمَ بالرِّشوةِ والهوى حرامٌ، وأنه باطلٌ وإنْ وافق الحقَّ والصوابَ، وإنما ذكرتُ حكايةَ هذه الواقعةِ هنا؛ لما فيها مِن مناسبةِ المقام، مع ما اشتملتْ عليه مِن معرفة الأحاديث والأحكام.

---

(١) «مسند أحمد» (١١/ ٣٩١)، «سنن أبي داود» (٥/ ٤٣٣)، «سنن الترمذي» (٣/ ١١٦)، «سنن ابن ماجه» (٣/ ٤٤١).

(٢) «مسند أحمد» (١٥/ ٨)، «سنن الترمذي» (٣/ ١٥)، «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ١١٥).

(٣) «مسند أحمد» (٣٧/ ٨٥).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣١٩).

واعلَمْ أيَّدكَ اللهُ تعالى: أنَّ هذه الوظائفَ المَوقوفةَ مِن جانب المُلوك والسلاطينِ، على العلماء والمدرِّسينَ، وطلبةِ العلم المُنقطِعين، لم يَقفوها لتكونَ محصورةً في الأغنياء، ويُمنعَ منها الفضلاءُ الفقراء، بل إنما وَقفوها بقصد الأجر والثواب، والمَعونةِ على الاشتغال بالعلم وتلاوةِ الكتاب، وجبرِ قلوبِ الفقراء المُشتَغلين، والغرباءِ المُنقطِعين؛ لاغتنام صالح دعواتهم، في خلواتِهم وجلواتِهم،...... [1] ثم يُعطى منها للمحتاج، ويُقدَّم الأكثرُ نفعًا فالأكثر نفعًا، والأَحوجُ فالأَحوج.

ولقد حَكى كثيرٌ مِن العلماء[2]: أنَّ السلطان العادل نورَ الدِّين الشهيد الذي كان هو الفاتحَ لباب وقفِ الأوقاف على العلماء وطلبةِ العِلم، قيل له: إنك قد وقفتَ أوقافًا عظيمةً على العلماء والفقراء والصوفية، فلو استعنتَ بها الآنَ في الجهاد وعطايا الجندِ وجوامكِ[3] العسكر لكان أمثلَ، فغضب رحمه الله وقال: «والله إني لأرجو النصرَ بأولئك، فإنما تُنصرون وتُرزقون بضعفائكم[4]، كيف أَقطع صدقاتِ قومٍ يُقاتلون عني وأنا نائم في فراشي بسهامٍ لا تُخطئ؟! يعني بذلك: دعواتِهم الصالحةَ، وأَصرفها إلى مَن لا يُقاتل عني إلا إذا رآني بسهامٍ قد تُخطِئ وقد تُصيب».

وقد أَفردت هذا بكتابٍ سمَّيتُه: «إيقافَ العارفين على حُكم أوقافِ السلاطين».

***

---

(١) في النسخة: (ش) طمسٌ هنا بمقدار أربعِ كلماتٍ تقريبًا.

(٢) حكى هذه القصةَ ابنُ الأثير في «الكامل في التاريخ» (٩/ ٣٠٣)، وأبو شامةَ المقدسيُّ في «الرَّوضتَين» (١/ ٣٩٩).

(٣) الجَوامِك: جمعُ جامِكِيَّة، وهي كلمةٌ فارسية معناها: مرتبٌ مقدَّرٌ مِن بيت المال للجند ونحوِهم، انظر: «تكملةَ المعاجم العربية» (٢/ ١٢٧).

(٤) يُشير إلى قوله ﷺ: «**هل تُنصرون وتُرزَقون إلا بضُعفائِكم؟!**»، رواه البخاري: (٤/ ٣٦).

[محبَّةُ الرعايا لهم]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

مَيلُ قلوبِ الرَّعايا إليهم، وثناؤُهم بالحسنِ الجميلِ عليهم، فلا تجِدُ أحدًا مِن الرَّعايا يَذكرُهم بسوءٍ، ويَنسبُ إليهم ما لا يَليقُ، بل كلُّهم يُثنون ويَدعُونَ ويُحبُّون، فلا تجِدُ أحدًا مِن رعاياهُم إلا وهو يُحبُّهم ويَدعو لهم بالنصرِ والتأييد، حتى إنك تجِدُ الصغيرَ والكبيرَ مِن ذكرٍ وأُنثى إذا ذُكِرَ السلطانُ يقولُ: «نصرَهُ اللهُ تعالى»، «اللهُ ينصرُ السلطانَ»، وكأنَّ الله تعالى قَذفَ في قلوبِ رعيَّتِهم حُبَّهم، وقَذفَ في قلوبِ سائرِ الناسِ تعظيمَهم، وهو دليلٌ على محبة اللهِ تعالى وملائكتِه لهم.

رَوى أبو نُعيمٍ في «الحِلْية»[1] عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أحبَّ اللهُ عبدًا قَذفَ حُبَّه في قلوبِ الملائكةِ، ثم يَقذِفُه في قلوبِ الآدميين، وإذا أَبغض عبدًا قَذفَ بُغضَه في قلوبِ الملائكة، ثم يَقذِفُه في قلوبِ الآدميين».

وفي حديثٍ آخرَ: «إذا أحببتُم أنْ تَعلمُوا ما للعبدِ عندَ ربِّهِ فانظُروا ماذا يَتبعُه مِن الثناء»[2].

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٧٧)، ثم قال عقبَه: «هذا حديثٌ صحيحٌ ثابتٌ مِن حديث أبي صالحٍ عن أبي هريرة، غريبٌ مِن حديث مطرٍ وأنس، لم نكتبْه إلا مِن حديثِ معمَرٍ عن يوسفَ بنِ عطيَّة»، ويوسفُ هذا متروكٌ.

وأما حديثُ أبي هريرةَ الذي أشار إليه أبو نعيم، فقد رواه البخاريُّ: (٩/ ١٤٢) وغيرُه، ونصُّه: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبدًا نادى جبريلَ: إنَّ الله قد أحبَّ فلانًا فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، ثم يُنادي جبريلُ في السماء: إنَّ الله قد أحبَّ فلانًا فأحبُّوه، فيُحبُّه أهلُ السماء، ويُوضَع له القَبولُ في أهل الأرض».

فرضي الله عن الإمام الحافظ أبي نعيم، ولله درُّه على وَجازَةِ عبارتِه ودقَّتِها وغزارتِها.

(٢) رَوى الإمامُ في «الموطأ» (٢/ ٩٠٤): عن عمِّه أبي سُهيلٍ بن مالك، عن أبيه، عن كعب الأحبار أنه =

وسلاطينُ بني عثمانَ خَلق الله لهم الرِّفعةَ والشان، فمحبَّتُهم مَركُوزةٌ في طباع الناس، وما تولّى سلطانٌ منهم وتَمنّى أحدٌ زوالَه، بل تجِدُ الرَّعايا قاطبةً داعيةً له بالنصرِ وطولِ العُمر، بخلافِ غيرِهم مِن الملوكِ والسلاطينِ، فإنَّ كثيرًا مِن رعاياهم يَكرهُهم، ويَتمنّى زوالَهم، ويَنسبون إليهم الظُّلم، وسلاطينُ بني عثمان إذا حدثَتْ مظلمةٌ فما تجد أحدًا يَنسبها إليهم، وإنما تُنسَبُ لحواشِيهم والمتصرِّفين عنهم، ولا يُقدَحُ ذلكَ في حقِّهم حيثُ لم يَعلموا، ويَجزِمُ كلُّ أحدٍ أنهم لو عَلموا لأَزالوا تلكَ المَظلمة.

وإنْ وَقع أذًى أو ضررٌ مِن النصارى لمراكبِ المسلمين، تجدُ الناسَ يَلهَجونَ بأنَّ هذا مِن عدمِ نصيحةِ الحواشي وعدمِ اعتنائِهم، وأنَّ السلطانَ لا يَشعرُ بذلك، ولو عَلم به لأزالَه، ولقَمَعَ النصارى والمواليَ أشدَّ القمْع، ولرَدَعَهم أعظَمَ الرَّدْع.

* * *

= قال: «إذا أحببتُم أنْ تَعلموا ما للعبدِ عندَ ربِّه، فانظروا ماذا يَتْبعه مِن حُسن الثناء».

[تعميرُ سورِ المدينة والقدس، وإجراءُ المياهِ لمكة]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

تعميرُ سورِ المدينةِ المشرَّفةِ وتحصينُها(١).

وتعميرُ سورِ بيتِ المقدِسِ وصَونُها(٢).

وبذلُ الأموالِ الجزيلَةِ عليهما صَونًا لهما عن تغلُّبِ عدوٍّ مارِقٍ، أو مُفسدٍ منافقٍ.

وإجراءُ الماءِ في الجبال الشواهقِ إلى بيتِ المقدسِ مِن مسافةٍ بعيدةٍ وإلى غيرها.

ومِن أعظمِ الخيراتِ وأفضلِ القرباتِ العامَّةِ النفعِ: هو إجراءُ المياهِ العذبةِ الكثيرةِ إلى مكةَ المشرَّفةِ بعدَ انقطاعِ عينِ حُنَينٍ، التي أجرتْها زُبَيدةُ زوجةُ هارونَ الرشيدِ، وبلغَتْ نفقتُها فيها: ألفَ ألفِ مثقالٍ وسبعَمئةِ ألفِ مثقالٍ مِن الذهب.

فلما تمَّ عملُها اجتمعَ المباشِرونَ والعمّالُ لديها، وأَخرَجوا دفاترَهم للحسابِ؛ ليَخرُجوا مِن عُهدةِ ما تسلَّموه مِن خزائنِ الأموالِ، وكانت في قصرٍ مُشرفٍ على الدِّجلَة، فأَخذَتْ منهم الدفاترَ ورمتْها في البحر، وقالت: «تركْنا الحسابَ ليومِ الحساب، فمَن فضلَ عندَه شيءٌ مِن بقيَّةِ المالِ فهو له، ومَن بقِيَ له عندَنا شيءٌ أعطيناه»، ثم أَلبستْهم الخِلعَ والتشاريف، وأَمرتْ أيضًا

---

(١) انظر حولَ تاريخِ سورِ المدينة ووصفه «سِمْطَ النجوم العوالي» (٤/ ٩٤)، و«مرآة الحرمين» (١/ ٤١٠).

(٢) انظر حولَ تاريخِ سورِ مدينة القدس وما حولَها في كتاب «الحضرة الأُنسية في الرحلة القدسية» للشيخ عبد الغني النابلسيِّ: (ص٩٧) وما بعدَها.

بإجـراءِ عيـنٍ وادي نعمـانَ إلى عرفـةَ، ثم منه إلـى مُزدلِفـةَ، ثم منه إلـى جبلٍ خلفَ مِنًـى، ثـم يَنصَـبُّ إلى بئـرٍ عظيمـةٍ مطويَّـةٍ بالأحجارِ، وتُسـمّى: عيـنَ زُبيـدةَ، إليها يَنتهـي عمـلُ هـذه العين[1].

وكانت الملوكُ والسلاطينُ تُجدِّدُ عينَ حُنَينٍ الجاريةَ إلى مكةَ، ثم انقطَعتْ في أوائلِ الدولةِ العثمانيَّةِ بحيثُ بِيعَت القِرْبةُ بدينارٍ، فأَمرَ السلطانُ سليمانُ في سنةِ: إحدى وثلاثينَ وتسعِمئة بتجديدِ عينِ حُنَينٍ وعينِ عرفاتٍ فجُدِّدا، وكثُرَ الماءُ بعدَ ذلكَ بعرفاتٍ وبمكةَ، واستمرَّتْ عينُ حُنينٍ جاريةً إلى مكةَ، لكنَّها تَقِلُّ تارةً وتكثُرُ أُخرى بحسبِ قلَّةِ الأمطارِ وكثرتِها.

وعينُ عرفاتٍ تجري مِن نعمانَ إلى عرفاتٍ بكثْرَةٍ إلى أنْ صارتْ عرفاتٌ بساتينَ، ثم قلَّت الأمطارُ في سنة: ستينَ وتسعِمئة، وانقطعَت العيونُ إلّا عينَ عرفاتٍ، وحَصلَ لأهلِ مكةَ الجَهدُ.

فلمـا بَلـغَ السـلطانَ سـليمانَ ذلـكَ أَرسـلَ يَفحـصُ عـن إجـراء العيـونِ إلى مكـةَ، فاجتَمـعَ الـرأيُ أنَّ أقـوى العُيون عيـنُ عرفـاتٍ، وأنَّ أعلامَها ظاهـرةٌ إلى بئرِ زُبَيـدةَ خَلْـفَ مِنًـى، وغلـبَ على ظنِّهم أنهـا مبنيَّـةٌ أيضًا إلى مكـةَ، ولكنَّها دَرَسَـتْ ونُسِـيتْ اسـتغناءً عنهـا بعينِ حُنَيـنٍ، ثم حَـزروا بعـدَ أنْ ذَرعـوا الأرضَ ووجَدُوها خمسـةً وأربعيـنَ ألفَ ذراعٍ بـذراعِ البنّائين[2]، فوجـدُوا المصروفَ علـى ذلكَ يَبلغُ ثلاثيـنَ ألـفَ دينارٍ.

ثـم أَرسـلوا وعَرضـوا ذلـكَ علـى السـلطانِ سـليمانَ فـي سـنة: تسـعٍ وسـتينَ

---

(١) انظر في ذلك «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (ص٣٣٧).

(٢) ذراع البنائين: تُعادل ٧٥ سم تقريبًا، انظر: «الأوزان والمقادير» لإبراهيم سليمان: (ص٥٦).

وتسعِمئة، فطَلَبَتْ بنتُ[١] السلطانِ[٢] أنْ يكونَ المصروفُ مِن عندِها، تتشبَّه بزُبيدةَ زوجةِ هارونَ الرشيدِ، فأجابها السلطانُ سُليمانُ إلى ذلكَ، وأَرسلتْ خمسينَ ألفَ دينارٍ بزيادةِ عشرينَ ألفًا، وعُيِّنَ لهذه الخدمةِ دفتردارُ مصرَ إبراهيمُ[٣]، فتوجَّه إلى مكةَ بعزمٍ وهمةٍ ظانًّا أنه يَفرغُ مِن هذه الخدمةِ فيما دونَ السَّنة ويَرجعُ للسلطانِ، فينالُ بذلكَ أعلى المناصِب، وليسَ الأمرُ كما ظنَّ.

فشَرعَ إلى أنْ اتَّصل عملُه بعملِ زُبَيدةَ إلى البئرِ التي انتهى عمَلُها إليها، ثم لم يُوجَد بعدَ ذلكَ للقناةِ رسمٌ ولا أثرٌ، بل وَجدَ الأرضَ صخرًا في غايةِ الصلابةِ فضاقَ صدرُه، وعلِمَ حينئذٍ أنَّ زُبيدةَ إنما تركَتْ ذلك اضطرارًا لا اختيارًا، وأنها إنما عدلَتْ إلى عينِ حُنَينٍ لصلابةِ الحَجَرِ وطولِ مسافةِ ما يجِبُ قطعُه، فإنه يُحتاجُ مِن بئرِ زُبيدةَ إلى نقرٍ تحتَ الأرضِ في الحَجَرِ الصَّوّانِ، طولُه فوقَ ألفِ ذراعٍ بذراعِ البنّائينَ، حتى يتَّصلَ إلى عينِ حُنَينٍ، ثم يصِلَ إلى مكةَ، ولا يُمكِنُ نقبُ ذلكَ الحَجَرِ تحتَ الأرضِ، فإنه يحتاجُ في النزولِ إلى خمسينَ ذراعًا في العُمقِ، وصارَ لا يمكِنُ

---

(١) وجاء في «منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم» (٣/ ٣٥٣): «زوجة السلطان»، وهو خطأٌ أو تحريفٌ.

(٢) هي السلطانة مِهْرماهْ بنتُ السلطان سليمان.

(٣) إبراهيم بن تَغْري بَرْدِي الدفتردار (ت٩٧٤) ليلةَ الاثنين الثاني مِن رجبٍ، ودُفن بالمعلاة على يمينِ الصاعد إلى الأبطح في تربةٍ أعدَّها له، ودُفن بها ابنان له ماتا قبلَه، وهو الذي أشار على السلطان سليمانَ القانونيِّ ببناء المدارس السليمانية؛ لتدريس المذاهب الأربعةِ بمكةَ المكرمة، فرحمه الله وجعله في جنات النعيم، وانظر ما تقدَّم عن هذه المدارس.

انظر: «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (ص٣٥٠)، و«منائحَ الكرام» (٣/ ٣٥٧)، و«المنحَ الرحمانية في الدولة العثمانية» (ص١٢٦).

تركُ ذلكَ بعدَ الشروعِ فيه حفظًا لناموسِ السَّلْطنةِ العثمانيَّة، وما وَجدَ حيلةً غيرَ أنْ يَحفِرَ وجهَ الأرضِ إلى أنْ يَصلُوا إلى الحَجَرِ الصَّوّانِ، ثم يُوقِدَ عليه بالنارَ مقدارَ مئةِ حِملٍ مِن الحَطبِ الجَزْلِ[1] ليلةً كاملةً في مقدارِ سبعةِ أذرُعٍ، في عرضِ خمسةٍ مِن وجهِ الأرضِ، فيَلِينَ الحجَرُ فيكسِرونَه بالحديدِ، إلى أنْ يَصلوا للحَجَرِ الصُّلبِ فيُوقَد عليه كذلك.

فاستمرُّوا إلى أنْ فَرغَ الحَطَبُ مِن جميعِ جبالِ مكةَ، فصارَ يُجلَبُ مِن المسافاتِ البعيدة، فغلا سِعرُ الحطَب، وضاقَ الناسُ لذلك، وصارَ كلَّما فَرغَ المصروفُ يُرسِلُ يَطلبُ مصروفًا آخرَ، إلى أنْ صرَفَ أكثرَ مِن خمسمئةِ ألفِ دينارٍ مِن خزائن السَّلطنَة، وتَعِب إبراهيمُ الدفتردارُ لذلك، ولم يَزل في العَمْلِ إلى أنْ مات، فأُقيمَ مُقامَه الأميرُ قاسمٌ أميرُ جدَّةَ[2] قائم مقام[3]، أقامَه السيدُ حسن صاحبُ مكةَ[4].

ثم أرسلَ يعرِضُ ذلكَ على السلطانِ سُليمانَ، فوَجدُوه قد ماتَ رحمه الله، وتولَّى ولدُه السلطانُ سَليمٌ، فعَيَّنَ لخِدمَتِها محمد بيك دفتردارَ مصرَ[5]، فبَذلَ في ذلكَ جَهدَه، ثم بعدَ مُدَّةٍ ماتَ، فأُقيمَ مُقامَه أميرُ جدةَ المذكورُ، ثم عُرِضَ ذلكَ على السلطانِ سَليمٍ، فوَردَ الأمرُ باستمرارِه ومُباشرتِه العملَ، وأنْ يكونَ

---

(١) الجَزْل: ما عَظُم مِن الحَطَب ويَبِس، «مختار الصحاح» (ص٥٧).

(٢) انظر حولَه في «المنح الرحمانية في الدولة العثمانية» (ص١٢٧).

(٣) الأصل في مصطلح (قائم مقام): هو مَن ينوب عن الغير في منصبه، انظر: «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» (ص١٧٠).

(٤) أمير مكة حسن بن أبي نمي الشريف (ت١٠١٠)، انظر: «خلاصة الأثر» (٢/ ٢).

(٥) انظر حولَه في «المنحِ الرحمانية في الدولة العثمانية» (ص١٨٣).

القاضـي حسـينٌ[1] ناظـرُ المسـجدِ الحرام ناظـرًا على مـا بقِيَ مِـن العَمْلِ.

ثم بعدَ مدةٍ ماتَ الأميرُ قاسمٌ سنةَ: تسعٍ وسبعينَ وتسعِمئة.

ثمَّ عُرِضَ الأمرُ بذلكَ على السلطانِ سَليمٍ، فوَردَ أمرُه بأنَّ القاضي حسينًا المذكورَ يُباشِرُ هذا العملَ المبارك، فشَرعَ فيه القاضي حسينٌ بجِدٍّ واجتهادٍ، وساعدَته السعادةُ والإقبالُ، فكمُلَ له المقصودُ فيما دونَ خمسةِ أشهرٍ بعدَ أنْ عَجزوا عن إتمامِه قريبًا مِن عشرةِ أعوامٍ، ووَصلَ الماءُ إلى مكةَ في ذي القَعدةِ الحرام سنةَ: تسعٍ وسبعينَ وتسعِمئة، ففرِحَ الناسُ بذلكَ، وأَرسلوا البشائرَ للسلطانِ سَليمٍ، فأَنعمَ بمزيدِ الإنعاماتِ والترقياتِ لجميعِ المباشرينَ لهذِه الخدمةِ، وحصلَ للقاضي حسينٍ الترقياتُ العظيمَة، وجُهِّزَتْ إليه أنواعُ الخِلَعِ الفاخرَة.

وصارتْ هذه العينُ العامَّةُ النفعِ بمكةَ المشرَّفةِ مِن حسناتِ آلِ عثمانَ.

ولمـا رَجـعَ الحـاجُّ مِن حَجَّـةِ سـنةِ: ثلاثينَ وألـفٍ أَخبـروا أنَّ الماءَ فـي تلكَ السـنةِ قـد قـلَّ بمكـةَ وغـلا ثمنُـه، وحَصـلَ للنـاسِ مشـقَّةٌ بسـببِ خلـلٍ حصل في قنـاة العيـنِ المذكورةِ، وفسـادٍ حَصـلَ بها.

فاللهُ تعالى يُوقِظُ لذلكَ الدولةَ العثمانيةَ، والسَّلْطنةَ الإسلاميَّة السنيَّة، ويُلهِمُها ما أَجراها عليه مِن العوائدِ السنيَّةِ، مِن المبادرَةِ إلى فعلِ الخيراتِ، والمثابرَةِ على إجراءِ الحسناتِ والقُربات، آمين.

* * *

---

(١) هو ناظرُ المسجد الحرام حسينُ بنُ أحمدَ الحسينيُّ المالكي المكي (ت٩٩٠)، وَلي القضاءَ بالمدينة المنورة، وتولى عدَّةَ مناصبَ بمكةَ المكرمة، انظر: «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (ص٣٤٤)، و«سِمْطَ النجوم العوالي» (٤/ ٣٤٧)، و«النورَ السافر» (ص٤٩٦).

[اتساعُ دولتِهم]

ومِن فضائل سلاطين بني عثمانَ:

ومفاخرِ مَن فاقوا مُلوكَ الزمانِ بعلوِّ الرِّفعة والشان، اتِّساعُ مَملكتِهم العظيمة، وأعمالِهم الجسيمَة، واستيلاؤُهم على غالبِ الأقطار، وأعظَمِ البلدانِ والأمصار، بل على غالبِ الرَّبعِ المَعمُور، وأشرفِ ما فيه مِن الأنهارِ والبُحور.

ولا ريبَ أنَّ أعظَمَ البلادِ المَعمورَة، وأشرفَ الأقاليمِ المَمْصورَة: إقليمُ مصرَ والشامِ والعراقِ والحجازِ واليمنِ والمغربِ والرُّوم، وقد استولَتْ هذِه الدولةُ الميمونةُ العثمانية، على جميعِ هذه الأقاليمِ السنِيَّة.

وأما مدينةُ تختِ مُلْكِهم، ومَحلُّ دارِ سَلْطنتِهم القُسطنطينيَّة، فهي كإرمَ ذاتِ العمادِ، التي لم يُخلَقْ مثلُها في البلاد، وقد خَلَفَتْ في المحاسنِ ما اندَرسَ مِن محاسن مصرَ وبغداد، دارِ الخلافةِ والمُلْك ومَعقِلِ الإسلامِ والأجناد، ومَرْبع الكرامِ والأجياد، فهي بهم شريفةٌ مشرَّفةٌ على الوِهادِ والمِهادِ، ولا يُعلَمُ في المُلوكِ مَن مَلكَ كمُلْكِهم، ولا مَن اندَرجَ في مثلِ نَظْمِهم وسِلْكِهم، لا السلطانُ صلاحُ الدينِ وذَوُوه، ولا المَلِكُ الظاهر، ولا السلطانُ أشرفُ قايتباي والغُوريُّ، ولا المَلِكُ الناصر[1].

---

(١) هذا الكلامُ قد يرى فيه البعضُ للوَهلة الأُولى مبالغةً ومجازفة، إلا أنه كلامٌ عن الحُكم المُمتدِّ بشكلٍ عام، لا بمقابلة الأشخاص وبعض الحوادث.

وقد قال المؤرِّخ الجَبَرْتيُّ في «تاريخه» (١/ ٣٧): «ولم تَزل البلادُ منتظمةً في سِلْكهم، ومُنقادةً تحتَ حُكمِهم، مِن ذلك الأوانِ الذي استولوا عليها فيه إلى هذا الوقت الذي نحن فيه، وكانوا في صدر دَولتهم مِن خير مَن تقلَّد أُمورَ الأُمة بعدَ الخلفاء المهديين، وأشدِّ مَن ذبَّ عن الدين، وأعظمِ مَن جاهد في المشركين؛ فلذلك اتسعتْ ممالكُهم بما فتحه الله على أيديهم وأيدي نُوابهم، ومَلَكوا أحسنَ المَعمُور مِن الأرض، ودانتْ لهم الممالكُ في الطُّول والعرض. =

ولا يرِدُ على قولنا هذا: الخلفاءُ مِن الأُمويينَ والعباسيينَ؛ لأنَّ كلامَنا هذا إنما هو في الملوك والسلاطين، فقد كان بعدَ اضمِحلالِ الخلافةِ إقليمُ مصرَ والشامِ لسُلْطان، وبغدادُ لسُلْطانٍ، واليمنُ لسُلْطانٍ، وتونسُ الغربِ وأعمالُها لسُلْطانٍ، والرُّومُ لسُلْطانٍ.

وكان هناكَ أيضًا في باقي الأمصارِ والبلدانِ سلاطينُ ذَوو عظمةٍ وشان، وقد استولى على الجميعِ سلاطينُ آلِ عثمان، فصارَتْ مَمْلكتُهم أَوسعَ المَمالك، ومسالكُهم أَوضحَ المسالك.

وأما الخلافةُ فلا يتيسَّرُ لأحدٍ مِن السلاطين أن يَملِكَ سعةَ مُلْكِها، ولا أنْ يَدخلَ في مثل نَظْمِها وسِلْكِها، فقد كانت خلفاءُ بني أمية يَملِكون الصينَ والهندَ والسِّندَ، وخُراسانَ وبلخَ وبُخارى وسمرقندَ، ونيسابورَ والعجَمَ، والرُّومَ والعربَ والعراقَ والشامَ، ومصرَ والحجازَ واليمنَ والمغرِبَ بأسرِهِ والأندلُسَ وسائرَ أقطارِ الإسلامِ، مِن مشرق الأرضِ إلى مغربِها، ومِن أقصَى الجنوبِ إلى أقصى الشمالِ، وكان لا يتولّى أحدٌ في بلدٍ إمارةً في شيءٍ إلا بأمرِ الخليفة.

وكذلكَ أوائلُ خلفاءِ بني العباسِ: كالمنصورِ والمهديِّ والهادي والرشيدِ والمأمونِ والمعتصمِ باللهِ والواثقِ باللهِ والمتوكلِ على الله، لكنَّ بلادَ الأندلسِ كانت قد خرجَتْ عنهم؛ بسببِ تغلُّبِ بعضِ بني أميةَ عليها[1]، واستمرَّتْ في

= هذا مع عدم إغفالهم الأمرَ وحفظَ النواحي والثُّغور، وأقامةِ الشعائر الإسلاميَّة، والسُّننِ المحمديَّة، وتعظيمِ العلماء وأهلِ الدين، وخدمةِ الحرمَين الشريفَين، والتمسُّكِ في الأحكام والوقائع بالقوانين والشرائع، فتحصَّنتْ دَولتهم، وطالتْ مُدَّتُهم، وهابتْهم المُلوك، وانقاد لهم الممالكُ والمَمْلوك».

(١) أشار إلى عبد الرحمن بنِ معاويةَ بنِ هشامِ بنِ عبد المَلِك (ت١٧٢)، المعروفِ بالداخل وبصقرِ قريش، انظر: «الأعلام» (٣/ ٣٣٨).

أيديهم خارجةً عن مِلْك بني العباسِ، وكان الإسلامُ إذ ذاك غضًّا طريًّا، وكان روضُ ثمارِه روضًا بهيًّا.

ثم بعدَ ذلك اضمحَلَّ أمرُ الخلافة، ولم يزَل أمرُها في إدبارٍ إلى أنْ قُتلَ الخليفةُ المستعصِمُ بالله في دولةِ المارقينَ مِن التتارِ، وتوزَّعت المُلوكُ الأقاليمَ، وتغيَّرتْ تلك الرُّسومُ والمعاليم، وتفرَّقت كلمَةُ المسلمينَ بكثرةِ تعدادِ السلاطين، لكنَّ الله تعالى مِن لطفِه بهذا الدِّين، قد جَمعَ غالبَ ما تفرَّقَ مِن كلمةِ المسلمينَ بالسلاطينِ العثمانيين، وجَمعَ بهم للمؤمنين بينَ العُلا والرِّفعةِ والتمكين، واتسعَت لهم المَمالكُ أيَّ اتساع، وسُلِّمَ لهم الأمرُ بلا نِزاع، واعترفتْ لهم بذلكَ سائرُ ملوكِ الأقطار، وخُطِبَ باسمهم على المنابرِ في غالبِ الأمصار.

وابتهجَتْ بدَولتِهم الدنيا في هذه الأعصار، وقد أصبحَ سلطانُ عصرِنا السلطانُ عثمانُ ـ نصره الله تعالى ـ بينَ المُلوكِ كأنه هالةُ الأقمار.

وقد أحيا ما اندرسَ مِن مذاهبِ الأخيار، ونِعمَ الخَلفُ مِن أولئكَ السلفِ الكرامِ الأبرار، افتَتح دولةَ سلطنتِه بجهادِ الكفَّارِ، وأحيا سُننَ المُرسلينَ أُولي الأيدي والأبصار، وهو عازِمٌ على الحجِّ الشريفِ[1]، فالفخارَ الفخار، وربُّك يخلُق ما يشاء ويَختار.

ورَوى الإمامُ مسلمٌ في «الصحيح الجامع»[2] عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما

---

(١) عزم السلطان عثمان الثاني على الحج، إلا أنَّ شيخَ الإسلام أسعد أفندي منعه مِن ذلك؛ خوفًا مِن نشوبِ فتنٍ، أو اختلالِ نظامِ الحُكم، وانظر مسألةَ حجِّ السلاطين العثمانيين في كتاب «الدولة العثمانية المجهولة» (ص٢٨٩).

(٢) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٥٨).

عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ المُقسِطينَ عندَ الله يومَ القيامةِ على منابرَ مِن نورٍ عن يمينِ العرشِ(١)، هم الذينَ يَعدِلونَ في حُكمِهم وأهلِيهم وما وُلُّوا».

وفي حديثٍ آخرَ: «السلطانُ العادِلُ المتواضِعُ ظلُّ اللهِ ورحمتُه في الأرضِ، يُرفَعُ له عملُ سبعينَ صدِّيقًا»(٢).

إذا علِمتَ ذلكَ فاعلَم: أنَّ السلطانَ كلَّما كثُرتْ رَعيَّتُه، وعظُمَ مُلْكُه، وكان مِن المُقسِطينَ، كان مِن أفضَلِ الناسِ وأقربِهم إلى اللهِ تعالى، وأعظَمِهم درجةً، وأكرمِهم مرتبةً.

*** [ذِكرُ أسماءِ المُدنِ التي كانت مركزَ الخلافةِ الإسلامية]:**

فائدةٌ:

كانت قاعدةُ الخلافةِ والمُلْكِ بالمدينةِ الشريفةِ زمنَ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم.

ثم انتقلتْ إلى الكوفةِ زمنَ عليٍّ والحسنِ ولدِه رضي الله عنهما.

ثم انتقلتْ إلى دمشقَ زمنَ معاويةَ رضي الله عنه وزمنَ يزيد.

ثمَّ انتقلتْ إلى مكةَ المشرَّفةِ زمنَ عبدِ اللهِ بن الزبيرِ رضي الله عنه.

ثم انتقلتْ إلى دمشقَ في زمنِ عبدِ المَلِك بن مروانَ، وزمنِ دولةِ بني أميةَ.

وربما سَكنَ هشامُ بنُ عبد المَلِك الرَّصافةَ وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وقاعدةُ خلافتِهم دمشقُ.

---

(١) كذا في النسخ كلِّها، والذي في «صحيح مسلم» وغيرِه مِن المصادر الحديثيَّة: «عن يمين الرحمن».

(٢) عزاه في «الجامع الصغير» لأبي الشيخ، وحَكم عليه في «المُداوي» (٤/ ٢٧٠) بأنه باطلٌ منكرٌ، وفي «العلل» لابن أبي حاتمٍ (٦/ ٥٩١): «قال أبو زرعة: هذا حديثٌ منكر».

ثم لما ملكَ السفاحُ سَكنَ الأنبارَ بالعراق.

ثم لما مَلكَ أبو جعفرٍ المنصورُ بنى الهاشميَّةَ[١] وسَكنها، ثم بنى بغدادَ وجعلها[٢] قاعدةَ خلافتِه، واستمرَّتْ قاعدةَ خلافةِ بني العباسِ إلى زمن المُعتصِم، فبنى سُرَّ مَن رأى، وجعلَها قاعدةَ خلافتِه.

ثم بنى الواثقُ هارونُ ابنُه الهارونيَّةَ[٣]، وجعلَها قاعدةَ خلافتِه.

ثم بنى المتوكِّلُ جعفرٌ أخوهُ الجعفريَّةَ[٤]، ونقَلَ قاعدةَ الخلافةِ إليها.

ثم عادَت قاعدةُ الخلافةِ إلى بغدادَ في زمنِ المُعتَمِدِ على الله، واستمرَّتْ قاعدةَ الخلافةِ إلى زمنِ المُستعصِمِ الذي قتلَه التتارُ.

ثم انتقلَت قاعدةُ الخلافةِ والسَّلْطنةِ إلى مصرَ، وكان الأمرُ والنهيُ للسَّلْطنةِ دونَ الخلافةِ.

ثم انتقلَتْ قاعدةُ السَّلْطنةِ مِن مصرَ إلى القُسطنطينيَّةِ العُظمى في زمنِ السلطانِ سَليمٍ، ولم تزل قاعدةُ السَّلْطنةِ الإسلاميةِ والدولةِ العثمانيةِ إلى يومِنا هذا، جعلها الله تعالى قاعدةَ سَلْطنةٍ لهم، ودارَ إسلامٍ إلى ظهور المهدي الإمام، ونزولِ عيسى عليه السلام.

---

(١) قضاء الهاشمية: يَتبع اليومَ لمدينةِ بابلَ العراقية.

(٢) في (أ) و(ب): «وصارت».

(٣) الهارونية: موضعٌ بسامراء، بَنى فيها الواثقُ بالله قصرَه، وتَوطَّن به، انظر: «فتوح البلدان» (ص٢٩١).

(٤) الجعفريَّة: موضعٌ بسامراء، بَنى فيها جعفرٌ المتوكلُ قصرَه، ثم صارت أكبرَ مِن سامراء، انظر: «مراصدَ الاطلاع» (١/ ٣٣٦).

وكانت بخارى[١] قاعدةَ السَّلْطنةِ في زمنِ بني ساسانَ.

ثم صارتْ غزنةُ[٢] قاعدةَ سَلْطنةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِينَ وبنَيه.

ثم هَمَذانُ[٣] زمنَ الدولةِ السلجوقيَّة.

ثم خوارِزمُ[٤] زمنَ الدولةِ الخوارزميَّةِ.

ثم دمشقُ زمنَ المرحوم السلطانِ نورِ الدِّين الشهيد، وكانت مملكتُه مِن هَمْدانَ[٥] إلى البربرِ[٦] والنُّوبَة[٧]، وهو الذي اتخذَ الحَمامَ لحملِ الرسائلِ لاتِّساعِ مَمْلكتِه.

وقال فيها القاضي الفاضلُ[٨]:..........................

---

(١) مدينة بخارى: تقع اليومَ غربَ جمهوريةِ أُوزبكستان.

(٢) مدينة غزنة: تقع اليومَ في الجنوب الغربيِّ مِن العاصمة كابل في جمهورية أفغانستان.

(٣) في النسخ كلِّها: «همدان»، وهي مدينةُ هَمَذان الإيرانية، ونصَّ في «تاج العروس» (٩/ ٥٠١): على أنَّ المعروفَ بينَ العجمِ إهمالُ داله.

(٤) خوارزم: مدينةٌ كبيرة قديمة، تقع اليومَ غربَ جمهوريةِ أُوزْبكِسْتان وجزءٌ منها بدولة تُركْمانِستان، واسمُها بالأحرف اللاتينية: (Khiva).

(٥) همدان: قبيلة يمنية، تقع قربَ مدينةِ صنعاء، انظر: «الأيوبيون بعدَ صلاح الدين» (ص٨٢١).

(٦) البربر هنا قُصد بها: السواحل الليبية، انظر: «عصرَ الدولة الزنكية» (ص٢٨٠).

(٧) النُّوبَة: تقع الآنَ في شمال السودان، وقسمٌ منها في جنوب مصر، وانظر: «موسوعةَ أطلس العالم» (ص٤٧).

(٨) القاضي الفاضل هو أبو عليٍّ عبدُ الرحيم بنُ عليٍّ اللخميِّ الشامي (ت٥٩٦)، سيرةُ حياتِه مفيدةٌ لا يُغفلَ عنها، وترجمتُه في «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٣٨) جميلةٌ قِف عليها، ولمقام السَّلْطنة والمُلْك هنا أرغب أنْ أنقلَ لكم شيئًا منها، قال الذهبيُّ: «الإمام العلامة البليغ، القاضي الفاضل، يمين المَملكة، سيِّدُ الفصحاءِ الكاتبُ، صاحبُ ديوان الإنشاء الصلاحي، سمع في الكهولة من أبي طاهرِ السِّلفي، وأبي القاسمِ ابنِ عساكر.

انتهت إليه براعةُ الترسُّل وبلاغةُ الإنشاء، وله في ذلك الفنِّ اليدُ البيضاء، والمعاني المبتكرة، والباعُ =

«الحَمامُ ملائكةُ المُلوك»[١].

وقال فيها بعضُ الشعراء[٢]:

خُضْـرٌ تَفـوتُ الرِّيـحَ فـي طيرانِها[٣] يـا بُعـدَ بـينَ غُدوِّهـا ورَواحِهـا

تأتِـي بأَخبـارِ الـغُـدوِّ عَـشيَّـةً لمسِيرِ شـهرٍ تحـتَ رِيـشِ جناحِهـا

وكان لا يَقطعُ البطاقةَ مِن الحَمام إلا السلطانُ بيدِه مِن غيرِ واسطَةٍ، ويُنبَّه إنْ كان نائمًا، ولا يُمهَلُ حتى يأكلَ إنْ كان آكلًا.

وللسلطان نورِ الدِّين الشهيد هذا مفاخرُ ومآثر، وتبعه على طريقته السلطانُ صلاحُ الدِّين رحمهم الله تعالى.

* * *

= الأطول، لا يُدرك شأوُه، ولا يُشقُّ غبارُه مع الكثرة، استخلصه صلاحُ الدِّين لنفسه».

وفي «مرآة الزمان» (٢٢/ ٨٣): «وكان صلاحُ الدِّين يقول في ملأٍ مِن النَّاس: لا تظنُّوا أني ملكتُ البلادَ بسيوفكم، بل بقلم الفاضل».

(١) جاء في «الرَّوضتَين في أخبار الدولتَين» (٢/ ٢٣١): «وقد بلغني عن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى»، ثم ذَكر هذه المقولة.

(٢) هو ابنُ أبي زيدٍ القَيرواني، عزا له هذَين البيتَين السيوطيُّ في «حسن المحاضرة» (٢/ ٣١٤).

(٣) في (أ) و(ب): «جريانها»، وطُمستْ في (ش).

[ردُّ المؤلِّفِ على مَن يُنكر ذِكرَ فضائلِ آلِ عثمان]

ومِن فضائلِ سلاطين بني عثمانَ:

اتِّصافُهم بمثلِ هذه الأوصافِ الحِسان في مثلِ هذا الزمان، الذي استَحكَم فيه الفساد، وظَهرَ في البرِّ والبحرِ والعِباد، وفسد فيه حالُ العلماء والقضاة والعباد، والقابِضُ على دينِه فيه كالقابضِ على الجمر، لا يجِدُ المؤمنُ فيه مُعاونًا على الخيرِ والأجر.

ولقد اعترضَ عليَّ بعضُ المُنكرينَ فيما أبديتُه مِن فضائلِ سلاطينِ بني عثمان، مع ما لهم مِن الفضائلِ التي لا يُنكِرها إلا كلُّ مُعانِدٍ مَوَتان، ونسيَ قولَه عليهِ الصلاةُ والسلام فيما رواه الشيخان[1]: «على كلِّ مسلمٍ صدقةٌ» قيل: أرأيتَ إنْ لم يجِد؟ قال: «يَعملُ بيديه فينفَعُ نفسَه ويتصدَّقُ»، قيل: أرأيتَ إنْ لم يستطِع؟ قال: «يعينُ ذا الحاجةِ الملهوف»، قيل: أرأيتَ إنْ لم يستطِع؟ قال: «يأمرُ بالمعروفِ أو[2] الخير»، قال: أرأيتَ إنْ لم يَفعل؟ قال: «يُمسِكُ عن الشرِّ فإنه صدقةٌ».

وإلى هذا المعنى أشار المتنبيُّ[3] بقوله في شعره:

إنا لفي زَمنٍ تَرْكُ القَبيحِ به ... مِن أكثَرِ الناسِ إحسانٌ وإفضالُ

فانظُر أيها الإنسان: أنتَ في أيِّ القرونِ والأزمان؟! زمانٌ قد فاتَ القرنُ

---

(١) «صحيح البخاري» (٨/ ١١)، «صحيح مسلم» (٢/ ٦٩٩).

(٢) المثبتُ مِن (ب)، وهو موافقٌ للمصادر الحديثية.

(٣) انظر: «شرحَ ديوانِ المتنبي» للواحدي: (ص٣٥٢).

العاشِر، وتقدَّمَ فيه الماجنُ والعاشِر(١)، وتأخَّرَ الحاذِقُ والماهر، وقلَّ الغنيُّ الشاكرُ، والفقيرُ الصابرُ.

لا يَروْجُ فيه مَن يَنتسِبُ للعِلم إلا كلُّ قَصورٍ دعيٍّ، أو جاهلٍ غبيٍّ، أو يكونُ ذا ثيابٍ جَليلة، وأكمامٍ طَويلة، أو ملابسَ مَهُولة، وأذيالٍ مَسدُولة، أو عِمامةٍ كالبُرْج، وأكمامٍ كالخَرْج، يَصدُّ السائلَ بسفَهِه وصخَبِه، ويُوهِمُ الجاهِلَ بعلوِّ منصبِه وكثرةِ كتُبِه، يَقطَعُ الوقتَ بضحِكٍ ودُعابة، أو طُولِ صمتٍ مَشوبٍ بمَهابة، فإنْ حَكى حَكى حِكايةً مَجُونة، أو أنشدَ أنشدَ قصيدةً مَلحونةً، أو ساقَ مسألةً ساقَها بهذيانٍ لا يُعقَل، وتقريرٍ لا يُتعقَّل.

نعمْ، قد أَتقنَ الغِيبةَ وأَحْكمها، وسوَّلتْ له نفسُه الخوضَ في أعراضِ الأكابرِ وحكَّمَها، فما جاء في هذا الزمانِ مِن خيرٍ ونِعمة، أو سرورٍ ورحمة، فهو على خلافِ القياس، وما أَصابكم مِن مصيبةٍ فبما كسبَتْ أيديكم معاشرَ الناس، وكما تكونوا يُولّى عليكم مِن كلِّ قلبٍ ليِّنٍ أو قاس، ولو صَلحَت الرَّعايا لصَلَحتْ وُلاةُ أُمُورِها، وأنْ لو استقامُوا على الطريقةِ لاستقامتْ لمأمُورِها(٢).

لما شَكى الناسُ لعبدِ المَلِكِ بن مروانَ مِن جَور عُمّاله كالحجّاجِ بنِ يوسفَ وأمثالِه، صَعَد عبدُ المَلِكِ على المنبرِ وقال: «أيُّها الناسُ، اتَّقوا اللهَ تعالى فينا وأنصِفونا مِن أنفسِكُم نُنصِفْكم(٣)، تُريدونَ منا أنْ نسيرَ فيكم سيرةَ أبي بكرٍ وعمرَ في رعيَّتِهما، ولا تَسيرونَ معنا سيرةَ رعيَّتِهما معَهما، فاللهُ تعالى يُعين كُلًّا منا على صاحبِه».

---

(١) المراد بالعاشر هنا: آخذُ أموالِ الناس، انظر: «مختار الصحاح» (ص٢٠٩).

(٢) في (أ) و(ب): «لصلح وُلاةُ أمورِها»، و«لاستُقيم لمأمورِها».

(٣) «ننصفكم» زيادةٌ مِن (أ) و(ب).

وحَكى في «جامعِ الحكاياتِ ولامِعِ الروايات»: أنَّ الحجّاجَ قال يومًا لرجلٍ: اذهب بهذا الدينارِ إلى سوقِ الصَّيارِف وَزِنْه عندَهم، وسَلْهم عن سيرةِ الحجّاج، فذَهبَ ووَزَنَه عندَ كلِّ واحدٍ منهم، فلم يَختلِف واحدٌ منهم: أنَّ وَزْنَه مثقالانِ إلا قيراطًا، وذَكروا الحجَّاجَ بالسُّوء.

فرَجعَ وأَخبرَ الحجّاجَ فقال: اذهَب إلى ذلك الصيرفيِّ المُنعزِل عن الناسِ فزِنْه عندَه وسَلْه عن سيرةِ الحجّاجِ.

فذَهبَ ووَزَنه، فإذا هو مثقالانِ مِن غيرِ نقصٍ، وأَثنى على الحجَّاجِ حين سُئلَ عنه، وقال: لم أرَ منه إلا خيرًا.

فرَجعَ الرَّجلُ إلى الحجّاجِ وأَخبرَه به فقال: انظُر، هل هذا إلا مِصداقُ قولِ النبيِّ ﷺ: «كما تكونوا يُولّى عليكم»[1]؟!، فهل أنا الظالمُ؟! أو هؤلاءِ اللُّصوصُ الخونَةُ الذين تَواطؤوا على الباطل؟!

وفي بعض الآثار: «يقولُ الله تعالى: أنا المَلِكُ، قلوبُ المُلوكِ بيدي، فأيَّ قومٍ أطاعوني جَعلتُ قلوبَ المُلوكِ عليهم رحمةً، وأيَّ قومٍ عصوني جعلْتُ قلوبَ المُلوكِ عليهم نِقمةً»[2].

---

(١) رواه مرسلاً البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٩/ ٤٩٢) بلفظ: «كما تكونون كذلك يُؤمَّر عليكم»، ثم قال: «هذا منقطعٌ، وراويه يحيى بنُ هاشمٍ وهو ضعيفٌ»، وقال الذهبيُّ في «المغني» (٢/ ٧٤٥) عن يحيى بنِ هاشم: «كذَّبوه ودجَّلوه، وقال النسائيُّ: متروكٌ، وقال ابنُ عَديٍّ: كان يَضع الحديثَ ببغدادَ ويَسرقه».

(٢) جاء في «المصنَّف» لابن أبي شيبة (٧/ ٦٣): «حدثنا عبدُ الله بنُ نُمير، عن مالكِ بنِ مِغولٍ قال: كان في زبور داودَ مكتوبًا: إني أنا الله لا إله إلا أنا، مَلِكُ المُلوكِ، قلوبُ المُلوك بيدَي، فأيما قومٍ كانوا على طاعةٍ جَعلتُ المُلوكَ عليهم رحمةً، وأيما قومٍ كانوا على معصيةٍ جعلتُ المُلوكَ عليهم نِقمةً»، =

وفي بعضِ الآثار: «يقولُ اللهُ تعالى: إذا عصاني مَن يَعرِفُني سلَّطتُ عليه مَن لا يَعرِفُني»(١).

واعلَم أيها الناظر: وذا الوجهِ الناضر، والمولى الناصر، أني قصدت بذِكر جَميعِ هذه الفضائل، وتَعدادِ هذه الشمائل، سلاطينَ بني عثمانَ، أُولي الرِّفعةِ والعظمة والشان، وإنما قصدت بذلكَ نفسَ بيتِ أهلِ السَّلْطنةِ المُعظَّمة، وسلالتَهم المُكرَّمَة؛ لأنهم في حدِّ ذاتهم بيتٌ طاهرٌ مقدَّس، ونَسَبٌ فاخِرٌ أَقدَس، غيرُ خالينَ عندَ اللهِ تعالى مِن صِدقِ سريرةٍ، وحُسنِ نيةٍ وسيرةٍ.

وبذلك قرَّتْ لهمُ الرِّياسة، واستقرَّت لهم السياسة، معَ إقامةِ ناموسِ السَّلْطنةِ والمُلْكِ أحسنَ قيام، وانتظامِ أُمورِهم أتمَّ نظام، وخَلَّدوا لهم بذلكَ ذِكرًا يُسطَّرُ في تواريخِ الأخبار، وثناءً يُنشرُ ما تَعاقبَ الليلُ والنهار.

وبالجملةِ فسلاطينُ بني عثمانَ مِن خيرِ مُلوكِ الزمانِ نسبًا وحسبًا، وشهامةً ومروءةً كاملة، وإنعاماتٍ شاملة، و[لهم](٢) عزمٌ وحزمٌ ويقينٌ، وجلالةٌ ومهابةٌ وتمكِين، معَ سطوةٍ باهِرَة، وصولَةٍ قاهِرَة، وخِبرةٍ بالسياسة، ومعرفةٍ بالرِّئاسة، وكثرةِ عساكرَ وأجناد، معَ امتثالٍ وأدبٍ وانقياد.

صيتُهم قد ملأَ الخافقَين، وذِكرُهم عمَّ المَغرِبَين والمَشرِقَين.

وهم أجملُ المُلوكِ جمالًا، وأَوسَعُهم أفضالًا ونوالًا، وأَطوَلُهم طَولًا وزمانًا، وأملَكُهم مِلْكًا ومَكانًا، وأَولاهم إفضالًا وإحسانًا.

= ومالكُ بنُ مِغْول: ثقةٌ مِن أتباع التابعين.

(١) هو مِن كلام الفُضيل بنِ عياضٍ، أسنده إليه ابنُ أبي الدنيا في «العقوبات» (ص٣٨)، وأبو نُعيمٍ في «حلية الأولياء» (٨/ ٩١).

(٢) ما بيَن معكوفَتين ليس في النسخ، وإنما زِدته لتستقيمَ الحركةُ الإعرابية.

فاقوا مفاخِرَ بني ساسان، ومآثِرَ بني يُونان،.....[١] الزمان.

أولئكَ الناسُ إنْ عُدُّوا وإنْ ذُكِرُوا ... ومَن سِواهُمْ فلَغوٌ غيرُ مَعدُودِ

لو خَلَّدَ الدهرُ ذا عِزٍّ لعزَّتِه ... كانُوا أحَقَّ بتعْمِيرٍ وتخلِيدِ[٢]

وليستْ شهادَتي هذه لعِلَّةٍ، أو تبريدِ غَلَّةٍ، ولستُ ممن يقولُ لأحدٍ منهم: عساه ولعلَّه، فإني عن خيراتِهم مِن التقاعُدِ قاعدٌ، والجَوى لي لا الجَوالي[٣]، ولكنْ رحِمَ اللهُ امرأً عَرفَ الحقَّ فأنصَف، ورام الإسعادَ فأَسعف، ومِن الإنصافِ أنْ يقولَ المرءُ الحقَّ ولو على نفسِه، وأنْ يُنزِلَ الناسَ منازِلَهم ليرحم.....[٤].

ففي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**اتَّقوا اللهَ وأَنزلوا**[٥] **الناسَ منازِلَهم**»[٦].

ولا تظنَّ أيها الناظِر، واللبيبُ المسامِر، أني قد بالغتُ في مدحِهم، أو تغاليتُ[٧] في وَصفِهم، بل هم فوقَ ذلك، وأبلَغُ مما هنالك، وما ذكرتُه فإنما هو بعضُ أَوصافِهم الكامِلَة، وفضائلِهم الشامِلَة، وإلا فلو رأيتَهم أيها الناظِرُ لرأيتَ غايةَ الرفعةِ والشان، ولاحَ لك صدقُ اليقينِ والبُرهان، وعرفتَ سرَّ: (ليس الخَبرُ كالعِيانِ)[٨]، ولأنشدت مُرتجِلًا، وقلتَ مُتمثِّلًا:

---

(١) طمسٌ في النسخة: (ش) بمقدار كلمتَين.

(٢) أَوردهما ابنُ كبريتٍ في «رحلة الشتاء والصيف» (ص١٢٧).

(٣) الجَوى: الحُرقة والشِّدة، والجوالي: جمعُ جالية، وهي هنا بمعنى: العطيَّة، وانظر: «مفاتيح العلوم» (ص٨٥).

(٤) طمسٌ في النسخة: (ش) بمقدار كلمتَين.

(٥) في النسخ: «ونزلوا».

(٦) «سنن أبي دواد» (٧/ ٢١٠).

(٧) في (أ) و(ب): «غاليت».

(٨) ورد في الحديث: «ليس الخَبرُ كالمُعاينة»، أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤١) وهو صحيحٌ.

كانتْ مُساءلَةُ الرُّكبانِ تُخبِرُني عن أحمدَ بنِ سعيدٍ أحسنَ الخَبرِ
ثمَّ التَقينا فلا واللهِ ما سَمِعَتْ أُذْني بأحسنَ مما قد رَأى بصرِي[١]

لا زالَ الوجودُ بدوامِ خلافتهم سنيًّا عامرًا، ولا برِحَ الإيمانُ في أيامِ سلطَنتِهم قويًّا ظاهرًا، وأيَّدَ سبحانه مُلْكَهم، وجَعلَ الدنيا بأسرها مِلْكَهم.

ولا زالت مرفوعةً أعلامُ دَولتِهم إلى مُحيطِ القبَّةِ الخضرا، وجَدَّدَ لهم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ عزًّا ونصرًا، ومسرَّةً وبُشرى، وسدَّدَ أقوالَهم؛ فإنَّ ذلكَ أقوى لهم، وجعلَهم دائمًا مسرورِينَ منصورِين، يُتلى مِن بين أيديهِم ومِن خلفِهم: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾، آمين.

***

خاتمةٌ

اعلَمْ أيَّدكَ اللهُ تعالى: أنَّ الفقهاءَ قالوا: يُستحَبُّ الدُّعاءُ للسلطانِ.

وكانَ السلَفُ الصالحُ كالفُضَيلِ بن عياضٍ وأحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرِهما يقولون: (لو أنَّ لنا دعوةً مُستجابةً لدَعونا بها للسلطان)[٢]؛ لأنَّ صلاحَه ـ نصره الله ـ صلاحُ المسلمينَ، فنقول لذلك بهم مُقتدِينَ رضي الله عنهم أجمعين:

اللهمَّ: إنَّ قلوبَنا لم تَزلْ برفعِ إخلاصِ الدعاءِ صادقة، وألسِنتَنا في حالَتي السرِّ والعلَنِ ناطقة، سائلِينَ بلسانِ الضراعةِ وقلبِ الانكسار، باسطِينَ أيدي الذِّلةِ والافتقار، أنْ تُسعفَ المسلمين بإمدادِ هذه الدولةِ المباركةِ العثمانيَّة، السَّلْطنةِ الميمونة الخاقانيَّة، بمزيدِ العُلا والرِّفعةِ والتمكين، وأنْ تُحقِّقَ آمالَنا فيها بإعلاءِ الكلمةِ ففي ذلكَ رفعُ قواعدِ دعائمِ الدِّين، وقمعُ مكائدِ المُلحدِين؛ لأنها الدولةُ التي برئَتْ مِن غشيان الجَنَفِ

---

(١) عزاهما القَلْقشنديُّ في «صبح الأعشى» (٢/ ٣٣٦) لأبي تمّام، مع مغايرةٍ يسيرة.

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨/ ٩١)، و«مجموعَ الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٣٩١).

والحَيفِ[١]، وسلِمتْ مِن طُغيانِ القلَمِ والسَّيف، وسارَ بذِكرِها الشريفُ رِحلةَ الشتاءِ والصيف، وأَوى إلى ظلِّها الوَريفِ ابنُ السبيلِ والضَّيف، ألبَسها اللهُ تعالى لِباسَ العزِّ المَقرونِ بالدوام، وحلَّاها بحِلْيةِ النصرِ المُستمرِّ بمُرورِ الليالي والأيام، ولا بَرِحتْ سُدَّةُ أعتابها ملثومةً بأفواهِ الأكاسرة، وتُرابُ أعتابِها موسُومًا بجباهِ القياصِرَة، خاضعةً لعظمةِ شأنها أعناقُ الفراعنَةِ والجبابِرَة، مَصُونةً هِمَّتُها عن عوائقِ الزمان، ونِعمَتُها عن طوارقِ الحَدَثان، وتَوالي الجَديدان، ودوامِ الفَرْقدان[٢].

اللهمَّ: وأيِّدِ الإسلامَ وأعلِ كلمةَ الإيمان، ببقاءِ عبدك وابنِ عبدِكَ، الخاضِعِ لعزِّ جلالِك ومجدِك، السلطانِ الأعظَم، والخاقانِ الأكرم، وارثِ الخلافةِ والمُلْك، سُلطانِ العرَبِ والعجِمِ والرُّوم والتُّرك، مَن وَرِثَ المُلْكَ لا عن كَلالة، والسَّلْطنةَ لا عن مَلالة، وأتاهُ يجرُّ أذيالَه، ولم يكُن يَصلحُ إلا له، سلطانُ البرَّين، وخاقانُ البحرَين، وخادِمُ الحرمَين الشريفَين، والبلدَينِ المُنيفَين، أحقُّ مَن ملكَ سريرَ الخلافةِ باستحقاق، وأولى مَن جَلَس على تختِ السَّلْطنةِ بالاتفاق، وهو الذي وجَّهَ عِنانَ العنايةِ لحمايةِ الإسلامِ بشهادَةِ الإجماع، وتلكَ شهادةٌ صادقةٌ لا يتطرَّقُ إليها النزاعُ، مادُّ سُرادِقِ العدلِ على العالمين، سادُّ أبوابِ الظلمِ على الظالمين، ناصرُ الإسلامِ والمسلمين، قاهِرُ الخوارجِ والمشركين، قامِعُ مكائدِ المُلحدِين، رافِعُ قواعِدِ دعائمِ الدِّين، ذُو المفاخرِ التي شهِدَ بفضلِها الخاصُّ والعام، والمآثِرِ التي تَرتفِعُ على الثُّريّا وتُكاثرُ الغَمام، والأخلاقِ التي رام النسيمُ أنْ يُحاكِيَ لُطفَها فأصبحَ عليلًا، والمعالي التي تَخيَّلَ المُلوكُ أنْ يَتشبَّهوا بها فلم يجدوا إلى ذلكَ سبيلًا، المُفتخِرُ على سلاطينِ الدنيا بفخامةِ مملكةٍ تردُّ الأبصارَ حَسرى، وسريرِ سَلْطنةٍ إذا استوى عليه أحيا ذِكرَ

---

(١) الجَنَف: الميل وعدم العدل، والحَيف: الجَور والظلم.

(٢) هذه وما قبلَها على لغة إلزامِ المُثنى الألفَ؛ لتوافق السَّجع، والله أعلم.

السلفِ الصالحِ وأماتَ ذِكرَ كسرى، إذا سارَ بينَ المواكبِ فما هو إلا القمرُ حُفَّ بالكواكبِ، بصوارمِ سيوفٍ تَقطُفُ حُروفُها أعناقَ المُعتدِين، وأهلَّةِ قِسيٍّ تُرسَلُ نجومُ سهامِها على شياطينِ البُغاةِ والمُتمرِّدين، وصافِناتِ خيولٍ تنحطُّ تحتَ مسيرِها رؤوسُ المُتكبِّرينَ، وبُروقِ سِنانِ رِماحٍ تلوحُ فترعُدُ لها قلوبُ المارقِين، وراياتٍ تَخفُقُ قلوبُ الأعداءِ لخَفقانِها، وتَنخفِضُ رُتبُهم بها لِرفْعِ شأنِها، لا يرتابُ متأمِّله في أنه البحرُ والعساكِرُ أمواجُه، ومحاسنُه البدرُ والكواكبُ أزواجُه.

حامي حِمى الإسلامِ بالديارِ الرُّوميَّة، ومشيِّدُ تُخوتِ العدلِ في جميع الأقطارِ الإسلاميَّة، القائمُ بنفلِ الجهادِ وفرضِه، الصادِقُ عليه قولُه ﷺ: «**السلطانُ ظلُّ اللهِ في أرضِه**»، حامي حِمى الملةِ والدِّين، إمامُ الغزاةِ والمُجاهِدِين، ناشرُ جناحِ النجاح بالعدل في العالمين، جامِعُ كلمةِ الإيمان، قامعُ عبدَةِ الأوثانِ والصُّلبان، مَعدِنُ العدلِ والفضلِ واليُمنِ والأمان، المُمتثِلُ قولَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾، مولانا السلطانُ الأعظَمُ عثمان.

مَـن كانَ عنـدَ اللهِ أيـامُـه ... مـخبوءةً للزَّمـنِ الآخـرِ

أدامَ اللهُ تعالى سعادةَ أيامِه، وجَعلَ البسيطةَ قبضةَ يدَيهِ وطوعَ أحكامِه.

ولا زالَت سِلسلةُ سلطنتِه مسلسلةً إلى انتهاءِ سلسلةِ الزمان، رافِلًا في حُللِ السعادةِ والسيادَةِ والرِّضا والرِّضوان.

ولا برِحَتْ ملوكُ الدنيا خُدَّامَه، وسلاطينُ الأرضِ تمشي خلفَه وقُدَّامَه، وقلوبُ الأعداءِ لدى الحناجرِ إذا صفَّ عسكرُه أقدامَه، وأدام سطوتَه وإقدامَه، ولا انفكَّتْ الجبابرةُ خاضعةً لعِزَّةِ شانِه، والأكاسِرةُ مقهورةً بعظيم سطوتِه وسُلطانِه، والنصرُ مَقرونًا بعساكرِه وأعلامِه، والسعدُ رائدَ عزمِه وقائدَ اهتمامِه.

ولا زالَ ظلُّ لواءِ فضلِه الشريفِ على الأنامِ ممدودًا، ونظمُ عِقدِ عَدلِه المُنيفِ بدوامِ الأيامِ معقُودًا.

فأيِّدْ دَولتَه التي عزَّ بها الإسلام، وصولتَه التي ذلَّ بها الكفارُ اللِّئام، أَطْلِع اللهُ تعالى شموسَ سعادتِه مُشرقةَ الأنوار، وأَلبِسْ الدنيا مِن حُلل سِيادته ملابسَ الافتخار، واجعلْ تحتَ تختِ سَلْطنتِه سائرَ الأقطار، والبراري والبحار، والقِفارِ والأمصار.

اللهمَّ: انصُرْه وانصُرْ عساكرَه، وكُنْ اللهمَّ مؤيِّدَه وحافظَه وناصرَه، وامحَقْ بسيفِه رقابَ الطائفةِ الكافرةِ الفاجِرَة، يا مالكَ الدنيا والآخرَة.

اللهمَّ: انصر جيوشَ المسلمين، وعساكرَ المُوحِّدين، وفُكَّ أسرَ المأسورين، وخُذ بيدِ الغُزاةِ والمجاهِدين، واخذُل الكفرةَ والمشركينَ أعداءَ الدِّين، وارحَمْ عجزَنا وتقصِيرَنا، ولا تجعَلْ إلى الوبالِ مصيرَنا، وحَلِّنا بحِلْيةِ العِرفان، وزيِّنا بزينةِ الإيمان، ورقِّنا إلى مقامِ الإحسان، وحقِّقْنا بنورِ توحيدِك، وأيِّدْنا بنصرِكَ وتأييدِك، وسدِّدْنا في الأقوالِ والأفعال، وأَسبِغْ علينا الإنعامَ والإفضال.

وصلِّ وسلِّم على أفضل العالَم، وسيِّدِ بني آدم، وعلى سائرِ إخوانِه مِن الأنبياءِ والمرسَلِين، وعلى آلِ كلٍّ وصحبِه أجمعين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

قال مؤلِّفُه سامحه الله تعالى ولطف به في الدنيا والآخرة:

فرغتُ مِن رَقْمِ هذه الفوائد، ورَسْمِ هذه الفرائد، التي يتطلَّبُها لحُسنها ألفُ رائد، بالجامع الأزهر في نهار الخميس سادسَ عشرَ رجبٍ الحرام[1]، مِن شهور سنةِ إحدى وثلاثينَ وألف، أحسن الله تعالى ختامَها، وذلك برسم المشار في أوَّله إليه، والمنوَّهِ باسمه الشريف بالاستدلال عليه، ومحاسنِ الأوصاف والألطافِ لدَيه، مولانا سليمان آغا كشف الله تعالى لبصر بصيرتِه مُخبّآتِ الغُيوب، واستعبد له بحُسن سريرته أحرارَ

(١) الذي في (أ) و(ب) وغيرِهما: أنَّ المؤلِّفَ فَرغ منه أوائلَ المحرَّم، والذي في النسخة (ش) أنه فَرغ منها في رجبٍ، أي: بعدَ نحوِ ستةِ أشهر، وهذا ما يدلُّ على أنَّ للكتاب إبرازتَين، أضاف المؤلِّفُ في الإبرازة الثانيةِ بعضَ الزيادات، كما مرَّ معنا في الهوامش والتعليقات، والله أعلم.

أسرارِ القلوب، حتى يرقى إلى درجات المُقرَّبين، ويتضحَ له نهجُ الحقِّ واليقين، ولا برحتْ أطيارُ الأرائك بمحاسن شيمِه هاتفَة، وأنوارُ الملائكِ بمَغْمور بيته المقدَّس طائفَة، وآياتُ معاليه بالسلامة والسلامِ متلوَّه، وعرائسُ أبكارِ الأفكارِ بدُرِّ مَعانيه مجلوَّة، ولا زالتْ روضةُ........[1] التوفيق بالسعادة له ناظرة، مَصونة همَّتُه عن عوائق الزمان، ونعمتُه عن طوارق الحَدَثان.

أستوهِبُ اللهَ تعالى له ولسلطانِه السعيدِ عُمرًا يُطاول الأَبد، ومِننًا تَستغرق العَدَد، وزيادةَ سعدٍ تمتازُها الشمسُ وقتَ الضحوة، ورَفاهيةَ عيشٍ يَلزمه الهنا والصَّفْوة، ما رنَّحتْ الأقلامُ بصريرها، والأنهارُ بخريرها، وما ضحكت الأشجارُ بوَرِقِها، والأمطارُ ببُروقِها، ولا زالتْ الأقلامُ خُدّامًا لخواطِره، والطُّروسُ سواحلَ لجواهِره، والمَسارُّ سائرةً إلى سرائِره، وأسواقُ الفضل والآدابِ بوُجودِه قائمة، وأشواقُ القلوبِ بمحبَّته هائِمة، ودِيمُ نِعم الله تعالى في أفنانِه دائمة، ولآلئُ فضائِله مُتلألِئة، وأجناسُ فواضِله مُتوالية، مَن لولاه لم يُخلق القلم، ولم يُعلَّم الإنسانُ ما لم يَعلم.

آمينَ آمينَ لا أرضى بواحدةٍ حتى أُبلِّغَها ألفينِ آمينا

واللهُ تعالى على ما يشاء قدير، وبالإجابةِ جدير، فنسأله سبحانَه في تنوير قلوبنا، وشرحِ صُدورنا، وتسهيلِ أُمورِنا، وأنْ يُصلحَ حالَ وُلاةِ أُمورنا، وأنْ يَنصرَ سلطانَنا، وأنْ يُصلِحَ أحوالَنا، وأنْ يَلطُفَ بنا إنه هو اللطيفُ الخبير، وأنْ يَرحمَنا برحمته يومَ المرجعِ والمصير، آمين.

* * *

---

(١) طمسٌ في النسخة (ش) بمقدار أربعِ كلمات.

* **لطيفة:**

قد صنَّفتُ مصنَّفًا لطيفًا سميتُه: «القولَ المعروف في فضل المعروف»[1]، وجعلتُه أربعينَ حديثًا، ولا بأس بذكر خمسةِ أحاديثَ منها هنا لمناسبة المقام:

ـ **الحديث الأول:** عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أهلَ المعروفِ في الدُّنيا هم أهلُ المعروفِ في الآخرة، وإنَّ أوَّلَ أهلِ الجنَّةِ دُخولًا الجنةَ أهلُ المعروف»، رواه الطبراني[2].

ـ **الحديث الثاني:** عن عليٍّ وأبي هريرةَ وابنِ عباس وسلمانَ رضي الله عنهم عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أهلَ المعروف في الدُّنيا أهلُ المعروف في الآخرة، وإنَّ أهلَ المُنكر في الدُّنيا أهلُ المُنكر في الآخرة»، رواه الطبرانيُّ وأبو نُعيمٍ والخطيب[3].

ـ **الحديث الثالث:** عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ أحبَّ

(١) وهو مطبوع ضمن هذا المجموع في المجلد الثاني منه بحمد الله.

(٢) «المعجم الكبير» (٨/ ٢٦١)، وقال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٣): «رواه الطبرانيُّ، وفيه مَن لم أعرفْه».

(٣) «المعجم الكبير» (٦/ ٢٤٦) عن سلمانَ رضي الله عنه، وقال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٣): «رواه الطبرانيُّ، وفيه: هشامُ بنُ لاحق، تركه أحمدُ وقوّاه النسائي، وبقيةُ رجالِه ثقات»، «حلية الأولياء» (٩/ ٣١٩) عن أبي هريرةَ، وفيه: راوٍ منكرٌ، «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٤) عن عليِّ بن أبي طالب، في ترجمة: محمدِ بنِ الحسين البغدادي، وهو كذابٌ، وللحديث رواياتٌ عدَّة، وأسانيدُ متعدِّدة.

عبادِ الله إلى الله مَن حُبِّبَ إليه المعروف، وحُبِّب إليه فعالُه»، رواه ابنُ أبي الدنيا وأبو الشيخ[1].

ـ **الحديث الرابع**: عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «صنائعُ المَعروف تَقي مصارعَ السُّوء والآفاتِ والهَلَكات، وأهلُ المَعروف في الدُّنيا هم أهلُ المَعروف في الآخرة»، رواه الحاكم[2].

ـ **الحديث الخامس**: عن ابن عباس[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ معروفٍ صدقة، والدّالُّ على الخير كفاعله، والله تعالى يُحب إغاثةَ اللَّهفان»، رواه الدارقطنيُّ وابنُ أبي الدنيا[4] رحمهما الله تعالى.

صدق رسولُ الله ﷺ[5].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (ص١٩)، وفيه: راوٍ منكرٌ ومتَّهمٌ بالكذب، انظر: «المداوي» (٢/ ٤٣٨).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٢١٣)، ونصُّه: «المعروفُ إلى الناس يقي صاحبَها مصارعَ السوء... إلخ»، وقال الذهبيُّ: «بهذا انحطَّتْ رتبةُ هذا المصنَّف المسمّى بالصحيح»، وله متابعاتٌ وشواهد.

(٣) وقع هنا طمسٌ في النسخة: (ش)، وقد تمَّمتُه مِن رسالة المؤلِّف «القول المعروف».

(٤) رَوى الدارقطنيُّ قولَه: «الدال على الخير كفاعله» في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ١٠٥٧)، ورَوى ابنُ أبي الدنيا الحديثَ في «قضاء الحوائج» مُقطَّعًا، انظر: (ص٢٩، ٣٩)، وصدرُ الحديثِ في الصحيحَين.

(٥) **جاء في نهاية النسخة (أ)**: «قال مؤلِّفُه: فرغتُ مِن رَقْم هذه الفوائدِ في أوائلِ محرمٍ سنةَ: (١٠٣١) بالجامع الأزهر المَعْمُور بمحروسةِ مصرَ رحمه الله، على يدِ كاتبِه العبدِ الحقيرِ داعيًا ربَّه بقلبٍ كسيرٍ، بمُقلةٍ دامعةٍ، رافعًا بلسانِ الضراعةِ غُفرانَ ما قد جَنيتُ مِن الآثام، راجيًا ربًّا كريمًا عَطوفًا، =

= وَدُودًا برًّا رحِيمًا، وحسنُ الظنِّ به هو اعتقادي، خادِمِ نعالِ الفقراءِ المتشرِّفِ بخدمةِ العلمِ الشريفِ، مُثنٍ على اللهِ العظيمِ بما منَّ عليَّ بحفظِ كتابِه العظيمِ المُبين، محمدٍ السروريِّ المجاورِ بأحدِ أبوابِ المسجدِ الأقصى الشريفِ المُنيف، فله المنَّةُ عليَّ، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، آمين، تحريرًا في أوائلِ ذي القَعدةِ الحرام سنةَ: (١١٤٣)».

وجاء في نهاية النسخة (ب): «وكان الفراغُ مِن كتابةِ هذا الكتاب نهارَ السبت، إحدى وعشرينَ خلَتْ من محرمٍ سنةَ: (١١١٧) على يدِ الفقيرِ المُعترفِ بالعجزِ والتقصيرِ، عبدِ الرحيمِ بنِ مرعي بنِ يوسفَ بنِ يحيى أخِ المصنِّفِ بنِ يوسفَ بنِ أبي بكرٍ الحنبليِّ مذهبًا، الكرميِّ بلدةً، الأزهريِّ طلبًا، غفرَ اللهُ له ولوالدَيه، ولجميعِ المسلمينَ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعينَ، وسلِّم تسليمًا».

